مَوْسُوعَةُ
أَمْرَاضِ اللِّسَانِ



الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م

رقم الإيداع: ٢٠١٤/١٦٠٠١

الناشر

مكتبة فياض

المنصورة – عزبة عقل – شارع عبد الهادي

ت ٠٥٠٢٣٧٥٩٤٣

فاكس ٠٥٠٢٢٦٧٣٩٨

موسوعة أمراض اللسان

جمع وترتيب

أيمن المزين



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، شهادة عبده، وابن عبده، وابن أَمَتِه، ومن لا غنى به طرفة عين عن رحمته، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد:

فإن من نعم الله – تعالى- العظيمة على بني الإنسان، نعمة اللسان[1]؛ إذ الله تعالى يقول: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ [البلد: ٨، ٩]، وهذا اللسان إن لم يستخدم في طاعة الله، كان وبالًا على صاحبه، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤].

أخي المسلم: إن الله تعالى خلق لنا اللسان لنستخدمه كآلة تعبير عما

---

(١) اللسان: عضلة مستطيلة تتحرك في الفم عند الكلام ومضغ الطعام، والجمع: (ألسن – ألسنة). «المعجم الوجيز» (ص٥٦٠).

في القلوب من أحاسيس، هذه الأحاسيس تخرج عن طريق اللسان إلى كلمات يتفوه بها، ولقد خلق الله لنا الأفئدة لكي نستخدمها في طاعته - سبحانه - ونهبها لعبادته، وخلق لنا اللسان لنذكره - تعالى - به، وأمرنا أن نحافظ على هذه الأفئدة؛ لأننا سنسأل عنها أمام الله يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦]، مع العلم بأن كل ما يخرجه الإنسان من ألفاظ تكتب عليه سواء كانت خيرًا أو شرًّا، قال عز من قائل: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨].

هذا وقد وردت نصوص شرعية تحث على حفظ اللسان منها قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾

[النحل: ١١٦].

وروى الترمذي من حديث سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ، قَالَ: «**قُلْ رَبِّيَ اللهُ ثُمَّ اسْتَقِمْ**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَخْوَفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ؟ فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**هَذَا**»(١).

وروى أيضًا من حديث معاذ رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ عن عمل يقربه إلى الجنة ويباعده من النار، فأخبره النبي ﷺ برأس الأمر وعموده

---

(١) برقم (٤١٠).

وذروة سنامه، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟**» قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيّ اللهِ قَالَ: فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، فَقَالَ: «**كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**» قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ - أَوْ قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ - فِي النَّارِ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟**»(١).

وروى أيضًا من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: «**يَا عُقْبَةُ، أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ**»(٢).

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ، أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ**»(٣).

قال محمد بن واسع لمالك بن دينار: يا أبا يحيى، حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم(٤).

واعلم أخي المسلم: أن شر حركات الجوارح حركة اللسان، وهي أضر ما يكون على الإنسان.

قال الإمام القيم ابن القيم رحمه الله: ومن العجب أن الإنسان يهون عليه

---

(١) برقم (٢٦١٦)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) برقم (٢٤٠٦).

(٣) البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٨٨).

(٤) «إحياء علوم الدين» (٣/ ١٢٠).

التحفظ والاحتراز من أكل الحرام، والظلم، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، ومن النظر الحرام، وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ والاحتراز من حركة لسانه، حتى ترى الرجل يشار إليه بالدين والزهد والعبادة، وهو يتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي لها بالًا، ينزل في النار بالكلمة الواحدة أبعد ما بين المشرق والمغرب، وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم، ولسانه يقطع ويذبح في أعراض الأحياء والأموات، ولا يبالي بما يقول(١).

وإذا أردت أخي المسلم أن تعرف ذلك فتأمل ما رواه مسلم في «صحيحه» من حديث جُنْدَبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، حَدَّثَ «**أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ**»(٢).

قال أبو هريرة رضي الله عنه: تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته.

بل لقد قال بعض أهل العلم: في اللسان آفتان عظيمتان، إن خلص من إحداهما لم يخلص من الأخرى:

آفة السكوت عن الحق، وآفة الكلام بالباطل، وقد تكون كل منهما أعظم من الأخرى في وقتها، فالساكت عن الحق شيطان أخرس عاص لله، مراء، مداهن، إذا لم يخف على نفسه مثل من يرى المنكرات أمام عينيه مع قدرته على التغيير ولا يفعل، روى مسلم في «صحيحه» من

(١) «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي» (ص:١٤٠).

(٢) برقم (٢٦٢١).

حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»**[١].

الآفة الثانية: التكلم بالباطل، وهو شيطان ناطق عاص لله، وأكثر الخلق منحرف في كلامه وسكوته، فهم بين هذين النوعين وأهل الوسط هم أهل الصراط المستقيم، كفوا ألسنتهم عن الباطل، وأطلقوها فيما يعود عليهم نفعه في الآخرة، فلا يرى أحدهم يتكلم بكلمة تذهب عليه ضائعة بلا منفعة، فضلًا عن أنها تضره في آخرته يوم القيامة، عندما يأتي بحسنات أمثال الجبال، فيجد لسانه قد هدمها عليه كلها، ويأتي بسيئات أمثال الجبال، فيجد لسانه قد هدمها من كثرة ذكره لله وما اتصل به[٢].

أخي المسلم: فلما كانت أمراض اللسان من أخطر الأمراض فتكًا بالإنسان، فالإنسان قد يحمي نفسه، ويحافظ عليها من الوقوع في المحرمات وفعل السيئات والزلات التي تتعلق بجارحة اليد، كالنهب والسرقة، والتي تتعلق بالفرج كالزنا، والتي تتعلق بالبطن كأكل السحت والحرام، ولكنه لا يستطيع أن يحمي نفسه من حركة لسانه إذا تحرك بالشر، وفي الشر.

وكما سلف وذكر ابن القيم - رحمه الله تعالى - من أجل ذلك استعنت بالله ربي على جمع هذه المادة من كتاب ربنا، وسنة نبينا، وأقوال

---

(١) برقم (٤٩).

(٢) «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي» (ص:١٤٢).

الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يـوم الـدين، وقمت بشرح كل حديث في المرض المذكور، مع بيان فقه الحديث.

وتعرضت كذلك لتفسـير بعـض الآيـات، ذاكـرًا شـروح العلمـاء، وتفسير المفسرين، حتى يسهل على القارئ فهم الآية والحديث.

هـذا وقـد سـميت هـذا الكتـاب «**موسوعة أمراض اللسان وكيف عالجها الإسلام**».

وأسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يتقبل مني وإيـاكم صـالح الأعمال.

وصلِّ اللهم وسلِّم وبارِك على مُعلِّم الناس الخير، وعلى آله وصـحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

كتبه

أبو عبد الله

أيمن أحمد المزين



الغيبة

الغيبة

تعريف الغيبة:

الغِيبة بكسر الغين: هي أن تذكر أخاك الغائب بما يكره إذا بلغه، سواء كان نقصًا في بدنه أو نسبه أو خلقه، أو في أمر متعلق بالدنيا أو الدين... **أما في البدن فقولك:** فلان أعور أو أقرع أو أسود... أو طويل أو قصير... أو بدين... وغير ذلك من الأوصاف التي قد يكره ذكرها.

أما في النسب: فقولك على جهة الانتقاص لا التعريف: فلان لا أصل له... فلان ليس له عائلة... فلان خسيس... أو زبال... أو أن تذكر صفة عادية لكن تذكرها على سبيل الازدراء والانتقاص مثل أن تقول: فلان صعيدي... وقد انتشر بين الناس أنها لا تقال إلا لمن استغلق عليه الفهم... أو تقول: فلان فلاح وتعني أنه غير متحضر (لا يفهم في البرستيج).

أما في الخلق: فقولك: فلان عنده كبر واستعلاء وبخيل وممسك عن النفقة... أو فلان مراءٍ بأعماله.. أو سريع الغضب... أو جبان، وما شابه ذلك...

أما الغيبة في الأمور المتعلقة بالدنيا: مثل أن تقول: فلان كثير النوم... فلان **لا** يهتم بنظافة ثوبه... فلان كثير الكلام... إلخ.

أما في الأمور المتعلقة بالدين: مثل أن تقول: فلان سارق... فلان مسرف على نفسه في شرب الخمر... فلان كاذب... فلان لا يحسن أن يتكلم، ... لا يفقه شيئًا في أمور الدين... لا يحسن أن يتوضأ...

وقد يظن البعض أن هذا النوع من الغيبة من باب النصيحة في الدين وهو ليس كذلك.. بل هو من باب الفضيحة؛ لأنك إذا أردت أن تنصح أخاك حقًّا وصدقًا، فلا يكون ذلك إلا في السر تخبره بما رأيته عليه من عيب وغير ذلك، وترجو منه أن يصلح نفسه وتدعو له بالعافية.

والدليل على أن الغيبة هي ذكرك أخاك بما يكره.. أن النبي ﷺ سئل عن الغيبة في الحديث الذي رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**»، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «**إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ**»(١).

يعني إذا كان فيه ما تقول فهي غيبة، وإن لم يكن فيه ما تقول، فهو بهتان، مثال ذلك رجل قال: فلان عصبي يغضب لكل شيء، وهو غير حاضر فهذه غيبة، وهو حاضر هذا سب وهو بريء من ذلك هذا بهتان وغيبة إذا كان في غيبته(٢) .

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨٩).

(٢) «المناهي الشرعية» لمحمد بن صالح العثيمين (٣/ ٤٣١).

واعلم أخي المسلم أن الغيبة لا تتوقف على اللسان بل قد تكون بالجوارح والأعضاء أيضًا مثل أن تقلد الأعرج في مشيته، فهذه غيبة أو تشير بيدك أنه قصير أو طويل وما شابه ذلك.

عن عائشة ﵂ قالت: حَكَيْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ رَجُلًا فَقَالَ: «**مَا يَسُرُّنِي أَنِّي حَكَيْتُ رَجُلًا، وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا**»، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ صَفِيَّةَ امْرَأَةٌ - وَقَالَتْ بِيَدِهَا هَكَذَا كَأَنَّهَا تَعْنِي قَصِيرَةً - فَقَالَ: «**لَقَدْ مَزَجْتِ بِكَلِمَةٍ، لَوْ مَزَجْتِ بِهَا مَاءَ الْبَحْرِ لَمُزِجَ**»(١).

والمعنى أن هذه الغيبة لو كانت مما يمزج بالبحر لغيرته عن حاله مع كثرته وغزارته، فكيف بأعمال نزرة خلطت بها (٢).

قال النووي ؒ: ومن الغيبة المحرمة: المحاكاة بأن يمشي متعارجًا أو يطأطئ رأسه أو غير ذلك من الهيئات.

خطر الغيبة:

إن الله سبحانه وتعالى قد نهانا عن الغيبة وصور المغتاب بأقبح صورة في كتابه العزيز، وشبهه بأقذر حيوان، فقال سبحانه: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٠٣)، وقال: حسن صحيح، ورواه أبو داود (٤٨٧٥).

(٢) «تحفة الأحوذي» (٦/ ٣٧٢).

ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١٢].

فقد شبَّه المغتاب بالكلب، والكلب هو الحيوان الوحيد الذي يأكل لحم أخيه بعد موته، فالأسد لا يفعلها، وكذلك الذئب حتى الثعلب يشمئز منها ولا يفعلها، لا يفعلها إلا الكلب(١).

قال ابن كثير رحمه الله عند تفسير الآية: أي كما تكرهون هذا طبعًا فاكرَهوا ذاك شرعًا، فإن عقوبته أشد من هذا، وهذا من التنفير عنها والتحذير منها(٢).

وقال **الإمام القرطبي** - رحمه الله تعالى: مثل الله الغيبة بأكل الميتة؛ لأن الميت لا يعلم بأكل لحمه، كما أن الحي لا يعلم بغيبة من اغتابه.

وقال **ابن عباس**: إنما ضرب الله هذا المثل بالغيبة؛ لأن أكل لحم الميت حرام مستقذر، وكذا الغيبة حرام في الدين وقبيح في النفوس(٣).

وقال **السعدي** - رحمه الله تعالى: شبَّه أكل لحمه ميتًا المكروه للنفوس غاية الكراهة باغتيابه، فكما أنكم تكرهون أكل لحمه وخصوصًا إذا كان ميتًا فاقد الروح فكذلك فلتكرهوا غيبته وأكل لحمه

---

(١) «فاكهة المجالس» للشيخ وحيد عبد السلام بالي (ص:٩).

(٢) «مختصر صحيح تفسير ابن كثير» (١/ ٣٣٥).

(٣) «تفسير الإمام القرطبي» (١٦/ ٣٣٥).

حيًّا (١).

وقال صاحب «التفسير الميسر»: ولا يتكلم مسلم في مسلم في غيابه بما يكره، أيحب الواحد منكم أن يأكل لحم أخيه وهو ميت؟ فما دمتم تكرهون ذلك فاكرهوا غيبته؛ لأن عرضه كلحمه، وخافوا الله بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه (٢).

وعن خطر الغيبة يقول تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] ﴿وَيْلٌ﴾ أي: وعيد ووبال وشدة عذاب...لمن؟!

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾: **قال ابن كثير** رحمه الله: الهماز: بالقول، واللماز: بالفعل، يعني يزدري الناس وينتقص بهم، وقيل: ﴿هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾: طعان معياب، وقال قتادة: ﴿هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ بلسانه وعينه، ويأكل لحوم الناس ويطعن عليهم (٣).

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: ﴿هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾: وهو الذي يتعرض للناس حتى يهمزوه، ويلمزوه، ويضحكوا منه، ويحملهم على

---

(١) «تفسير الإمام السعدي» (٢/ ٦١٠).

(٢) للدكتور عائض القرني (ص:٦٠٣، ٦٠٤).

(٣) «مختصر صحيح تفسير ابن كثير» (٣/ ٦٨٥).

الاغتياب(١).

وقال **الإمام السعدي** رحمه الله: أي: الذي يهمز الناس بفعله ويلمزهم بقوله، فالهماز الذي يعيب الناس، ويطعن عليهم بالإشارة والفعل، واللماز: الذي يعيبهم بقوله(٢).

وقال **صاحب «التفسير الميسر»**: أي: بؤسًا وهلاكًا لكل مغتاب للمسلمين طعان في المؤمنين ينقب عن المعايب، ويدفن المناقب، لسانه كالمقراض للأعراض.

وعن خطر الغيبة يقول النبي ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ**»(٣).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**»(٤).

والعرض: هو الشرف والكرامة والسيرة.

وقال عليه الصلاة والسلام: «...**فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ،**

---

(١) «تفسير القرطبي» (٢٠/ ١٨٢).

(٢) «تفسير السعدي» (٢/ ٨٥١).

(٣) رواه أبو داود (٤٨٨٠) وغيره، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٤) رواه مسلم (٢٥٦٤).

وَأَعْرَاضَكُمْ، بَيْنَكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا...»(١). الحديث.

بل اعلم أنه لا يسلم للمسلم إسلامه، ولا يتحقق له كمال إيمانه إلا إذا سلم المسلمون من أذى لسانه.

وفي ذلك يقول النبي ﷺ: «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ،...**»(٢). الحديث.

بل اسمع إلى هذا التحذير النبوي... عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ**»(٣).

فالمغتاب يعذب في قبره بسبب الغيبة، فيخمش وجهه بأظفاره حتى يسيل الدم من وجهه وفمه وعينه ومنخره، كما كان يغتاب الناس في الدنيا جزاءً وفاقًا... يا رب سَلِّمْ... سَلِّمْ.

الأسباب الباعثة على الغيبة:

١- **تشفي الغيظ**: بأن يجري من إنسان في حق آخر سبب يوجب

(١) رواه البخاري (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩).

(٢) البخاري (١٠).

(٣) رواه أبو داود (٤٨٧٨)، وصححه الألباني (٥٢١٣).

غيظه، فيشتفي بذكر مساوئه وانتقاصه في المجالس.

٢- **موافقة الأقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم:** فإنهم إذا كانوا يتفكهون في الأعراض رأى هذا أنه إذا أنكر عليهم أو قطع كلامهم استثقلوه ونفروا منه فيساعدهم، ويرى ذلك من حسن المعاشرة.

٣- **إرادة رفع نفسه بتنقيص غيره أمام الناس:** فيقول: فلان جاهل وفهمه ركيك ونحو ذلك، غرضه أن يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه، ويريهم أنه أعلم منه، وكذلك الحسد في ثناء الناس على شخص وحبهم له وإكرامهم، فيقدح فيه ليقصد زوال ذلك.

٤- **اللعب والهزل:** فيذكر غيره بما يضحك الناس به على سبيل المحاكاة حتى إن بعض الناس يكون كسبه من هذا (١).

٥- **إظهار الرحمة:** مثل أن يقول: مسكين فلان قد غمني أمره وما أصيب به، فقد أصبح يتهاون في صلاة الفجر، أو لقد حلق لحيته أو لقد ابتلي بذنب كذا، ولو كان هذا المغتاب صادقًا في إظهار الرحمة لأحزنه أيضًا نشر ذنوبه بين الناس، ولدعا له بظهر الغيب أو نصحه بعيدًا عن الخلق.

---

(١) «مختصر منهاج القاصدين» لابن قدامة (ص:١٥٥).

٦- **تكلف الغضب لله**: كأن يقول: انظروا إلى فلان كيف تعدى حدود الله أو انتهك حرمات الله، ولو كان صادقًا في غضبه لله لقابله وغضب عليه، وأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر، ولكنه خبيث أو جاهل (١).

هل المستمع شريك في الغيبة؟

يقول النووي- رحمه الله تعالى: اعلم أن الغيبة كما يحرم على المغتاب ذكرها يحرم على السامع استماعها وإقرارها، فيجب على من سمع إنسانًا يبتدئ بغيبة محرمة أن ينهاه إن لم يخف ضررًا ظاهرًا، فإن خافه وجب عليه الإنكار بقلبه، ومفارقة ذلك المجلس إن تمكن من مفارقته، فإن قدر على الإنكار بلسانه أو على قطع الغيبة بكلام آخر لزمه ذلك، فإن لم يفعل فقد عصى، فإن قال بلسانه: اسكت وهو يشتهي بقلبه استمراره، فقال أبو حامد الغزالي: ذلك نفاق لا يخرجه عن الإثم، ولابد من كراهته بقلبه، ومتى اضطر إلى المقام في ذلك المجلس الذي فيه الغيبة وعجز عن الإنكار، وأنكر فلم يقبل منه، ولم يمكنه المفارقة بطريق حرم عليه الاستماع والإصغاء للغيبة، بل طريقه أن يذكر الله تعالى بلسانه وقلبه، أو بقلبه، أو يفكر في أمر آخر ليشتغل به عن استماعها، ولا يضره بعد ذلك السماع من غير استماع وإصغاء في هذه الحالة المذكورة، فإن

(١) «فاكهة المجالس» لوحيد عبد السلام بالي (ص:٢١٠).

تمكن بعد ذلك من المفارقة، وهم مستمرون في الغيبة ونحوها وجب عليه المفارقة.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

وَرُوِّينا عن إبراهيم بن أدهم أنه دُعي إلى وليمة فحضر، فذكروا رجلًا لم يأتهم فقالوا: إنه ثقيل، فقال إبراهيم: أنا فعلت هذا بنفسي حيث حضرت موضعًا يُغتاب فيه الناس، فخرج ولم يأكل ثلاثة أيام، ومما أنشدوه في هذا:

وسمعك صُنْ عن سماع القبيح كصون اللسان عن النطق به
فإنك عند سماع القبيح شريك لقائله فانتبه[(١)]

هل للغيبة ريح منتنة؟

نعم للغيبة ريح منتنة، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: هَاجَتْ رِيحٌ مُنْتِنَةٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ نَاسًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ اغْتَابُوا أُنَاسًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَبُعِثَتْ هَذِهِ الرِّيحُ لِذَلِكَ**»[(٢)].

---

(١) «الأذكار» للنووي (ص:٣٧٨، ٣٧٩).

(٢) نص الرواية من «صحيح الترغيب» عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَارْتَفَعَتْ رِيحُ جِيفَةٍ مُنْتِنَةٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَتَدْرُونَ مَا هَذِهِ الرِّيحُ؟**
=

قيل لبعض الحكماء: ما الحكمة في أن ريح الغيبة ونتنها كانت تتبين على عهد رسول الله ﷺ ولا تتبين في يومنا هذا؟

قال: لأن الغيبة قد كثرت في يومنا فامتلأت الأنوف منها فلم تتبين الرائحة، وهي النتن، ويكون هذا مثال رجل دخل دار الدباغين لا يقدر على القرار فيها من شدة الرائحة، وأهل تلك الدار يأكلون فيها الطعام ويشربون الشراب، ولا تتبين لهم الرائحة؛ لأنه قد امتلأت أنوفهم منها، كذلك أمر الغيبة في يومنا هذا (١).

روي عن الحسن البصري رحمه الله: أن رجلًا قال: إن فلانًا قد اغتابك، فبعث إليه طبقًا من الرطب، وقال: بلغني أنك أهديت إلي حسناتك، فأردت أن أكافئك عليها فاعذرني، فإني لا أقدر أن أكافئك بها على التمام.

أقبح أنواع الغيبة:

هو الخوض في أعراض أهل العلم والدعاة إلى الله، وذلك لأن اغتيابهم تنفير للناس من دعوتهم التي هي دعوة الإسلام، وتحذير للناس من طريقهم الذي هو طريق الله، فذكر عيوب طلاب العلم والدعاة إلى الله صد عن سبيل الله فانتبه.

=

هَذِهِ رِيحُ الَّذِينَ يَغْتَابُونَ الْمُؤْمِنِينَ». رواه أحمد وابن أبي الدنيا، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣/ ٢٨٤٠).

(١) «تنبيه الغافلين» للسمرقندي (ص:١٠٧).

قال الإمام ابن عساكر - رحمه الله تعالى: اعلم يا أخي - وفقني الله وإياك لمرضاته، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته- أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، وأن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب (الانتقاص) بلاه الله قبل موته بموت القلب: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣].

فإن قال قائل: فإن أخطأ العالم فماذا نصنع؟ أنسكت على هذا الخطأ؟ أو نبينه؟

الجواب: أن هذه مسألة تزل فيها الأقدام، فقد تختلط الغيبة ببيان الحق ويشتبه الأمران، ولا ينتبه لذلك إلا من وفقه الله وسدده، وجعل له فرقانًا يفرق به بين الحق والباطل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ [الأنفال: ٢٩].

فعلى طالب العلم: أن يبين الخطأ، ولا يتجاوزه بالقدح في العالم، أو التقليل من شأنه، أو اتهام فهمه، أو غير ذلك مما إذا بلغ العالم لكرهه.

فمثلًا يقول: لقد أفتى الشيخ فلان بكذا، واستدل على ذلك بثلاثة أدلة، وهذا خطأ؛ لأن الدليل الأول صحيح- مثلًا، ولكن لا دلالة فيه ويبين ذلك، والثاني: ضعيف لا تقوم به حجة ويبين ضعفه، والثالث صحيح من حيث الثبوت، لكنه أخطأ في تحقيق المناط ويبين وجه

الخطأ، ثم يذكر الصواب وليحذر في أثناء جوابه أن يستجره الشيطان للغمز أو اللمز؛ **كقوله مثلًا:**

وهذه قضية واضحة لا تخفى على صغار طلاب العلم.

أو كقوله: هذا واضح، لكنه حاد عنه للهوى، أو: وهذا من قلة فهمه، أو لقد جاءنا بما لم يأت به الأوائل.

أو كقوله: وهذا يدل على جهله بهذا العلم.

أو أي عبارة تشعر القارئ أو المستمع باحتقار العالم، أو التقليل من شأنه، أما إذا كان الطالب ذا ورع فسوف يلتمس العذر للشيخ، ويذكر من علمه وتقواه وورعه ما يغمر تلك الزلة في بحار حسناته، ثم يردف ذلك ببيان الحق.

كقوله: ومن المعروف أن هذا الشيخ له جهود مشكورة في نشر السنة، ولكنه أخطأ في هذه المسألة، وكفى بالمرء نبلًا أن تعد معايبه.

وكقوله: والشيخ له باع طويل في الفقه، ولكن الواضح أن الحق خلاف ما قاله في هذه المسألة.

واعلم أن هذه الكلمات إذا صدرت من طالب العلم، فإنما هي بمثابة دروس تربوية علمية لمن يستمع إليها أو يقرؤها من الجيل

الناشئ[١].

وينبغي عليك أخي المسلم إذا ما سمعت غيبة مسلم أن تردها، وتزجر قائلها بيدك أو بلسانك، فإن لم تستطع ذلك فابتعد عن هذا المجلس.

واعلم أن الله لن يضيع ثوابك يوم القيامة.

يقول النبي ﷺ: **«مَنْ حَمَى مُؤْمِنًا مِنْ مُنَافِقٍ يَعِيبُهُ بَعَثَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَكًا يَحْمِي لَحْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ»**[٢].

وقال عليه الصلاة والسلام: **«مَنْ ذَبَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ بِالغَيْبَةِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يَعْتِقَهُ مِنَ النَّارِ»**[٣]، ومعنى ذبَّ: أي: دافع.

وقال عليه الصلاة والسلام: **«مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**[٤].

وفي حديث عتبان الطويل- قام النبي ﷺ يصلي، فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: أَيْنَ مَالِكُ بْنُ الدُّخَيْشِنِ أَوِ ابْنُ الدُّخْشُنِ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: ذَلِكَ مُنَافِقٌ لاَ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **« لاَ تَقُلْ ذَلِكَ، أَلاَ تَرَاهُ قَدْ قَالَ:**

---

(١) نقلًا عن «فاكهة المجالس» للشيخ وحيد عبد السلام بالي (ص:٢٩-٣٢).

(٢) رواه أبو داود (٤٨٨٣)، وحسنه الألباني.

(٣) «صحيح الجامع» (٦١١٦).

(٤) رواه الترمذي (١٩٣١)، وقال: حسن.

لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ »(١).

- **مزيد من الأحاديث في ذم الغيبة والتحذير منها:**

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فذكر أمر الربا وعظم شأنه، وقال: «**إِنَّ الرَّجُلَ يُصِيبُ مِنَ الرِّبَا أَعْظَمَ عِنْدَ اللهِ فِي الْخَطِيئَةِ مِنْ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ زَنْيَةً يَزْنِيهَا الرَّجُلُ، وَإِنَّ أَرْبَى الرِّبَا عِرْضُ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ**»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مِنْ أَرْبَى الرِّبَا اسْتِطَالَةَ الْمَرْءِ فِي عِرْضِ أَخِيهِ**»، وفي رواية: «**إِنَّ مِنَ الكَبَائِرِ اسْتِطَالَةَ الرَّجُلِ فِي عِرْضِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَمِن الكَبَائِرِ السَّبَّتَانِ بِالسَّبَّةِ**»(٣).

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّهُمْ ذَكَرُوا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلا، فَقَالُوا: لَا يَأْكُلُ حَتَّى يُطْعَمَ، وَلا يَرْحَلُ حَتَّى يُرْحَلَ لَهُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «**اغْتَبْتُمُوهُ**»، فَقَالُوا: إِنَّمَا حَدَّثْنَا بِمَا فِيهِ، قَالَ: «**حَسْبُكَ إِذَا ذَكَرْتَ أَخَاكَ بِمَا فِيهِ**»(٤).

---

(١) رواه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «كتاب ذم الغيبة»، وقال الألباني في «صحيح الترغيب»: صحيح لغيره (٢٨٣٠).

(٣) رواه البزار بإسنادين أحدهما أقوى، وهو في بعض نسخ أبي داود، وقال الألباني في «صحيح الترغيب»: صحيح لغيره (٢٨٣٢).

(٤) حسنه الألباني لغيره في «صحيح الترغيب» (٢٨٣٦).

وعن أبي بَكْرَةَ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُمَاشِي رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِي، وَرَجُلٌ عَنْ يَسَارِهِ، فَإِذَا نَحْنُ بِقَبْرَيْنِ أَمَامَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، وَبَلَى، فَأَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِجَرِيدَةٍ؟**» فَاسْتَبَقْنَا، فَسَبَقْتُهُ، فَأَتَيْتُهُ بِجَرِيدَةٍ، فَكَسَرَهَا نِصْفَيْنِ، فَأَلْقَى عَلَى ذَا الْقَبْرِ قِطْعَةً، وَعَلَى ذَا الْقَبْرِ قِطْعَةً، وَقَالَ: «**إِنَّهُ يُهَوَّنُ عَلَيْهِمَا مَا كَانَتَا رَطْبَتَيْنِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ إِلَّا فِي الْبَوْلِ، وَالْغِيبَةِ**»(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟**» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «**إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**»(٢).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «**مَنْ نَصَرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ بِالْغَيْبِ نَصَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**»(٣).

---

(١) رواه أحمد وغيره بإسناد رواته ثقات، وقال الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٨٤١): حسن صحيح.

(٢) رواه مسلم (٢٥٨١).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا موقوفًا، ورواه بعضهم مرفوعًا، انظر: «الصحيحة» (١٢١٧).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خَمْسٌ لَيْسَ لَهُنَّ كَفَّارَةٌ: الشِّرْكُ بِاللهِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ، أَوْ بَهْتُ مُؤْمِنٍ، أَوِ الْفِرَارُ يَوْمَ الزَّحْفِ، أَوْ يَمِينٌ صَابِرَةٌ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالًا بِغَيْرِ حَقٍّ**»(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ اللهُ رَدْغَةَ الْخَبَالِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ**»، وردغة الخبال: هي عصارة أهل النار(٢).

عَنْ قَيْسٍ قَالَ: كَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ يَسِيرُ مَعَ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَمَرَّ عَلَى بَغْلٍ مَيِّتٍ قَدِ انْتَفَخَ، فَقَالَ: وَاللهِ، لَأَنْ يَأْكُلَ أَحَدُكُمْ هَذَا حَتَّى يَمْلَأَ بَطْنَهُ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ مُسْلِمٍ (٣).

وعن أبي بكرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في خطبة الوداع: «**فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟**»(٤)(٥).

---

(١) قال الألباني في «صحيح الترغيب» (٢٨٤٦): حسن لغيره.

(٢) رواه أبو داود والحاكم بنحوه، وقال: صحيح الإسناد، وقال الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب»: صحيح، برقم (٢٨٤٥).

(٣) قال الشيخ الألباني رحمه الله: صحيح. انظر: «صحيح الترغيب» (٢٨٣٨).

(٤) رواه البخاري (١٧٣٩)، ومسلم (١٦٧٩).

(٥) وانظر المزيد من هذه الأحاديث في «صحيح الترغيب والترهيب» =

كيف تدفع الغيبة عن نفسك وكيف الخلاص منها؟

١- أن تنظر بعين الفكر في كل ما ذكرناه آنفا من نصوص وأدلة في تحريم الغيبة ثم تفكر جيدًا، وتُعْمِل عقلك وقلبك في قول الله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، فإنك إن تأملت هذه الآية بكل ما فيك من فكر ثاقب ورجاحة عقل ناضج استطعت عندئذ أن تدفع عن نفسك الغيبة.

٢- وتتذكر أيضًا قول الله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥]، وقول النبي ﷺ: «**إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ**»[1].

٣- وعليك- أخا الإسلام- أن تنظر في كل ما ذكرناه من الأخبار والآثار في حفظ اللسان والغيبة، وتضم إلى ذلك أن الله مطلع عليك شاهد عليك ناظر إليك.

عن **الحسن البصري** رضي الله عنه أن رجلًا قال له: إنك تغتابني، فقال: ما بلغ قدرك عندي أن أحكمك في حسناتي.

ويقول **ابن المبارك** رحمه الله: لو كنت مغتابًا أحدًا لاغتبت والديَّ؛ لأنهما

=

للألباني رحمه الله.

(١) البخاري (٦٥٣٤).

أحق بحسناتي [١].

وقال في «فاكهة المجالس»: كيف تتخلص من الغيبة؟ بخمسة أمور:

١ - **أن تعلم**: أن الغيبة من الذنوب التي تعرضك لسخط الله وغضبه، وأن تستحضر ما ذكرناه من الأخبار في ذم الغيبة.

٢ - **أن تعلم**: أنك بذلك تبذل حسناتك إلى من اغتبته حتى تصل إلى درجة الإفلاس، وذلك في يوم تكون أحوج إلى الحسنة الواحدة التي تنجو بها من النار، وتدخل بها الجنة.

٣- هل تحب أن يغتابك أحد، ويستهزئ بك في المجالس؟ بالطبع لا، فعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به.

٤ - أن تطهر قلبك من الأسباب الباعثة على الغيبة كالحقد والحسد، وحب المدح، والرياء وغير ذلك من أمراض القلوب.

٥ - إذا حدثتك نفسك بذكر عيب في مسلم، ففتش في نفسك فإنك واجد مثل ذلك أو أشد فإن لم تجد، فإن الانشغال بعيوب الناس من أعظم العيوب.

قال الحسن البصري رحمه الله: يا بن آدم إنك لن تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك، وحتى تبدأ بإصلاح ذلك العيب من

---

(١) «الأذكار» للنووي (ص:٣٣٤).

نفسك فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك، وأحب العباد إلى الله من كان هكذا. اهـ.

فإذا دعتك نفسك لذكر عيوب الناس فسل نفسك: هل أدركت تكبيرة الإحرام مع الإمام في الصلوات الخمس اليوم؟

هل قمت تصلي لله ليلة؟

هل تلوت جزءًا من كتاب ربك اليوم؟

هل دعوت للمسلمين اليوم؟

هل دعوت لوالديك اليوم؟

هل تصدقت بصدقة اليوم؟

هل صمت في هذا الأسبوع يومًا لله؟

هل خشعت في صلاتك اليوم؟ وكنت مع الله فيها من التكبير إلى التسليم؟ وهذا من أصعب الأسئلة.

هل صليت الضحى اليوم؟

هل حافظت على السنن الرواتب اثنتي عشرة ركعة؟

هل قلت أذكار الصباح والمساء اليوم؟

هل ذكرت الله خاليًا اليوم ففاضت عيناك؟ أم أنت من الغافلين؟

هل صليت الفجر جماعة، ثم جلست في المسجد تذكر الله حتى طلعت الشمس، ثم صليت ركعتين لتنال أجر حجة وعمرة؟

فإنك ستجد تقصيرًا لا محالة، فحاول أن تقوم فتستدرك ما فاتك، وأن تستغفر وتتوب، وتندم على ما لا يمكن استدراكه قبل فوات الأوان.

قال عوف: دخلت على ابن سيرين فتناولت عنده الحجاج، فقال: إن الله حكم عدل ينتقم للحجاج ممن اغتابه، كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه، وإنك إذا لقيت الله غدًا كان أصغر ذنب أصبته أشد عليك من أعظم ذنب أصابه الحجاج. اهـ.

ما يباح من الغيبة:

الأول: التظلم فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان وغيره ممن له ولاية أو قدرة على إنصافه من ظالمه فيقول: ظلمني فلان أو فعل بي كذا.

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى الصواب، فيقول لمن يرجو قدرته: فلان يعمل كذا فازجره عنه ونحو ذلك.

الثالث: الاستفتاء بأن يقول للمفتي: ظلمني فلان أو أبي، أو أخي، أو زوجي بكذا، فهل له ذلك؟ وما طريقي في الخلاص منه، ودفع ظلمه عني، فهذا جائز للحاجة، والأجود أن يقول في رجل أو زوج أو والد وولد: كان من أمره كذا. ومع ذلك فالتعيين جائز؛ لحديث «هند»

وقولها: إن أبا سفيان رجل شحيح[١].

الرابع: تحذير المسلمين من الشر، وذلك من وجوه منها: جرح المجروحين من الرواة والشهود والمصنفين، وذلك جائز بالإجماع، بل واجب صونًا للشريعة، ومنها الإخبار بعيبه عند المشاورة في مواصلته، ومنها إذا رأيت من يشتري شيئًا معيبًا أو عبدًا سارقًا أو زانيًا أو شاربًا أو نحو ذلك تذكره للمشتري إذا لم يعلمه نصيحة لا بقصد الإيذاء والإفساد، ومنها إذا رأيت متفقهًا يتردد إلى فاسق أو مبتدع يأخذ عنه علمًا، وخفت عليه ضرره فعليك نصيحته ببيان حاله قاصدًا النصيحة.

ومنها: أن يكون له ولاية لعدم أهليته أو لفسقه، فيذكره لمن عليه ولاية؛ ليستدل به على حاله، فلا يغتر به ويلزم الاستقامة.

الخامس: أن يكون مجاهرًا بفسقه أو بدعته كالخمر ومصادرة الناس وجباية المكوس، وتولي الأمور الباطلة فيجوز ذكره بما يجاهر به، ولا يجوز بغيره إلا بسبب آخر.

السادس: التعريف فإذا كان معروفًا بلقب كالأعمش والأعرج والأزرق، والقصير، والأعمى، والأقطع وغيرها جاز تعريفه به، ويحرم ذكره به تنقيصًا، ولو أمكن التعريف بغيره كان أولى[٢]. اهـ.

---

(١) «منهاج القاصدين».

(٢) «نووي شرح مسلم».

جواز اغتياب الفاسق:

وذلك إذا كان يُرجى من وراء اغتيابه مصلحة، وإلا فالأفضل الإمساك.

روى البخاري ومسلم من حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: اسْتَأْذَنَ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**ائْذَنُوا لَهُ، بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ، أَوِ ابْنُ العَشِيرَةِ**» فَلَمَّا دَخَلَ أَلاَنَ لَهُ الكَلاَمَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْتَ الَّذِي قُلْتَ، ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ الكَلاَمَ؟ قَالَ: «**يَا عَائِشَةُ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ، أَوْ وَدَعَهُ النَّاسُ، اتِّقَاءَ فُحْشِهِ**».

- **ما يستفاد من الحديث:**

مداراة من يُتَّقى فحشه، وجواز غيبة الفاسق المعلن بفسقه، ومن يحتاج الناس إلى التحذير منه، ولم يمدحه النبي ﷺ، ولا ذكر أنه أثنى عليه في وجهه ولا في قفاه، إنما تألفه بشيء من الدنيا مع لين الكلام.

بئس ابن العشيرة أو رجل العشيرة: قبيلته أي بئس هذا الرجل منها(١).

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ليس لفاجر حرمة، وأراد به المجاهر بفسقه دون المستتر.

---

(١) قاله النووي في «شرح مسلم».

قال الصلت بن طريف: قلت للحسن: الرجل الفاسق المعلن بفجوره ذكري له بما فيه غيبة؟

قال الحسن: لا ولا كرامة.

قال الفقيه السمرقندي- رحمه الله تعالى: **الغيبة على أربعة أوجه:** في وجه هي كفر، وفي وجه هي نفاق، وفي وجه هي معصية، والرابع مباح وهو مأجور: فأما الوجه الذي هو كفر فهو أن يغتاب المسلم، فيقال له: لا تغتب، فيقول: ليس هذا غيبة وأنا صادق في ذلك، فقد استحل ما حرم الله تعالى، ومن استحل ما حرم الله تعالى صار كافرًا نعوذ بالله، وأما الوجه الذي هو نفاق، فهو أن يغتاب إنسانًا فلا يسميه عند من يعرف أنه يريد منه فلانًا فهو يغتابه ويرى في نفسه أنه متورع فهذا هو النفاق، وأما الذي هو معصية فهو أن يغتاب إنسانًا ويسميه ويعلم أنها معصية فهو عاص وعليه التوبة، والرابع أن يغتاب فاسقًا معلنًا بفسقه أو صاحب بدعة، فهو مأجور؛ لأنهم يحذرون منه إذا عرفوا حاله[1].

العلاج من الغيبة:

على المغتاب أن يعلم أنه بالغيبة متعرض لسخط الله ومقته، وأن حسناته تنتقل إلى من اغتابه، وإن لم يكن له حسنات نقل إليه من سيئات خصمه، فمن استحضر ذلك لم يطلق لسانه بالغيبة، وينبغي إذا عرضت له

(١) «تنبيه الغافلين» (ص:١١١).

الغيبة أن يفكر في عيوب نفسه، وليشتغل بإصلاحها، ويستحيي أن يعيب وهو معيب، كما قال القائل:

فإن عبت قومًا بالذي فيك مثله   فكيف يعيب الناس من هو أعور
وإن عبت قومًا بالذي ليس فيهم   فذلك عند الله والناس أكبر

وإن ظن أنه سليم من العيوب فليتشاغل بالشكر على نعم الله عليه، ولا يلوث نفسه بأقبح العيوب وهو الغيبة، وكما لا يرضى لنفسه بغيبة غيره، فينبغي ألا يرضاها لغيره من نفسه، فلينظر في السبب الباعث على الغيبة، فيجتهد في قطعه، فإن علاج العلة يكون بقطع سببها [١].

وهل للغيبة كفارة؟

نعم... للغيبة كفارة وذلك لما يأتي:

اعلم أخي المسلم أن المغتاب قد جنى جنايتين:

إحداهما: على حق الله تعالى؛ إذ فعل ما نهاه عنه فكفارة ذلك التوبة، والندم وبما أنها في حق الله تعالى فينبغي للمغتاب ثلاثة أشياء:

- أن يقلع عن المعصية في الحال.
- وأن يندم على فعلها.
- وأن يعزم ألا يعود إليها.

---

(١) «منهاج القاصدين» (ص: ٢١٤).

والجناية الثانية: على محارم المخلوق فإن كانت الغيبة قد بلغت الرجل جاء إليه واستحله، وأظهر له الندم على فعله، وهذا بجانب الثلاثة المذكورين آنفًا.

قال النبي ﷺ: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ»(١).

واعلم أنه يستحب لصاحب الغيبة أن يبرئه منها، ولا يجب عليه ذلك؛ لأنه تبرع وإسقاط حق، ولكن يستحب متأكدًا الإبراء ليخلص أخاه المسلم من وبال هذه المعصية، ويفوز هو بعظيم ثواب الله في العفو ومحبة الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وطريقه في تطييب نفسه أن يذكر نفسه بالعفو، وأن يذكر نفسه أن هذا الأمر قد وقع، ولا سبيل إلى رفعه، فلا ينبغي أن أفوت ثوابه وخلاص أخي المسلم، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا

(١) رواه البخاري (٦٥٣٤).

كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ».

قال الشافعي رحمه الله: من استُرضي فلم يرض، فهو شيطان.

وقد أنشد المتقدمون:

قيل لي قد أساء إليك فلان ومقام الفتى على الذل عار
قلت قد جاءنا وأجدت عذرًا دية الذنب عندنا الاعتذار

وإذا كانت الغيبة لم تبلغ الرجل، جعل مكان استحلاله الاستغفار له لئلا يخبره بما لا يعلمه فيوغر صدره.

قال مجاهد رحمه الله: كفارة أكلك لحم أخيك أن تثني عليه، وتدعو له بخير، وكذلك إن كان قد مات[1]. اهـ.

وقال في «تنبيه الغافلين»: وروي أن رجلًا أتى ابن سيرين فقال: إني اغتبتك فاجعلني في حل، فقال: وكيف أحل ما حرم الله، فكأنه أشار إليه بالاستغفار والتوبة إلى الله تعالى مع استحلاله منه، فإن لم تبلغ إلى صاحبه تلك الغيبة فتوبته أن يستغفر الله تعالى، ويتوب إليه، ولا يخبر صاحبه، فهو أحسن كيلا يشتغل قلبه به، ولو أنه قال بهتانًا لم يكن ذلك فيه، فإنه يحتاج إلى التوبة في ثلاثة مواضع:

أحدها: أن يرجع إلى القوم الذين تكلم بالبهتان عندهم، ويقول: إني

---

(١) «الأذكار» للنووي (ص: ٣٤٠).

قد ذكرت عندكم فلانًا بكذا وكذا، فاعلموا أني كاذب في ذلك.

والثاني: يذهب إلى الذي قال عليه البهتان، ويطلب منه أن يجعله في حلٍّ.

والثالث: أن يستغفر الله تعالى ويتوب إليه، فليس شيء من الذنوب أعظم من البهتان، فإن سائر الذنوب تحتاج إلى توبة واحدة، والبهتان يحتاج إلى التوبة في ثلاثة مواضع.

وقد قرن الله تعالى البهتان بالكفر، فقال تعالى: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠].

ويقال: لا تكون الغيبة إلا في قوم معلومين حتى لو ذكر أهل مصر من الأمصار، فقال: هم بخلاء أو قوم سوء لا يكون غيبة؛ لأن فيهم البر والفاجر وعلم أنه لم يرد به الجميع والكف عن ذلك أفضل [(١)]. اهـ.

وأخيرًا ينبغي الاقتداء بهؤلاء:

روي **عن حاتم الزاهد** رحمه الله **قال**: ثلاثة إذا كن في مجلس فالرحمة عنهم مصروفة: ذكر الدنيا، والضحك، والوقيعة بين الناس.

وعن يحيى بن معاذ الرازي قال: ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال لتكون من المحسنين:

---

(١) «تنبيه الغافلين» (ص: ١١٠، ١١١).

إحداها: أنك إن لم تنفعه، فلا تضره.

والثانية: إن لم تسره، فلا تغمه.

والثالثة: إن لم تمدحه، فلا تذمه.

وذكر عن وهب المكي أنه قال: لأن أدع الغيبة أحب إليَّ من أن تكون لي الدنيا وما فيها... ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢].

قال بعض الحكماء: إن ضعفت عن ثلاثة فعليك بثلاثة:

إن ضعفت عن الخير، فأمسك عن الشر.

وإن كنت لا تستطيع أن تنفع الناس، فأمسك عنهم ضرك.

وإن كنت لا تستطيع أن تصوم، فلا تأكل لحوم الناس.

وعن عبيدة السلماني قال: «اتقوا المفطرين: الغيبة، والكذب»(١).

وقال كعب الأحبار: قرأت في كتب الأنبياء عليهم السلام أن من مات تائبًا من الغيبة كان آخر من يدخل الجنة، ومن مات مُصرًّا عليها كان أول من يدخل النار.

وذُكر عن بعض الحكماء أنه قال: الغيبة فاكهة القراء، وضيافة

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت» بإسناد حسن.

الفُسّاق، ومراتع النساء، وإدام كلاب الناس، ومزابل الأتقياء.

مر عمرو بن العاص رضي الله عنه على بغل ميت فقال: والله لأن يأكل أحدكم من لحم هذا حتى يملأ بطنه خير له من أن يأكل لحم أخيه [١].

عن خالد الربعي قال: دخلت المسجد فجلست إلى قوم فذكروا رجلًا فنهيتهم عنه فكفوا، ثم جرى بهم الحديث حتى عادوا في ذكره، فدخلت معهم في شيء من أمره، فلما كان من الليل رأيت في المنام كأن شيئًا أسود طويلًا يشبه الرجل إلا أنه طويل جدًّا، معه طبق عليه لحم خنزير، فقال: كُلْ، قلت: آكل لحم خنزير؟ والله لا آكله، فأخذ بقفاي وقال: كُلْ ـ بانتهار شديد ـ ودسه في فمي، فجعلت ألوكه ولا أسيغه، وأفرق أن ألقيه، فاستيقظت، ولقد مكثت ثلاثين يومًا وليلة، وما آكل طعامًا إلا وجدت طعم ذلك اللحم في فمي.

وذكر عن عيسى ابن مريم عليه السلام أنه قال لأصحابه: أرأيتم لو أتيتم على رجل نائم، قد كشف الريح عن بعض عورته، كنتم تسترون عليه؟ قالوا: نعم، قال: بل كنتم تكشفون البقية، قالوا: سبحان الله، كيف نكشف البقية؟ قال: أليس يذكر عندكم فتذكرونه بأسوأ ما فيه، فأنتم تكشفون بقية الثوب عن عورته.

وقال علي بن الحسين: إياكم والغيبة، فإنها إدام كلاب الناس.

---

(١) «الأدب المفرد» (٧٣٦) بإسناد صحيح.

وقال **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه : عليكم بذكر الله فإنه شفاء، وإياكم وذكر الناس فإنه داء.

وقال **الحسن البصري** رحمه الله: والله للغيبة أسرع في دين الرجل من الأكلة في الجسد.



النميمة

النميمة

تعريف النميمة:

• **النميمة لغة:**

قال ابن منظور: النَّمُّ: التحريش والإغراء، ورفع الحديث على وجه الإشاعة والإفساد، وقيل: تزيين الكلام بالكذب، والفعل نَمَّ يَنِمُّ ويَنُمُّ والأصل الضم، ونَمَّ به وعليه نَمًّا ونميمةً ونميمًا، وقيل: النميم جمع نميمة، ورجل نَمُومٌ ونَمَّامٌ ومِنَمٌّ وَنَمٌّ من قوم نمين وأنمَّاء وامرأة نَمَّةٌ، وقيل: النمام معناه في كلام العرب: الذي لا يمسك الأحاديث ولا يحفظها من قولهم جلود نَمَّةٌ إذا كانت لا تمسك الماء، يقال: نم فلان ينم نما إذا ضيع الأحاديث ولم يحفظها... وأنشد الفراءُ:

بكت من حديث نمه وأشاعه ... ولصقه واش من القوم واضع

ويقال للنمام: القتات، يقال: قت إذا مشى بالنميمة، ويقال للنمام: قَسَّاسٌ ودرَّاجٌ وغمازٌ وهمازٌ ومائس ومِمْآس(١).

• **أما في الاصطلاح:**

فهي نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد(٢).

---

(١) انظر: «لسان العرب» (٥/ ٢٠٤٥).

(٢) «الأذكار» للنووي (ص:٣٧٥).

بيان حد النميمة وما يجب في ردها:

قال الإمام الغزالي - رحمه الله تعالى: اعلم أن اسم النميمة إنما يطلق في الأكثر على من ينم قول الغير إلى المقول فيه، كما تقول: فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا، وليست النميمة مختصة به، بل حدها كشف ما يكره كشفه، سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه، أو كرهه ثالث وسواء كان الكشف بالقول أو بالكتابة أو بالرمز أو بالإيماء، وسواء كان المنقول من الأعمال أو من الأقوال، وسواء كان ذلك عيبًا ونقصًا في المنقول عنه أو لم يكن، بل حقيقة النميمة إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه، بل كل ما رآه الإنسان من أحوال الناس مما يكره فينبغي أن يسكت عنه إلا ما في حكايته فائدة لمسلم أو دفع لمعصية، كما إذا رأى من يتناول مال غيره فعليه أن يشهد به مراعاة لحق المشهود له، فأما إذا رآه يخفي مالًا لنفسه فذكره فهو نميمة وإفشاء للسر [(١)].

إذن فالنم خلق ذميم؛ لأنه باعث للفتن وقاطع للصِّلات وزارع للحقد ومفرق للجماعات يجعل الصديقين عدوين والأخوين أجنبيين، فالنمام يصير كالذباب ينقل الجراثيم[(٢)].

والباعث على النميمة ثلاثة أشياء حكاها الغزالي رحمه الله في «إحيائه»

(١) «إحياء علوم الدين» (ص: ٢٠٩، ٢١٠) المجلد الثالث.

(٢) «البحر الرائق» (ص:٨٢، ٨٣).

فقال: فالباعث على النميمة: إما إرادة السوء للمحكي عنه، أو إظهار الحب للمحكي له، أو التفرج بالحديث والخوض في الفضول والباطل.

كيفية التعامل مع النمام؟

يقول الإمام الذهبي رحمه الله: وكل من حملت إليه نميمة، وقيل له: قال فيك فلان كذا وكذا لزمه ست أحوال:

الأولى: ألا يصدقه؛ لأنه نمام فاسق وهو مردود الخبر.

الثانية: أن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح فعله.

الثالثة: أن يبغضه في الله عز وجل؛ فإنه بغيض عند الله والبغض في الله واجب.

الرابعة: ألا يظن في المنقول عنه السوء؛ لقوله تعالى: ﴿ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ﴾ [الحجرات: ١٢].

الخامسة: ألا يحمله ما حكي له على التجسس والبحث عن تحقق ذلك قال الله سبحانه: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات: ١٢].

السادسة: ألا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه، فلا يحكي نميمته[١].

---

(١) «الكبائر» للذهبي (ص: ٢١٦) الكبيرة الثالثة والأربعون.

حكم النميمة:

النميمة كبيرة من الكبائر وهي حرام بإجماع المسلمين، وقد تظاهرت على تحريمها الدلائل الشرعية من الكتاب والسنة... وإليك بعض هذه الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١٠، ١١].

قال بعض أهل التفسير: نزلت هذه الآية في الوليد بن المغيرة.

والمعنى: لا تطع أيها النبي كل فاجر كثير الأيمان بالزور والبهتان، كذاب هانت عليه نفسه حقير لا مروءة له مغتاب للناس، يلمز الأعراض ويطلب المعايب، ينقل الكلام الآثم لزرع الفتنة والإفساد بينهم، فهو فاسد في نفسه مفسد لغيره حريص على قطع الأواصر والتفريق بين المؤمنين [١].

وفي «الصحيحين» أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ**»[٢]. أي: نمام.

وقيل: النمام الذي يكون مع جمع يتحدثون حديثًا فينم عليهم،

---

(١) «التفسير الميسر» (ص:٦٦٦).

(٢) رواه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥).

والقتات: الذي يستمع عليهم وهم لا يعلمون، ثم ينم.

وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**»، ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً، فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ، فَغَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: «**لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا**»(١).

قال الذهبي رحمه الله: وقوله: «**وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ**» أي: ليس بكبير تركه عليهما، أو ليس بكبير في زعمهما، ولهذا قال في رواية أخرى: «**بلى إنه كبير**».

في الحديث: عظم إثم النميمة حيث استحق مرتكبها العذاب في القبر.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَالَ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ**»(٢).

والعضه والعضيهة: هي البهتان والكذب الذي لا حقيقة له، والقالة: كثرة القول وإيقاع الخصومة بين الناس.

---

(١) رواه البخاري (٢١٨)، ومسلم (٢٩٢).

(٢) رواه مسلم (٢٦٠٦).

وعن أبي مالك الأشعري ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟ الْمَشَّاؤُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْبَاغُونَ لِلْبُرَآءِ الْعَنَتَ**»(١).

المراد بالعنت: أي: العيب.

وفي «الصحيحين» أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ**»(٢) يعني: النمام.

فإذا لم يدخل الجنة لم يكن مأواه إلا النار؛ لأنه ليس هناك إلا الجنة أو النار، فإذا ثبت أنه لا يدخل الجنة ثبت أن مأواه النار، فالواجب على النمام أن يتوب إلى الله تعالى، فإن النمام ذليل في الدنيا، وهو يعذب في القبر بعد موته، وهو في النار يوم القيامة، آيس من رحمة الله، فإن تاب قبل موته تاب الله عليه (٣).

وقال النبي ﷺ: «**إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ، ذَا الْوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ، وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ**».

---

(١) رواه أحمد (٦/ ٤٥٩) وغيره، وقال الهيثمي: فيه شهر بن حوشب وقد وثقه غير واحد، وبقية رجال أحد أسانيده رجال الصحيح. «مجمع الزوائد» (٨/ ٩٣).

(٢) رواه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥).

(٣) «تنبيه الغافلين» (ص:١١٣).

وقال النبي ﷺ: «مَنْ كَانَ ذَا لِسَانَيْنِ جَعَلَ اللهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِسَانَيْنِ مِنْ نَارٍ»(١).

فمما سبق من أدلة يتبين أن النميمة شر، وأنها من كبائر الذنوب وعظائم الآثام.

وقال **الإمام ابن حجر الهيتمي** رحمه الله: عَدُّ النميمة من الكبائر هو ما اتفقوا عليه، وبه صرح الحديث الصحيح السابق بقوله: «**بلى إنه كبير**» كما مر فيه.

قال الحافظ المنذري: أجمعت الأمة على تحريم النميمة، وأنها من أعظم الذنوب عند الله تعالى(٢).

كيف العلاج من النميمة؟

النميمة تُعَالَجُ بما تعالج به الغيبة.

وهو إما إجمالي، بأن يعلم النمام أنه قد تعرض بها لسخط الله تعالى وعقوبته، وأنه تحبط حسناته، وبأن يتدبر المرء في عيوبه، ويجتهد في التطهر منها، وأن يعلم أن تأذي غيره بالنميمة كتأذيه بها، فكيف يرضى لغيره ما يتأذى به؟

(١) رواه البخاري (٣٣٥٣)، ومسلم (٢٥٢٦).

(٢) «الزواجر» (٢/ ٤٤).

وأما التفصيلي: فيتلخص في النظر في بواعثها فتقطعها من الأصل؛ إذ علاج العلة إنما يكون بقطع سببها، وألا يعتقد المرء في أخيه سوءًا، وأن يبادر إلى التوبة بشروطها(١).

ذم السلف للنميمة:

عن قتادة قال: كان يقال: من شر عباد الله كل طعّان لعّان نمّام (٢).

قال الحسن رحمه الله: من نم إليك نم عليك.

وهذه إشارة إلى أن النمام ينبغي أن يبغض، ولا يوثق بقوله، ولا بصداقته، وكيف لا يبغض وهو لا ينفك عن الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق والإفساد بين الناس والخديعة، وهو ممن يسعون في قطع ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض(٣).

وقال ابن عثيمين رحمه الله: وقال بعض أهل العلم: من نم إليك الحديث نمه عنك: يعني من نقل كلام الناس إليك، فإنه ينقل كلامك أنت، فاحذره ولا تطعه ولا تلتفت إليه، وفي هذا دليل على حسن تعليم النبي ﷺ حيث يأتي بالأساليب التي يكون فيها انتباه المخاطب، ولا سيما إذا رأى الإنسان من المخاطب غفلة، فإنه ينبغي أن يأتي بالأسلوب الذي

---

(١) «الزواجر» (٣٩١) بإيجاز نقلًا عن «نضرة النعيم» (١١/ ٥٦٦٦).

(٢) «تنبيه الغافلين» (ص:١١٤).

(٣) «إحياء علوم الدين» (٣/ ٢١٠).

ينبهه؛ لأن المقصود من الخطاب هو الفهم والاستيعاب والحفظ، فيأتي الإنسان بالأساليب المفيدة في ذلك.

فإذا قال قائل: إذا كان الشخص ينقل كلام الإنسان في الإنسان نصيحة مثل أن يرى شخصًا مغرورًا بشخص يفضي إليه أسراره ويلازمه، والشخص هذا يفضي أسرار صاحبه الذي يفضي إليه أسراره ويخدعه، فهل له أن يتكلم فيه؟

فالجواب: نعم له أن يتكلم فيه، ويقول: يا فلان احذر هذا الشخص، فإنه ينقل كلامك ويقول فيك كذا وكذا؛ لأن هذا من باب النصيحة، ليس غرضه أن يفرق بين الناس، ولكن غرضه أن يسدي النصيحة إلى صاحبه والله تعالى يقول: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠](١).

وقال **يحيى بن أكثم**: النمام شر من الساحر، ويعمل النمام في ساعة ما لا يعمل الساحر في شهر (٢).

وروي عن **علي** رضي الله عنه: أن رجلًا سعى إليه برجل فقال له: يا هذا نحن نسأل عما قلت، فإن كنت صادقًا مقتناك، وإن كنت كاذبًا عاقبناك، وإن شئت أن نقيلك أقلناك، فقال: أقلني يا أمير المؤمنين (٣).

---

(١) «شرح الكبائر» لابن عثيمين (ص:٢٥٢، ٢٥٣).

(٢) «تنبيه الغافلين» (ص:١١٤).

(٣) «إحياء علوم الدين» (٣/ ٢١١).

وقال رجل لعمرو بن عبيد: إن الأسواري ما يزال يذكرك في قصصه بشر، فقال له عمرو: يا هذا ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت إلينا حديثه، ولا أديت حقي حين أعلمتني عن أخي ما أكره، ولكن أعلمه أن الموت يعمنا، والقبر يضمنا، والقيامة تجمعنا، والله تعالى يحكم بيننا وهو خير الحاكمين [١].

وروي أن سليمان بن عبد الملك كان جالسًا وعنده الزهري، فجاءه رجل، فقال له سليمان: بلغني أنك وقعت فيَّ وقلت كذا وكذا، فقال الرجل: ما فعلت ولا قلت، فقال سليمان: إن الذي أخبرني صادق فقال له الزهري: لا يكون النمام صادقًا، فقال سليمان: صدقت، ثم قال للرجل: اذهب بسلام[٢].

قال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين احذر قاتل الثلاثة، قال: ويلك من قاتل الثلاثة؟ قال: الرجل يأتي الإمام بالحديث الكذب، فيقتل الإمام ذلك الرجل بحديث هذا الكذاب، فيكون قد قتل نفسه وصاحبه وإمامه [٣].

سعى رجل بزياد الأعجم إلى سليمان بن عبد الملك، فجمع بينهما

---

(١) «الإحياء» (٣/ ٢١٢).

(٢) السابق (٣/ ٢١٠).

(٣) «مساوئ الأخلاق» للخرائطي (٩٣).

للموافقة، فأقبل زياد على الرجل وقال:

فأنت امرؤ ! إما ائتمنتك خاليًا فخنت وإما قلت قولا بلا علم
فأنت من الأمر الذي كان بيننا بمنزلةٍ بين الخيانة والإثم[١]

ورفع بعض السعاةِ إلى الصاحب بن عباد رقعة نبهه فيها على مال يتيم يحمله على أخذه لكثرته فَوَقَّعَ على ظهرها: السعاية قبيحة وإن كانت صحيحة، فإن كنت أجريتها مجرى النصح فخسرانك فيها أفضل من الربح، ومعاذ الله أن نقبل مهتوكًا في مستور، ولولا أنك في خفارة شيبتك لقابلناك بما يقتضيه فعلك في مثلك، فتوق يا ملعون العيب، فإن الله أعلم بالغيب، الميت رحمه الله، واليتيم جبره الله، والمال ثمَّره الله، والساعي لعنه الله[٢].

وقال لقمان لابنه: يا بني أوصيك بخلال، إن تمسكت بهن لم تزل سيدًا: ابسط خلقك للقريب والبعيد، وأمسك جهلك عن الكريم واللئيم، واحفظ إخوانك، وصِلْ أقاربك، وآمنهم من قبول قول ساع أو سماع باغ يريد فسادك، ويروم خداعك، وليكن إخوانك من إذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك[٣].

---

(١) «الإحياء» (٣/ ٢١١، ٢١٢).

(٢) السابق (٣/ ٢١٢).

(٣) «الإحياء» (٣/ ٢١٢).

وقال **عمرو بن ميمون الأزدي**: لمَّا تعجَّل موسى إلى ربه، رأى رجلًا تحت العرش فغبطه بمكانه، فسأل ربه أن يخبره باسمه فلم يخبره، وقال: لكني أحدثك عن عمله بثلاث خصال: كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، ولا يعق والديه، ولا يمشي بالنميمة (١).

وعن **يحيى بن أكثم قال**: «أنم الناس ولد الزنا».

واستنبط **عبد الله بن المبارك** رحمه الله من قوله تعالى: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٣] أن ولد الزنا(٢) لا يكتم الحديث فعدم كتمه المستلزم للمشي بالنميمة دليل على أن فاعل ذلك ولد زنا (٣).

وقال **بعضهم**: لو صح ما نقله النمام إليك لكان هو المجترئ بالشتم عليك، والمنقول عنه أولى بحلمك؛ لأنه لم يقابلك بشتمك (٤).

قال **أبو حامد الغزالي** رحمه الله: وعلى الجملة فشرُّ النمام عظيم ينبغي أن يتوقى (٥).

ويروى أن **عمر بن عبد العزيز** دخل عليه رجل فذكر عنده وشاية في

---

(١) «مساوئ الأخلاق» للخرائطي (٩٦).

(٢) المصدر السابق (٩٦).

(٣) «الزواجر» (٢/ ٤٠).

(٤) «الإحياء» (٣/ ٢١٢).

(٥) «الإحياء» (٣/ ٢١٢).

رجل آخر، فقال عمر: إن شئت حققنا في هذا الأمر الذي تقول فيه، وننظر فيما نسبته إليه، فإن كنت كاذبًا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات: ٦] ، وإن كنت صادقًا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ﴾ [القلم: ١١] ، وإن شئت عفونا عنك، فقال: العفو يا أمير المؤمنين لا أعود إليه أبدًا (١).

وقال وهب بن منبه - رحمه الله تعالى: من مدحك بما ليس فيك، فلا تأمن أن يذمك بما ليس فيك (٢).

وروي عن كعب الأحبار رضي الله عنه أنه قال: أصاب بني إسرائيل قحط فخرج بهم موسى عليه السلام ثلاث مرات يستسقون فلم يُسْقَوا، فقال موسى عليه السلام: إلهي عبادك قد خرجوا ثلاث مرات فلم تستجب دعاءهم، فأوحى الله تعالى: بأني لا أستجيب لك ولمن معك؛ لأن فيكم رجلًا نمَّامًا قد أصر على النميمة، فقال موسى عليه السلام: من هو حتى نخرجه من بيننا؟ فقال: يا موسى أنهاكم عن النميمة، وأكون نمامًا، فتوبوا بأجمعكم، فتابوا جميعهم، فَسُقُوا (٣).

(١) «تنبيه الغافلين» للسمرقندي (ص:١١٥).

(٢) السابق (ص:١١٦).

(٣) السابق (ص:١١٦).

ذم الشعراء للنميمة:

قال الشاعر:

تـنح عـن النميمـة واجتنبهـا ... فـإن الـنم يحـبط كـل أجـر
يثيـر أخـو النميمـة كـل شـر ... ويكشـف للخلائـق كـل سـر
ويقتـل نفسـه وسـواه ظلمـا ... ولـيس الـنم مـن أفعـال حـر(١)

قال الشاعر:

لا تقـبلن نميمـة بُلِّغْتَهـا ... وتحفظـن مـن الـذي أنباكهـا
إن الـذي أهـدى إليـك نميمـة ... سينم عنك بمثلها قـد حاكهـا(٢)

أختم حديثي عن هذا المرض الخطير من أمراض اللسان ألا وهو «النميمة» بهذه الحكاية العجيبة، والتي يرويها لنا الغزالي رحمه الله في «إحيائه» فيقول رحمه الله:

قال **حماد بن سلمة**: باع رجلٌ عبدًا، وقال للمشتري: ما فيه عيب إلا النميمة، قال: رضيت، فاشتراه، فمكث الغلام أيامًا ثم قال لزوجة مولاه: إن سيدي لا يحبك، وهو يريد أن يتسرى عليك، فخذي الموسي واحلقي من شعر قفاه عند نومه شعرات حتى أسحره عليها فيحبك، ثم قال للزوج: إن امرأتك اتخذت خليلًا، وتريد أن تقتلك، فتناوم لها حتى

---

(١) «موارد الظمآن» للشيخ عبد العزيز السلمان (٣/ ٣٨٥).

(٢) السابق (٣/ ٣٨٦).

تعرف ذلك، فتناوم لها فجاءت المرأة بالموسي، فظـن أنهـا تريـد قتلـه، فقام إليها فقتلها، فجاء أهـل المـرأة فقتلـوا الـزوج، ووقـع القتـال بـين القبيلتين (١).

أضرار النميمة ومثالبها:

١- إنها طريق موصل إلى النار.

٢- إنها تُذْكي نار العداوة بين المتآلفين.

٣- إنها تؤذي، وتضر وتؤلم، وتجلب الخصام والنفور.

٤- إنها تدل على سوء الخاتمة، وتمسح حسن الصورة.

٥- إنها عنوان الدناءة والجبن والضعف والدس والكيد والملق والنفاق.

٦- إنها مزيلة لكل محبة، ومبعدة لكل مودة، وتآلف وتآخٍ (٢).



---

(١) «الإحياء» (٣/ ٢١٢).

(٢) «موسوعة نضرة النعيم» (١١/ ٥٦٧١).

اللعن - اللعان

اللعن – اللعان

تعريف اللعن:

• اللعن لغة:

قال ابن فارس رحمه الله: لعن: اللام والعين والنون أصل صحيح يدل على إبعاد وإطراد، ولعن الله الشيطان أبعده عن الخير والجنة، ويقال للذئب: لعين، والرجل الطريد: لعين، ورجل لُعْنَةٌ بالسكون يلعنه الناس، وَلُعَنَةٌ: كثير اللعن، واللِّعان: المُلَاعنة.

وقال في الطريد:

ذَعَرْتُ بِهِ الْقَطَا وَنَفَيْتُ عَنْهُ   مَقَامَ الذِّئْبِ كَالرَّجُلِ اللَّعِينِ

وقال في «المعجم الوجيز»: يقال: لعنه الله لَعْنًا: طرده وأبعده من الخير فهو ملعون والجمع ملاعين، وَلَعَّنَهُ: أي: أكثر من لعنه، وتلاعنا: لعن كل واحد الآخر، واللعنة: العذاب يقال: أصابته لعنة من السماء، والجمع: لعان، ولعنات، واللُّعَنَةُ: الكثير اللعن للناس، والجمع: لُعَنٌ. والملعنة: الفِعْلة يُلْعن عليها صاحبها والجمع: ملاعين (١).

---

(١) مادة – لعن (ص:٥٥٨).

- **أما اللعن شرعًا:**

فهو الإبعاد والطرد من رحمة الله إذا كان من الله، وإذا كان من الخلق، فهو السَّبُّ والدعاء.

وقال الراغب الأصفهاني رحمه الله: اللعن: الطرد والإبعاد على سبيل التسخط، وذلك من الله في الآخرة عقوبة، وفي الدنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه، ومن الإنسان دعاء على غيره (١).

أخي المسلم: لقد كثر اللعن على ألسنة الكثير من الخلق فأخذوا يطلقونه على ما شاؤوا ومن شاؤوا، ولأتفه الأسباب، وبغير سبب كذلك في كثير من الأحيان.

وقد ورد عن الصادق المصدوق ﷺ التحذير الشديد منه والنهي الأكيد عنه، فقال عليه الصلاة والسلام: «**لَا يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا**»(٢).

قال النووي رحمه الله: فيه الزجر عن اللعن وأن من تخلق به لا يكون فيه هذه الصفات الجميلة (٣).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ،**

---

(١) «مفردات اللغة» مادة – لعن (ص:٤٥٤).

(٢) رواه مسلم (١٦/ ١٤٨).

(٣) «نووي شرح مسلم» (١٦/ ص:١٤٨).

يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

المعنى: لا يشفعون يوم القيامة حين يشفع المؤمنون في إخوانهم الذين استوجبوا النار.

«ولا شهداء»: ورد فيها أقوال ثلاثة: فقيل: أي: لا يكونون شهداء يوم القيامة على الأمم بتبليغ رسلهم إليهم الرسالات.

وقيل: لا يكونون شهداء في الدنيا، أي: لا تقبل شهادتهم لفسقهم. وقيل: لا يرزقون الشهادة، وهي القتل في سبيل الله (٢).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيْسَ بِاللَّعَّانِ، وَلَا الطَّعَّانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءِ**»(٣).

معنى الحديث: المؤمن الذي اتصف بالإيمان الصحيح لا يطلق لسانه باللعن ولا بالفحش من القول ولا يتلفظ بالألفاظ البذيئة.

وقال عليه الصلاة والسلام: «... **وَمَنْ لَعَنَ مُؤْمِنًا فَهُوَ كَقَتْلِهِ**...»(٤)

---

(١) مسلم (٢٥٨).

(٢) «نووي شرح مسلم» (١٦/ ١٤٩).

(٣) رواه الترمذي (١٩٨٤) وغيره من حديث ابن مسعود وحسنه، انظر: «صحيح الجامع» (٣٢٠).

(٤) البخاري (٦٠٤٧)، ومسلم (١١٠)، وانظر: «شرح نووي على مسلم» (١٦/ ١٤٨، ١٤٩).

الحديث...

وذلك لأن القاتل يقطعه عن منافع الدنيا، وهذا يقطعه عن نعيم الآخرة ورحمة الله تعالى، وقيل: معنى «**لعن المؤمن كقتله**»: في الإثم[(١)].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الْأَرْضِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لُعِنَ، فَإِنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلًا وَإِلَّا رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا**»[(٢)].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ، فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ**» فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ..**»[(٣)].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**لَا تَلْعَنِ الرِّيحَ فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، وَإِنَّهُ مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ رَجَعَتِ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ**»[(٤)].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ**

---

(١) «نووي شرح مسلم» (١٦/ ١٤٨، ١٤٩).

(٢) انظر: «الصحيحة» (١٢٦٩)، و«صحيح الجامع» (١٦٦٨).

(٣) البخاري (٣٠٤).

(٤) «صحيح الجامع» (٧٤٤٧).

كُفْرٌ»(١).

حتى البهائم لا يجوز لك أن تلعنها (البعير، الحمار، البقرة، الشاة)، والنبي ﷺ عاقب من لعنت ناقتها بـأن سـلبها إياهـا، فَعَـنْ عِمْـرَانَ بْـنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَامْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَـارِ عَلَى نَاقَةٍ، فَضَجِرَتْ فَلَعَنَتْهَا، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا، فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ**»، قَالَ عِمْرَانُ: فَكَأَنِّي أَرَاهَا الْآنَ تَمْشِـي فِـي النَّاسِ، مَا يَعْرِضُ لَهَا أَحَدٌ(٢).

ففي الحديث أن المرأة لما لعنت دابتها أمر النبي ﷺ بأخذ ما عليها من الرحل والمتاع، وتعرى البعير ثم انصرف، وهـذا مـن بـاب التعزيـر تعزير هذه المرأة أن تلعن دابة لا تستحق اللعن؛ ولهذا قـال: لا تصـحبنا دابة ملعونة؛ لأن هذه المـرأة لعنتهـا، والملعـون لا ينبغـي أن يسـتعمل؛ ولذلك نهى النبي ﷺ عنها وتركها.

حكم (اللعن – اللعان):

عدَّه الإمام الذهبي رحمه الله من الكبائر في كتابـه «الكبـائر» فهـي الكبيـرة الرابعة والأربعون: اللعان.

---

(١) البخاري (٦٠٤٤، ٦٠٤٨)، ومسلم (٦٤).

(٢) مسلم (٢٥٩٥).

أخلاق النبي ﷺ:

إن النبي الكريم ﷺ تعرض لكثير من الأذى من المشركين واليهود وغيرهم ولم يجعله ذلك يطلق لسانه الشريف بالسب واللعن، بل كان لطيفًا معهم رحيمًا بهم ﷺ، فينبغي علينا أن نتخلق بأخلاق نبينا ﷺ، فلا نطلق العِنَان لألسنتنا تسب هذا وتلعن ذاك.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ قَالَ: «**إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً**»(١).

وعن سَالِم، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فِي الرَّكْعَةِ الآخِرَةِ مِنَ الفَجْرِ، يَقُولُ: «**اللهُمَّ العَنْ فُلاَنًا وَفُلاَنًا وَفُلاَنًا**»، بَعْدَ مَا يَقُولُ: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ**»، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨](٢).

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَنَّ اليَهُودَ أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالُوا: السَّامُ(٣) عَلَيْكَ، قَالَ: «**وَعَلَيْكُمْ**» فَقَالَتْ عَائِشَةُ: السَّامُ عَلَيْكُمْ(٤)، وَلَعَنَكُمُ اللهُ، وَغَضِبَ

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) قيل: الموت العاجل.

(٤) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: يحتمل أن تكون عائشة رضي الله عنها فهمت كلامهم =

عَلَيْكُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ، وَإِيَّاكِ وَالعُنْفَ، وَالفُحْشَ» قَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: «أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ، رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلاَ يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ»(١)(٢).

من لعنه النبي ﷺ وليس أهلا لذلك اللعن:

يروي لنا أبو هريرة رضي الله عنه فيقول: قال رسول الله ﷺ: « «اللهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَبَبْتُهُ، أَوْ لَعَنْتُهُ، أَوْ جَلَدْتُهُ، فَاجْعَلْهَا لَهُ زَكَاةً وَرَحْمَةً»(٣).

وتروي لنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فتقول: دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ

=

بفطنتها فأنكرت عليهم، وظنت أن النبي ﷺ ظن أنهم تلفظوا بلفظ السلام فبالغت في الإنكار عليهم، ويحتمل أن يكون سبق لها سماع ذلك من النبي ﷺ كما في حديث ابن عمر (٦٢٥٧)، وأنس (٦٢٥٨) في الباب، وإنما أطلقت عليهم اللعنة إما لأنها كانت ترى جواز لعن الكافر المعين باعتبار الحالة الراهنة، لا سيما إذا صدر منه ما يقتضي التأديب، وإما لأنها تقدم لها علم بأن المذكورين يموتون على الكفر، فأطلقت اللعن ولم تقيده بالموت، والذي يظهر أن النبي ﷺ أراد ألا يتعود لسانها الفحش، أو أنكر عليها الإفراط في السب. اهـ.

(١) أي: لأنّا ندعو عليهم بالحق، وهم يدعون علينا بالظلم.

(٢) البخاري (٦٠٣٠) وغيره.

(٣) رواه مسلم (١٦/ ١٥٠).

ﷺ رَجُلَانِ فكَلَّمَاهُ بِشَيْءٍ، لَا أَدْرِي مَا هُوَ فَأَغْضَبَاهُ، فَلَعَنَهُمَا، وَسَبَّهُمَا، فَلَمَّا خَرَجَا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَصَابَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا، مَا أَصَابَهُ هَذَانِ، قَالَ: «وَمَا ذَاكِ؟» قَالَتْ: قُلْتُ: لَعَنْتَهُمَا وَسَبَبْتَهُمَا، قَالَ: «**أَوَ مَا عَلِمْتِ مَا شَارَطْتُ عَلَيْهِ رَبِّي؟ قُلْتُ: اللهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّ الْمُسْلِمِينَ لَعَنْتُهُ، أَوْ سَبَبْتُهُ فَاجْعَلْهُ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا**»(١).

فهذه الأحاديث مبينة ما كان عليه النبي ﷺ من الشفقة على أمته، والاعتناء بمصالحها، والاحتياط لهم، والرغبة في كل ما ينفعهم.

وهذه الرواية المذكورة آنفًا تبين المراد بباقي الروايات المطلقة، وأنه إنما يكون دعاؤه عليهم رحمة وكفارة وزكاة ونحو ذلك إذا لم يكن أهلًا للدعاء عليه والسب واللعن ونحوه، وكان مسلمًا وإلا فقد دعا النبي ﷺ على الكفار والمنافقين، ولم يكن ذلك رحمة.

فإن قيل: كيف يدعو على من ليس بأهل للدعاء عليه أو يسبه أو يلعنه ونحو ذلك؟

فالجواب: ما أجاب به العلماء ومختصره وجهان:

أحدهما: أن المراد ليس بأهل لذلك عند الله وفي باطن الأمر، ولكنه في الظاهر مستوجب له فيظهر له ﷺ استحقاقه لذلك بأمارة شرعية

---

(١) رواه مسلم.

ويكون في باطن الأمر ليس بأهل لذلك وهو ﷺ مأمور بالحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر.

والثاني: أن ما وقع من سبه ودعائه ونحوه ليس بمقصود بل هو ما جرت به عادة العرب وصل كلامها بلا نية كقوله: «تربت يمينك» و«عقرى حلقى» و «لا كبرت سنك»، وفي حديث معاوية: «لا أشبع الله بطنه» ونحو ذلك، لا يقصدون بشيء من ذلك حقيقة الدعاء، فخاف ﷺ أن يصادف شيءٌ من ذلك إجابةً، فسأل ربه سبحانه وتعالى، ورغب إليه في أن يجعل ذلك رحمة وكفارة وقربة وطهورًا وأجرًا، وإنما كان يقع هذا منه في النادر والشاذ من الأزمان «ولم يكن ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا ولا لعانًا ولا منتقمًا لنفسه».

وقد سبق في هذا الحديث أنهم قالوا: ادع على دوس، فقال: «**اللهُمَّ اهْدِ دَوْسًا**»، وقال: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي، فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**»(١) .ا هـ.

أخي المسلم: لا تكن عونًا للشيطان على أخيك المسلم، فإذا ما رأيت أخاك المسلم قد ارتكب ذنبًا أو اقترف إثمًا، فلا تكن عونًا للشيطان عليه، تقول: اللهم العنه... وغير ذلك، ولكن سل الله له العافية، وكن كأصحاب النبي ﷺ في ذلك...

فهذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه **يقول**: إذا رأيتم أخاكم قارف ذنبًا، فلا

(١) «نووي شرح مسلم» (١٦/ ١٥١).

تكونوا أعوانًا للشيطان عليه، تقولون اللهم العنه.. اللهم أخزه ... ولكن سلوا الله العافية، فإنا أصحاب محمد ﷺ كنا لا نقول في أحد شيئًا حتى نعلم على ما يموت، فإن خُتم له بخير علمنا أنه قد أصاب خيرًا، وإن خُتم له بشرٍّ خفنا عليه عمله.

ومر **أبو الدرداء** رضي الله عنه على رجل قد أصاب ذنبًا فكانوا يسبونه، فقال لهم أبو الدرداء: أرأيتم لو وجدتموه في قليب - بئر - ألم تكونوا مستخرجيه؟ قالوا: بلى، قال: فلا تسبوا أخاكم، واحمدوا الله الذي عافاكم، قالوا: أفلا تبغضه؟ قال: إنما أبغض عمله، فإن تركه فهو أخي.

هل يجوز أن تلعن الشخص المعين (المعروف)؟

أخي المسلم: إن لعن الشخص المعين من كبائر الذنوب، فلا يجوز أن تلعن إنسانًا بعينه، فتقول: اللهم العنْ فلانًا، أو تقول: لعنة الله عليك أو ما أشبه ذلك، حتى لو كان كافرًا وهو حي، فإنه لا يجوز أن تلعنه؛ لأن النبي ﷺ لما صار يقول: «**اللهم العن فلانًا، اللهم العن فلانًا**» يعينهم، قال الله له: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

ومن الناس من تأخذه الغيرة فيلعن الرجل المعين إذا كان كافرًا، وهذا لا يجوز؛ لأنك لا تدري لعل الله أن يهديه، وكم من إنسان كان من أشد الناس عداوة للمسلمين والإسلام هداه الله وصار من خيار عباد الله

المؤمنين.

ونضرب لهذا أمثلة: عمر بن الخطاب، الرجل الثاني بعد أبي بكر في هذه الأمة، كان من ألدِّ أعداء الإسلام، ففتح الله عليه فأسلم.

خالد بن الوليد كان يقاتل المسلمين في أُحُدٍ وهو من جملة من كَرَّ عليهم وداهمهم.

عكرمة بن أبي جهل، وغيرهم من كبار الصحابة الذين كانوا من أول ألد أعداء المسلمين فهداهم الله ﷻ.

أما إذا مات الإنسان على الكفر، وعلمنا أنه مات كافرًا، فلا بأس أن يلعنه؛ لأنه ميؤوس من هدايته والعياذ بالله؛ لأنه مات على الكفر(١).

ويجوز لعن أصحاب المعاصي غير المعيَّنين (المعروفين) وذلك لقوله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**لَعَنَ اللهُ آكِلَ الرِّبَا، وَمُوكِلَهُ، وَشَاهِدَيْهِ، وَكَاتِبَهُ**»(٢).

وعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «**لَعَنَ اللهُ الوَاصِلَةَ وَالمُسْتَوْصِلَةَ،**

---

(١) «شرح الكبائر» لابن عثيمين (ص:٢٥٧- ٢٥٩).

(٢) رواه مسلم (١٥٩٨).

وَالوَاشِمَةَ وَالمُسْتَوْشِمَةَ، وَالنَّامِصَةَ وَالْمُتَنَمِّصَةَ»(١).

الواصلة: هي التي تصل شعرها، والمستوصلة: هي التي يوصل لها.

والنامصة: هي التي تنتف الشعر من الحاجبين، والمتنمصة: التي يفعل بها ذلك.

وعن عون بن أبي جحيفة: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَعَنَ المُصَوِّرِينَ»(٢).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَعَنَ اللهُ الْمُحَلِّلَ، وَالْمُحَلَّلَ لَهُ»(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قَالَ: «مَلْعُونٌ مَنْ سَبَّ أَبَاهُ، مَلْعُونٌ مَنْ سَبَّ أُمَّهُ»(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَلْعُونٌ مَنْ أَتَى امْرَأَتَهُ فِي دُبُرِهَا»(٥).

---

(١) رواه البخاري (٥٩٣٧)، ومسلم (٢١٢٤) بدون قوله: «النامصة والمتنمصة».

(٢) البخاري (٥٣٤٧).

(٣) رواه أحمد (١/ ٤٤٨، ٤٦٢)، والترمذي (١١٢٠) وغيرهما، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٤) «صحيح الجامع» (٥٨٩١).

(٥) أبو داود (٣٩٠٤) وغيره بسند صحيح.

وعن أبي موسى قال: «إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَرِئَ مِنَ الصَّالِقَةِ وَالحَالِقَةِ وَالشَّاقَّةِ»(١).

الصالقة: هي التي ترفع صوتها عند المصيبة.

الحالقة: هي التي تحلق شعرها عند المصيبة.

الشاقة: هي التي تشق ثيابها عند المصيبة.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَعَنَ اللهُ السَّارِقَ...»(٣) في حديث طويل.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»(٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لَعَنَ النَّبِيُّ ﷺ المُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ،

---

(١) رواه النسائي (٤/ ٢١)، وأحمد (٤/ ٤٠٥) قال محققه: صحيح.

(٢) مسلم (١٩٧٨).

(٣) رواه البخاري (٦٧٨٣)، ومسلم (١٦٨٧).

(٤) رواه الطبراني في «الكبير» (١٢/ ١٠٩، ١١٠) رقم (١٢٧٠٩) بسند ضعيف، لكن قال الألباني في «الصحيحة»: وبالجملة فالحديث بمجموع طرقه حسن عندي على أقل الدرجات.

وَالْمُتَرَجِّلاَتِ مِنَ النِّسَاءِ»(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**لَعَنَ اللهُ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ**»(٢)، وفي رواية: «**لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرَّجُلَةَ مِنَ النِّسَاءِ**»(٣).

وعن أبي هريرة قال: «**لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرَّجُلَ يَلْبَسُ لِبْسَةَ الْمَرْأَةِ، وَالْمَرْأَةَ تَلْبَسُ لِبْسَةَ الرَّجُلِ**»(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا أن النبي ﷺ قال: «**لُعِنَ مَنْ خَبَّبَ امْرَأَةً عَلَى زَوْجِهَا، أَوْ عَبْدًا عَلَى سَيِّدِهِ**»، يعني: أفسدها أو أفسده (٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه «**أن النبي ﷺ لعن من أتى حائضًا أو امرأة في دبرها**»(٦).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «**مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ**

---

(١) البخاري (٥٨٨٦).

(٢) البخاري (٥٨٨٥).

(٣) أبو داود (٤٠٩٩) وغيره، من حديث عائشة وهو صحيح لغيره.

(٤) «صحيح أبي داود» (٤٠٩٨)، وأحمد (٢/ ٣٢٥)، والحاكم (٤/ ١٩٤)، وصححه.

(٥) «صحيح أبي داود» (٢١٧٥) وغيره، وانظر: «الصحيحة» (٣٢٤/ ٣٢٥).

(٦) رواه أبو داود (٢١٦٢) وغيره، وهو صحيح بشواهده.

بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ، حَتَّى يَدَعَهُ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ»(١).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: «**أن النبي ﷺ لعن من كوى دابة في وجهها**»(٢).

ولعن النبي ﷺ «**المرأة التي تبيت هاجرة فراش زوجها حتى ترجع**»(٣).

ولعن النبي ﷺ «**شارب الخمر وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها والدال عليها**»(٤).

ولعن النبي ﷺ «**الراشي والمرتشي في الحكم**»(٥).

ولعن النبي ﷺ «**من أخفر مسلمًا**»(٦). ومعنى أخفر مسلمًا: يعني خذله ولم ينصره.

فنعوذ بالله تعالى من لعنة الله ولعنة رسوله ﷺ.

---

(١) رواه مسلم (٢٦١٦).

(٢) مسلم (٢١١٧)، ولفظ الحديث: أن النبي ﷺ مر عليه حمار قد وُسم في وجهه؛ فقال: «**لعن الله الذي وسمه**».

(٣) البخاري (٥١٩٤)، ومسلم (١٤٣٦).

(٤) أبو داود (٣٦٧٤) وغيره، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٠٩١).

(٥) رواه الترمذي وغيره (١٣٣٦)، وحسنه.

(٦) رواه البخاري (٣١٧٢)، ومسلم (١٣٧٠).

ويقول الإمام النووي رحمه الله: اعلم أن لعن المسلم المصون حرام بإجماع المسلمين، ويجوز لعن أصحاب الأوصاف المذمومة، كقولك: لعن الله الظالمين، لعن الله الكافرين، لعن الله اليهود والنصارى، ولعن الله الفاسقين، ولعن الله المصورين، ونحو ذلك مما تقدم، وأما لعن الإنسان بعينه ممن اتصف بشيء من المعاصي كيهودي أو نصراني أو ظالم أو زان أو مصور، أو سارق، أو آكل ربا فظواهر الأحاديث أنه ليس بحرام.

وأشار الغزالي إلى تحريمه إلا في حق من علمنا أنه مات على الكفر كأبي لهب، وأبي جهل، وفرعون، وهامان، وأشباههم، قال: لأن اللعن هو الإبعاد عن رحمة الله تعالى، وما ندري ما يتم به لهذا الفاسق أو الكافر، قال: وأما الذين لعنهم رسول الله ﷺ بأعيانهم، فيجوز أنه ﷺ علم موتهم على الكفر.

قال: ويقرب من اللعن الدعاء على الإنسان بالشر حتى الدعاء على الظالم كقول الإنسان: لا صحَّح الله جسمه، ولا سلمه الله، وما جرى مجراه وكل ذلك مذموم، وكذلك لعن جميع الحيوانات والجماد، فكله مذموم.

قال بعض العلماء: إذا لعن الإنسان ما لا يستحق اللعن، فليبادر بقوله: إلا أن يكون لا يستحق، ويجوز للآمر بالمعروف والناهي عن

المنكر وكل مؤدب أن يقول لمن يخاطبه في ذلك الأمر: ويلك، أو يا ضعيف الحال، أو يا قليل النظر لنفسه، أو يا ظالم نفسه، وما أشبه ذلك، بحيث لا يتجاوز إلى الكذب، ولا يكون فيه لفظ قذف صريحًا كان أو كناية أو تعريضًا، ولو كان صادقًا في ذلك، وإنما يجوز ما قدمناه ويكون الغرض منه التأديب والزجر، وليكون الكلام أوقع في النفس.

عن أنس رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَأَى رَجُلًا يَسُوقُ بَدَنَةً، فَقَالَ: «**ارْكَبْهَا**» فَقَالَ: إِنَّهَا بَدَنَةٌ! فَقَالَ: «**ارْكَبْهَا**» قَالَ: إِنَّهَا بَدَنَةٌ! قَالَ: «**ارْكَبْهَا وَيْلَكَ**» فِي الثَّالِثَةِ أَوْ فِي الثَّانِيَةِ [١].

وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه ، أَنَّ رَجُلًا خَطَبَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: مَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَدْ غَوَى، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **بِئْسَ الْخَطِيبُ أَنْتَ، قُلْ: وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ** »[٢] [٣].

السلف وبُعدهم عن اللعن:

عن أبي الجوزاء أنه: لم يلعن شيئًا قط، ولم يأكل شيئًا ملعونًا قط، وكان يعطي خادمه الدرهمين والثلاثة في الشهر، حتى لا يلعن طعامه إذا أصابه حر التنور ووقود القدر.

---

(١) رواه البخاري (١٦٨٩)، ومسلم (١٣٢٢).

(٢) رواه مسلم (٨٧٠).

(٣) وانظر: «الأذكار» للنووي (ص:٣٩٤ - ٣٩٦).

قال حذيفة رضي الله عنه: ما تلاعن قوم قط إلا حق عليهم القول.

وعن سالم قال: ما لعن ابن عمر قط خادمًا إلا واحدًا فأعتقه.

وقال الزهري: أراد ابن عمر أن يلعن خادمه، فقال: اللهم الع.. ، فلم يتمها، وقال: هذه كلمة ما أحب أن أقولها.

وعن الأعمش قال: رأيت عبد الرحمن بن أبي ليلى محلوقًا على المصطبة وهم يقولون له: العن الكذابين وكان رجلًا ضخمًا به ربو، فقال: اللهم العن الكذابين، آهٍ ثم يسكت، علي، وعبد الله بن الزبير، والمختار[1].

وأخيرًا:

كلمة أخيرة أذكر بها نفسي وإخواني فأقول: المؤمن ليس بلعان، فلا ينبغي أن يطلق اللسان باللعنة إلا على من مات على الكفر، أو على الأجناس المعروفين بأوصافهم، دون الأشخاص المعينين، فالاشتغال بذكر الله أَوْلَى، إنه أفضل وأعظم علاج يعالج به الإنسان لسانه من لعن الآخرين، فإن لم يكن، ففي السكوت السلامة.

قال مكي بن إبراهيم: كنا عند ابن عوف فذكروا بلال بن أبي بردة فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه، وابن عون ساكت، فقالوا: يا بن عون إنما

---

(١) «التهذيب الموضوعي لحلية الأولياء» (ص:٦٩٠).

نذكره لما ارتكب منك، فقال: إنما هما كلمتان تخرجان من صحيفتي يوم القيامة: لا إله إلا الله، ولعن الله فلانا[١].

وصلِّ اللهم وسلِّم وبارِك على معلم الناس الخير.



(١) «إحياء علوم الدين» (٣/ ١٦٩).

الغنـــاء

الغناء

أخي المسلم: اعلم أن الغناء مرض خطير من أمراض اللسان، هذا المرض الذي يهجم على القلوب بصورة واضحة، فإذا ما استقر في قلب صاحبه ولم يسرع في الخلاص منه، فإما أن يمرضه وإما أن يقضي عليه، فيموت.

والغناء شديد الخطورة؛ إذ إنه يجمع كثيرًا من أمراض اللسان الأخرى، كالكذب، والاستهزاء، والغزل، وذكر محاسن النساء، بل وغير ذلك مما يفتح على العبد أبوابًا كبيرة وكثيرة من الشهوات المحرمة، وربما يصد عن سبيل الله.

وتحريم الغناء في كتاب الله تعالى جاء واضحًا كوضوح الشمس في رابعة النهار قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ ﴾

[لقمان: ٦].

سئل ابن مسعود عن لهو الحديث في الآية: ما هو؟ قال: هو والله الغناء.

وكذلك قال ابن عباس، ومجاهد، والحسن، وسعيد بن جبير،

وقتادة، وإبراهيم النخعي [(١)] .

معنى الآية: ومن بعض الناس إنسان هو النضر بن الحارث الكلدي (حليف قريش) يشتري لهو الحديث أي الغناء؛ إذ كان يشتري الجواري المغنيات، ويفتح ناديًا للَّهو والمجون، ويدعو الناس إلى ذلك؛ ليصرفهم عن الإسلام[(٢)] .

ولهذا قال الواحدي: أكثر المفسرين على أن المراد بـ ﴿لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [لقمان: ٦] الغناء.

قال أهل المعاني: ويدخل في هذا كل من اختار اللهو والغناء والمزامير والمعازف على القرآن.

وقال الله تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ۝٦٠ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ [النجم: ٥٩ – ٦١].

﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ **عن ابن عباس قال**: هو الغناء بالحميرية، سَمَد لنا: غَنَّى لنا.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره»، وابن كثير (٣/ ٤٤٢)، وابن الجوزي في «تلبيس إبليس» (ص:٢٦٢).

(٢) «أيسر التفاسير» للجزائري.

وقال مجاهد: هو الغناء، يقول أهل اليمن: سمد فلان: إذا غنى[١].

والمعنى: فرحون بأنفسكم تتغنون بالأغاني لقلة اكتراثكم بما تسمعون من القرآن.

وقال الله تعالى: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم ...﴾ الآية [الإسراء: ٦٤]، صوت الشيطان: هو الغناء والمزامير قاله مجاهد[٢].

معنى الآية: أي: واستخف ـ يقول هذا لإبليس ـ منهم بدعائك إلى الباطل بأصوات المزامير والأغاني وصور الملاهي وأنديتها وجمعياتها[٣].

أفادت الآية: أن أصوات الأغاني والمزامير والملاهي وأنديتها وجمعياتها الجميع من جند إبليس الذي يحارب به الآدمي المسكين الضعيف[٤].

وقال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ

---

(١) «تلبيس إبليس» (ص:٢٦٢).

(٢) «تلبيس إبليس» (ص:٢٦٢).

(٣) «أيسر التفاسير».

(٤) «أيسر التفاسير».

كِرَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٢]، **قال محمد ابن الحنفية**: الزور هنا المقصود به الغناء (١).

ذكر الأحاديث الصحيحة في تحريم الغناء وآلات الطرب:

يقول الشيخ الألباني- رحمه الله تعالى: اعلم أخي المسلم أن الأحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدًّا، فقد جاوز عددها العشرة، عند ابن حزم وابن القيم، فهي من الكثرة أن مجموعها يدل الواقف عليها على أن مضمونها الذي اتفقت عليه متونها- وهو التحريم- ثابت عن ﷺ يقينًا(٢) .

أخي المسلم: ألست تعلم أن الغناء يقضي على الغيرة في قلب العبد؛ ولذلك ذكر علماؤنا أن الغناء بريد الزنا، وأنه ينبت النفاق في القلب، وقد أخبر النبي ﷺ «أنه سيكون في أمته من لا يرى بالغناء والمعازف بأسًا»، وقد حدث هذا في زماننا هذا، بل لقد جعلوا للغناء مدارسَ ومعاهدَ يعلمون فيها كيفية العزف والغناء.

إن الحبيب المعصوم ﷺ قرن الغناء بالزنا والخمر والحرير فقال ﷺ: « **لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ**

---

(١) «إغاثة اللهفان» لابن القيم (ص:٢٤٣).

(٢) «تحريم آلات الطرب» (ص:٣٦).

وَالمَعَازِفَ»(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّمَا نَهَيْتُ عَنِ النَّوْحِ عَنْ صَوْتَيْنِ أَحْمَقَيْنِ فَاجِرَيْنِ: صَوْتٍ عِنْدَ نِعْمَةٍ لَعِبٍ وَلَهْوٍ وَمَزَامِيرِ شَيْطَانٍ، وَصَوْتٍ عِنْدَ مُصِيبَةٍ خَمْشِ وُجُوهٍ وَشَقِّ جُيُوبٍ وَرَنَّةِ شَيْطَانٍ**»(٢).

قال الألباني رحمه الله: هذا الحديث من أجود ما يحتج به على تحريم الغناء.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيَّ، أَوْ حَرَّمَ الْخَمْرَ وَالْمَيْسِرَ وَالْكُوبَةَ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ**»(٣).

قال سفيان: قلت لعلي بن بذيمة: ما الكوبة؟ قال: الطبل(٤).

وقال الإمام أحمد رحمه الله: وأكره الطبل وهي الكوبة، نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم(٥).

---

(١) رواه *البخاري* مع *«الفتح»* (١٠/ ٥١) *معلقًا بصيغة الجزم، قال الألباني*: *هذا* إسناد صحيح متصل.

(٢) رواه البزار في «مسنده» (١/ ٣٧٧)، قال الألباني: ورجاله ثقات.

(٣) رواه أبو داود (٣٦٩٦) وغيره، وقال الألباني: هذا إسناد صحيح.

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» [١٢/ ١٠١-١-٢-/ ١٢٥٩٨، ١٢٥٩٩].

(٥) رواه الخلال في كتابه «الأمر بالمعروف» (ص ٢٦).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ ﷻ حَرَّمَ الْخَمْرَ، وَالْمَيْسِرَ، وَالْكُوبَةَ، وَالْغُبَيْرَاءَ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ**»(١).

وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَحِلُّ بَيْعُ الْمُغَنِّيَاتِ وَلَا شِرَاؤُهُنَّ، وَلَا تِجَارَةٌ فِيهِنَّ وَثَمَنُهُنَّ حَرَامٌ**» وَقَالَ: «**إِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي ذَلِكَ**» ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ [لقمان: ٦] حَتَّى فَرَغَ مِنَ الآيَةِ. ثُمَّ أَتْبَعَهَا، «**وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مَا رَفَعَ رَجُلٌ عَقِيرَتَهُ بِالْغِنَاءِ إِلَّا بَعَثَ اللهُ ﷻ عِنْدَ ذَلِكَ شَيْطَانَيْنِ يَرْتَدِفَانِ عَلَى عَاتِقَيْهِ، ثُمَّ لَا يَزَالَانِ يَضْرِبَانِ بِأَرْجُلِهِمَا عَلَى صَدْرِهِ - وَأَشَارَ إِلَى صَدْرِ نَفْسِهِ - حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَسْكُتُ**»(٢).

٦- وعن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «**فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ**»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَتَى ذَاكَ؟ قَالَ: «**إِذَا ظَهَرَتِ الْقَيْنَاتُ وَالْمَعَازِفُ وَشُرِبَتِ الْخُمُورُ**»(٣).

---

(١) رواه أبو داود (٣٦٨٥) وغيره، قال الألباني بعد أن ذكر للحديث عدة طرق: وعلى هذا فالحديث حسن لذاته، أو على الأقل حسن لغيره.

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ٧٧٤٩، ٧٨٠٥)، وانظر: «الصحيحة» للألباني (٢٩٢٢).

(٣) رواه الترمذي (٢٢١٢) وغيره، وقال الألباني: رجاله ثقات. انظر: «تحريم آلات الطرب».

القينات: جمع القينة: وهي المغنية من الإماء وتجمع على قينات.

الآلات الموسيقية ومعناها:

١- **الأوتار**: جمع وتر: محركة، شرعة القوس ومعلقها منه، وهي هنا: الأوتار التي تربط وتشد على الآلات الموسيقية كالعود والقانون.

٢- **البرابط**: جمع بربط: ملهاة تشبه العود، فارسي معرب: وأصله بربت؛ لأن الضارب به يضعه على صدره.

٣- القنِّين: هو الطنبور بالحبشية، والتقنين: الضرب به قاله ابن الأعرابي كما في «إغاثة اللهفان». والقنين من آلات الطرب الوترية، طويل العنق له صندوق نصف بيضوي فيه وتران أو ثلاثة.

٤- **الكوبة**: هي الطبل، وقال الخطابي في «المعالم»: والكوبة يفسر بـ (الطبل) ويقال: هو النرد، ويدخل في معناه كل وتر ومزهر، ونحو ذلك من الملاهي والغناء.

٥- **المزامير**: جمع مزمار: وهو آلة من قصب – أو معدن – تنتهي قصبتها ببوق صغير.

٦- **المعازف**: هي الدفوف وغيرها مما يضرب به كما في «النهاية» وفي «القاموس»: هي الملاهي كالعود والطنبور، الواحد: عُزْفٌ أو مِعْزَف كمنبر ومكنسة، والعازف: اللاعب بها والمغني؛ ولذلك قال ابن القيم في «الإغاثة»: وهي آلات اللهو كلها لا خلاف بين

أهل اللغة في ذلك، وأوضح منه قول الذهبي في «السير»: المعازف: اسم لكل آلات الملاهي التي يعزف بها كالمزمار والطنبور والشبابة والصنوج[١].

٧- **الصنج**: قال الجوهري وغيره: هو ما يتخذ من صُفْرٍ[٢] يضرب أحدهما بالآخر مختص بالعرب، وسئل الشافعي عنه فقال: وأول من أحدثه الزنادقة في العراق حتى يُلْهُوا الناس عن الصلاة وعن الذكر.

٨- **الطنبور**: هو غير العود كما هو مشهور عند أهل الصناعة.

٩- **الشبابة**: قال بعض أهل الصناعة: هي آلة كاملة وافية بجميع النغمات [٣]، قال أبو العباس القرطبي: هي من أعلى المزامير، وكل ما لأجله حرمت المزامير موجود فيها وزيادة، فتكون أَوْلَى بالتحريم. قال الأذرعي: وما قاله حق واضح والمنازعة فيه مكابرة.

وقال الإمام جمال الإسلام ابن البرزلي في «فتاويه»: الشبابة زمر لا محالة حرام بالنص، والمشهور تحريمها ويجب إنكارها وتحريم

---

(١) «تحريم آلات الطرب» للألباني (ص:٧٧، ٧٩).

(٢) قاله في «الزواجر».

(٣) «الزواجر» (٢/ ٤٣٣).

استماعها، ولم يقل العلماء المتقدمون ولا أحد منهم بحلها وجواز استماعها، ومن ذهب إلى حلها واستماعها فهو مخطئ[١].اهـ .

هذا وقد استدل بعض العلماء على تحريم المزامير بهذا الحديث الذي رواه نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع صوت مزمار راعٍ فجعل أصبعيه في أذنيه وعدل عن الطريق وجعل يقول: يا نافع أتسمع؟ فأقول: نعم فلما قلت: لا، رجع إلى الطريق ثم قال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعله[٢].

قال **محمد بن نصر السلامي**: وكان ابن عمر رضي الله عنهما بالغًا إذ ذاك عمره سبع عشرة سنة، قال: وهذا من الشارع ليعرف أمته أن استماع المزمار والشبابة وما يقوم مقامهما محرم عليهم استماعه.

وقال **الأذرعي**: بهذا الحديث استدل أصحابنا على تحريم المزامير وعليه بنوا التحريم في الشبابة[٣].

أقوال السلف والخلف في ذم الغناء وتحريم آلات الطرب:

- قال **صدِّيق الأمة الأكبر أبو بكر الصديق** رضي الله عنه: الغناء والعزف مزمار الشيطان.

---

(١) «الزواجر» (٢/ ٤٣٣).

(٢) رواه أبو داود (٤٩٢٤) وغيره، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».

(٣) «الزواجر» (٢/ ٤٣٤).

- **وعن ابن مسعود** رضي الله عنه قال: الغناء ينبت النفاق في القلب.

- **وقال الفضيل بن عياض**: الغناء رقية الزنا[١].

- **وقال رجل لابن عباس** رضي الله عنهما: أحلال هو أم حرام؟ فقال: لا أقول حرامًا إلا ما في كتاب الله، فقال: أحلال هو؟ فقال: ولا أقول ذلك، ثم قال له: أرأيت الحق والباطل إذا جاءا يوم القيامة فأين يكون الغناء؟ فقال الرجل: يكون مع الباطل، فقال ابن عباس: اذهب فقد أفتيت نفسك[٢].

وقال ابن الجوزي رحمه الله[٣]: اعلم أن سماع الغناء يجمع شيئين:

أحدهما: أنه يُلْهي القلب عن التفكر في عظمة الله والقيام بخدمته.

والثاني: أنه يميله إلى اللذات العاجلة التي تدعو إلى استيفائها من جميع الشهوات الحسية، ومعظمها النكاح، وليس تمام لذته إلا في المتجددات، ولا سبيل إلى كثرة المتجددات من الحل؛ فلذلك يحث على الزنا، فبين الغناء والزنا تناسب من جهة أن الغناء لذة الروح، والزنا أكبر لذات النفس.

---

(١) «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٤٥).

(٢) ابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي» (٤/ ٢)، وقال الألباني: إسناده صحيح. «تحريم آلات الطرب».

(٣) «تلبيس إبليس» (ص:٢٥٢).

وقال الإمام مالك بن أنس رحمه الله : الغناء إنما يفعله الفساق عندنا.

ونقل عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله: أنه يكره الغناء ويجعله من الذنوب.

قال ابن القيم رحمه الله: ومذهب أبي حنيفة في ذلك من أشد المذاهب وقوله فيه أغلظ الأقوال(١).

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: إن الغناء لَهْوٌ مكروه، يشبه الباطل والمحال، ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته.

وقال الإمام أحمد رحمه الله: الغناء ينبت النفاق في القلب، فلا يعجبني.

وقال الشيخ أبو إسحاق في «التنبيه»: ولا تصح (يعني الإجارة) على منفعة محرمة كالغناء والزمر وحمل الخمر.

وقال في «المهذب»: ولا تجوز على المنافع المحرمة؛ لأنه محرم فلا يجوز أخذ العوض عنه كالميتة والدم، فقد تضمن كلام الشيخ أمورًا:

أحدها: أن منفعة الغناء بمجرده منفعة محرمة.

الثاني: أن الاستئجار عليها باطل.

الثالث: أن أكل المال به أكل مال بالباطل بمنزلة أكله عوضًا عن الميتة والدم.

(١) «إغاثة اللهفان» (ص:٢٢٩).

الرابع: أنه لا يجوز للرجل بذل ماله للمغني، ويحرم عليه ذلك، فإنه بذل ماله في مقابلة محرم، وأن بذله في ذلك كبذله في مقابلة الدم والميتة.

الخامس: أن الزمر حرام.

وقال ابن جرير الطبري- رحمه الله تعالى: قد أجمع علماء الأمصار على كراهية الغناء والمنع منه [١].

وقال الضحاك: الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب.

وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى مؤدب ولده: ليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهي، التي بدؤها من الشيطان، وعاقبتها سخط الرحمن عز وجل، فإنه بلغني عن الثقات من حملة العلم أن حضور المعازف، واستماع الأغاني، واللهج بها ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء العشب [٢].

وعن القاسم بن سلمان قال: لُعِنَ المُغَنِّي والمُغَنَّى لَهُ[٣].

وحكى أبو عمرو بن الصلاح الإجماع على تحريم السماع الذي جمع الدف والشبابة والغناء، فقال في «فتاويه»: وأما إباحة هذا السماع وتحليله فليعلم أن الدف والشبابة والغناء إذا اجتمعت فاستماع ذلك

---

(١) «تلبيس إبليس» (ص:٢٦٠).

(٢) «تلبيس إبليس» (ص:٢٦٦).

(٣) صحح إسناده الألباني في «تحريم آلات الطرب» (ص:١٣).

حرام عند أئمة المذهب وغيرهم من علماء المسلمين ولم يثبت عن أحد ممن يعتد بقوله في الإجماع والاختلاف أنه أباح هذا السماع[١].

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: الغناء ممنوع بالكتاب والسنة.

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد: سألت أبي عن الغناء؟ فقال: الغناء ينبت النفاق في القلب لا يعجبني.

قال عبد الله: وسمعت أبي يقول: سمعت يحيى القطان يقول: لو أن رجلًا عمل بكل رخصة: بقول أهل الكوفة في النبيذ، وأهل المدينة في السماع، وأهل مكة في المتعة لكان فاسقًا.

قال أحمد: وقال سليمان التيمي: لو أخذت برخصة كل عالم أو زلة كل عالم اجتمع فيك الشر كله، ونصَّ على كسر آلات اللهو كالطنبور وغيره إذا رآها مكشوفة وأمكنه كسرها.

ونص أحمد في أيتام ورثوا جارية مغنية وأرادوا بيعها فقال: لا تباع إلا على أنها ساذجة فقالوا: إن بيعت مغنية ساوت عشرين ألفًا أو نحوها، وإن بيعت ساذجة لا تساوي ألفين، فقال: لا تباع إلا على أنها ساذجة.

قال ابن القيم رحمه الله[٢]: «ولو كانت منفعة الغناء مباحة لما فوّت هذا

---

(١) «إغاثة اللهفان» (ص: ٢٣١).

(٢) «إغاثة اللهفان» (ص: ٢٣٢).

المال على الأيتام ثم قال: وأما سماع الغناء من المرأة الأجنبية أو الأمرد، فمن أعظم المحرمات وأشدها فسادًا للدين.

قال الشافعي رحمه الله: وصاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها، فهو سفيه ترد شهادته، وأغلظ القول فيه، وقال: هو دياثة، فمن فعل ذلك كان ديوثًا.

قال القاضي أبو الطيب: وإنما جعل صاحبها سفيهًا؛ لأنه دعا الناس إلى الباطل، ومن دعا الناس إلى الباطل كان سفيهًا فاسقًا.

وصح عن الشعبي بإسناد حسن أنه قال: إن الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع، وإن الذِّكْر ينبت الإيمان في القلب كما ينبت الماء الزرع(١).

فإن قيل: فما وجه إنباته للنفاق في القلب من بين سائر المعاصي؟

قيل: هذا من أدل شيء على فقه الصحابة في أحوال القلوب وأعمالها، ومعرفتهم بأدويتها وأدوائها، وأنهم هم أطباء القلوب، دون المنحرفين عن طريقتهم، الذين داووا أمراض القلوب بأعظم أدوائها، فكانوا كالمداوي من السقم بالسم القاتل، وهكذا- والله- فعلوا بكثير من الأدوية التي ركبوها أو بأكثرها، فاتفق قلة الأطباء وكثرة المرضى،

---

(١) أخرجه محمد بن نصر المَرْوَزِي في «تعظيم قدر الصلاة» (١٥١/٢-١٥٢/١)، وقال الألباني: هذا إسناد حسن.

وحدوث أمراض مزمنة لم تكن في السلف، والعدول عن الدواء النافع الذي ركبه الشارع، وميل المريض إلى ما يقوّي مادة المرض، فاشتد البلاء، وتفاقم الأمر، وامتلأت الدور والطرقات والأسواق من المرضى، وقام كل جهول يطبب الناس.

فاعلم أن للغناء خواصَّ لها تأثير في صبغ القلب بالنفاق، ونباته فيه كنبات الزرع بالماء، **فمن خواصه**: أنه يلهي القلب، ويصده عن فهم القرآن وتدبره، والعمل بما فيه، فإن القرآن والغناء لا يجتمعان في القلب أبدًا، لما بينهما من التضاد، فإن القرآن ينهى عن اتباع الهوى، ويأمر بالعفة، ومجانبة الشهوات، وأسباب الغي، وينهى عن اتباع خطوات الشيطان، والغناء يأمر بضد ذلك كله ويحسنه، ويهيج النفوس إلى شهوات الغي، فيثير كامنها، ويزعج قاطنها، ويحركها إلى كل قبيح، ويسوقها إلى وصل كل مليحة ومليح، فهو والخمر رضيعا لبان، وفي تهييجهما على القبائح فرسا رهان، فإنه صنو الخمر ورضيعه ونائبه وحليفه وخدينه وصديقه، عقد الشيطان بينهما عقد الإخاء الذي لا يفسخ، وأحكم بينهما شريعة الوفاء التي لا تنسخ وهو جاسوس القلب، وسارق المروءة، وسوس العقل يتغلغل في مكامن القلوب، ويطلع على سرائر الأفئدة، ويدب إلى محل التخييل، فيثير ما فيه من الهوى والشهوة والسخافة والرقاعة والرعونة والحماقة، فبينا ترى الرجل وعليه سمة الوقار، وبهاء العقل، وبهجة الإيمان، ووقار الإسلام، وحلاوة القرآن،

فإذا استمع الغناء مال إليه، ونقص عقله، وقل حياؤه، وذهبت مروءته، وفارقه بهاؤه، وتخلى عنه وقاره، وفرح به شيطانه، وشكا إلى الله تعالى إيمانه، وثقل عليه قرآنه، وقال: يا رب لا تجمع بيني وبين قرآن عدوك في صدر واحد، فاستحسن ما كان قبل السماع يستقبح، وأبدى من سره ما كان يكتمه، وانتقل من الوقار والسكينة إلى كثرة الكلام والكذب والزهزهة والفرقعة بالأصابع، فيميل برأسه، ويهز منكبيه، ويضرب الأرض برجليه، ويدق على أم رأسه بيديه، ويثب وثبات الدباب، ويدور دوران الحمار حول الدولاب، ويصفق بيديه تصفيق النسوان، ويخور من الوجد كخوار الثيران، وتارة يتأوه تأوه الحزين، وتارة يزعق زعقات المجانين، ولقد صدق الخبير به من أهله حيث يقول:

أتذكر ليلة وقد اجتمعنا على طيب السماع إلى الصباح
ودارت بيننا كأس الأغاني فأسكرت النفوس بغير راح
فلم تر فيهم إلا نشاوى سرورًا والسرور هناك صاحي
إذا نادى أخو اللذات فيه أجاب اللهو: حي على السماح
ولم نملك سوى المهجات شيئًا أرقناها لألحاظ الملاح

وقد قال بعض العارفين: السماع يورث النفاق في قوم، والعناد في قوم، والكذب في قوم، والفجور في قوم، والرعونة في قوم.... إلى أن قال: فالغناء يفسد القلب، وإذا فسد القلب هاج فيه النفاق، وبالجملة فإذا تأمل البصير حال أهل الغناء.. وحال أهل الذكر والقرآن تبين له حذق

الصحابة، ومعرفتهم بأدواء القلوب وأدويتها وبالله التوفيق»[١].

قال في «مختصر منهاج القاصدين»: اعلم أن السماع الذي نعني به الغناء من أكبر ما تطرق به إبليس إلى فساد القلوب، وغرَّ به خلقًا لا يحصون من العلماء والزهاد، فضلًا عن العوام، حتى ادَّعوا حضور القلب مع الله عند سماع الأغاني المطربة، وظنوا أن ما أوجبه السماع من طرب القلوب وانزعاجها، وجد يتعلق بالآخرة.

وإذا أردت أن تعرف الحق فانظر في القرن الأول هل فعل رسول الله ﷺ شيئًا من ذلك أو أصحابه، ثم انظر إلى أقوال التابعين وتابعيهم وفقهاء الأمة كمالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد رحمهم الله فكل القوم ذموا الغناء[٢].

ويقول الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله[٣]: إن الاستماع إلى الأغاني حرام ومنكر، ومن أسباب مرض القلوب وقسوتها، وصدها عن ذكر الله والصلاة، والحكمة في تحريم الغناء: أنه يلهي عن طاعة الله وذكره.

وقد تبين ذلك من أقوال سلفنا الصالح في حديثهم عن ذم الغناء فيما سبق آنفًا.

---

(١) «إغاثة اللهفان» (٢٤٩-٢٥١).

(٢) «مختصر منهاج القاصدين» لابن قدامة (ص:١٢٥).

(٣) «فتاوى وأذكار لإتحاف الأخيار» للشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله.

يقول الشيخ الألباني رحمه الله: وبعد أن تبينت الحكمة في تحريم الغناء من الآثار المتقدمة، وهي أنه يلهي عن طاعة الله وذكره، وهذا مشاهد، وحينئذ فالملتهون به إسماعًا واستماعًا لكل منهم نصيبه من الذم المذكور في الآية الكريمة: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ... ﴾ [لقمان: ٦]، وذلك بحسب الالتهاء قلة وكثرة، وقد عرفت أن (الاشتراء) بمعنى الاستبدال والاختيار، مع ملاحظة هامة وهي: أن اللام في قوله تعالى: ﴿لِيُضِلَّ﴾ إنما هي لام العاقبة، كما في «تفسير الواحدي»: أي: ليصير أمره إلى الضلال كما قال ابن الجوزي في «الزاد» (٦/ ٣١٧): فليس هذا للتعليل كما يقول بعضهم، وله وجه بالنسبة للكفار الذين يتخذون آيات الله هزوًا.

ولهذا قال ابن القيم رحمه الله: إذا عُرف هذا، فأهل الغناء ومستمعوه لهم نصيب من هذا الذم بحسب اشتغالهم بالغناء عن القرآن، وإن لم ينالوا جميعه، فإن الآيات تضمنت ذم من استبدل لهو الحديث بالقرآن ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا، وإذا يتلى عليه القرآن ولَّى مستكبرًا كأن لم يسمعه كأن في أذنيه وقرًا، وهو الثقل والصمم، وإذا علم منه شيئًا استهزأ به، فمجموع هذا لا يقع إلا من أعظم الناس كفرًا، وإن وقع بعضه للمغنين ومستمعيهم، فلهم حصة ونصيب من هذا الذم يوضحه: أنك لا تجد أحدًا عني بالغناء وسماع آلاته إلا وفيه ضلال عن

طريق الهدى علمًا وعملًا، وفيه رغبة عن استماع القرآن إلى استماع الغناء، بحيث إذا عرض له سماع الغناء وسماع القرآن عدل عن هذا إلى ذاك، وثقل عليه سماع القرآن، وربما حمله الحال على أن يسكت القارئ، ويستطيل قراءته، ويستزيد المغني، ويستقصر نوبته، وأقل ما في هذا: أن يناله نصيب وافر من هذا الذم إن لم يحظ به جميعه، والكلام في هذا مع من في قلبه بعض حياة يحس بها، فأما من مات قلبه وعظمت فتنته فقد سد على نفسه طريق النصيحة(١).

الغناء من مكايد الشيطان:

قال ابن القيم ﵀: ومن مكايد عدو الله ومصايده... سماع المكاء والتصدية، والغناء بالآلات المحرمة، الذي يصد القلوب عن القرآن، ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان، فهو قرآن الشيطان، والحجاب الكثيف عن الرحمن، وهو رقية اللواط والزنا، وبه ينال العاشق الفاسق من معشوقه غاية المنى، كاد به الشيطان النفوس المبطلة وحسنه لها، مكرًا منه وغرورًا، وأوحى إليها الشبه الباطلة على حسنه، فقبلت وحيه، واتخذ لأجله القرآن مهجورًا، فلو رأيتهم عند ذاك السماع، وقد خشعت منهم الأصوات، وهدأت منهم الحركات، وعكفت قلوبهم بكلِّيتها عليه، وانصبت انصبابة واحدة إليه، فتمايلوا له كتمايل النشوان، وتكسروا في

---

(١) «تحريم آلات الطرب» (ص:١٥١، ١٥٢).

حركاتهم ورقصهم أرأيت تكسر المخانيث والنسوان؟ ويحق لهم ذلك وقد خالط خماره النفوس ففعل فيها أعظم ما يفعله حُميا الكؤوس، فلغير الله بل للشيطان قلوب هناك تمزق، وأثواب تشقق، وأموال في غير طاعة الله تنفق، حتى إذا عمل السكر فيهم عمله، وبلغ الشيطان منهم أمنيته وأمله، واستفزهم بصوته وحيله، وأجلب عليهم برجله وخيله، وخز في صدورهم وخزًا، وأزَّهم إلى ضرب الأرض بالأقدام أزًّا، فطورًا يجعلهم كالحمير حول المدار، وتارة كالذباب ترقص وسُيَطْ الديار، فيا رحمتا للسقوف والأرض من دل الأقدام، ويا سوأتا من أشباه الحمير والأنعام، ويا شماتة أعداء الإسلام بالذين يزعمون أنهم خواص الإسلام، قضوا حياتهم لذةً وطربًا، واتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا، مزامير الشيطان أحب إليهم من استماع سور القرآن، لو سمع أحدهم القرآن من أوله إلى آخره لما حرك له ساكنًا، ولا أزعج له قاطنًا، ولا أثار فيه وَجْدًا، ولا قدح فيه من لواعج الشوق إلى الله زندًا، حتى إذا تلي عليه قرآن الشيطان، وولج مزموره سمعه، تفجرت ينابيع الوجد من قلبه على عينه فجرت، وعلى أقدامه فرقصت، وعلى يديه فصفقت، وعلى سائر أعضائه فاهتزت وطربت، وعلى أنفاسه فتصاعدت، وعلى زفراته فتزايدت، وعلى نيران أشواقه فاشتعلت، فيا أيها المفتون، والبائع حظه من الله بنصيبه من الشيطان، صفقة خاسر مغبون، هلا كانت هذه الأشجان عند سماع القرآن؟ وهذه الأذواق والمواجيد عند قراءة القرآن المجيد، وهذه

الأحوال السنيات عند تلاوة السور والآيات، ولكن كل امرئ يصبو إلى ما يناسبه، ويميل إلى ما يشاكله، والجنسية علة الضم قدرًا وشرعًا، والمشاكلة سبب الميل عقلًا وطبعًا، فمن أين هذا الإخاء والنسب، لولا التعلق من الشيطان بأقوى سبب؟ ومن أين هذه المصالحة التي أوقعت في عقد الإيمان وعهد الرحمن خللًا؟ ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠] (١).

أشعار في ذم الغناء والمغنين:

أَلَا قُلْ لَهُمْ قَوْلَ النَّصُوحِ ... فَحَقُّ النَّصِيحَةِ أَنْ تُسْتَمَعْ
مَتَى سَمِعَ النَّاسُ فِي دِينِهِمْ ... بِأَنَّ الْغِنَا سُنَّةٌ تُتَّبَعْ
وَأَنْ يَأْكُلَ الْمَرْءُ أَكْلَ الْبَعِيرِ ... وَيَرْقُصَ فِي الْجَمْعِ حَتَّى يَقَعْ
وَلَوْ كَانَ طَاوِيَ الْحَشَا جَائِعًا ... لَمَا دَارَ مِنْ طَرَبٍ وَاسْتَمَعْ
وَقَالُوا سَكِرْنَا بِحُبِّ الْإِلَهِ ... وَمَا أَسْكَرَ الْقَوْمَ إِلَّا الْقِصَعْ
كَذَاكَ الْحَمِيرُ إِذَا أَخْصَبَتْ ... يُرَقِّصُهَا رِيُّهَا وَالشِّبَعْ
وَيُسْكِرُهُ النَّاسُ ثُمَّ الْغِنَاءُ ... وَيس لَوْ تُلِيَتْ مَا انْصَدَعْ
فَيَا لِلْعُقُولِ وَيَا لِلنُّهَى ... أَلَا مُنْكِرٌ مِنْكُمْ لِلْبِدَعْ
تُهَانُ مَسَاجِدُنَا بِالسَّمَاعِ ... وَتُكْرَمُ عَنْ مِثْلِ ذَاكَ الْبِيَعْ(٢)

---

(١) «إغاثة اللهفان» لابن القيم رحمه الله (ص:٢٢٧، ٢٢٨).

(٢) أورد الإمام ابن كثير رحمه الله هذه الأبيات في كتابه الماتع النافع- «البداية =

وقال آخر:

ذَهَبَ الرِّجَالُ وحال دُونَ مجَالِهِمْ زُمَــر مِــنَ الأوْبَــاشِ وَالأَنــذَالِ
زَعَمُــوا بــأَنَّهُمُ عَلَــى آثَــارِهِمْ سَــارُوا، ولكِــنَّ سِــيَرَةَ البَطّــالِ
لَبِسُـوا الـدُّلُوقَ مُرقَّعًـا، وَتَقَشَّـفُوا كَتَقَشُّــفِ الأَقْطَــابِ وَالأَبْــدَالِ
قَطَعُوا طَرِيقَ السَّـالِكِينَ، وَغَـوَّرُوا سُـبُلَ الْهُـدَى، بجَهَالـةٍ وَضَـلالِ
عَمَرُوا ظَـوَاهِرَهُمْ بـأثْوَابِ التُّقَـى وَحَشَـوْا بَـوَاطِنَهُمْ مِـنَ الأدْغـالِ
إنْ قُلـتَ: قَـالَ اللهُ، قَـالَ رَسُـولُهُ هَمـزُوكَ هَمْـزَ المُنْكِـرِ المُتَغَـالي
أَوْ قُلْتَ: قَدْ قَـالَ الصَّـحَابَةُ، والأُلَى تبِعُــوهُمُ في القَــوْلِ وَالأَعْمَــالِ
أوْ قُلْتَ: قَالَ الآلُ، آلُ المُصْـطَفى صَــلّى عَليــهِ اللهُ، أَفْضَــلِ آلِ
أوْ قُلْـتَ: قَـالَ الشّـافِعِيُّ، وأحمـد وأَبــو حَنِيفَـةَ، وَالإِمَـامُ العَـالِي
أَوْ قُلْتَ: قَالَ صِحَابُهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ فَالكُــلُّ عِنْـدَهُمُ كَشِـبْهِ خَيَـالِ
تَرَكُوا الحَقَائِقَ وَالشّرائِعَ، وَاقْتـدَوْا بِظَــوَاهِرِ الجُهَّــالِ وَالضُّــلالِ
جَعَلُوا المِراد فَتْحًا، وألْفَاظَ الخَنَا شَـطْحًا، وَصَـالُوا صَـوْلَةَ الإِدْلال
نَبَذُوا كِتَـابَ اللهِ خَلْـفَ ظُهُـورِهم نَبْــذَ المُسَــافِرِ فَضْــلَةَ الأَكّــالِ
جَعَلُـوا السَّـماعَ مَطِيّـة لِهَوَاهُمُـو غَلَـوْا فَقَـالُوا فيـهِ كُـلَّ مُحَـالِ

=

والنهاية» (١٣/ ٦٦)، وتصرف الإمام ابن القيم رحمه الله في بعض الأبيات حتى لا تكون خاصة بمن قيلت فيه وإنما تكون لكل من كان على شاكلتهم.

هُـوَ طَاعَـةٌ، هُـوَ قُرْبـةٌ، هُـوَ سُـنةٌ صَدَقُوا لِذَاكَ الشَّيْخِ ذِي الإضـلالِ
وَرَأَوْا سَـمَاعَ الشـعر أنْفَـعَ للفَتـى مِـنْ أَوْجُـهٍ سَـبْعٍ لَهُـمْ بِتـوالِ
هَجَرُوا لَـهُ القُـرْآنَ وَالأَخْبَـارَ وَالآ ثـارَ، إِذْ شـهِدَتْ لَهُـمْ بِضَـلالِ
تَـاللهِ مَـا ظَفِـرَ العَـدُوُّ بِمثْلِهَـا مِـنْ مِـثْلِهِمْ، وَاخَيْبَـةَ الآمـالِ
ودُعُوا إِلَى ذاتِ الْيَمـينِ فَأَعْرَضُـوا عَنْهَـا، وسَـارَ القَـوْمُ ذاتَ شِـمَالِ
خَرُّوا عَلَـى القـرآنِ عِنْـدَ سَـمَاعه صُـمًّا، وعُميَانـا ذَوِي إِهمَـالِ
وإذَا تـلاَ القَـارِي عَلَـيْهِم سُـورَةً فأطَالهَـا، عَـدُّوهُ في الأثْقَـالِ
وَيَقُولُ قَائِلُهُمْ: أَطَلْـتَ، وَلَـيسَ ذَا عَشْـرٌ، فَخَفـفْ، أَنْـتَ ذُو إِمـلالِ
هذَا، وَكَمْ لَغْو، وَكم صَخَبٍ، وَكَم ضَـحِكٍ بِـلاَ أَدَبٍ، وَلا إجْمَـالِ
حَتَّـى إذَا قَـامَ السَّـماعُ لَـدَيْهِمُ خَشَعَتْ لـهُ الأصْـواتُ بـالإجْلالِ
وَامْتَدَّتِ الأَعْنَاقُ، تَسْمعُ وَحْيَ ذَا كَ الشَّـيخِ مِـنْ مُتَـرنِّمٍ قَـوَّالِ
وَتحَرَّكَتْ تِلكَ الـرُّؤُوسُ، وهَزَّهَـا طَـرَبٌ، وأشْـوَاقٌ لِنَيْـلِ وِصَـالِ
فَهُنَالِكَ الأَشْوَاقُ وَالأَشْجَانُ والـ أَحـوَالُ، لا أهـلًا بِـذِي الأحـوَالِ
تَـاللهِ لـو كانـت صـحاة أبصـروا مـاذا دهـاهمْ مـن قبـيحِ فِعَـالِ
لكنمـا سُـكْرُ السَّـماع أَشَـدُّ مِـنْ سُـكرِ المـدامِ، وذا بـلا إشـكالِ
فـإذا هُمَـا اجتمعَـا لِـنَفْسٍ مَـرَّةً نالـتْ مـن الخسـرانِ كـل مَنَـالِ

يَــا أمَّــةً لَعبــتْ بــدين نبيهــا   كتلاعب الصبيان في الأوحـالِ(١)

وقد سمى الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى الغناء بالسماع الشيطاني، وذكر له ستة عشر اسمًا؛ فقال رحمه الله: هـذا السـماع الشـيطاني، المضـاد للسماع الرحماني، له في الشرع بضعة عشر اسمًا: اللهو، واللغو والباطـل، والزور، والمكاء، والتصدية، ورقية الزنا، وقرآن الشيطان، ومنبت النفاق في القلـب، والصـوت الأحمـق، والصـوت الفـاجر، وصـوت الشـيطان، ومزمور الشيطان، والسمود(٢).

ورحم الله من قال:

أســماؤه دلــت عــلى أوصــافه   تبًّـا لـذي الأسـماء والأوصـاف

فتذكر أخي المسلم مخازي هذه الأسماء، ووقوعهـا عليـه في كـلام الله وكلام رسوله والصحابة، ليعلم أصحابه وأهله بما به ظفروا بـه، وأي تجارة رابحة خسروا.

فَـدَعْ صَـاحِبَ الْمِزْمَـارِ وَالـدُّفِّ   وَمَا اخْتَـارَهُ عَـنْ طَاعَـةِ اللهِ مَـذْهَبَا

وَدَعْـهُ يَعِـشْ فِـي غَيِّـهِ وَضَـلَالِهِ   عَلَى مَـا نَشَـا يَحْيَـا وَيُبْعَـثُ أَشْـيَبَا

وَفِـي بَيْنِنَـا يَـوْمَ الْمَعَـادِ نَجَاتُـهُ   إلَى الْجَنَّةِ الْحَمْـرَاءِ يُـدْعَى مُقَرَّبَـا

سَـيَعْلَمُ يَـوْمَ الْعَـرْضِ أَيَّ بِضَـاعَةٍ   أَضَاعَ وَعِنْدَ الْوَزْنِ مَا خَفَّ أَوْ رَبَـا

(١) «الإغاثة» مع تصرف في الأبيات (٢٣٤، ٢٣٥).

(٢) انظر: هذه الأسماء بأدلتها من كتاب «إغاثة اللهفان» (ص:٢٣٩).

وَيَعْلَـمُ مَـا قَـدْ كَـانَ فِيـهِ حَيَاتـهُ إِذَا حُصِّـلَتْ أَعْمَالُـهُ كُلُّهَـا هَبَـا
دَعَاهُ الْهُدَى وَالْغَـيُّ مَـنْ ذَا يُجِيبُـهُ فَقَالَ لِـدَاعِي الْغَـيِّ أَهْـلًا وَمَرْحَبَـا
وَأَعْرَضَ عَنْ دَاعِي الْهُدَى قَائِلًا لَهُ هَوَايَ إِلَى صَوْتِ المعَـازِفِ قَدْ صَبَا
يَــرَاعٌ وَدُفٌّ بِالصُّــنُوجِ وَشَــادِنٌ وَصَوْتُ مُغَنٍّ صَوْتُهُ يَقْـنِصُ الظِّبَـا
إِذَا مَــا تَغَنَّــى فَالظِّبَــاءُ مُجِيبَـةٌ إِلَـى أَنْ يَرَاهَـا حَوْلَـهُ تُشْـبِهُ الـدَّبَا
فَمَا شِئْت مِـنْ صَـيْدٍ بِغَيْـرِ تَطَـارُدٍ وَوَصْلِ حَبِيبٍ كَانَ بِـالْهَجْرِ عُـذِّبَا
فَيَا آمِرًا بِالرُّشْدِ لَـوْ كُنْـت حَاضِـرًا لَكَـانَ إِلَـى الْمَنْهِـيِّ عِنْـدَكَ أَقْرَبَـا

وحتى تتم الفائدة أقول: هل يجوز الغناء بدون آلة؟

فيما سبق ذكرنا الغناء بآلات الطرب، وذكرنا أدلة القرآن والسنة في تحريم ذلك، ما عدا الدف في العرس والعيد.

والآن نتحدث عن حكم الإسلام في الغناء بدون آلة.

فأقول ـ وبالله التوفيق: لا يصح إطلاق القول بتحريمه؛ لأنه لا دليل على هذا الإطلاق، كما لا يصح إطلاق القول بإباحته؛ لأن الغناء يكون عادة بالشعر، وليس هو بالمحرم إطلاقًا، كيف والنبي ﷺ يقول: «**إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةً**»(١)، بل إنه كان يتمثل بشيء منه أحيانًا كمثل شعر عبد الله بن رواحة رضي الله عنه : «**وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ**»(٢)، ومن ثم

---

(١) رواه البخاري وهو مخرج في «الصحيحة» (٢٨٥١).

(٢) انظر: «الصحيحة» (٢٠٥٧)، وصحيح «الأدب المفرد» (ص:٣٢٢).

قال عليه الصلاة والسلام لما سئل عن الشعر: «**هو كلام فحسنه حسن، وقبيحه قبيح**»(١).

وقالت أم المؤمنين عائشة ﵂: خذ بالحسن، ودع القبيح، ولقد روت من شعر كعب بن مالك أشعارًا منها القصيدة ودون ذلك(٢).

لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المَدِينَةَ، وُعِكَ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلالٌ، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الحُمَّى يَقُولُ:

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ وَالمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

وَكَانَ بِلَالٌ إِذَا أَقْلَعَ عَنْهُ تَغَنَّى، فَقَالَ:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ
وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ وَهَلْ يَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ

اللهُمَّ أخزِ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ، كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ مَكَّةَ (٣).

وعن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال: رأيت أسامة بن زيد ﵁ جالسًا في المجلس رافعًا إحدى رجليه على الأخرى رافعًا عقيرته، قال:

---

(١) انظر: «الصحيحة» (٤٤٧).

(٢) السابق.

(٣) أخرجه أحمد (٢٤٥٣٢) بسند صحيح، وهو في «الصحيحين»، وهو كذلك مخرج في «الصحيحة» برقم (٢٥٨٤).

حسبته يتغنى النَّصْبَ(١).

والنَّصْبُ(٢): ضرب من أغاني الأعراب وهو يشبه الحداء(٣)، وفي القاموس: نصب العرب: ضرب من مغانيها أرق من الحداء.

وعَنْ وَهْبِ بْنِ كَيْسَانَ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ - وَكَانَ مُتَّكِئًا - تَغَنَّى بِلالٌ قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: تَغَنَّى؟! فَاسْتَوَى جَالِسًا ثُمَّ قَالَ: وَأَيُّ رَجُلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَمْ أَسْمَعْهُ يَتَغَنَّى النَّصْبَ؟»(٤).

وقال السائب بن يزيد: بينا نحن مع عبد الرحمن بن عوف في طريق الحج، ونحن نؤم مكة اعتزل عبد الرحمن رضي الله عنه الطريق، ثم قال لرباح بن المغترف: غننا يا أبا حسان، وكان يحسن النصب فبينا رباح يغنيه أدركهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته، فقال: ما هذا؟ فقال عبد الرحمن: ما بأس بهذا نلهو به نقصر عنا، فقال عمر رضي الله عنه: فإن كنت آخذًا فعليك بشعر ضرار بن الخطاب، وضرار رجل من بني محارب بن فهر(٥).

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (١٩٧٣٩)، وصحح إسناده الألباني على شرط الشيخين.

(٢) قاله البيهقي (١٠/ ٢٢٤).

(٣) قاله أبو عبيد الهروي.

(٤) رواه عبد الرزاق (١٩٧٤١) مختصرًا وغيره، وإسناده صحيح على شرط الشيخين، قاله الألباني.

(٥) أخرجه البيهقي (١٠/ ٢٢٤) بإسناد جيد، قاله الألباني.

ففي هذه الأحاديث والآثار دلالة ظاهرة على جواز الغناء بدون آلة في بعض المناسبات، كالتذكير بالموت، أو الشوق إلى الأهل والوطن، أو للترويح عن النفس، والالتهاء عن وعثاء السفر ومشاقه، ونحو ذلك مما لا يتخذ مهنة، ولا يخرج به عن حد الاعتدال، فلا يقترن به الاضطراب والتثني والضرب بالرجل مما يخل بالمروءة كما في حديث أم علقمة مولاة عائشة: إن بنات أخي عائشة رضي الله عنها خُفِضْن فَأَلِمْنَ ذلك، فقيل لعائشة يا أم المؤمنين: ألا ندعو لهن من يلهيهن؟ قالت: بلى، قالت: فأرسلت إلى فلان المغني فأتاهم فمرت به عائشة رضي الله عنها في البيت فرأته يتغنى ويحرك رأسه طربًا، وكان ذا شعر كثير فقالت عائشة رضي الله عنها: «أف، شيطان، أخرجوه، أخرجوه» فأخرجوه (١).

وللشيخ **ابن الجوزي** رحمه الله كلام طيب في هذه المسألة ساقه في كتابه «تلبيس إبليس» ألخصه حتى تتم الفائدة قال رحمه الله: «وقد تكلم الناس في الغناء فأطالوا فمنهم من حرمه ومنهم من أباحه من غير كراهة ومنهم من كرهه مع الإباحة، وفصل الخطاب أن نقول: ينبغي أن ينظر في ماهية الشيء ثم يطلق عليه التحريم أو الكراهة أو غير ذلك، والغناء يطلق على أشياء:

(١) أخرجه البيهقي (١٠/ ٢٢٣، ٢٢٤)، والبخاري مختصرًا في «الأدب المفرد» (١٢٤٧) بسند حسن، وأورده الألباني في صحيح «الأدب المفرد» (٩٤٥).

منها: غناء الحجيج في الطرقات، فإن أقوامًا من الأعاجم يقدمون للحج فينشدون في الطرقات أشعارًا يصفون فيها الكعبة وزمزم والمقام فسماع تلك الأشعار مباح وليس إنشادهم إياها مما يطرب ويخرج عن الاعتدال، وفي معناه أشعار الحُدَاة في طريق مكة كقول قائلهم:

بشرها دليلها وقالا غدًا ترين الطلح والجبالا

وهذا يحرك الإبل والآدمي إلا أن ذلك التحريك لا يوجب الطرب المخرج عن حد الاعتدال، وقد كان لرسول الله ﷺ حادٍ يقال له: «أنجشة»، فتعنق الإبل (تسرع) فقال رسول الله ﷺ: «**يَا أَنْجَشَةُ رُوَيْدَكَ سَوْقًا بِالْقَوَارِيرِ**»(١).

وفي حديث سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ رضي الله عنه، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى خَيْبَرَ، فَسِرْنَا لَيْلًا، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ لِعَامِرٍ: يَا عَامِرُ أَلاَ تُسْمِعُنَا مِنْ هُنياتِكَ؟ وَكَانَ عَامِرٌ رَجُلًا شَاعِرًا، فَنَزَلَ يَحْدُو بِالقَوْمِ يَقُولُ:

اللهُمَّ لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا

فَاغْفِرْ فِدَاءً لَكَ مَا أَبْقَيْنَا وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا

وَأَلْقِيَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا إِنَّا إِذَا صِيحَ بِنَا أَبَيْنَا

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ هَذَا السَّائِقُ؟**»، قَالُوا: عَامِرُ بْنُ الأَكْوَعِ، قَالَ: «**يَرْحَمُهُ اللَّهُ**».

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

وقد روينا عن الشافعي رضي الله عنه **أنه قال**: أما استماع الحداء ونشيد الأعراب فلا بأس به... ثم ذكر ابن الجوزي بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت عندنا جارية يتيمة من الأنصار فزوجناها رجلًا من الأنصار فكنت فيمن أهداها إلى زوجها، فقال رسول الله ﷺ يا عائشة: «**إن الأنصار أناس فيهم غزل: فما قلت؟**» قالت: دعونا بالبركة. قال: «**أفلا قلتم**: وفي رواية عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا أَنْكَحَتْ ذَا قَرَابَةٍ لَهَا مِنَ الأَنْصَارِ فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ :« **أَهْدَيْتُمُ الْفَتَاةَ؟** ». قَالَتْ : نَعَمْ. قَالَ : « **فَأَرْسَلْتُمْ مَنْ يُغَنِّى؟** ». قَالَتْ : لاَ. قَالَ النَّبِيُّ : « **إِنَّ الأَنْصَارَ قَوْمٌ فِيهِمْ غَزَلٌ فَلَوْ أَرْسَلْتُمْ مَنْ يَقُولُ**:

أَتَيْنَاكُمْ أَتَيْنَاكُمْ فَحَيُّونَا نُحَيِّكُمْ
ولَوْلَا الذَّهَبُ الأَحْمَرُ مَا حَلَّتْ بِوَادِيكُمْ
وَلَوْلَا الْحَبَّةُ السَّمْرَاءُ مَا سَمِنَتْ عَذَارِيكُمْ

فقد بان بما ذكرنا ما كانوا يغنون به، وليس مما يطرب، ولا كانت دفوفهن على ما يعرف اليوم، ومن ذلك أشعار ينشدها المتزهدون بتطريب وتلحين، تزعج القلوب إلى ذكر الآخرة، ويسمونها الزهديات كقول بعضهم:

يَا غَادِيًا في غَفْلَةٍ ورَائِحَا إلىَ مَتَى تسْتَحْسِنُ القَبَائِحَا
وكَمْ إلىَ كَمْ لا تَخَافُ مَوْقِفًا يَسْتَنطِقُ اللهُ بِهِ الجَوَارِحَا
يَا عَجَبًا مِنْكَ وكُنْتَ مُبْصِرًا كَيْفَ تَجَنَّبْتَ الطَّرِيْقَ الوَاضِحَا

أَمْ كَيْفَ تَرْضَى أَنْ تَكُـوْنَ خَاسِـرًا يَـوْمَ يَفُـوزُ مَـنْ يَكُـوْنُ رَابِحَـا

فهذا مباح أيضًا وإلى مثله أشار أحمد بن حنبل في الإباحة، ثم روى ابن الجوزي رحمه الله بسنده عن أبي حامد الخلفاني يقول لأحمد بن حنبل: يا أبا عبد الله هذه القصائد الرقاق التي في ذكر الجنة والنار أي شيء تقول فيها؟ فقال: مثل أي شيء؟ قلت: يقولون:

إذَا مَـا قَـالَ لِـي رَبِّـي أَمَـا اسْـتَحييتَ تَعْصِـينِي
وتُخْفِـي الـذَّنْبَ مِـن خَلْقِـي وَبِالعِصْـيَانِ تَـأْتِينِي

فقال: أعد علي، فأعدت عليه، فقام ودخل بيته ورد الباب فسمعت نحيبه من داخل البيت وهو يقول:

إذَا مَـا قَـالَ لِـي رَبِّـي أَمَـا اسْـتَحييتَ تَعْصِـينِي
وتُخْفِـي الـذَّنْبَ مِـن خَلْقِـي وَبِالعِصْـيَانِ تَـأْتِينِي

فأما الأشعار التي ينشدها المغنون المتهيئون للغناء، ويصفون فيها المستحسنات والخمر وغير ذلك مما يحرك الطباع، ويخرجها عن الاعتدال، ويثير كامنها، من حب اللهو، وهو الغناء المعروف في هذا الزمان مثل قول الشاعر:

ذهبـي اللـون أحسـب مـن وجنتيـه النـار تقتـدح
خوفـوني مـن فضـيحته ليتـه وافى وأفتضـح

وقد أخرجوا لهذه الأغاني ألحانًا مختلفة، كلها تخرج سامعها عن

حيز الاعتدال، وتثير حب الهوى، ولهم شيء يسمونه البسيط، يزعج القلوب على مهل، ثم يأتون بالنشيد بعده، فيعجعج القلوب، وقد أضافوا إلى ذلك ضرب القضيب، والإيقاع به على وفق الإنشاد، والدف بالجلاجل، والشبابة النائبة عن الزمر، فهذا الغناء المعروف اليوم (١).

• **الخلاصة:**

فمما سبق يتضح لنا أنه يجوز الغناء بدون آلة موسيقية، بشرط أن يكون كلامًا حسنًا هادفًا طيبًا، ولا يخرج عن حد الاعتدال، ولا يثير كوامن النفس، ولا يكون فيه دعوى للفحش ولا التفحش، ولا يزعج القلوب، ولا يدعو إلى الضرب بالأكف، أو الرقص، وغير ذلك مما ورد النهي عنه. والله تعالى أعلم.

موقف الإسلام من الغناء الصوفي والأناشيد الإسلامية:

نقل **الشيخ الألباني- رحمه الله تعالى** أقوال العلماء وحكمهم على هذا النوع من الغناء، فرأيت أن أنقل هنا في كتابي هذا ما نقله عنهم لأهميته، فأقول - وبالله التوفيق: إن الإمام ابن القيم رحمه الله قال في رده المجمل على الغناء الصوفي ما مختصره(٢):

إن هذا السماع على هذا الوجه حرام قبيح، لا يبيحه أحد من

(١) «تلبيس إبليس» (ص:٢٥٢-٢٥٦).

(٢) «تحريم آلات الطرب» (ص:١٠٦، ١٠٨).

المسلمين، ولا يستحسنه إلا من خلع جلباب الحياء والدين عن وجهه؛ وسماع مشتمل على مثل هذه الأمور قبحه مستقر في فطر الناس، حتى إن الكفار ليعيرون به المسلمين ودينهم، نعم خواص المسلمين ودين الإسلام براء من هذا السماع، الذي كم حصل به من مفسدة في العقل والدين، والحريم والصبيان، فكم أفسد من دين، وأمات من سنة، وأحيا من فجور وبدعة، ولو لم يكن فيه من المفاسد إلا ثقل استماع القرآن على قلوب أهله، واستطالته إذا قرئ بين يدي سماعهم، ومرورهم على آياته صمًّا وعميًا لم يحصل لهم من ذوق ولا وجد ولا حلاوة، بل ولا يصغي أكثر الحاضرين أو كثير منهم إليه، ولا يقومون معانيه ولا يغضون أصواتهم عند تلاوته...

تُلِيَ الْكِتَابُ فَأَطْرَقُوا لَا خِيفَةً ... لَكِنَّهُ إِطْرَاقُ سَاهٍ لَاهِي
وَأَتَى الْغِنَاءُ فَكَالْذُّبَابِ تَرَاقَصُوا ... وَاللهِ مَا رَقَصُوا مِنْ أَجْلِ اللهِ
دُفٌّ وَمِزْمَارٌ وَنَغْمَةُ شَادِنٍ ... فَمَتَى شَهِدْتَ عِبَادَةً بِمَلَاهِي
ثَقُلَ الْكِتَابُ عَلَيْهِمُ لَمَّا رَأَوْا ... تَقْيِيدَهُ بِأَوَامِرٍ وَنَوَاهِي
وَالرَّقْصُ خَفَّ عَلَيْهِمُ بَعْدَ الْغِنَا ... يا باطلا قد لاق بالأشباه
يَا أُمَّة مَا خَانَ دِينَ مُحَمَّدٍ ... وَجَنَى عَلَيْهِ وَمَلَّهُ إِلَّا هِي

وبالجملة؛ فمفاسد هذا السماع في القلوب والنفوس والأديان أكثر من أن يحيط به العد، فهذا المفسر المحقق الألوسي؛ قد قال بعد أن أطال النَّفَس جدًّا في تفسير آية ﴿لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [لقمان: ٦]: والآثار

وأقوال المفسرين فيها وفي دلالتها على تحريم الغناء هي مذاهب الفقهاء فيه: وأنا أقول: قد عمت البلوى بالغناء والسماع في سائر البلاد والبقاع، ولا يتحاشى من ذلك المساجد وغيرها، بل قد عُين مغنون يغنون على المنائر في أوقات مخصوصة شريفة، بأشعار مشتملة على وصف الخمر والحانات، وسائر ما يعد من المحظورات، ومع ذلك فقد وظف لهم من غلة الوقف ما وظف ويسمونهم (الممجدين)، ويعدون خلو المساجد من ذلك من قلة الاكتراث بالدين، وأشنع من ذلك ما يفعله أبالسة المتصوفة ومردتهم- ثم إنهم – قبحهم الله تعالى- إذا اعترض عليهم بما اشتمل عليه نشيدهم من الباطل، يقولون: نعني بـ (الخمر): المحبة الإلهية، أو بـ (السكر): غلبتها، أو بـ (ميّة) و(ليلى) و (سعدى) مثلًا: المحبوب الأعظم وهو الله ﷻ، وفي ذلك من سوء الأدب ما فيه ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ...﴾ [الأعراف: ١٨٠] ثم نقل عن بعض الأجلة أنه قال: ومن السماع المحرم سماع متصوفة زماننا وإن خلا عن رقص، فإن مفاسده أكثر من أن تحصى، وكثير مما ينشدون من الأشعار من أشنع ما يتلى، ومع هذا يعتقدونه قربة، ويزعمون أن أكثرهم رغبة فيه أشدهم رغبة أو رهبة، قاتلهم الله أنَّى يؤفكون.

وكان قبل ذلك نقل عن العز بن عبد السلام الإنكار الشديد

لسماعهم ورقصهم وتصفيقهم، ثم تحدث عن وجدهم، وأقوال العلماء فيه، وهل يؤاخذون عليه؟! وأنكره هو عليهم؛ لأنه لم يكن في عهد النبي ﷺ، ثم عاد إلى التعرض لما يسمونه بـ (التمجيد) على المنائر وأنكره، ثم ذكر الأحاديث في تحريم الغناء، ومنها حديث البخاري، ثم ذكر حكم القعود في مجلس فيه شيء منها، وأقوال العلماء في ذلك.

ثم قال: ثم إنك إن ابتليت بشيء من ذلك، فإياك ثم إياك أن تعتقد أن فعله أو استماعه قربة كما يعتقد ذلك من لا خلاق له من المتصوفة، فلو كان الأمر كما زعموا لما أهمل الأنبياء أن يفعلوه ويأمروا أتباعهم به، ولم ينقل ذلك عن أحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولا أشار إليه كتاب من الكتب المنزلة من السماء، وقد قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، ولو كان استعمال الملاهي المطربات أو استماعها من الدين، ومما يقرب إلى حضرة رب العالمين، لبينه ﷺ وأوضحه كمال الإيضاح لأمته، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**والذي نفسي بيده ما تركت شيئًا يقربكم من الجنة ويباعدكم عن النار إلا أمرتكم به وما تركت شيئًا يقربكم من النار ويباعدكم عن الجنة إلا نهيتكم عنه**».

قال **الشيخ الألباني** رحمه الله: فهذا ما تيسر لي ذكره من أقوال العلماء المشهورين في إنكار الغناء الصوفي، وبيان أنه بدعة وضلالة، بعد أن أثبتنا

حرمة الغناء بالكتاب والسنة (١).

أضرار الغناء وعاقبته:

١- أنه من أعظم وسائل إبليس التي أضل بها عباد الله وصدهم بها عن هداه.

٢- الغناء والموسيقى سبب كبير من أسباب العزوف عن سماع كلام الله، وثقله على القلوب، وعدم تأثرها بما جاء فيه، ومن كان هذا حاله، فإنه لن يستطيع اتباع الهدى.

٣- أنه يلهي عن طاعة الله وذكره.

قال الشيخ الألباني رحمه الله في كلمات الأغاني:

٤- في كلمات الأغاني كفر صراح، ورِدَّة عن الدين كيف ذلك؟

كان مما غنوه قصيدة الشاعر النصراني: جئت لا أعلم من أين، ولكني أتيت، ولقد أبصرت قدامي طريقًا فمشيت، كيف أبصرت طريقي، لست أدري.

غنوا هذه الأغنيات ذات الأشعار التي تبين أنهم لا يعرفون سبب وجودهم في هذه الدنيا، ولا يعرفون أبَعْدَ هذا الموت بعث أو نشور، أو أنه يكون هناك الإهمال والترك، وتكون هذه النهاية بكلماتها الفصحى

(١) انظر: «تحريم آلات الطرب» للألباني رحمه الله (ص:١٧٣- ١٧٦).

وغير الفصحى عبروا عنها في أغنياتهم والله يقول: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

لقد وجدنا في كلمات الأغاني أن هؤلاء القوم يكتبون الكلمات ويغنونها ويلحنونها، وكاتب الكلمات الشاعر والملحن لها والمغني ثلاثة في النار شركاء في الإثم؛ لأنهم يقدمون هذا السم ويعرضونه.

وقول أحدهم: «لبست ثوب العيش ولم أُسْتَشَرْ» فمن الذي سيستشيركم؟ وهل لكم رأي؟ ومن أنتم حتى يكون لكم رأي؟

وقول أحدهم: «لو كنت أعلم خاتمتي ما كنت بدأت» وهل الحياة والموت كما يريد الإنسان؟ وهل يأتي الإنسان إلى الدنيا متى أراد؟ وعندما يشاء، أو أن الله هو يأتي بك وهو الذي يحييك ثم يميتك ثم إليه ترجع؟ ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ [القصص: ٦٨].

- **الأغاني عبادة للمحبوب:**

يقول أحدهم: «عشت ليكي وعلشانك...».

والله يقول: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]،

وتقول إحداهن: «أنا جئت إلى الدنيا من أجلك وأجل حبك».

هكذا جاءت إلى الدنيا، ولهذا خلقت.

ويصرح بعضهم بصرف أنواع العبادة إلى المحبوب أو المحبوبة، وهو التوبة **فيقول قائلهم**: «إذا كان ذنبي أن حبّكِ سيدي فكل ليالي العاشقينَ ذنوبٌ، أتوبُ إلى ربي وإني لمرة يسامحني ربي إليك أتوبُ».

وقال آخر: «ورأيت أنكِ كنتِ لي ذنبًا سألت الله ألا يغفره، فغفرته».

فهذا الذي يقولونه من صرف التوبة إلى غير الله تعالى، فهو يعبد المحبوبة ولأجلها يعيش، وهذا غرضه من الدنيا، ولها وإليها يتوب، ولها يسأل ألا تغفر فتغفر، أو أن تغفر فلا تغفر، والله هو الذي يغفر: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، فإليه يُتَابُ سبحانه وتعالى، قال الله: ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠].

- **وفي الأغاني اعتداء على الله والأنبياء:**

فهذا أحدهم يقول على فراق المحبوب أو المحبوبة: «صبرت مثل صبر أيوب».

والآخر يقول: «أيوب ما صبر صبري» اعتداء فاحش على رسل الله وعلى أنبيائه.

بل قد حصل الاعتداء على كتاب الله، لقد لحنوا آيات من القرآن،

لقد لحنوا سورة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ وعبثوا فيها ولعبوا، فما بقيت حرمة في الدين وللدين إلا واعتدى عليها هؤلاء المغنون.

• **في الأغاني اتهام لله، وسب للقدر، ولوم للرب ﷻ:**

يقولون: «ليه القسوة ليه؟ ليه الظلم ليه؟ ليه يا رب ليه؟».

هكذا يتهم المغني الله صراحة بالظلم والقسوة، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

لا نقول لله: ليه؟ ولا لماذا؟ ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾...أليس هذا كفرًا؟!.. أليست هذه الأغنية التي استمع لها الملايين فيما مضى، ولا زالت تُذاع وتُسمع فيما بقي من التراث السابق بين الحين والحين.

اتهام الله بالقسوة والظلم، وهكذا يفعلون... وهم الآن تحت التراب...الله يعلم ماذا يفعل بهم.

• **في الأغاني الاستعداد لدخول جهنم:**

فهو مستعد لأن يذهب إلى جهنم مع محبوبته «يا تعيش وياي في الجنة يا تعيش وياي في النار» «بطلت أصوم وأصلي بدي أعبد سماك» «لجهنم ماني رايح إلا وأنا وياك» آمين...آمين يا رب العالمين، وهذا هو الظاهر، والله أعلم بالمصائر.

ويصرحون بأنهم يختارون بين الجنة والنار، يا تختار الجنة يا تختار

النار، «علشانك أنت أنكوي بالنار وألقح جنتي، وأدخل جهنم وانشوي وأصرخ وأقول: يالهوتي».

هذا نص كلامهم .. هذا نص غنائهم... تمنى دخول النار... تمنى أن يذهب مع محبوبه ولو إلى نار جهنم، ويصرخ قائلهم بأنه «قبلها في الصباح فقالت: تفطر يا هذا والناس صيام. قلت لها: أنت الهلال والصوم بعد الهلال حرام»... الصوم بعد رؤية الهلال حرام..

ويصرخون بأنه «إن لم تحل له محبوبته على دين محمد، أخذها على دين المسيح ابن مريم».

وهل كان دين المسيح عيسى ابن مريم يحل الزنا..

ويقول أحدهم: صوتك ذكرياتي وعزي وصلاتي.

- **الأغاني – ردة وفسق ورذيلة.**

الغناء والاستعانة بغير الله:

تجد في أغانيهم: مدد يا نبي، يا نبي مدد... والاستعانة بغير الله، ونداء الأموات، والحلف بغير الله، والحلف بالنبي ﷺ وحياة الغالي عندك، وحياة عينيك.

الغناء وسب الدهر:

يقول أحدهم: «كتاب حزين كله مآسي، جابنا في زمان غدار قاسي».

الله سبحانه هو مُقلِّب الأيام والليالي، وإذا سبَّ أحد الدهر، فقد

سبَّ شيئًا ليس بأهل للسبِّ ولا ذنب لـه؛ لأن الـدهر هـو ظـرف لوقـوع الحوادث، فلا ذنب له ولا عمل له فيها، ولكن الله هو الذي يشاء ويفعـل ما يشاء، ويقـدر عـلى مـا يشـاء، ويجـري الحـوادث في الزمـان بمشـيئته سبحانه.

فمَنْ سبَّ الدهر فقد رجع سبه على الله، وهم يقولون: «زمـان غـدار وقاسي»، ثم يعتدون على ما هـو مكتـوب في اللـوح المحفـوظ « الفـرح سطر غلط مكتوب، لما الزمان كان يوم ناسي»

«الفرح سطر غلط مكتوب» هل الذي كتبه الله في اللـوح المحفـوظ سطر غلط؟!! افهم يا مسلم، يا عبد الله.. افهم مـاذا يتسـلل إلى بيتـك إلى عقول نسائك وأولادك؟

ومن أعاجيب الأغاني:

هناك فن تستطيع أن تسميه فن التفاهة، تصاغ به الأشعار، وكلمـات سـخيفة جـدًّا جـدًّا، لكـن يتغنـى بهـا ملايـين المسـلمين، وتُنْشَـرُ أسطواناتها بالملايين.

تأمل هذا الشعر الرائع الفخم الجزيل، الموزون عـلى قـوافي أشـعار العرب المحكم في نظمه وبيانه، وجميل ترتيبه، وجمال كلماتـه، المشـتمل على المعاني العظيمة: (السح الدح إمبوا) ... إلى آخر هذا الكـلام الرائـع العظيم، المشتمل على المعاني الرائعة، التي يتغنـى بهـا الملايـين، والتـي

تسمى بالأغاني الشعبية، يلهون بها صباحًا و مساءً ليلًا ونهارًا...

بدلًا من أن يقول الواحد منهم: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله. ومن قال: لا إله إلا الله غرست له نخلة في الجنة..

لكنهم استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير... ناهيك عن ذلك أغاني الانحلال.. وأغاني التفاهة... وأغانٍ يلحن فيها لفظ الجلالة.. وأغانٍ فيها رِدَّة وكفر بالله.

غنَّت إحداهن فقالت: «القلب يعشق كل جميل» هذا اسمه عند الصوفية المنحرفين العشق الإلهي، فتجد بالقصيدة بعض الإشارات عن قضية العشق الإلهي عند الصوفية المنحرفين، تجد الرِّدَّة، والكفر، والشرك الأكبر، والشرك الأصغر، وتجد تمييع الألفاظ الإسلامية، والمعاني الجليلة في الدين، وإدخالها في الأغاني والحب والغرام...

إن هذا لهو البلاء المبين... فماذا تقول بعد هذا؟ هل من توبة؟ هل من أوبة؟ هل من رجوع إلى الله؟ هل من ترك لهذه المحرمات؟

اعْتَدَوْا على أعزِّ شيءٍ عندك.

اعتدوا على الله تعالى.

اعتدوا على رسله الكرام.

اعتدوا على اللوح المحفوظ.

اعتدوا على قضائه وقدره.

شتموا الدين والرب.

ما أبقوا عزيزاً في الدين ولا غالٍ إلا أوسخوه ووسخوه بهذه الكلمات، ولطخوه لكي يحولوا بين الناس وبين دين رب العالمين.

فأين المتنبهون؟!! وأين الواعون لهذه الأخطار(١)؟!!

عن سهل بن سعد عن النبي ﷺ أنه قال: «**فِي هَذِهِ الأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ**»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَتَى ذَاكَ؟ قَالَ: «**إِذَا ظَهَرَتِ القَيْنَاتُ وَالمَعَازِفُ وَشُرِبَتِ الخُمُورُ**»(٢).

قال ابن القيم رحمه الله: وقد تظاهرت الأخبار بوقوع المسخ في هذه الأمة، وهو مقيد في أكثر الأحاديث بأصحاب الغناء، وشاربي الخمر، وفي بعضها مطلق ... إلى أن قال: قال بعض أهل العلم: إذا اتصف القلب بالمكر والخديعة والفسق، وانصبغ بذلك صبغًا تامًّا، صار صاحبه على خلق الحيوان الموصوف بذلك: من القردة والخنازير وغيرهما، ثم لا يزال يتزايد ذلك الوصف فيه حتى يبدو على صفحات وجهه بدوًّا خفيًّا،

---

(١) «كلمات الأغاني في ميزان الشريعة» لمحمد صالح المنجد مع حذف يسير.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٥٠١٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٦٦٥).

ثم يقوى ويتزايد حتى يصير ظاهرًا على الوجه، ثم يقوى حتى يقلب الصورة الظاهرة كما قلب الهيئة الباطنة، ومن له فراسة تامة يرى على صور الناس مسخًا من صور الحيوانات التي تخلقوا بأخلاقها في الباطن، فقلَّ أن ترى مختالًا مكارًا مخادعًا ختارًا إلا وعلى وجهه مسخة قرد، وقلَّ أن ترى رافضيًّا إلا وعلى وجهه مسخة خنزير، وقلَّ أن ترى شرهًا نهمًا نفسه نفس كلبيَّة إلا وعلى وجهه مسخة كلب، فالظاهر مرتبط بالباطن أتم ارتباط، فإذا استحكمت الصفات المذمومة في النفس قويت على قلب الصورة الظاهرة.

ولهذا خوَّف النبي ﷺ مَنْ سَابَقَ الإمام في الصلاة بأن يجعل الله صورته صورة حمار، لمشابهته للحمار في الباطن، فإنه لم يستفد بمسابقة الإمام إلا فساد صلاته وبطلان أجره، فإنه لا يُسلِّم قبله، فهو شبيه بالحمار في البلادة وعدم الفطنة، إذا عرف هذا فأحق الناس بالمسخ هؤلاء الذين ذكروا في هذه الأحاديث، فهم أسرع مسخًا قردةً وخنازيرَ، لمشابهتم لهم في الباطن وعقوبات الرب تعالى (١).

وكم فتنت الأصوات بالغناء من عابد وزاهد.

• **حكاية:**

كان سليمان بن عبد الملك في بادية له، فسمر ليلة على ظهر سطح،

---

(١) «إغاثة اللهفان» (ص: ٢٦٥، ٢٦٦).

ثم تفرق عنه جلساؤه، فدعا بِوَضُوء، فجاءت به جارية له، فبينما هي تصب عليه إذ استمدها بيده، وأشار إليها، فَإِذَا هي ساهية مصغية بسمعها، مائلة بجسدها كله إِلَى صوت غناء تسمعه في ناحية العسكر، فأمرها فتنحت، واستمع هو الصوت، فَإِذَا صوت رجل يغني، فأنصت له حتى فهم ما يغني به من الشعر، ثم دعا جارية من جواريه غيرها فتوضأ، فلما أصبح أذن للناس إذنًا عامًّا، فلما أخذوا مجالسهم، أجرى ذكر الغناء ومن كان يسمعه، ولين فيه حتى ظن القوم أنه يشتهيه، فأفاضوا فِي التليين والتحليل والتسهيل، فَقَالَ: هل بقي أحد يسمع مِنْهُ؟

فقام رجل من القوم فَقَالَ: يا أمير المؤمنين عندي رجلان من أهل أيلة حاذقان.

قَالَ: وأين منزلك من العسكر؟

فأومأ إِلَى الناحية التي كان الغناء منها.

فَقَالَ سُلَيْمَان: يبعث إليهما، فوجد الرسول أحدهما فأقبل به، حتى أدخله عَلَى سُلَيْمَان.

فَقَالَ لَهُ: مَا اسمك؟

قَالَ: سمير.

فسأله عَنِ الغناء كيف هو فيه.

فَقَالَ: حاذق محكم.

قَالَ: ومتى عهدك به؟

قَالَ: فِي ليلتي هذه الماضية.

قَالَ: وفي أي نواحي العسكر كنت؟

فذكر لَهُ الناحية التي سمع منها الصوت.

قَالَ: فما غنيت؟

فذكر الشعر الذي سمعه سُلَيْمَان، فأقبل سُلَيْمَان فَقَالَ: هدر الجمل، فضبعت الناقة، وهب التيس، فشكرت الشاة، وهدل الحمام، فزافت الحمامة، وغنى الرَّجُل، فطربت المرأة، ثم أمر به فخصي.

وسأل عَنِ الغناء: أين أصله وأكثر مَا يكون؟

قالوا: بالمدينة، وَهُوَ فِي المخنثين، وهم الحذاق به والأئمة فيه.

فكتب إِلَى عامله عَلَى المدينة، وَهُوَ أَبُو بَكْرِ بْنُ مُحَمَّد بْن عمرو بْن حزم: أن اخْصِ من قبلك من المخنثين المغنين (١).

فكل ما سبق من أدلة على تحريم الغناء تدحض قول من قال: «الغناء غذاء الروح»، فأين كان عقله عندما قال هذا القول الباطل الذي ينم عن

---

(١) «تلبيس إبليس» (ص:٢٦٦، ٢٦٧).

قلة معرفة في الدين والعلم.

واعلم أخي المسلم أنك مسؤول، مسؤول عن سمعك، وعن بصرك.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

ونبينا الكريم ﷺ يقول: «**إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لاَ مَحَالَةَ، فَزِنَا العَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ المَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيُكَذِّبُهُ**»(١).



(١) رواه البخاري (٦٢٤٣)، ومسلم (٢٦٥٧).

اللسان
يأمر بالبر ويخالف
أو يأمر بالمنكر
وينهى عن المعروف

اللسان يأمر بالبر ويخالف
أو يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف

أخي المسلم: لقد ألقى الله تعالى باللائمة على كل من يأمر الناس ولا يأتمر، وينهاهم ولا ينتهي، وهذا حكم شامل في بني إسرائيل وغيرهم، حيث إنهم يأمرون غيرهم بالبر وينسون أنفسهم، فالقدوة أساس الدعوة ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]:

وها أنا ذا أسوق للقارئ الكريم أدلة القرآن والسنة وتعليق العلماء عليها التي تحذر من مخالفة القول للعمل:

الأدلة من القرآن الكريم:

- **الدليل الأول:**

يقول الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

قال ابن كثير رحمه الله: يقول تعالى: كيف يليق بكم يا معشر أهل الكتاب وأنتم تأمرون الناس بالبر، وهو جماع الخير، أن تنسوا أنفسكم فلا

تأتمرون بما تأمرون الناس به، وأنتم مع ذلك تتلون الكتاب، وتعلمون ما فيه على من قصّر في أوامر الله؟ أفلا تعقلون ما أنتم صانعون بأنفسكم، فتنتبهوا من رقدتكم، وتتبصروا من عمايتكم ... والغرض أن الله تعالى ذمهم على هذا الصنيع، ونبههم على خطئهم في حق أنفسهم، حيث كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه، وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له، بل على تركهم له، فإن الأمر بالمعروف، وهو واجب على العالم، ولكن الواجب والأَوْلَى بالعالم أن يفعله مع من أمرهم به، ولا يتخلف عنهم، كما قال شعيب عليه السلام: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨](١).

وقال صاحب «في رحاب التفسير» في هذا الدليل: إن النفس تذوب خجلًا أمام الهمزة الاستفهامية من قوله تعالى: ﴿أَتَأۡمُرُونَ﴾، ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ كيف يتأتى ذلك منكم؟ ما كان يليق أن يصدر ذلك من عاقل وفي هذا يقول القائل:

يا واعظ الناس قد أصبحت متهمًا إذا عبت فيهم أمورًا أنت تأتيها
تعيب دنيا وناسًا عاملين لها وأنت أكثر منهم رغبة فيها

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ١٣٠).

ومن ثم كان الوعيد شديدًا والإنكار بالغًا: ﴿أَتَأْمُرُونَ﴾ و ﴿وَتَنسَوْنَ﴾ أتأمرون غيركم وتنسون أنفسكم؟ أتأمرون الناس بالبر وحسن الخلق، والكلمة الجامعة لشعب الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكًا، ولا تتوجهون بالأمر إلى أنفسكم وأنتم أولى الناس بالامتثال، إنه لا يفعل هذا إلا من سفه نفسه وأصيب بالخبال، ولذا جاءت (الفاء) في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ عاطفة على محذوف تقديره «أجننتم فلا تعقلون، أسفهتم أنفسكم فلا ترشدون»[١]؟

وقال **سيد قطب** رحمه الله في «ظلاله»: «... ومع أن هذا النص القرآني كان يواجه ابتداء حالة واقعة من بني إسرائيل، فإنه في إيحائه للنفس البشرية ولرجال الدين بصفة خاصة دائم، لا يخص قومًا دون قومٍ، ولا يعني جيلًا دون جيلٍ، إن آفة رجال الدين- حين يصبح الدين حرفة وصناعة لا عقيدة حارة دافعة - إنهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، يأمرون بالخير ولا يفعلونه، ويدعون إلى البر ويهملونه، ويحرفون الكلم عن مواضعه، ويؤولون النصوص القاطعة، خدمة لغرض الهوى، ويجدون فتاوى وتأويلات قد تتفق في ظاهرها مع ظاهر النصوص، ولكنها تختلف في حقيقتها عن حقيقة الدين، لتبرير أغراض وأهواء لمن يملكون المال أو السلطان، كما كان يفعل أحبار اليهود،

---

(١) «في رحاب التفسير» للشيخ عبد الحميد كشك رحمه الله.

والدعوة إلى البر والمخالفة عنه في سلوك الداعين إليه هي الآفة التي تصيب النفوس بالشك لا في الدعاة وحدهم، ولكن في الدعوات ذاتها، وهي التي تبلبل قلوب الناس وأفكارهم؛ لأنهم يسمعون قولًا جميلًا ويشهدون فعلًا قبيحًا، فتتملكهم الحيرة بين القول والفعل، وتخبو في أرواحهم الشعلة التي توقدها العقيدة، وينطفئ في قلوبهم النور الذي يشعه الإيمان، ولا يعودون يثقون في الدين بعدما فقدوا ثقتهم برجال الدين، إن الكلمة لتنبعث ميتة، وتصل هامدة، مهما تكن طنانة رنانة متحمسة، إذا هي لم تنبعث من قلب يؤمن بها، ولن يؤمن إنسان بما يقول حقًّا إلا أن يستحيل هو ترجمة حيَّة لما يقول، وتجسيمًا واقعيًّا لما ينطق...

عندئذ يؤمن الناس، ويثق الناس، ولو لم يكن في تلك الكلمة طنين ولا بريق، إنها حينئذ تستمد قوتها من واقعها لا من رنينها، وتستمد جمالها من صدقها لا من بريقها، إنها تستحيل يومئذ دفعة حياة؛ لأنها منبثقة من حياة، والمطابقة بين القول والفعل، والعقيدة والسلوك ليست مع هذا أمرًا هينًا، ولا طريقًا معبدًا، إنها في حاجة إلى رياضة وجهد، وإلى صلة بالله واستمداد منه واستعانة بهديه، فملابسات الحياة وضروراتها واضطراراتها كثيرًا ما تنأى بالفرد في واقعه عما يعتقده في ضميره، أو عما يدعو إليه غيره، والفرد الفاني ما لم يتصل بالقوة الخالدة ضعيف مهما كانت قوته؛ لأن قوى الشر والطغيان والإغواء أكبر منه، وقد يغالبها مرة

ومرة ومرة، ولكن لحظة ضعف تنتابه فيتخاذل ويتهاوى، ويخسر ماضيه وحاضره ومستقبله، فأما وهو يركن إلى قوة الأزل والأبد، فهو قوي قوي...»(١).

وقال في «**التفسير الميسر**» عند تفسير الآية: ما لكم تزكون الناس بكلامكم، وأنتم في ظلمة المعاصي واقفون، تأمرون غيركم ولا تأتمرون، وتنهون عن الذنوب ولا تنتهون، ثم عندكم كتاب يتلى فيه حجج بينات، وبراهين واضحات، ومع ذلك لم تستضيئوا بنوره، ولم تهتدوا بهداه، وإذا لم يزجركم العلم أفلا يزجركم العقل؟ فإن العقل الراجح يدعوكم إلى الفضائل ويزجر عن الرذائل، ويمنع من السفه؛ ولهذا قال: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(٢).

وقال في «**موارد الظمآن**»: إن قوما يأمرون بالذي لا يفعلون لمجانين، وإن هم لم يكونوا يصرعون، إن النفس السوية عندما تبصر مجنونًا فاقد العقل، قد لا تأبه له ولا يثير انتباهها كما يثير انتباهها رؤية العاقل الذي لا يرده عقله عن فعل الحمقى والمجانين.

فاختر لنفسك أخي الحبيب إما مجنونًا وإما عاقلًا، وأكثر الناس لا يعقلون.

---

(١) «**في ظلال القرآن**» لسيد قطب رحمه الله (١/ ٦٨).

(٢) «**التفسير الميسر**» (ص: ١٤).

يا آمر الناس بالمعروف مجتهدًا وإن رأى عـاملًا بـالمنكر انتهـره
ابـدأ بنفسـك قبـل النـاس كلهـم فأوصها واتل مـا في سـورة البقـره

• **الدليل الثاني:**

يقـول الله تعـالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣].

قـال ابـن كثيـر رحمه الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ إنكار على من يَعِدُ عِدَّةً أو يقول قولًا لا يفي به؛ ولهذا استدل بهـذه الآيـة الكريمة من ذهب من علماء السلف إلى أنه يجب الوفاء بالوعـد مطلقًـا، سواء ترتب عليه عزم الموعود أم لا... ولهذا أكد الله تعالى هـذا الإنكـار عليهم بقوله: ﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ (١).

وقال **السعدي** رحمه الله **عند تفسير الآيتين**: أي: لم تقولون الخير وتحثـون عليه وربما تمدحتم به، وأنتم لا تفعلونه وتنهون عن الشر وربمـا نـزهتم أنفسكم عنه وأنتم متلوثون ومتصـفون بـه، فهـل تليـق بـالمؤمنين هـذه الحالة الذميمة؟ أم مِن أكبر المقت عند الله أن يقول العبـد مـا لا يفعـل؟ ولهذا ينبغي للآمر بالخير أن يكون أول الناس إليه مبـادرة وللنـاهي عـن الشر أن يكون أبعد الناس منه، قـال تعـالى: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ

---

(١) «مختصر صحيح تفسير ابن كثير» للشيخ مصطفى العدوى (٣/ ٤٧٤).

أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤] (١) .

وقال في «التفسير الميسر»: أيها المؤمنون لم تقولون أقوالًا لا تصدقها الأفعال: كوعد بلا وفاء، أو قول بلا صدق، أو تحمل بلا أداء، عظم سخطًا وكبر غضبًا إذا قلتم بألسنتكم ما لم تفعلوه فَلَمْ تُتْبِعُوا القول العمل (٢).

قال الفيروز آبادي في «بصائره»: «بصيرة في سبح لله...معظم مقصود السورة: عتاب الذين يقولون أقوالا لا يعملون بمقتضاها...»(٣).

وانظر أخي المسلم كيف جاء التعبير بكلمة ﴿مَقْتًا﴾ موافقًا لخطورة الموقف وشدة النداء، إن أي كلمة غير كلمة ﴿مَقْتًا﴾ لا تناسب ولا توحي بهذا الإيحاء الرهيب من التهديد والوعيد، كأن لو قيل: (كبر إثمًا) أو (كبر ذنبًا) أو (جرمًا) إلخ؛ لأن التعبير بالمقت يوحي بأن الممقوت محتقر لا يستحق التقدير، والذي يقول ما لا يفعل لا يستحق التقدير ولا الكرامة، فهو نازل في نظر الناس وفي نظر الله تبارك وتعالى، وهو نداء رفيق في نفس الوقت؛ إذ يصدر بتعبير من شأنه لو صادف قلوبًا مؤمنة وآذانًا واعية لأثر فيها، إنه النداء بصفة الإيمان:

---

(١) «تفسير السعدي» (٢/ ٧٠٩).

(٢) «التفسير الميسر» (ص:٦٥١).

(٣) «بصائر ذوى التمييز» (١/ ٤٦٢).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ برغم ما بدر منهم من مخالفة، إلا أن الله يترفق بهم في ردهم إلى الطريق المستقيم، والنفس جبلت على حب المدح والثناء، فكأن الله تعالى يرغبهم قبل أن يرهبهم، وما ذاك إلا ليردهم إليه(١).

• **الدليل الثالث:**

قال الله تعالى حكاية عن نبيه شعيب ﷺ مع قومه: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨].

قال نبي الله شعيب عليه السلام ردًا عليهم: أخبروني يا قوم، إذا كان الله منحني منه هداية ربانية، ورسالة إلهية، وحجة قوية، فيما آمركم به من إخلاص العبادة له وتوحيده، وترك الشرك، وهجر الكسب الخبيث، من تطفيف، وغش، وهو - سبحانه- رزقني رزقًا مباركًا حلالًا طيبًا، وأنا لا أريد أن أدعوكم لأمر وأتركه، وأنهاكم عن شيء وأفعله...(٢).

أخي المسلم إن أكثر الناس بطبيعتهم وهم يسمعون الداعي أو من يعظهم ويأمرهم وينهاهم يكون في أنفسهم حب التطلع إلى معرفة الداعي

---

(١) «لم تقولون ما لا تفعلون» (ص:٢٨، ٢٩).

(٢) «التفسير الميسر» (ص:٢٧٤).

وموقعه من الكلام الذي يقوله، فإما موافقة يحصل بها التأثر والاقتداء وإما مخالفة يبنون عليها ما يبرر عدم استجابتهم وإعراضهم- إلا من رحم ربي.

وقد حدث هذا مع بعض الناس حتى مع من لم يعهد عليه أن يقول قولًا ولا يفعله.

أخرج الإمام أحمد في «مسنده» عَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ نَاسًا مِنْ قَوْمِي فِي تُهْمَةٍ فَحَبَسَهُمْ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَخْطُبُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ عَلَامَ تَحْبِسُ جِيرَتِي؟ فَصَمَتَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْهُ فَقَالَ: إِنَّ نَاسًا لَيَقُولُونَ: إِنَّكَ تَنْهَى عَنِ الشَّرِّ، وَتَسْتَخْلِي بِهِ - وفي رواية: لَيَزْعُمُونَ أَنَّكَ لَتَأْمُرُ بِالْأَمْرِ وَتُخَالِفُ إِلَى غَيْرِهِ - فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«مَا يَقُولُ؟»** قَالَ: فَجَعَلْتُ أَعْرِضُ بَيْنَهُمَا بِالْكَلَامِ مَخَافَةَ أَنْ يَسْمَعَهَا، فَيَدْعُوَ عَلَى قَوْمِي دَعْوَةً، لَا يُفْلِحُونَ بَعْدَهَا أَبَدًا، فَلَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ ﷺ بِهِ حَتَّى فَهِمَهَا فَقَالَ: **«قَدْ قَالُوهَا أَوْ قَائِلُهَا مِنْهُمْ، وَاللهِ لَوْ فَعَلْتُ لَكَانَ عَلَيَّ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِمْ خَلُّوا لَهُ عَنْ جِيرَانِهِ»**.

فإذا كان حال أكثر الناس مع دعاة الصدق، هكذا يتلمسون منهم مخالفة بين أقوالهم وأفعالهم ويتهمونهم، فكيف بهم مع من يتحققون منهم أنهم يقولون ما لا يفعلون، وأنهم ينهونهم ثم يخالفونهم إلى ما

نهوهم عنه(١)؟

• **الدليل الرابع:**

يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

قال ابن كثير رحمه الله: أي دعا عباد الله إليه ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ أي: وهو في نفسه مهتد بما يقوله، فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعدٍّ، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه، وينهون عن المنكر ويأتونه، بل يأتمر بالخير ويترك الشر ويدعو الخلق إلى الخالق - تبارك وتعالى -، وهذه عامة في كل من دعا إلى خير وهو في نفسه مهتد، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بذلك(٢).

فالآية تدل دلالة واضحة على أن القول لا يكون حسنًا إلا إذا تبعه عمل صالح من القائل، وبالطبع إذا لم يتبع القولَ عملٌ، فهو ليس من أحسن القول، بل العكس، فيكون قوله بغير عمل مذمومًا(٣).

فمن خلال هذه الأدلة يتبين لنا موقف القرآن من مخالفة القول

---

(١) «لم تقولون ما لا تفعلون» (ص:٣٣).

(٢) «مختصر صحيح تفسير ابن كثير» (٣/ ٢١٦).

(٣) «لم تقولون ما لا تفعلون» (ص:٤١).

للعمل وهي بإيجاز: توبيخ وتذكير وذم، وسخط ومقت فيا رب سلِّم سلِّم.

أما الأحاديث:

أخي المسلم: إن السنة النبوية قد ذخرت بالعديد والكثير من الأحاديث التي تذم وتحذر من مخالفة القول للعمل، وقد أورد الإمام المنذري رحمه الله هذه الأحاديث في كتابه القيم «الترغيب والترهيب» تحت عنوان: الترهيب من أن يعلم ولا يعمل بعلمه، ويقول ما لا يفعله، وها أنا ذا أذكر بعضها.

١- عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ**»(١).

تندلق: تخرج، أقتاب: جمع لكلمة قِتْب: وهي الأمعاء. الرحا: الطاحون.

فانظر أخي في الله إلى حال من قال ولم يفعل، كيف تَنْدلق مصارينه من جوفه وتخرج من دبره، ويدور بها دوران الحمار بالطاحون، والناس

---

(١) البخاري (٣٢٦٧)، ومسلم (٢٩٨٩).

تنظر إليه وتتعجب من هيئته (١).

وقد أورده الشيخ محمد بن سالم البيجاني في كتابه «إصلاح المجتمع» ثم قال: الله أكبر، ما أشد هذا الحديث، وما أعظم هذا التخويف، ترتعد له الفرائص، وتنفطر من هوله قلوب الذين يخشون ربهم ويخافون عذابه، وكنت أريد ألا أعلق عليه بشيء، ولا أكتب عنه شيئًا، فهو ترجمان نفسه، وفيه من بلاغة النبوة وقوة الحجة ما يغني عن شرحه، وما تخرس هذه الألسن، وتتحطم دون بيانه الأقلام، ولكن مخاطبة بعض الناس تقتضي الإطناب والإسهاب، ونحن معاشر الوعاظ وإن كنا نحب الصلاح وأهله، ونبغض الفساد وأهله، مقصرون فيما علينا، وكلامنا ضعيف التأثير وقليل الفائدة، لا ينفذ إلى قلوب المستمعين، ولا يأخذ بأزمة النفوس إلى الفضيلة إلا قليلًا؛ لأنه وإن كان حقًّا فقد شيب بشيء من الباطل، وقصد به غير الله.

نأمر بالجهاد في سبيل الله ونحن جبناء.

ونحث على الإنفاق في مرضاة الله ونحن بخلاء.

وندعو إلى العبادة ونحن كسالى.

ونحذر من المعصية ونحن ضعفاء.

---

(١) انظر: حاشية «صحيح الترغيب والترهيب» للألباني.

يتحكم فينا الشيطان، ويغلبنا الهوى، فنتبع الشهوات، ونتساهل بالمكروهات والمحرمات، ويفوتنا الكثير من الواجبات والمندوبات، ولا قوة إلا بالله.

أستغفر الله من قول بلا عمل لقد نسبت به نسلا لذي عقم
أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به وما استقمت فما قولي لك استقم
ولا تزودت قبل الموت نافلة ولم أصل سوى فرض ولم أصم

فيا علماء الدين، وورثة النبيين، وحملة الشريعة، ومستنبطي الأحكام، أين أنتم من هذا الحديث العظيم؟ أتؤمنون به ثم لا تطابق أعمالكم أقوالكم؟ أم تفكرون به وهو صحيح، وشواهده من القرآن واضحة جميلة..

فلئن كان على غيركم اجتناب الشر وفعل الخير فحسب، فإن عليكم ذلك والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وليس من يعلم كمن لا يعلم(١).

قال النبي ﷺ: «لَـمَّا أُسْرِيَ بِي مَرَرْتُ بِرِجَالٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ» قَالَ: « فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ، وَهُمْ يَتْلُونَ

(١) نقلًا عن «لم تقولون ما لا تفعلون» (ص:٤٤، ٤٥).

الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ »(١).

هذه صورة أخرى من صور الصَّغار والمهانة التي تلحق من يخالف فعله قوله، يوكل الله تعالى به ملكًا معه مقراض (أي مقص) يقرض به شفتيه عقوبة له ونكاية بشفتيه اللتين طالما تكلمتا وبلبلتا وتشدقتا بالكلام وثرثرتا.

ولك أخي الحبيب أن تتخيل وجها قصت منه الشفتان وبدت منه الأسنان وسالت الدماء بالله أهذا وجه إنسان؟ وهل هذا الوجه الكالح الذي يشبه وجوه الكلاب والوحوش عندما تجمع شفاهها إلى آذانها مكشرة عن أنيابها يمكن أن يكون كتلك الوجوه التي قال الله فيها: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢] و: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴾ [عبس: ٣٨](٢).

وعن لقمان - **يعني ابن عامر** - **قال:** كان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: «إنما أخشى من ربي يوم القيامة أن يدعوني على رؤوس الخلائق فيقول لي: يا عويمر فأقول: لبيك رب فيقول: ما عملت فيما علمت»(٣).

وعن أبي برزة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مثل الذي يعلم**

---

(١) «صحيح الترغيب» (١٢٥).

(٢) السابق (ص:٤٧).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان»، وغيره (٢/ ٢٩٩ / ١٨٥٢)، قال الألباني: صحيح لغيره موقوفًا (رقم ١٢٩).

الناس الخير وينسى نفسه مثل الفتيلة تضيء على الناس، وتحرق نفسها»(١).

وعن ابن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي كُلّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ»(٢).

وفي «الصحيحين» أن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، مَثَلُ الْأُتْرُجَّةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ، لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ».

شاهدنا من الحديث قوله: «وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ»، فمعنى هذا أنه علم ما في القرآن من أحكام وأوامر ونواهٍ، ولكنه لم يعمل بها فصار منافقًا؛ لأنه خالف عمله قوله، فلكذبه وادعائه أنه من أهل القرآن يأمر به وينهى، يظهر بمظهر حسن وريح طيب كالريحانة، لكنه في حقيقة أمره يهتك الأستار،

---

(١) رواه البزار وصححه الألباني لغيره برقم (١٣٠) المجلد (١) «صحيح الترغيب».

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» والبزار وقال: رواته محتج بهم في «الصحيح». وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١٣٢).

ويخالف ما يقرأ من القرآن.

قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله: شبَّهه – أي: المنافق– بالريحانة حين لم ينتفع ببركة القرآن، ولم يفز بحلاوة أجره فلم يجاوز الطيب موضع الصوت وهو الحلق ولا اتصل بالقلب (١).

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إِنَّ أَكْثَرَ مُنَافِقِي أُمَّتِي قُرَّاؤُهَا**»(٢).

منافقو الأمة: المراد بهم في هذا الحديث الذين حفظوا القرآن ولم يعملوا به، والمراد بالنفاق: النفاق العملي.

قال صاحب «فيض القدير»: بسطه بعضهم، فقال: أراد نفاق العمل لا الاعتقاد؛ ولأن المنافق أظهر الإيمان بالله له وأضمر عصمة دمه وماله، والمرائي أظهر بعمله الآخرة وأضمر ثناء الناس وعَرَضَ الدنيا، والقارئ أظهر أنه يريد الله وحده وأضمر حظ نفسه وهو الثواب، ويرى نفسه أهلًا له، وينظر إلى عمله بعين الإجلال، فأشبه المنافق، واستويا في مخالفة الباطن والظاهر(٣).

---

(١) انظر: «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (١٣/ ٦٤٩).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير»، وغيره، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٢١٤)، و«الصحيحة» (٧٥٠).

(٣) «فيض القدير» (٢/ ٨٠، ٨١).

أقوال سلفية في ذم مخالفة القول للعمل:

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: ويل لمن لا يعلم مرة، وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات [١].

وقال زبيد اليامي: أسكتتني كلمة ابن مسعود عشرين سنة وهي: من كان كلامه لا يوافق فعله، فإنما يوبخ نفسه [٢].

وقال الشعبي: يطلع يوم القيامة قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار، فيقولون لهم: ما أدخلكم النار، وإنما أدخلنا الله الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم؟ فيقولون: إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله، وننهى عن الشر ونفعله[٣].

وقال حاتم الأصم رحمه الله: ليس في القيامة أشد حسرة من رجلٍ علَّم الناسَ علمًا فعملوا به ولم يعمل هو به، ففازوا بسببه وهلك هو.

وقال مالك بن دينار: إن العالِمَ إذا لم يعمل بعلمه زلَّت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا.

وأنشدوا:

يا واعظ الناس قد أصبحت متهمًا   إذا عبت منهم أمورًا أنت تأتيها

---

(١) «إحياء علوم الدين» (١/ ٩٥).

(٢) «أقوال مأثورة» لمحمد لطفي الصباغ (ص:١٠).

(٣) «إحياء علوم الدين» (١/ ٩٥).

أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهدًا فالموبقات لعمري أنت جانيها
تعيب دنيا وناسًا راغبين لها وأنت أكثر منهم رغبة فيها

وقال آخر:

لا تنه عن خلق وتأتيَ مثله عار عليك إذا فعلت عظيم(١)

وقال هلال بن العلاء: طلب العلم شديد، وحفظه أشد من طلبه، والعمل به أشد من حفظه، والسلامة منه أشد من العمل به (٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه جاءه رجل فقال: يا بن عباس إني أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، فقال: أبلغت ذلك؟ قال: أرجو، قال: إن لم تخش أن تفتضح بثلاث آيات من كتاب الله فافعل، قال: ما هن؟ قال: قوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤] أحكمت هذه؟ قال: لا، قال: فالحرف الثاني، قال: قوله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢] أحكمت هذه؟ قال: لا، قال: فالحرف الثالث: قال: قول العبد الصالح شعيب عليه السلام: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾ [هود: ٨٨] أحكمت

(١) «إحياء علوم الدين» (١/ ٩٥).

(٢) «الجزاء من جنس العمل» (٢/ ٢٤٣).

هذه الآية؟ قال: لا، قال: فابدأ بنفسك(١).

وعن عيسى ابن مريم عليه السلام: ماذا يغني عن الأعمى حمل السراج ويستضيء به غيره، وماذا يغني عن البيت المظلم أن يكون السراج على ظهره، وماذا يغني عنكم أن تتكلموا بالحكمة ما تعملون بها (٢).

وعن **الأوزاعي قال**: من عمل بما يعلم وُفِّقَ لما لا يعلم (٣).

وعن **أبي الدرداء** رضي الله عنه **قال**: إن العبد يوم القيامة لمسؤول: ما عملت بما علمت(٤).

قال الشيخ علي محفوظ رحمه الله في «**صفات الداعية**»: «ومما ينبغي أن يتصف به الداعي العمل بعلمه، فلا يكذب فعله قوله، ولا يخالف ظاهره باطنه، فلا يأمر بشيء إلا ويكون أول عامل به، ولا ينهى عن شيء إلا ويكون أول تارك له، ليفيد وعظه وإرشاده، فأما إن كان يأمر بالخير ولا يفعله، وينهى عن الشر وهو واقع فيه، فهو بحاله هذه عقبة في سبيل الإصلاح، وهيهات أن ينتفع به، فإنه فاقد الرشد في نفسه، فكيف يرشد غيره ... وعلى الجملة فحق الواعظ أن يتعظ ثم يعظ ويُبْصر ثم يُبَصِّر

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ١٣٢).

(٢) «تنبيه الغافلين» (ص:٢٨٧).

(٣) السابق.

(٤) «اقتضاء العلم والعمل» (ص:٣٦).

ويهتدي ثم يهدي، ولا يكون دفترًا يفيد ولا يستفيد، ومِسَنًّا يستحد ولا يقطع، وسراجًا يضيء للناس ويحرق نفسه»(١).

وقال **ابن المقفع** رحمه الله: «من علامات اللئيم المخادع أن يكون حسن القول، سيئ الفعل، بعيد الغضب، قريب الحسد» ... (٢).

قالوا أشعارًا في ذم مخالفة القول للعمل:

صدق من قال: «إن من الشعر لحكمة»، والشعراء الحكماء هم الذين يستخدمون شعرهم لصالح الدنيا والدين، ومن ثَمَّ جنح بعض الشعراء إلى نظم شعر يتحدثون فيه عن خطورة مسألة القول بغير عمل... فتعال معي لنقرأ معًا شعرهم:

يقول أحدهم:

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضَّنى ... كيما يصح به وأنت سقيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غَيِّها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ما وعظت ويُقتدى ... بالعلم منك وينفع التعليم(٣)

---

(١) «هداية المسترشدين» (ص: ٩٠- ٩٥ بتصرف).

(٢) «الأدب الصغير» لابن المقفع (ص: ٤٨).

(٣) ينسب هذا الشعر إلى أبي الأسود الدؤلي – «أدب الدنيا والدين» (٣٩، ٤٠).

وقال آخر:

ما أقبح التزهيد من واعظ　　يزهد الناس ولا يزهد
لو كان من تزهيده صادقًا　　أضحى و أمسى بيته المسجد
إن رفض الدنيا فما باله　　يستمنح الناس ويسترفد
والرزق مقسوم على من ترى　　يناله الأبيض والأسود (١)

وقال آخر:

إذا العلم لم تعمل به كان حجة　　عليك ولم تعذر بما أنت حامل
فإذا كنت قد أبصرت هذا فإنما　　يصدق قول المرء ما هو فاعل(٢)

وقال آخر:

يا واعظ الناس قد أصبحت متهمًا　　إذا عبت منهم أمورًا أنت تأتيها
أصبحت تنصحهم بالوعظ　　فالموبقات لعمري أنت جانيها
تعيب دنيا وناسًا راغبين لها　　وأنت أكثر منهم رغبة فيها (٣)

أضرار ومثالب مخالفة القول للعمل:

١- فتنة الناس وإغراؤهم بالمعاصي:

إن من أخطر آثار مخالفة القول للعمل أن الناس سيفتنون بمن

---

(١) «تفسير القرطبي» (١/ ٣٦٧).

(٢) «اقتضاء العلم والعمل» (ص:٥٥).

(٣) «إحياء علوم الدين» (١/ ٩٥).

يأمرهم وينهاهم ثم يخالف فعله قوله.

قال الشيخ عبد العزيز السلمان: «... الواعظ الفاعل للمحرمات المحذر عنها يكون سببًا للمعصية؛ لأن الناس يقولون: لولا أن هذا الواعظ مطلع على أنه لا أصل لهذه التخويفات لما أقدم على المناهي والمنكرات، فيكون داعيًا إلى التهاون بالدين والجرأة على المعاصي، وهذا منافٍ للغرض من الواعظ، فلا يليق بالعقلاء...»[١].

وقال: إن من تناول شيئًا فأكله وقال للناس: لا تتناولوه فإنه سم مُهْلك، سخر الناس منه، واستهزؤوا به، واتهموه في دينه و عمله وورعه وكأنه بزجره ونهيه حرضهم عليه، فيقولون: لولا أنه لذيذ ما كان يستأثر به، كذلك الداعي إذا خالف فعله قوله...[٢].

٢- تشتيت الصف الإسلامي وتمزيقه:

وإلى هذا أشار الله ﷻ في مطلع سورة الصف، فعند بيان المناسبة بين قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢، ٣] وبين قوله تعالى بعد ذلك: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴾ [الصف: ٤] تظهر فائدة عظيمة فكأن الله ﷻ يشير إلى خطورة

---

(١) «موارد الظمآن» (٢/ ١٤).

(٢) السابق (٢/ ١٠).

مخالفة القول للعمل على وحدة الصف الإسلامي، فلا يتفتت ولا يتشتت إلا إذا كانت الأمة تخالف أقوالها أفعالها، ولقد بات هذا الأمر واضحًا جليًّا على كافة المستويات والأصعدة في واقع الأمة الإسلامية ـ الآن ـ الصَّفُّ مشتتٌ ممزقٌ؛ لأن الشعارات الجوفاء أصبحت شعارها في أكثر أحوالها ... كيف يجتمع الصف والله غاضب أشد الغضب من مخالفة القول للفعل من الشعارات الجوفاء.

فكم من دولة – الآن – ترفع شعارها بأنها دولة إسلامية (هذا قول) وفعلها يكذبه، فهي تحكم غير شرع الله.. وتوالي أعداء الله وتقر المنكر والفاحشة في رعاياها.

ترفع شعار الشورى (أو الديمقراطية كما يقولون) وحرية الرأي وفعلها الاستبدادي يبدد شعارها ويفضحه.

قال ابن القيم رحمه الله في «نونيته»:

أتحب أعداء الحبيب وتدعي ... حبًّا ما ذاك في الإمكان
وكذا تعادي جاهدًا أحبابه ... أين المحبة يا أخا الشيطان
ليس العبادة غير توحيد المحبة ... مع خضوع القلب والأركان(١)

٣- **سقوط هيبة الأمة:**

فإذا شاع بين الناس مخالفة القول للعمل كان مَنْ تخالف أقواله

---

(١) «القصيدة النونية» (ص:١٩١).

أفعاله محل احتقار وازدراء، وتسقط هيبته، فإذا شَكَّل هذا الأمر ظاهرة جماعية، ترتب على ذلك سقوط هيبة الأمة التي تقول ولا تفعل، وتجعجع ولا يُرى لها طِحْنٌ، الشجب والندب، والافتخار بالماضي والعيش في أحلامه، والغفلة عن الواقع الأليم الذي أصبحنا فيه في ذيل القافلة.. هذا هو حال أكثر المتصدرين في الأمة الإسلامية.

٤- إفساد الجيل المعاصر:

من أخطر آثار مخالفة القول للعمل إفساد الجيل المعاصر الذي يتربى على معلمين تخالف أفعالهم أقوالهم...

ومن بعض سلوكيات المعلمين:

- أن يحذر المعلم تلاميذه من التدخين، ثم يدخن، ويعتذر بأنه بلاء...

- أن يدعو طلابه للتبرع للعمل الخيري ولا يبادر هو للتبرع...

- وقد ينهى المعلم تلاميذه عن الضحك بصوت عالٍ؛ لأن هذا يسقط من هيبة الإنسان، ثم بعد ذلك يراه الطلاب يضحك ويضحك حتى يستلقي، ويمزح مزحًا ثقيلًا، وقد يعطيهم درسًا عن المحافظة على الصلاة، ويأتي وقت صلاة الظهر فيتخلف عن الجماعة، وقد ينهاهم عن السباب والشتم ثم يسبهم، ويزعم أنه معلم (أي لا حرج عليه).

ومن المعلمات اللاتي يدرسن التربية الإسلامية من تعطي الدرس عن حرمة الزينة والتبرج وهي مُظْهِرة للزينة متبرجة.

وبعض معلمي ومعلمات التربية الإسلامية ينهون تلاميذهم عن التأخير ويأمرونهم بضرورة الالتزام بالوقت... ثم لا يبالون أن يتأخروا أو يغيبوا بدون استئذان، وهذان من أفحش ما يكون في مخالفة القول للعمل، وتدريسهم لا فائدة منه، فلابد أن يعلم كل معلم ومعلمة ـ خصوصًا مَنْ يقومون بتعليم الدراسات الدينية ـ أن أفعالهم محسوبة عليهم وبدقة أمام تلاميذهم فليتقوا الله ربهم (١).

بعض الآثار الإيجابية لموافقة القول للعمل في الدعوة والتربية:

كما أن لمخالفة القول للعمل أثرًا سلبيًّا خطيرًا، فإن عكسه وهو الموافقة له أثر إيجابي عظيم في الدعوة والتربية، وبالنظر إلى بعض مواقف نجتزئها من حياة النبي ﷺ، نلمح هذا الأثر الإيجابي لموافقة القول للعمل في الدعوة والتربية.

١ - جاء في قصة صلح الحديبية عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه قال: «فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الكِتَابِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «**قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا**» ، قَالَ: فَوَاللهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ

(١) «لم تقولون ما لا تفعلون» (٩٠-٩٥) مع حذف يسير.

النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ، اخْرُجْ ثُمَّ لاَ تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً، حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا، فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا» أي: من سرعتهم وتزاحمهم وهم ينفذون أمر النبي ﷺ(١).

قال ابن حجر رحمه الله **معقبًا على هذا الحديث**(٢): فيه فضل المشورة وأن الفعل إذا انضم إلى القول كان أبلغ من القول المجرد(٣).

وقال الشيخ الدكتور محمد السيد الوكيل وهو يتأمل هذا الموقف في السيرة النبوية: فيه أهمية القدوة العملية فقد دعا رسول الله ﷺ إلى أمر وكرره ثلاث مرات وفيهم كبار الصحابة وشيوخهم ومع ذلك لم يستجب أحد لدعوته فلما قدم على الخطوة العملية التي أشارت بها أم سلمة

---

(١) رواه البخاري (٢٧٣١).

(٢) «فتح الباري» (٥/ ٦٩٩).

(٣) لم يكن تأخر الصحابة عن تنفيذ أمر النبي ﷺ في أول الأمر عصيانًا أو تمردًا، كلا كلا، بل كما قال ابن حجر رحمه الله: يحتمل أنهم تأخروا لاحتمال نزول الوحي بشيء، وقيل: إنه يحتمل تأخرهم لغفلتهم واستغراقهم في التفكير في الموقف، وإلا فأصحاب النبي ﷺ معروفون بطاعتهم، وسرعة استجابتهم له ﷺ. «فتح الباري» (٥/ ٦٩٨، ٦٩٩).

تحقق المراد، فالقدوة في مثل هذا الموقف أجدى وأنفع [(١)].

٢- **وفي بناء المسجد:** من الحقائق الثابتة أن النبي ﷺ شارك أصحابه العمل والبناء، فكان يحمل الحجارة، وينقل اللَّبِنَ على صدره وكتفيه، ويحفر الأرض بيديه كأي واحد منهم، فكان مثال الحاكم العادل الذي لا يفرق بين رئيس ومرؤوس، أو بين قائد ومقود، أو سيد ومسود، أو بين غني وفقير، فالكل سواسية أمام الله؛ فقد كانت مشاركة النبي ﷺ في عملية البناء ككل العمال الذين شاركوا فيه، وليس بقطع الشريط الحريري فقط، وليس بالضربة الأولى بالفأس فقط، بل خاص بعملية البناء كاملة، فقد دهش المسلمون من النبي ﷺ، وقد علته غبرة، فتقدم أسيد بن الحضير رضي الله عنه ليحمل عن رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أعطنيه، فقال: «**اذهب فاحتمل غيره، فإنك لست بأفقر إلى الله مني**»، فقد سمع المسلمون ما يقول النبي ﷺ لصاحبه، فازدادوا نشاطًا واندفاعًا في العمل، إنه مشهد فريد، ولا مثيل له في دنيا الناس،... وقد تفاعل الصحابة الكرام تفاعلًا عظيمًا في البناء، وأنشدوا هذا البيت:

لئن قعدنا والرسول يعمل لذاك منا العمل المضلل

---

(١) «تأملات في سيرة الرسول»، وانظر: «السيرة النبوية» (ص:٢١١) د. **محمد** علي الصلابي (٢/ ٤٦٥).

إن هذه التربية العملية لا تتم من خلال الموعظة، ولا من خلال الكلام المنمق، إنما تتم من خلال العمل الحي الدؤوب، والقدوة المصطفاة من رب العالمين، وكأنما غدا هذا الجمع من الصحابة الكرام صوتًا واحدًا أو قلبًا واحدًا فمضى يهتف:

اللهم إن العيش عيش الآخره فارحم الأنصار والمهاجره

ويهتف أيضًا:

لئن قعدنا والرسول يعمل لذاك منا العمل المضلل

وهتاف ثالث:

هذي الحمال لا حمال خيبر هذا أبر لربنا وأطهر

وبالجملة؛ فقد كانت كل حياة النبي ﷺ مواقف، الأعمال فيها تزكي الأقوال وتوافقها، ما كان يأمرهم بالشيء إلا ويفعله، ولا ينهاهم عنه إلا وهو أول مُنْتَهٍ عنه ﷺ.

لذلك تربى حوله جيل على السمع والطاعة لأبعد حد يتصور، تأمل هذا الموقف لتتحقق من واقعية تأثير النبي ﷺ وهو يربي أصحابه بالقدوة الحسنة التي من أهم مظاهرها موافقة القول للعمل: «بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَرِيَّةً، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: فَلَمَّا خَرَجُوا، قَالَ: وَجَدَ عَلَيْهِمْ فِي شَيْءٍ، قَالَ: فَقَالَ لَهُمْ: أَلَيْسَ قَدْ أَمَرَكُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ تُطِيعُونِي؟ قَالَ: قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَقَالَ: اجْمَعُوا حَطَبًا،

ثُمَّ دَعَا بِنَارٍ فَأَضْرَمَهَا فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ لَتَدْخُلُنَّهَا، قَالَ: فَهَمَّ الْقَوْمُ أَنْ يَدْخُلُوهَا، قَالَ: فَقَالَ لَهُمْ شَابٌّ مِنْهُمْ: إِنَّمَا فَرَرْتُمْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ النَّارِ، فَلا تَعْجَلُوا حَتَّى تَلْقَوا النَّبِيَّ ﷺ، فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَدْخُلُوهَا فَادْخُلُوهَا...».



الشعر المحرم

الشعر المحرم

وهو المشتمل على هَجْوِ مسلمٍ، أو مدحِ من لا يستحق المدح، أو المدح بالباطل والكذب والفحش، أو ذِكْر محاسن النساء الأجنبيات بالشعر.

تعريف الشعر:

الشعر: هو في الأصل اسم لما دَقَّ، ومنه: «ليت شعري»، ثم استعمل في الكلام المقفى الموزون قصدًا.

ويقال: أصله (الشَّعَر) بفتحتين يقال: شعرت: أصبت الشعر وشعرت بكذا؛ علمت علمًا دقيقًا كإصابة الشعر [١].

وعرفه **أحمد حسن الزيات بقوله**: هو الكلام الموزون المقفى المعبر عن الأخيلة البديعة والصور المؤثرة البليغة، وقد يكون نثرًا أو نظمًا.

وقال **ابن خلدون**: الشعر: هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده الجاري على أساليب العرب

---

(١) «فتح الباري» (١٠/ ٦٢٨).

المخصوصة به(١).

والهجاء: هو الشتم والذم بالشعر.

قال في «القاموس»: هجاه هجوًا وهجاءً شتمه بالشعر.

الآيات التي وردت في ذم الشعر المحرم وتعليق العلماء عليها:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٦].

أقوال المفسرين في الآية:

١ - **قال الحافظ ابن كثير** رحمه الله: وقوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ قال غير واحد: الكفار يتبعهم ضلال الإنس والجن، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ في كل لغو يخوضون.

قال الحسن البصري: قد والله رأينا أوديتهم التي يخوضون فيها، مرة في شتيمة فلان، ومرة في مديحة فلان.

وقال قتادة: الشاعر يمدح قومًا بباطل ويذم قومًا بباطل.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ عن ابن عباس: أكثر قولهم يكذبون فيه، وهذا الذي قاله ابن عباس هو الواقع في نفس الأمر،

(١) نقلًا عن «روائع من أشعار الصحابة» لفريد الدين مسعود (ص:٥).

فإن الشعراء يتبجحون بأقوال وأفعال لم تصدر منهم ولا عنهم، فيتكثرون بما ليس لهم؛ ولهذا جاء في الحديث: «**لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا يَرِيهِ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا**»(١).

٢- **وقال الفخر الرازي** رحمه الله: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ إلخ: وذلك لأنهم قد يمدحون الشيء بعد أن ذموه وبالعكس، وقد يعظمونه بعد أن حقروه وبالعكس، وهذا يدل على أنهم لا يطلبون بشعرهم الحق ولا الصدق، بخلاف أمر محمد ﷺ، فإنه من أول أمره إلى آخره بقي على طريق واحد، وهو الدعوة إلى الله تعالى والترغيب في الآخرة والإعراض عن الدنيا، ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ وذلك أيضًا من علامات الغواة، فإنهم يرغبون في الجود ويرغبون عنه، وينفرون عن البخل ويصرون عليه، ويقدحون في الناس بأدنى شيء صدر عنهم... ثم إنهم لا يرتكبون إلا الفواحش، وذلك يدل على الغواية والضلالة (٢) (٣).

٣- **وقال السعدي** رحمه الله: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ﴾: أي: هل أنبئكم أيضًا عن

(١) رواه مسلم (٢٢٥٧).

(٢) انظر: «مفاتيح الغيب» (٢٤/ ١٧٦) مع حذف يسير.

(٣) هذا الكلام السابق ذكره محمول على ضلال الشعراء، وأما من ذكر شعرًا صادقًا، ولم يتفحش في قوله فهو خير، وقد جاء عن أمنا عائشة رضي الله عنها: قالت: الشعر حَسَنُه حسن، وقبِيحُهُ قبيح.

حالة الشعراء ووصفهم الثابت فإنهم ﴿يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ عن طريق الهدى، المقبلون على طريق الغي والردى فهم في أنفسهم غاوون وتجد أتباعهم كل ضال غاوٍ فاسد.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: غوايتهم وشدة ضلالهم ﴿أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ﴾ من أودية الشعر ﴿يَهِيمُونَ﴾ فتارة في مدح وتارة في قدح وتارة في كذب، وتارة يتغزلون وأخرى يسخرون ومرة يمرحون وآونة يحزنون فلا يستقر لهم قرار ولا يثبتون على حال من الأحوال.

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ أي: هذا وصف الشعراء أنهم تخالف أقوالهم أفعالهم فإذا سمعت الشاعر يتغزل بالغزل الرقيق، قلت: هذا أشد الناس غرامًا وقلبه فارغ من ذاك وإذا سمعته يمدح أو يذم قلت: هذا صدق وهو كذب وتارة يتمدح بأفعال لم يفعلها وتُروكٍ لم يتركها وكرم لم يَحُمْ حول ساحته، وشجاعة يعلو بها على الفرسان وتراه أجبن من كل جبان. هذا وصفهم، فانظر هل يطابق حالة الرسول محمد ﷺ الراشد البار الذي يتبعه كل راشد ومهتد. الذي قد استقام على الهدى وجانب الردى ولم تتناقض أفعاله ولم تخالف أقواله أفعاله؟ الذي لا يأمر إلا بالخير ولا ينهى إلا عن الشر ولا أخبر بشيء إلا صدق ولا أمر بشيء إلا كان أول الفاعلين له ولا نهى عن شيء إلا كان أول التاركين له.

فهل تناسب حاله حالة الشعراء أو يقاربهم؟ أم هو مخالف لهم من

جميع الوجوه، فصلوات الله وسلامه على هذا الرسول الأكمل والهمام الأفضل أبد الآبدين ودهر الداهرين الذي ليس بشاعر ولا ساحر ولا مجنون ولا يليق به إلا كل كمال [(١)].

٤- **وقال في «ظلال القرآن» عند تفسير الآية**: الشعراء أسرى الانفعالات والعواطف المتقلبة، تتحكم فيهم مشاعرهم، وتقودهم إلى التعبير عنها، كيفما كانت ويرون الأمر الواحد في لحظة أسود وفي لحظة أبيض، يرضون فيقولون قولًا، ويسخطون فيقولون قولا آخر.. ثم هم أصحاب أمزجة لا تثبت على حال، هذا إلى أنهم يخلقون عوالم من الوهم يعيشون فيها، ويتخيلون أفعالًا ونتائج، ثم يخالفونها حقيقة واقعة، يتأثرون بها فيقل اهتمامهم بواقع الأشياء؛ لأنهم يخلقون في خيالهم واقعًا آخر يعيشون عليه..

ويتبعهم الغاوون الهائمون مع الهوى الذي لا منهج له ولا هدف، وهم يهيمون في كل واد من وديان الشعور والتصور والقول..

وهم يقولون ما لا يفعلون؛ لأنهم يعيشون في عوالم من صنع خيالهم ومشاعرهم يؤثرونها على واقع الحياة الذي لا يعجبهم، ومن ثَمَّ يقولون أشياء كثيرة ولا يفعلونها؛ لأنهم عاشوها في تلك العوالم الموهومة، وليس

---

(١) «تفسير **السعدي**» (٢/ ٢٤١).

لها واقع ولا حقيقة في دنيا الناس المنظورة...(١).

وهكذا أخي المسلم، قد اتفقت كلمة علمائنا المفسرين على ذم الشعراء الذين هم في كل لغو يخوضون، وأنهم يكذبون في أكثر أقوالهم ولا يصدقون..

فمن كانت هذه أوصافه فهو خليق بالذم والقدح... من الله تعالى وكذلك من رسوله ﷺ.

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٩] أي: وما علّم الله رسوله الشعر وليس له أن يكون شاعرًا؛ لأن الشاعر يهيم في أودية الباطل ويبالغ ويذهب وراء الخيال، وقد يكذب، أما الرسول ﷺ فهو نبي معصوم صادق مصدق...(٢).

وقال **الجصاص** رحمه الله: عن مجاهد: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤] قال: الشاعران يتهاجيان، فيكون لهذا أتباع ولهذا أتباع من الغواة، فذم الله الشعراء الذين صفتهم ما ذكر، وهم الذين في كل واد يهيمون، ويقولون ما لا يفعلون، وشبّهه بالهائم على وجهه في كل واد يعن له، لما يغلب عليه من الهوى، غير مفكر في صحة ما يقول ولا

(١) «في ظلال القرآن» (٥/ ٢٦٢١).

(٢) «التفسير الميسر» (ص:٥١٦).

فساده، ولا في عاقبة أمره، وقال ابن عباس وقتادة: ﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٥] في كل لغوة يخوضون، يمدحون ويذمون، يعنون الأباطيل (١).

الأحاديث التي وردت في ذم الشعر المحرم وتعليق العلماء عليها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ الرَّجُلِ قَيْحًا يَرِيهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا**»(٢).

ولمسلم من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا يَرِيهِ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا**»(٣).

وله أيضًا من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: قال: بَيْنَا نَحْنُ نَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْعَرْجِ إِذْ عَرَضَ شَاعِرٌ يُنْشِدُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خُذُوا الشَّيْطَانَ، أَوْ أَمْسِكُوا الشَّيْطَانَ لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ رَجُلٍ قَيْحًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا**»(٤)، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ فِرْيَةً لَرَجُلٌ هَاجَى رَجُلًا، فَهَجَا الْقَبِيلَةَ بِأَسْرِهَا...**»(٥)

---

(١) «أحكام القرآن» (٥/ ٢١٥).

(٢) رواه البخاري (٦١٥٥)، ومسلم (٢٢٥٧) واللفظ لمسلم.

(٣) رواه مسلم (٢٢٥٨).

(٤) مسلم (٢٢٥٩).

(٥) رواه ابن ماجه (٣٧٦١) وغيره، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه».

الحديث.

قال أهل اللغة والغريب: يريه بفتح الياء وكسر الراء من الوَرْي، وهو داء يفسد الجوف، ومعناه قيح يأكل جوفه ويفسده.

قال أبو عبيد: قال بعضهم: المراد بهذا الشعر شعر هجي به النبي ﷺ، قال أبو عبيد والعلماء كافة: هذا تفسير فاسد؛ لأنه يقتضي أن المذموم من الهجاء أن يمتلئ منه دون قليله، وقد أجمع المسلمون على أن الكلمة الواحدة من هجاء النبي ﷺ موجبة للكفر، قالوا: بل الصواب أن المراد أن يكون الشعر غالبًا عليه مستوليًا عليه بحيث يشغله عن القرآن وغيره من العلوم الشرعية هو الغالب عليه، فلا يضر حفظ اليسير من الشعر مع هذا؛ لأن جوفه ليس ممتلئا شعرًا. والله أعلم [١].

وعن عائشة رضي الله عنها **أنها كانت تقول**: الشعر منه حسن ومنه قبيح، خذ بالحسن ودع القبيح...[٢].

وقد عدَّه (أي الشعر المحرم) ابن حجر الهيتمي في كتابه «الزواجر» من الكبائر؛ فقال: الكبيرة السادسة والسابعة والثامنة والتاسعة والخمسون بعد الأربعمائة: الشعر المشتمل على هجو المسلم ولو بصدق، وكذا إن اشتمل على فحش أو كذب فاحش، وإنشاد هذا الهجو

(١) «نووي على شرح مسلم» (٨/ ١٧).

(٢) «شرح صحيح الأدب المفرد» (٢/ ٨٦٦).

وإذاعته.

• الفاروق رضي الله عنه يذم الشعر:

وسببُ ذمِّه له إخبار النبي ﷺ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يحب الباطل: أي من اتخذ التمدح حرفة واكتسابًا فيحمله الطمع في الممدوحين على أن يهيم في الأودية، ويشين بفريته المحافل والأندية، فيمدح من لا يستحقه، ويضع من شأن من لا يستوجبه، إذا حرمه نائله فيكون رافعًا لمن وضعه الله عز وجل لطمعه، أو واضعًا لمن رفعه الله عز وجل لغضبه، فهذا الاكتساب والاحتراف باطل؛ فلهذا قال النبي ﷺ: **«إنه لا يحب الباطل»**(١).

• حكايات لعمر رضي الله عنه مع الشعراء:

ذكر صاحب «الفروع» في – باب التعزير – عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما قال الْحُطَيْئَةُ في الزِّبْرِقَانِ بن بدرٍ:

دَع الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا ... وَاقْعُدْ فَإِنَّك أَنْتَ الطَّاعِمُ الكاسي

وسأل عمر رضي الله عنه حسان رضي الله عنه فقال: إنه هجاء له، فأمر به فَرُمي في بئر ثم ألقي عليه شيء، فقال الحطيئة:

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاخِ بِذِي مَرَخٍ ... زُغْبِ الْحَوَاصِلِ لَا مَاءٌ وَلَا شَجَرُ

أَلْقَيْت كَاسِبَهُمْ فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ ... فَاغْفِرْ عَلَيْك سَلَامُ اللهِ يَا عُمَرُ

(١) «التهذيب الموضوعي لحلية الأولياء» (ص:٤٣٨).

أَنْتَ الْإِمَامُ الَّذِي مِنْ بَعْدِ صَاحِبِهِ أَلْقَتْ إِلَيْك مَقَالِيدَ النُّهَى الْبَشَرُ
لَمْ يُؤْثِرُوك بِهَا إِذْ قَدَّمُوك لَهَا لَكِنْ بِكَ اسْتَأْثَرُوا إِذْ كَانَتْ الْأُثَرُ
فَامْنُنْ عَلَى صِبْيَةٍ بالرَّمْلِ مَسْكَنُهُمْ بَيْنَ الْأَبَاطِحِ يَغْشَاهُمْ بِهَا الْغُدُرُ
أَهْلِي فِدَاؤُك كَمْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ مِنْ عَرضٍ دَاوِيَةٍ يَعْمَى بِهَا الْخَبَرُ

حينئذ كَلَّمه فيه عبد الرحمن بن عوف وعمرو بن العاص رضي الله عنهما واسترضياه، حتى أخرجه من السجن، ثم دعاه فهدده بقطع لسانه، إن عاد يهجو أحدًا(١).

والحطيئة هذا كان هجَّاءً وكان عاقًّا لأبيه وأمه، وكان كثير الهجاء، حتى إنه هجا أباه وأمه، وخاله وعمه، ونفسه وعروسه، **فمما قال في أمه قوله:**

جَزاكِ اللهُ شرًّا من عجوزٍ ولَقَّاكِ العُقوقَ من البَنينَا
تنحَّيْ فاقعُدِي عنِّي بعيدًا أراحَ اللهُ منكِ العالمينَا
أغِربالًا إذا استُودِعتِ سرًّا وكانُونًا علَى المتحدِّثينا

وقال في أبيه، وعمه، وخاله:

لَحَاكَ(٢) اللَهُ ثُمَّ لَحَاكَ حَقًّا أَبا ولَحَاكَ من عَمٍّ وخَالِ
فَنِعْمَ الشَيْخُ أَنْتَ لدى المَخازي وَبِئْسَ الشَّيْخُ أَنْتَ لَدَى المَعَالِي

---

(١) «غذاء الألباب» للسفاريني (١/ ١٥٥).

(٢) قبحك ولعنك.

جَمَعْتَ اللؤمَ لا حَياكَ رَبي ... بأنواعِ السفَاهَةِ والضَّلالِ

ومما قال في عروسه:

أُطَوِّفُ مَا أُطَوِّفُ ثُم آتِي ... إِلَى بَيْتٍ قَعِيدتُهُ لَكَاعِ

فلما كان عاقًّا لوالديه سلطه الله على نفسه فهجاها وهذه والله أقذع من عقوق ولده له (١).

حتى إنه يروى أنه هَمَّ بهجاء فلم يجد من يستحقه، فسلطه الله على نفسه فهجاها:

أَبَتْ شَفَتَايَ اليَوْمَ إلاّ تكَلما ... بِشعرٍ فَمَا أدْرِي لِمَنْ أَنا قَائِلُهْ

أَرى لِيَ وَجْها شَوَّهَ اللهُ خَلْقَهُ ... فَقُبِّحَ من وَجْهٍ وَقُبِّحَ حَامِلُهْ

ويقال: إن عمر أراد أن يقطع لسانه فشفعوا فيه حتى أطلقه (٢).

- **حكاية أخرى:**

وهذا النعمان بن عدي وكان قد استعمله عمر رضي الله عنه (جعله واليًا) في خلافته على ميسان من أرض البصرة فقال أبياتًا منها:

أَلَا هَلْ أَتَى الْحَسْنَاءَ أَنَّ حَلِيلَهَا ... بِمَيْسَانَ يُسْقَى فِي زُجَاجٍ وَحَنْتَمِ

إذَا شِئْت غَنَّتْنِي دَهَاقِينُ قَرْيَةٍ ... وَرَقَّاصَةٍ تَحْذُو عَلَى كُلِّ مَيْسِمِ

فَإِنْ كُنْت نَدْمَانِي فَبِالْأَكْبَرِ اسْقِنِي ... وَلَا تَسْقِنِي بِالْأَصْغَرِ الْمُتَثَلِّمِ

(١) «الجزاء من جنس العمل» (٢/ ١٩٤، ١٩٥).

(٢) السابق (ص:١٩٥).

لَعَلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسُوؤُهُ تَنَادُمُنَا فِي الْجَوْسَقِ الْمُتَهَدِّمِ

فلما بلغت أبياته عمر رضي الله عنه قال: نعم والله إن ذلك ليسوؤني، فمن لقيه فليخبره أني قد عزلته وعزله، فلما قَدِمَ اعتذر إليه، وقال: والله يا أمير المؤمنين ما صنعت شيئًا، فما بلغك أني قلته قط، ولكني كنت امرأً شاعرًا وجدت فضلًا من قول، فقلت كما يقول الشعراء، فقال عمر رضي الله عنه: وايم الله لا تعمل لي على عمل ما بقيت، وقد قلت ما قلت(١).

- **حكاية أخرى:**

ذكر الحافظ ابن الجوزي في كتابه «تلقيح فهوم أهل الأثر» عن محمد بن عثمان السلمي عن أبيه عن جده قال: بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف ذات ليلة في سكك المدينة؛ إذ سمع امرأة تقول:

هَلْ من سَبِيلِ إلى خَمرٍ فأشرَبها أمْ هَلْ سَبيلٌ إلى نَصرِ بنِ حجّاجِ
إلى فتىً مَاجِدِ الأعرَاقِ مُقتَبلِ سَهلِ المُحَيّا، كرِيمٍ، غَيرِ مِلجاجِ
تنميهِ أعراقُ صدقٍ حينَ تنسبُهُ أخِي وفاءٍ عنِ المكروبِ فرّاجِ

فقال عمر رضي الله عنه: لا أرى معي بالمدينة رجلًا تهتف به الهواتف في خدورهن، عليّ بـ (نصر بن حجاج) فلما جيء به، فإذا هو من أحسن الناس وجهًا وأحسنهم شَعْرًا، فقال عمر رضي الله عنه: عزيمة من أمير المؤمنين لتأخذن من شعرك، فأخذ من شعره فخرج وله وجنتان كأنهما شقتا قمر

(١) «غذاء الألباب» (١/ ١٥٧).

فقال: اعتم فاعتم فافتتن الناس بعينيه، فقال عمر: والله لا تساكنني في بلدة أنا فيها قال: يا أمير المؤمنين، ما ذنبي؟ قال: هو ما أقول لك ثم سيّره إلى البصرة وخشيت المرأة وهي الفارعة أم الحجاج بن يوسف الثقفي أن يبدر من عمر إليها فدست المرأة إليه أبياتًا هي:

قُلْ للإمامِ الذي تُخشَى بَوَادِرُهُ ما لي وَللخَمرِ أوْ نصرِ بنِ حجّاجِ
لَا تَجْعَلِ الظَّنَّ حَقًّا لا تُبَيِّنَهُ إِنَّ السَّبِيلَ سَبِيلُ الخَائِفِ الرَّاجِي
إنّ الهَوَى زمَّةُ التَّقْوَى، فَقَيَّدَهُ حَتى أقَرّ بإلجَامِ وَإسرَاجِ

قال: فبكى عمر رضي الله عنه وقال: الحمد لله الذي قيد الهوى بالتقوى، قال: وطال مكث نصر بن حجاج بالبصرة، فخرجت أمه يومًا بين الأذان والإقامة متعرضة لعمر، فإذا عمر قد خرج في إزار ورداء، وبيده الدِّرَّة، فقالت: والله يا أمير المؤمنين لأقفن أنا وأنت بين يدي الله عز وجل، وليحاسبنك أيبيتن عبد الله وعاصم إلى جنبك وبيني وبين ابني الفيافي والأودية؟ فقال لها: إن ابناي لم تهتف بهما الهواتف في خدورهن، ثم أرسل عمر رضي الله عنه بريدًا إلى البصرة وعامله فيها عتبة بن غزوان، فأقام أيامًا ثم نادى عتبة: من أراد أن يكتب إلى أمير المؤمنين فليكتب، فإن البريد خارج، فكتب نصر بن حجاج:

بسم الله الرحمن الرحيم، سلام عليك، أما بعد يا أمير المؤمنين:

لعمري لئن سيرتني أو حرمتني وما نلت من عرضي عليك حرام
فأصبحت منفيًّا على غير ريبة وقد كان لي بالمكتين مقام

أإن غنت الذلفاء يومًا بمنية ... وبعض أماني النساء غرام
ظننت بي الظن الذي ليس بعده ... بقاء وما لي جُرْمه فأُلام
فيمنعني مما تقول تكرمي ... وآباء صدق سابقون كرام
ويمنعها مما تقول صلاتها ... وحال لها في قومها وصيام
فهاتان حالانا فهل أنت راجعي ... فقد جَبَّ مني كاهل وسنام

فلما قرأ عمر الكتاب قال: أما ولي السلطان فلا، فأقطعه دارًا بالبصرة ودارًا في سوقها، فلما مات عمر ركب ناقته وتوجه نحو المدينة (١).

أخي المسلم: الآيات والأحاديث التي ذكرت آنفًا إنما ذمت نوعًا معينًا من الشعر، وهو المشتمل على هجو المسلم أو مدحه بالباطل، أو المشتمل على الكذب والفحش، ووصف الخدود والقدود للنساء وغير ذلك.

وهناك نوع آخر من الشعر قام بتأييده الإسلام؛ بل وأقرَّه فالإسلام لم يُحرِّم الشعر مطلقًا، ولم يُبحه مطلقًا.

- **فالشعر المباح:**

ما كان فيه حكم ومواعظ ودفاع عن الحق وغير ذلك من الأخلاق الكريمة، فما هو موقف الإسلام من هذا النوع من الشعر؟

---

(١) «غذاء الألباب» (١/ ١٥٨).

- **موقف الإسلام من هذا النوع من الشعر:**

لا ريب أن الشعر أكبر وسيلة للتعبير عن مشاعر الإنسان وعواطفه، والإسلام لا يضيق على التعبير عما في الضمير بما هو أوقع في النفس وأشد تأثيرًا في القلب، بل يتسع صدره لكل شكل من أشكال البيان، وحكم القبول والرفض إنما يكون باعتبار مضامينه؛ ولذا نجد من النصوص القرآنية والحديثية قد يفهم منها ظاهرًا أن الإسلام يضيق على الشعر ويقلل من شأنه، ويهدر قيمته مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤] إلخ فهو في الحقيقة يفرق بين نوعين من الشعر، فنوع منه مذموم يشير إليه بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٥] إلخ، ونوع آخر محمود يشير إليه بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، فقد ذكر صاحب «الكشاف» في أسباب نزول هذه الآيات أنها نزلت في الشعراء المشركين، عبد الله بن أبي وهب، ومسافع بن عبد مناف، وأمية بن أبي الصلت، قالوا: نحن نقول مثل قول محمد(١).

ولما نزلت هذه الآية توجه حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم إلى النبي ﷺ وهم يبكون، فقالوا: يا نبي الله

(١) «تفسير الكشاف» (٣/ ٣٤٤).

أنزل الله تعالى هذه الآية، وهو تعالى يعلم أنَّا شعراء؟ فقال: «**اقرؤوا ما بعدها**: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ...﴾ الآية [الشعراء: ٢٢٧]...». انتهى (١).

وأخرج القرطبي في «تفسيره» أنه لما نزلت هذه الآية، قَالَ كَعْبٌ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ اللهَ قَدْ أَنْزَلَ فِي الشِّعْرِ مَا قَدْ عَلِمْتَ فَكَيْفَ تَرَى فِيهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ يُجَاهِدُ بِنَفْسِهِ وَسَيْفِهِ وَلِسَانِهِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لِكَأَنَّ مَا تَرْمُونَهُمْ بِهِ نَضْحُ النَّبْلِ**». وأما قوله: «**لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا يَرِيهِ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا**»، فهو أيضًا ينصرف إلى الشطر المذموم من الشعر.

يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني في توجيه هذا الحديث: وجهه عندي أن يمتلئ قلبه من الشعر حتى يغلب عليه، فيشغله عن القرآن، وعن ذكر الله، فيكون الغالب عليه، فأما إذا كان القرآن والعلم الغالبين عليه، فليس جوفه ممتلئًا من الشعر (٢).

وما أحسن ما قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: «الشعر نوع من الكلام: حسنه كحسن الكلام، وقبيحه كقبيح الكلام».

يعني أن الشعر ليس يذم لذاته، وإنما يذم لمضمونه، والقرآن أو

---

(١) «تفسير القرطبي» (٧/ ١٠٢).

(٢) «فتح الباري» (١٠/ ٥٤٩).

الحديث لو كان ذمه فقد ذم الشطر المذموم منه لا الشطر الممدوح الذي يرتكز على قاعدة الإيمان والأخلاق؛ ولذا نرى النبي ﷺ يسمع الشعر أو ينشده مما كان حكمه مباحًا، ولم يكن فيه فحش أو أذى لمسلم.

أخرج ابن أبي شيبة أن النبي ﷺ أردف الشريد فقال له النبي ﷺ: «**تَرْوِي مِنْ شِعْرِ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ شَيْئًا؟**» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَأَنْشِدْنِي**»، فَأَنْشَدْتُهُ فجعل يَقُولُ بَيْنَ كُلِّ قَافِيَتَيْنِ: «**هِيهْ**»، حَتَّى أَنْشَدْتُهُ مِائَةَ قَافِيَةٍ (١)(٢).

فهذا أمية بن أبي الصلت شاعر كافر، ومع ذلك يستكثر النبي ﷺ من شعره؛ لأنه كان حكيمًا، يتضمن شعره الحِكَم والمعاني المستحسنة، وقد قال عليه الصلاة والسلام فيه: «**وَكَادَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ أَنْ يُسْلِمَ**».

وروى الإمام الترمذي وصححه عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ دَخَلَ مَكَّةَ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ وَابْنُ رَوَاحَةَ يَمْشِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ:

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهْ ... الْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهْ
ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهْ ... وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهْ

فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: يَا بْنَ رَوَاحَةَ، أَبَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَفِي

---

(١) رواه ابن ماجه وغيره (٣٧٥٨)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه».

(٢) «العقد الفريد» (٥/ ٦٦٩).

حَرَمِ اللهِ تَقُولُ الشِّعْرَ؟! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**خَلِّ عَنْهُ فَلَهِي أَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ نَضْحِ النَّبْلِ**»(١).

يقول ابن عبد ربه: ولو لم يكن من فضائل الشعر إلا أنه أعظم الوسائل عند رسول الله ﷺ؛ فمن ذلك أنه قال لعبد الله بن رواحة: «**أخبرني ما الشعر يا عبد الله؟**» قال: شيء يختلج في صدري فينطلق به لساني، قال: «**فأنشدني**» فأنشده شعره الذي يقول فيه:

فثبّت الله ما آتاك من حسن ... قفوت عيسى بإذن الله والقدر

فقال النبي ﷺ: «**وإياك قبلت لله، وإياك قبلت لله**»(٢).

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ على المنبر يقول: «**إِنَّ أَصْدَقَ كَلِمَةٍ قَالَتْهَا الْعَرَبُ قَوْلُ لَبِيدٍ:**

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلٌ»(٣).

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً**»(٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقول: «**إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ**

---

(١) «السنن» للترمذي (٢/ ١٢).

(٢) «العقد الفريد» (٥/ ١٦٩).

(٣) ابن ماجه (٣٧٥٧)، وصححه الألباني.

(٤) ابن ماجه (٣٧٥٥) صحيح.

حِكَمًا»(١).

قال في إهداء الديباجة:

في هذه الأحاديث جواز قول الشعر وسماعه وتمثله، فالشعر كالكلام، حسنه حسن وقبيحه قبيح، والشاعر قد يكون شعره منكرًا يدعو إلى الكفر والمجون، فهذا الشعر باطل لا يجوز حفظه ولا التمثل به، وقد يكون الشاعر مؤمنًا صالحًا يدعو في شعره إلى الفضيلة والإيمان، ويشيد بمكارم الأخلاق، فهذا شعره حسن، يقرؤه الصالحون، ويحفظونه ويستشهدون به في مواعظهم وخطبهم، وهذا الأخير هو ما عناه النبي ﷺ بقوله: «**إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً**»، وقد استمع النبي ﷺ إلى أشعار حسنة، وأثنى عليها، وأشاد بما اشتملت عليه من دعوة إلى الإيمان (٢).

قال صديق حسن خان: والمقصد أن الشعر ليس في نفسه مذمومًا، بل الحُسن والقبح راجعان إلى المفهوم، فالمفهوم إذا كان قبيحًا فالمنثور والمنظوم من القول سواء، ومعنى القبيح أن يكون فيه فحش أو أذى لمسلم أو كذب، والكذب الممنوع في الشعر ما كان مضرًّا بأمر ديني، لا الكذب الذي أتى به لتحسين الشعر فقط، فإنه مأذون فيه، وإن استغرق

---

(١) ابن ماجه (٣٧٥٦) حسن صحيح.

(٢) «إهداء الديباجة شرح سنن ابن ماجه» (٥/ ١٣٥).

الحد وتجاوز المعتاد، ألا ترى قصيدة كعب بن زهير رضي الله عنه، فإنه تغزَّل فيها بسُعاد، وأتى من الإغراقات والاستعارات والتشبيهات بكل بديع، لا سيما تشبيه الرضاب بالشراب في قوله:

تجلو عوارض ذا ظلم إذا ابتسمت كأنها منهل بالراح معلول

والنبي صلى الله عليه وسلم سمعه وما أنكر، بل فازت هذه القصيدة بحسن القبول من جنابه، وجازى قائلها بعطية من جلبابه، ولله در أبي إسحاق الغزي حيث قال:

جحود فضيلة الشعراء غي وتفخيم المديح من الرشاد
محت بانت سعاد ذنوب كعب وأعلت كعبه في كل نادي
وما افتقر النبي إلى قصيد مشببة ببين من سعاد
ولكن من إسداء الأيادي وكان إلى المكارم خير هاد (١)

وهذا نفسه شأن الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين - فقد كانوا كثيرًا ما يتناشدون الأشعار، وليس أحد من كبار الصحابة إلا وقد قال الشعر أو تمثل به.

قال جابر بن سمرة رضي الله عنه: جالست رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة فكان أصحابه رضي الله عنهم يتناشدون الأشعار في المسجد وأشياء من أمر

---

(١) «إهداء الديباجة شرح سنن ابن ماجه» (ص:١٣٨).

الجاهلية فربما تبسم رسول الله ﷺ(١).

نماذج مما أنشده النبي ﷺ والصحابة والتابعون، وتمثلوا به:

• **أولا: النبي ﷺ:**

عَنْ جُنْدُبِ بْنِ سُفْيَانَ الْبَجَلِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دُمِيَتْ إِصْبَعُهُ فِي بَعْضِ الْمَغَازِي أَوِ الْمَشَاهِدِ، فَقَالَ:

«هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيتِ وَفِي سَبِيلِ اللهِ مَا لَقِيتِ»(٢)

وعَنِ البَرَاءِ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَنْقُلُ التُّرَابَ يَوْمَ الخَنْدَقِ، حَتَّى أَغْمَرَ بَطْنَهُ، أَوْ اغبَرَّ بَطْنُهُ، يَقُولُ:

«وَاللهِ لَوْلاَ اللهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا
فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا
إِنَّ الأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا»

وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ: «**أَبَيْنَا أَبَيْنَا**»(٣).

وعَنِ البَرَاءِ رضي الله عنه أيضًا قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الأَحْزَابِ، وَخَنْدَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، رَأَيْتُهُ يَنْقُلُ مِنْ تُرَابِ الخَنْدَقِ، حَتَّى وَارَى عَنِّي الغُبَارُ جِلْدَةَ بَطْنِهِ، وَكَانَ كَثِيرَ الشَّعَرِ، فَسَمِعْتُهُ يَرْتَجِزُ بِكَلِمَاتِ ابْنِ رَوَاحَةَ، وَهُوَ

---

(١) «تاريخ الأدب العربي» للدكتور شوقي ضيف (١/ ١١٤).

(٢) البخاري (١/ ٣٩٣).

(٣) البخاري (٢/ ٥٨٩).

يَنْقُلُ مِنَ التُّرَابِ يَقُولُ:

اللهُمَّ لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلاَ تَصَدَّقْنَا وَلاَ صَلَّيْنَا

فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا

إِنَّ الأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا وَإِنْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا(١)

وعَن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قال: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الخَنْدَقِ، فَإِذَا المُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ يَحْفِرُونَ فِي غَدَاةٍ بَارِدَةٍ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَبِيدٌ يَعْمَلُونَ ذَلِكَ لَهُمْ، فَلَمَّا رَأَى مَا بِهِمْ مِنَ النَّصَبِ وَالجُوعِ، قَالَ:

«اللهُمَّ إِنَّ العَيْشَ عَيْشُ الآخِرَهْ فَاغْفِرْ لِلأَنْصَارِ وَالمُهَاجِرَهْ»

فَقَالُوا مُجِيبِينَ لَهُ:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدَا عَلَى الجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدَا(٢)

وعَنْ سَلْمَانَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ضَرَبَ فِي الْخَنْدَقِ وَقَالَ:

بِسْمِ اللهِ وَبِهِ هُدِينَا

وَلَوْ عَبَدْنَا غَيْرَهُ شَقِينَا

فَأَحَبُّ رَبًّا وَأَحَبُّ دِينًا»(٣)

---

(١) البخاري (٢/ ٥٨٩).

(٢) البخاري (٢/ ٥٨٨).

(٣) أورده ابن كثير عن البيهقي في «الدلائل»- «البداية والنهاية» (٤/ ١١١).

• **ثانيا: نماذج مما أنشده الصحابة:**

أبو بكر الصديق: قال رضي الله عنه:

كُــلُّ امْــرِئٍ مُصَــبَّحٌ فِــي أَهْلِــهِ وَالْمَوْتُ أَدْنَـى مِـنْ شِـرَاكِ نَعْلِـهِ

معنى البيت: يقول رضي الله عنه: إن كل إنسان يصبح ويقال له: صبحك الله بالخير، والحال أن الموت أقرب إليه من شراكه لرجله، ويفجؤه الموت المقدر له في بقية النهار، وهو مقيم بين أهله.

وقال أيضًا رضي الله عنه:

قال النبي ولم أجزع يوقرني ونحن في سدنة في ظلمة الغار
لا تخش شيئًا فإن الله ثالثنا وقد توكل لي منه بإظهار

معنى البيتين: يقول رضي الله عنه ذاكرًا قصته مع الرسول ﷺ في غار ثور وقد غلبه الخوف والجزع، فقال له النبي ﷺ مطمئنًا قلبه، ومسكنًا لنفسه: «لا تخف يا أبا بكر، ولا تحزن، فإن الله معنا، وتكفل بحفظنا، وهو خير حافظًا».

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

توعدني كعب ثلاثا أعدها ولا شك أن القول ما قال لي كعب
وما بي حذار الموت إني لميت ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب

معنى البيتين: أخبر كعب عمر بن الخطاب أنه سيموت بعد ثلاث ليال؛ لأن ذلك مكتوب في التوراة، فقال عمر: إنه لا يحذر الموت، وإنما

يحذر الذنب بعد الذنب.

وقال أيضًا:

ظلـــوم لنفســـي غيـــر أني مســـلم   أصـــلي الصـــلاة كلهـــا وأصـــوم

تمثل بهذا البيت وهو يحتضر ورأسه في حجر ولده عبد الله (١).

قال عثمان بن عفان رضي الله عنه:

أرى الموت لا يبقي عزيزًا ولم يدع   لعـــاد مـــلاذًا في الـــبلاد ومرتعًـــا

وقال رضي الله عنه:

يبيت أهل الحصن والحصن مغلق   ويأتي الجبال الموت في شماريخها العلا

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

أفـــاطم هـــاك الســـيف غيـــر ذميـــم   فلســـت برعديـــد ولا بلئـــيم

لعمري لقد أبليت في نصـــر أحمـــد   ومرضـــاة رب بالعبـــاد علـــيم

معنى البيتين: يقول الإمام علي رضي الله عنه لزوجته وحبيبته فاطمة الزهراء بنت سيد النبيين محمد صلى الله عليه وسلم: خذي هذا السيف يا فاطمة فإني لست جبانًا يرتعد عند القتال، فوالله لقد أبليت بهذا السيف بلاءً حسنًا في نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وطلب مرضاة الله عز وجل.

---

(١) «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (٣/ ٢٦-٢٨).

وقال أيضًا رضي الله عنه:

لا تعجلـــن فقـــد أتـــاك مجيــب صــوتك غيــر عــاجز
ذو نيـــــة وبصـــــيرة والصــدق منجــى كــل فــائز
إني لأرجــــو أن أقـــيم عليـــك نائحـــة الجنـــائز
مـــن ضـــربة نجـــلاء يبقــى ذكرهــا عنــد الهزاهــز(١)

قال هذه الأبيات يوم الأحزاب.

ثالثا: نماذج مما أنشده التابعون:

وعلى رأسهم عمر بن عبد العزيز بن مروان، والـذي لُقـب بخـامس الخلفاء الراشدين؛ لعدله، وورعه، وزهده، ولتشبهه بجده الفاروق عمـر ابن الخطاب رضي الله عنه:

قال رضي الله عنه:

من كان حين تصيب الشمس جبهته أو الغبـار يخـاف الشـين والشـعثا
ويألف الظـل كـي تبقـى بشاشـته فسوف يسكن يومًـا راغمًـا جـدثا
في قعـر مظلمـة غبـراء موحشـة يطيل في قعرها تحت الثـرى اللبثـا
تجهـــزي بجهـــاز تبلغـــين بـــه يا نفس قبل الردى لم تخلقـي عبثـا

(١) الهزاهز: أي: الحروب والشدائد التي تهز الناس.

وقال رحمه الله:

ولا خير في عيش امرئ لم يكن لـه ... مـع الله في دار القـرار نصـيب
فـإن تُعْجِـبِ الـدنيا أناسـا فإنهـا ... متـاع قليـل والـزوال قريـب(١)

وللشافعي الإمام - رحمه الله تعالى - ديوانٌ، جمع فيه أشعارًا تتسم في الغالب بالسلاسة والعذوبة، وتبرز فيهـا روح شـاعرة، سـخَّرها لخدمـة الدين، وطوَّعها لبثِّ الأخلاق والحكمة... أذكر بعضها.

هذه الأبيات تحت عنوان «وصايا» قال رحمه الله:

دع الأيـام تفعـل مـا تشـاء ... وطـب نفسًـا إذا حكـم القضـاء
ولا تجـزع لحادثـة الليـالي ... فمـا لحـوادث الـدنيا بقـاء
وكن رجـلًا عـلى الأهـوال جلـدًا ... وشـيمتك السـماحة والوفـاء
وإن كثـرت عيوبـك في البرايـا ... وسَـرَّك أن يكـون لهـا غطـاء
تسـتر بالسـخاء فكـل عيـب ... يغطيـه كمـا قيـل السـخاء

وقال أيضًا رحمه الله تحت عنوان «خطر الدعاء»:

أتهـزأ بالـدعاء وتزدريـه ... ومـا تـدري بمـا صـنع الـدعاء

---

(١) انظر: كتاب «روائع من أشعار الصحابة» لفريد الدين مسعود (ص:٢٠-٤١) بتصرف وهـذه الأبيـات المـذكورة آنفًـا في «سـير أعـلام النـبلاء» للـذهبي، و«البداية والنهاية» لابن كثير رحمهما الله تعالى (٩/ ٢٣٠).

سـهام الليـل لا تخطـي ولكـن لهــا أمــد وللأمــد انقضــاء
فيمســكها إذا مــا شــاء ربــي ويرســلها إذا نفــذ القضــاء

وقال تحت عنوان «جهد البلاء»:

أكثـر النــاس في النســاء وقــالوا إن حــب النســاء جهــد الــبلاء
ليس حـب النسـاء جهـدًا ولكـن قرب من لا تحب جهد البلاء(١)



(١) من أراد المزيد فليرجع إلى كتاب «ديوان الإمام الشافعي» ففيه من الفوائد الكثير والكثير- رحم الله صاحبه الإمام الشافعي.

قول الزور
شهادة الزور

قول الزور – شهادة الزور

• **شهادة الزور لغة:**

هي الميل عن الحق، يقول ابن فارس: الزاي والواو والراء أصل واحد يدل على الميل والعدول من ذلك الزور والكذب؛ لأنه مائل عن طريق الحق، ويقال: زور فلان الشيء تزويرًا وزور الشيء في نفسه هيأه؛ لأنه يعدل به عن طَرِيقَةٍ تكونُ أقرب إلى قبول السامع(١).

اصطلاحًا:

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وضابط الزور وصف الشيء على خلاف ما هو به، وقد يضاف إلى القول فيشتمل الكذب والباطل، وقد يضاف إلى الشهادة فيختص بها (٢).

وقال القرطبي رحمه الله: شهادة الزور هي الشهادة بالكذب ليتوصل بها إلى الباطل من إتلاف نفس أو أخذ مال أو تحليل حرام أو تحريم حلال، فلا شيء من الكبائر أعظم ضررًا منها ولا أكثر فسادًا بعد الشرك

---

(١) «مقاييس اللغة» (٣/ ٣٦).

(٢) «فتح الباري» (١٠/ ٤١٢).

بالله (١).

قال الثعلبي: الزور: هو تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته حتى يخيل إلى من سمعه أو رآه أنه بخلاف ما هو به، فهو تمويه الباطل بما يوهم أنه حق(٢).

- **لماذا الاهتمام بالحديث عن شهادة الزور؟**

أخي المسلم إن الأصل في الشهادة أن تكون سندًا لجانب الحق ومعينة للقضاء على إقامة العدل والحكم على الجناة الذين تنحرف بهم أهواؤهم وشهواتهم، فيظلمون أو يبغون ويأكلون أموال الناس بالباطل، فإذا تحولت الشهادة عن وظيفتها فكانت سندًا للباطل ومضللة للقضاء حتى يحكم بغير الحق استنادًا إلى ما تضمنته من إثبات، فإنها تحمل حينئذ إثم جريمتين كبيرتين في آن واحد:

الجريمة الأولى: عدم تأديتها وظيفتها الطبيعية الأولى.

الجريمة الثانية: قيامها بجريمة تهضم فيها الحقوق وتظلم فيها البرآء، ويستعان بها على الإثم والبغي والعدوان(٣).

وقال **الشيخ سيد سابق** رحمه الله: شهادة الزور أكبر من جريمة الزنا

---

(١) السابق نفس الصفحة.

(٢) «فقه السنة» (٤/ ٢٥٠).

(٣) «الأخلاق الإسلامية» (١/ ٥٤٦).

والسرقة؛ ولهذا اهتم الرسول ﷺ بالتحذير منها؛ لكونها أسهل على اللسان والتهاون بها أكثر والدوافع لها وفيرة من الحقد والعداوة وغير ذلك فاحتاجت إلى الاهتمام بشأنها[١]. اهـ.

يقول ابن عثيمين – رحمه الله تعالى:

«شهادة الزور: أن يشهد بما يعلم أن الأمر بخلافه، وأن يشهد بما لا يعلم أن الأمر بخلافه أو بوفاقه، أو يشهد بما يعلم أن الأمر إلى وفاقه لكنه على صفة غير الواقع، هذه ثلاثة أحوال وكلها حرام لا يحل لإنسان أن يشهد إلا بما علم على الوجه الذي علمه، فإن شهد بما يعلم أن الأمر بخلافه، مثل أن يشهد لفلان بأنه يطلب فلانًا كذا وكذا وهو يعلم أنه كاذب فإن هذا ـ والعياذ بالله ـ شهادة زور، ومثل أن يشهد لفلان أنه فقط يستحق الزكاة وهو يعلم أنه غني، ومثل ما يفعله بعض الناس عند الحكومة يشهد بأن فلانًا له عائلة عدد أفرادها كذا وكذا وهو يعلم أنه كاذب، والأمثلة على هذا كثيرة، ويظن هذا المسكين الذي شهد بشهادة الزور يظن أنه نافع لأخيه وأنه بارّ به، والواقع أنه ظالم لنفسه، ظالم لأخيه، أما كونه ظالمًا لنفسه؛ فلأنه أتى كبيرة من كبائر الذنوب، وأما كونه ظالمًا لأخيه؛ فلأنه أعطاه ما لا يستحق، وجعله يأخذ المال بالباطل، وقد قال النبي ﷺ: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا**» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ،

---

(١) «فقه السنة» (٤/ ٢٥٠).

أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: «**تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ**»(١)، فهؤلاء الذين يشهدون بالزور ـ والعياذ بالله ـ يظنون أنهم ينفعون إخوانهم وهم يضرون أنفسهم وإخوانهم»(٢).

حكم شهادة الزور:

هي كبيرة من الكبائر:

قال الإمام الذهبي رحمه الله: الكبيرة الثامنة عشرة: شهادة الزور..... ثم قال: شاهد الزور قد ارتكب عظائم:

أحدها: الكذب والافتراء، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨].

وثانيها: أنه ظلم الذي شهد عليه حتى أخذ بشهادته ماله وعرضه وروحه.

وثالثها: أنه ظلم الذي شهد له بأن ساق إليه المال الحرام، فأخذه بشهادته فوجبت له النار، وقال ﷺ: «**مَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا،**

(١) البخاري (٦٩٥٢).

(٢) «شرح الكبائر» لابن عثيمين (ص: ١٢٠، ١٢١).

فَلاَ يَأْخُذْهُ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ»(١).

ورابعها: أباح ما حرم الله تعالى وعصمه من المال والدم والعرض(٢).

وقال في «الزواجر»: عدوا شهادة الزور وقبولها ـ كلاهما من الكبائر ـ وقد صرحوا بذلك في الشهادة وقياس الثانية (أي: قبول شهادة الزور) أن تكون كذلك، وحكى بعضهم الإجماع على أن شهادة الزور كبيرة ولا فرق بين أن يكون المشهود به قليلًا أو كثيرًا فضلًا عن هذه المفسدة القبيحة الشنيعة جدًّا(٣).

وثَمَّ أدلة ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز تحذر من شهادة الزور وكذا سنة رسول الله ﷺ:

- **أولا: أدلة القرآن:**

قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾ [الحج: ٣٠].

---

(١) البخاري (٦٩٦٧)، ومسلم (١٧١٣).

(٢) «الكبائر» للذهبي (ص:١٠٦، ١٠٧).

(٣) «الزواجر» للهيتمي مع حذف يسير.

فتأمل أخي المسلم هذه الآية بعين الفكر، لقد أمرنا الله تعالى فيها بالابتعاد عن الأصنام والأوثان، وأمرنا بأن نخلص له وحده في العبادة، ثم قرن سبحانه- ذلك الأمر بأمر آخر وهو اجتناب قول الزور وما ذاك إلا لخطورة هذا الأمر وآثاره المدمرة بين الناس فاستحق هذا الحال أن يجمع بينهما في آية واحدة، وإليك أقوال المفسرين في هذه الآية:

قال ابن جرير رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ واتقوا قول الكذب والفرية على الله بقولكم في الآلهة: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣] وقولكم للملائكة: هي بنات الله ونحو ذلك من القول، فإن ذلك كذب وزور وشرك(١).

قال ابن كثير رحمه الله: وقوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠] ﴿مِنَ﴾ ههنا لبيان الجنس أي اجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان وقرن الشرك بالله بقول الزور كقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣] (٢)، ومنه شهادة الزور.

---

(١) «جامع البيان» لابن جرير الطبري (١٧/ ١٥٤).

(٢) «مختصر صحيح تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٩٤).

قال السعدي رحمه الله: قوله: ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠] أي: جميع الأقوال المحرمات، فإنها من قول الزور الذي هو الكذب، ومن ذلك شهادة الزور، فلما نهاهم عن الشرك والرجس وقول الزور، أمرهم أن يكونوا ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ أي: مقبلين عليه وعلى عبادته معرضين عما سواه (١).

• **دليل آخر يحذر من شهادة الزور:**

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا﴾ [الفرقان: ٤].

دليل آخر: قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗا﴾ [المجادلة: ٢]، فكون المُظَاهر يجعل زوجته كأمه فهذا كذب عظيم وبهتان شنيع؛ لذا سماه الله منكرًا من القول وزورًا؛ لأنهن لَسْنَ كالأمهات.

• **أدلة السنة التي تذم شهادة الزور:**

١ – عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟**» ثَلاَثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ** – وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا، فَقَالَ: «**أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ**» ، قَالَ: فَمَا زَالَ

(١) «تفسير السعدي» (٢/ ١٢٩).

يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ (١).

قال ابن حجر رحمه الله: في قوله: «وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا» يشعر بأنه اهتم بذلك حتى جلس بعد أن كان متكئًا، ويفيد ذلك تأكيد تحريم الزور وعظم قبحه، وسبب الاهتمام بذلك كون قول الزور أو شهادة الزور أسهل وقوعًا على الناس، والتهاون بها أكثر، فإن الإشراك ينبوعه قلب المسلم، والعقوق يصرف عنه الطبع، وأما الزور فالحوامل عليه كثيرة، كالعداوة، والحسد وغيرها، فاحتيج إلى الاهتمام بتعظيمه وليس ذلك لعظمها بالنسبة إلى ما ذكر معها من الإشراك قطعًا، بل لكون مفسدة الزور متعدية إلى غير الشاهد بخلاف الشرك، فإن مفسدته قاصرة غالبًا(٢).

٢- وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَقُولُ: إِنَّ زَوْجِي أَعْطَانِي مَا لَمْ يُعْطِنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ**»(٣).

قال ابن حجر رحمه الله: المتشبع: أي: المتزين بما ليس عنده يتكثر بذلك ويتزين بالباطل كالمرأة تكون عند الرجل ولها ضَرَّة فتدعي من

(١) البخاري (٢٦٥٤).

(٢) «فتح الباري» (٥/ ٢٦٣).

(٣) البخاري (٥٢١٩)، ومسلم (١٢٩).

الحظوة عند زوجها أكثر مما عنده تريد بذلك غيظ ضَرَّتها، وكذلك هذا في الرجال قال: وأما قوله: «**كلابس ثوبي زور**» فإنه الرجل يلبس الثياب المشبهة لثياب الزهاد يوهم أنه منهم، ويظهر من التخشع والتقشف أكثر مما في قلبه منه، قال: وفيه وجه آخر: أن يكون المراد بالثياب الأنفس كقولهم: فلان نقي الثوب إذا كان بريئًا من الدنس وفلان دَنِسُ الثوب إذا كان مغموصًا عليه في دينه.

قال الخطابي رحمه الله: الثوب مثل، ومعناه أنه صاحب زور وكذب كما يقال لمن وصف بالبراءة من الأدناس: طاهر الثوب. والمراد به: نفس الرجل، وقال أبو سعيد الضرير: المراد به: أن شاهد الزور قد يستعير ثوبين يتجمل بهما ليوهم أنه مقبول الشهادة.

وهذا نقل الخطابي عن نعيم بن حماد قال:

كان يكون في الحي الرجل له هيئة وشارة، فإذا احتيج إلى شهادة زور لبس ثوبيه وأقبل فشهد فقبل لنبل هيئته وحسن ثوبيه فيقال: أمضاها بثوبيه- يعني الشهادة – فأضيف الزور إليهما فقيل: كلابس ثوبي زور، وأما حكم التنبيه في قوله: «**ثوبي زور**» فللإشارة إلى أن كذب المتحلي مثنى؛ لأنه كذب على نفسه بما لم يأخذ وعلى غيره بما لم يعط، وكذلك شاهد الزور يظلم نفسه ويظلم المشهود عليه...

وقال الزمخشري في «الفائق»: المتشبع أي: المتشبه بالشبعان، وليس

به، واستعير للتحلي بفضيلة لم يرزقها، وشبه بلابس ثوبي زور أي: ذي زور وهو الذي يَتَزَيَّا بزي أهل الصلاح رياء وأضاف الثوبين إليه؛ لأنهما كالملبوسين وأراد بالتثنية أن المتحلي بما ليس فيه كمن لبس ثوبي زور ارتدى بأحدهما واتزر بالآخر، كما قيل: إذا هو بالمجد ارتدى وتأزرا...

فالإشارة بالإزار والرداء إلى أنه متصف بالزور من رأسه إلى قدمه ويحتمل أن تكون التثنية إشارة إلى أنه بالتشبع حالتان مذمومتان: فقدان ما يتشبع به وإظهار الباطل. وقال المطرزي: هو الذي يرى أنه شبعان وليس كذلك(١).

٣- وَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الكَبَائِرِ، قَالَ: «**الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ**»(٢).

٤- وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ رضي الله عنه قَالَ: قَدِمَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ المَدِينَةَ آخِرَ قَدْمَةٍ، قَدِمَهَا فَخَطَبَنَا، فَأَخْرَجَ كُبَّةً مِنْ شَعَرٍ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ أُرَى أَنَّ أَحَدًا يَفْعَلُ هَذَا غَيْرَ اليَهُودِ، وَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمَّاهُ الزُّورَ يَعْنِي: الوِصَالَ فِي الشَّعَرِ(٣).

٥- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ**

---

(١) «فتح الباري» (٩/ ٣١٧، ٣١٨).

(٢) البخاري (٢٦٥٣)، ومسلم (٨٧).

(٣) البخاري (٣٤٨٨)، ومسلم (٢١٢٧).

قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»(١).

٦- وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «تعدل شهادة الزور بالشرك وقرأ: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠](٢).

خطر شهادة الزور:

اعلم أخي المسلم أن كثرة شهادة الزور وكتمان شهادة الحق من علامات الساعة، فقد أخبر النبي ﷺ بذلك، ففي الحديث الذي رواه الإمام أحمد من حديث عبد الله بن مسعود أنه ﷺ قال: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ..... وَشَهَادَةَ الزُّورِ، وَكِتْمَانَ شَهَادَةِ الْحَقِّ»(٣).

نعم لقد انتشرت شهادة الزور، ويستطيع أي إنسان بمائة جنيه أو بألف أو بأكثر من ذلك أو بأقل على حسب ما يشهد عليه- أن يأتي بشخص ليبيع دينه بعرض زائل- فينطلق ليقف أمام القاضي ليشهد زورًا يبيع دينه بدراهم معدودة- ويسجن هذا المظلوم، ويقضي عمره في السجن بسبب تلك الشهادة الآثمة.

---

(١) البخاري (٦٠٥٧).

(٢) أخرجه عبد الرزاق (١٥٣٩٥) وغيره بإسناد حسن.

(٣) رواه أحمد في «المسند» (١/ ٤٠٧) وغيره، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٦٤٧).

يروي لنا **فضيلة الشيخ الدكتور محمد حسان**- هذه القصة التي تبين لنا خطورة شهادة الزور- فيقول - حفظه الله: أنه سأل أحد القضاة عن أغرب قضية عرضت عليه فقال: رجل سجن بتهمة القتل بشهادة زور وسجن وهو متهم بالقتل ظلمًا وعدوانًا قال: حتى حكم عليه في هذه القضية بالإعدام، وبالفعل وقعت أوراقه من فضيلة المفتي يعني انتهى الأمر، وفي الجلسة التي سيحكم فيها رئيس هذه المحكمة، يقول: جلست والقاعة مملوءة والمشهد رهيب يقول: وقرأت الديباجة وفي نهاية القراءة. فقد حكمت المحكمة بناء على كل ما سبق وهنا المفترض أن يقول: بإعدام المتهم- لكنه قال: وجدتني أنطق دون وعي وشعور بقولي: وبناء على ما سبق فقد حكمت المحكمة ببراءة المتهم، سبحان الله! ومن الناس في تلك الجلسة- من يصرخ ومنهم من يبكي، قلت: لا يمكن وأنا لم أتمالك أعصابي فتركت منصة القضاء وعدت إلى مكتبي ووضعت رأسي بين يدي، وظللت أبكي، فقال له زملاؤه: يا فلان لا تقلق نريد أن نعيد دراسة هذه القضية والبحث فيها، يقسم لي بالله ويقول: توصلنا قبل شهر بفضل الله- جل وعلا- ثم بفضل رجال الأمن إلى القاتل الحقيقي، واعترف تفصيليًّا بجريمته وبكيفية وقوعه في هذه الكبيرة البشعة الشنيعة، وكأن الله سبحانه وتعالى قد برأ هذا المتهم الأول قبل أن تبرئه ساحة المحكمة، والذي أريد أن أقوله: إن هذا الرجل كان بالفعل قد حكم عليه بالإعدام بسبب شهادة الزور، لولا أن الله نجاه

فشهادة الزور قد تحكم بها بالإعدام على رجل وأنت لا تدري قد يقضي عمره كله – بسببها في السجن وأنت لا تدري(١) .

واعلم أن شهادة الزور مفسدة للدين والدنيا وللفرد والمجتمع، إنها معصية لله ورسوله، إنها كذب وبهتان وأكل للمال بالباطل، فالمشهود له يأكل ما لا يستحق، والشاهد يقدم له ما لا حق له فيه، إن شهادة الزور سبب لانتهاك الأعراض وإزهاق النفوس، فإن الشاهد بالزور إذا شهد مرة هانت عليه الشهادة ثانية، وإذا شهد بالصغير هان عليه بالكبير؛ لأن النفوس بمقتضى الفطرة تنفر من المعصية وتهابها، فإذا وقعت فيها هانت عليها، وتدرجت من الأصغر إلى ما فوقه.

كما أن شهادة الزور ضياع للحقوق، وإسقاط للعدالة وزعزعة للثقة والأمانة، وإرباك للأحكام وتشويش على المسؤولين والحكام، فهي فساد الدين والدنيا والآخرة، فالحذر الحذر من شهادة الزور، وإن زينها الشيطان في قلوبكم، ولا تأخذكم في الله لومة لائم، ولا تصرفكم عن الحق ظنون كاذبة، أو إرادات آثمة فتشاقوا الله ورسوله وتتبعوا غير سبيل المؤمنين. إذا كان كتم الشهادة فيه ضرر على البشرية واختلال لنظامها فهناك ما هو أشد منه إثمًا وأكبر خطرًا وما أدراكم ما هو، هو الجريمة العظيمة والطامة الكبرى شهادة الزور التي تهددنا في أموالنا ودمائنا وأمننا

(١) «أحداث النهاية» (٣٠٢).

تلكم التي أخربت بيوتًا عامرة، وأزهقت أرواحًا بريئة، وأهدرت حقوقًا واضحة، فما فشت في أمة إلا وسادت فيها الفوضى، وتحكمت فيها الأهواء، لذا وغيره من أضراره الخطرة حذرنا الرسول ﷺ، فحذار معشر المسلمين من شهادة الزور وقوله، فإن فيها إساءة على قضاة المسلمين بتلبيس الحق عليهم، وفيها إساءة إلى المشهود له بمساعدته على الإثم والعدوان، وفيها إساءة إلى من حرمه حقه بشهادته وخذله في حين حاجته إلى نصرته، فليتق الله شاهد الزور وقائل الزور وليتب إلى الله قبل أن يوقف بين يدي أحكم الحاكمين وأعدل العادلين الذي سيقتص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء، ليتب إلى الله قبل أن يساق إلى جهنم مع المجرمين، فوالله لو علم ما أعد الله له من الخزي العاجل والعذاب الأليم في الآخرة لتمنى أن لسانه قطع قبل أن ينطق بشهادة زور أو كلمة زور(١).

أضرار تلحق بشاهد الزور:

قال في «موارد الظمآن»:

شاهد الزور يسيء إلى نفسه؛ إذ يبيع آخرته بدنيا غيره، ويسيء إلى من شهد له بإعانته على ظلمه، ويسيء إلى من يشهد عليه في إضاعته حقه، ويسيء إلى القاضي الذي جلس يتحرى العدل ليحكم به وينصف

---

(١) انظر: «مجلة التوحيد» العدد ٤٩٠- شوال ١٤٣٣هـ.

الضعفاء من الأقوياء وينتزع حق المظلوم من الظالم؛ لأنه بشهادته بالزور يضلله ويسد أمامه طريق الحق، ويفتح باب الباطل، وبهذا يشل يد العدالة أن تقتص للمظلوم من الظالم، ويسيء شاهد الزور إلى أولاده وأسرته؛ لأنه يلوثها بهذه السمعة السيئة القبيحة، ويحمل الناس على أن يقولوا لهم: عائلة المزور، وأعظم بها من أذية للمستقيمين[1]، فيا أخي المسلم: إياك أن تقترف مثل هذه المعصية ـ شهادة الزور... التي هي:

١- سبب لسخط الجبار ودخول النار.

٢- فيها ضياع حقوق الناس وظلمهم.

٣- تطمس معالم العدل والإنصاف.

٤- تعين الظالم على ظلمه، وتعطي الحق لغير مستحقه.

٥- وفيها تقويض لأركان الأمن وزعزعة للاستقرار.

٦- سبب لزرع الأحقاد والضغائن في القلوب.

٧- فساد اجتماعي يعصف بالمجتمع ويدمره[2].

السلف يذمون شاهد الزور:

- كان أبو حنيفة إذا أخذ شاهد الزور بعث به إلى أهل سوقه إن كان

---

(١) «موارد الظمآن» (١/ ٣٧٣، ٣٧٤).

(٢) «موسوعة نضرة النعيم» (١٠/ ٤٧٨٠).

سوقيًّا وإلى قومه إن كان غير سوقي بعد العصر أجمع ما كانوا فيقول إن شريحًا رحمه الله يقرئكم السلام ويقول: إنَّا وجدنا هذا شاهد زور فاحذروه وحذروه الناس[١] وليس عليه تعزير.

- عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال: قدم رجل من العراق على عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فقال: جئتك لأمر ما له رأس ولا ذَنَبٌ فقال: عمر: وما ذاك؟ قال: شهادة الزور ظهرت بأرضنا قال: وقد كان ذلك؟ قال: نعم، فقال عمر بن الخطاب: والله لا يؤسر (أي يحبس) رجل في الإسلام بغير العدول[٢].

- وعن معاوية بن عبد الكريم قال: شهدت عبد الملك بن يعلى على القضاء وقد مرُّوا بشاهد زور والذي شهد له فتحدث الناس أنه أمر بحلق نصف رؤوسهم وحمم وجوههم وطاف بهم[٣].

عقوبة شاهد الزور:

رأى الإمام مالك والشافعي وأحمد أن شاهد الزور يُعزَّر ويعرف أنه شاهد زور، وزاد الإمام مالك فقال: يشهر به في الجوامع والأسواق ومجتمعات الناس العامة عقوبةً له وزجرًا لغيره[٤].

---

(١) «المبسوط» للسرخسي (١٦/ ١٤٥).

(٢) رواه مالك في «موطئه» (٢/ ٥٥٤).

(٣) «التهذيب الموضوعي» (ص:٤٤٤).

(٤) «فقه السنة» للسيد سابق (٤/ ٢٥٠).

وأخيرًا: هل إذا تاب شاهد الزور تقبل شهادته؟

يقول ابن قدامة رحمه الله:

إذا تاب شاهد الزور وأتت على ذلك مدة تظهر فيها توبته وتبين صدقه فيها وعدالته قبلت شهادته، وبهذا قال أبو حنيفة والشافعي وأبو ثور، وقال مالك: لا تُقبل شهادته أبدًا؛ لأن ذلك لا يُؤْمن منه، ولنا: أنه تائب من ذنبه، فقبلت توبته كسائر التائبين، وقوله: «لا يؤمن منه ذلك» قلنا: مجرد الاحتمال لا يمنع قبول الشهادة بدليل سائر التائبين، فإنه لا يؤمن منهم معاودة ذنوبهم ولا غيرها وشهادتهم مقبولة[1].

والراجح ما ذهب إليه الجمهور أن شاهد الزور إذا تاب، وعلم من القرائن أنه لن يرجع إلى مثل فعله قبلت شهادته. والله تعالى أعلم.



(١) «المغني» (١٠/ ٢٣٤).

تكفير المسلم
بدون بينة

تكفير المسلم بدون بينة

أخي المسلم: اعلم أن تكفير أخيك المسلم ليس بالأمر الهين، فأنت لست مُطَّلعًا على ما في قلبه حتى تحكم عليه بالكفر لقول عارض أو لفعل لم يعقد عليه نيته ولم يصر عليه؛ ولذلك إذا خرجت كلمة الكفر من الفم فهي بمثابة سهم انطلق، ولابد أن يصيب فإما أن يصيب المرمي بها إذا كان قد ارتكب فعلًا أو قولًا من شأنه أن يخرج صاحبه من دائرة الإيمان إلى الكفر، وإما أن يرتد إلى من أطلقه إذا كان المرمي بها ليس مستحقًّا للكفر، ويكون جزاء من يكفر الناس بغير علم أن يكون هو الكافر؛ لأن معنى تكفير الناس: استباحة دمائهم وأموالهم وأعراضهم، وهذا إثم عظيم يستحق فاعله ومستحله (الذي يفتي بذلك) أن يبوء هو بما رمى الناس به[1].

وحتى تتجلى لك أخي المسلم الحقيقة، وتبدو واضحة لك وضوح الشمس في رابعة النهار أتحدث إليك عن مفهوم الإيمان والكفر، ثم أتحدث عن المؤمن والكافر وأنواع الكفر، ومن يستحق أن يرمى بالكفر، وأختم الحديث عن خطورة التكفير بدون بينة من كلام

(١) «الترهيب من ارتكاب الكبائر» (ص:٥٦).

رسول الله ﷺ......

مفهوم الإيمان:

الإيمان لغة: هو التصديق، قال إخوة يوسف لأبيهم: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧].

الإيمان في الشرع: هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وهذا ما أجاب به رسولُ اللهِ ﷺ جبريلَ عليه السلام.

والإيمان شرعًا يتضمن القول والعمل فهو اعتقاد وقول وعمل، اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالقلب واللسان والجوارح، والدليل على دخول الأعمال في مسمى الإيمان قول الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡ﴾ [البقرة: ١٤٣] أي: صلاتكم إلى بيت المقدس قبل ذلك، كما فسره ابن عباس رضي الله عنهما، وقوله عز وجل: ﴿۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وفسر الصِّدِّيقُ رضي الله عنه البر بالإيمان، فدخل في مسمى الإيمان أعمال

القلب والجوارح والدليل من السنة- قوله ﷺ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**»(١) (٢).

وبعد هذه التوطئة عن مفهوم الإيمان أقول: هذا الإيمان الذي هو بمثابة الروح للإنسان مَنْ حصَّله حيي فأصبح أهلًا للتكليف.

أولًا: فإن نهض بالتكليف الذي هو أمر ونهي أصبح أهلًا للسعادة في الحياتين الأولى والآخرة.

ثانيًا هذا الإيمان: الذي دعا الله تعالى إليه وبشر به في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾ [النساء: ١٧٤، ١٧٥].

هذا الإيمان: الذي وعد أهله بأفضل موعود وأغلاه وهو مغفرة ذنوبهم وإدخالهم جنات عدن؛ إذ قال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾

[الحديد: ٢١].

---

(١) رواه البخاري(١/ ٥١)، ومسلم (٢/ ٦)، واللفظ لمسلم.

(٢) انظر: «عقيدة أهل السنة والجماعة» (ص:١٠).

هذا الإيمان: الذي يوجب الأخوة بين أهله؛ إذ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

هذا الإيمان: الذي يربط أهله برباط محكم يصبحون به كالبنيان يشد بعضه بعضًا؛ إذ قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**» وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ(١).

هذا الإيمان: الذي يضاد الكفر مضادة الحياة للموت والوجود للعدم.

هذا الإيمان: الذي يحقق لصاحبه مع تقوى الله تعالى ولاية الله سبحانه وتعالى؛ إذ قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣].

هذا الإيمان: الذي يورث صاحبه مع العمل الصالح جنة الفردوس نزلًا؛ إذ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٧، ١٠٨].

هذا الإيمان: أيها المؤمن الطالب للهدى أركانه ستة وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، فمتى سقط ركن منها بتكذيب العبد إياه أو إنكاره له أو جحوده بطل هذا

(١) البخاري (٦٠٢٦)، ومسلم (٢٥٨٥).

الإيمان وصار صاحبه كافرًا من عداد الكافرين، وبرئ منه المؤمنون، وثبتت هذه الأركان بالكتاب والسنة.

ففي الكتاب؛ قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩].

وفي السنة: روى مسلم أن النبي ﷺ سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان فأجابه قائلًا: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»(١).

هذا الإيمان: الذي هو بمثابة الطاقة النورانية إن قويت دفعت وأضاءت وإن ضعفت عجزت عن الدفع والإضاءة، ومعنى هذا أن الإيمان يقوى في قلب العبد ويضعف وهو معنى يزيد وينقص(٢).

وقال **ابن عبد البر**: وعلى أنّ الإيمان يزيد وينقص جماعة أهل الآثار والفقهاء وأهل الفتيا في الأمصار، ومن الأدلة على ذلك قول الله ﷻ: ﴿ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ [الفتح: ٤]، وقوله ﷻ: ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟

---

(١) مسلم (٨).

(٢) «القول المبين في حكم تكفير المؤمنين» (ص:٥، ٧).

إِيمَنًا﴾ [المدثر: ٣١]، وقوله ﷻ: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]، وقول النبي ﷺ للنساء: «**مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ**»(١).

وقال الترمذي رحمه الله: باب في استكمال الإيمان والزيادة والنقصان، وساق فيه حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَأَلْطَفُهُمْ بِأَهْلِهِ**»(٢) (٣).

قال الشيخ حافظ بن أحمد: وعلى هذا إجماع الأئمة المعتد بإجماعهم وأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص بالفترة عن الذكر، فلأن ينقص بفعل المعاصي من باب أَوْلَى(٤).

هذا الإيمان: الذي هو اعتقاد جازم بالإيمان بالله، وبما أمر الله تعالى بالإيمان به من الملائكة والكتب والرسل والبعث واليوم الآخر، وما فيه من حساب وجزاء والقدر خيره وشره.

هذا الإيمان: متى وجد في القلب نطق اللسان به معربًا عنه داعيًا إليه وانقادت الجوارح للعمل بموجبه طلبًا للفوز بالجنة والنجاة من النار؛

---

(١) البخاري (١/ ٤٠٥).

(٢) رواه الترمذي وغيره (١٠/ ٨٢، ٨٣)، وقال: حديث صحيح.

(٣) انظر: «عقيدة أهل السنة والجماعة» (ص: ١٠، ١١).

(٤) «معارج القبول» (٢/ ٤٠٧).

فلذا هو عند أهل السنة والجماعة: اعتقاد وقول وعمل معًا، ولا يكون اعتقادًا بدون قول ولا عمل، ولا قولًا بدون اعتقاد ولا عمل، ولا عملًا بدون قول ولا اعتقاد؛ ولذا يطلق على الإسلام كما يطلق الإسلام عليه، قال تعالى: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٦] أي: من المؤمنين، إن الإسلام انقياد ظاهر وباطن لكل ما أمر الله تعالى به من إيمان وقول وعمل؛ ولذا كل مؤمن صادق في إيمانه هو مسلم، وكل مسلم صادق في إسلامه هو مؤمن، ولما ادَّعى الأعراب الإيمان - وما آمنوا - كذَّبهم الله تعالى فرد دعواهم الإيمان: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]، فقرر إسلامهم؛ لأنهم انقادوا للدخول والعمل، ونفى إيمانهم لعلمه بأنهم ما آمنوا بقلوبهم.

وما يوجد من قولٍ في حقيقة الإيمان هل هو اعتقاد فقط أو قول فقط، أو اعتقاد وقول فقط؟ فهو من وضع الزنادقة الذين تسربوا إلى صفوف المسلمين، وأثاروا هذه الزوابع الكلامية، لفتنة المسلمين في دينهم، بزعزعة إيمانهم في قلوبهم؛ لذا يجب ألا يلتفت إلى مثل تلك الأقوال والآراء التي حملها من خرج عن أهل السنة والجماعة من فرق الضلال، فالإيمان على عهد رسول الله ﷺ وعهد أصحابه معه وبعده لم يقل فيه أحد: إنه اعتقاد بدون قول أو عمل، ولا قول وعمل بدون

اعتقاد، بل الإيمان تصديق بالله وبرسوله وتصديقهما فيما أخبرا به، من وجود الله وربوبيته، ونبوة رسول الله ورسالته، وبكل ما أخبر به من الملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر، والقضاء والقدر، مع حب الله تعالى وحب رسوله، وحب كل من يحبانه، وطاعتهما في الأمر والنهي.

وآية الإيمان النطق بالشهادتين، فمن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فهو مؤمن وهو المسلم، ومن لم ينطق بهما، فليس هو بالمؤمن ولا المسلم، بل هو الكافر المشرك.

والإيمان أهله متفاوتون فيه قوة وضعفًا؛ دل على ذلك قول الرسول ﷺ: «**لو وضع إيمان أبي بكر في كفة، وإيمان الأمة في كفة لرجح إيمان أبي بكر**»، وإجماع أهل السنة والجماعة على ذلك.

ومن الأدلة الظاهرة على أن الإيمان يختلف في قلوب أهله قوة وضعفًا أن المؤمنين متفاوتون في الطاعات والقربات والمسارعة في الخيرات، فإن منهم من يُدعى إلى الصدقة، فيتصدق بكل ما يملك كأبي بكر.

ومنهم من يتصدق بنصف ما عنده كعمر رضي الله عنه.

ومنهم من يجهز جيشًا كاملًا كما فعل عثمان رضي الله عنه.

ومنهم من لا يزيد على الفرائض، نوافل: وهو المقتصد، قال تعالى:

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾ [فاطر: ٣٢، ٣٣] .

فالظالم لنفسه: مؤمن يقوى إيمانه فيعمل عملًا صالحًا، ويضعف فيعمل عملًا سيئًا.

والمقتصد: مؤمن متوسط الإيمان، فهو ممتثل للأمر مجتنب للنهي، ولم يقو إيمانه، فيسابق غيره في الخيرات.

والسابق في الخيرات: مؤمن قوي إيمانه، فحمله على فعل الواجبات وترك المنهيات، ودفعته قوته إلى المنافسة في الطاعات والمسارعة في الخيرات كل ذلك الإيمان والآن من هو المؤمن؟

إن المؤمن الحق: هو الذي آمن بالله ورسوله محمد وصدقهما في كل ما أخبرا به ووطن نفسه لطاعتهما في كل ما أمرا به ونهيا عنه، وأعرب عن ذلك بقوله: (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله) وحققه بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت الحرام، هذا هو المؤمن الذي تجب موالاته وتحرم معاداته، وهو المسلم الحق الذي هو أخ لك فهو مسلم يحرم دمه وعرضه وماله، ولا يخرجه من الإيمان والإسلام إلا تكذيبه لما آمن به أو لبعضه أو إنكاره لأمر مما أمر الله به وأمر به رسوله أو لنهي مما نهى الله عنه ورسوله أو استخفافه

به أو سخريته ببعض ما آمن به أو بعض ما أمر بفعله أو تركه مما هو شرع الله تعالى ودينه الثابت بالكتاب والسنة النبوية الصحيحة.

والمؤمن ليس بمعصوم[١] من ارتكاب الخطايا والذنوب، قد يترك واجبًا، وقد يفعل محرمًا[٢]، وهو غير مستحلٍّ لذلك ولا مستخف به، ولم يخرجه ذلك من إيمانه ولم يسلبه صحة إسلامه، ومتى تاب من ذنبه تاب الله عليه، ولا يهلك إلا المُصِرّ.

المؤمن يقوى إيمانه ويحسن إسلامه، ويتجلى ذلك في نهوضه بكل الواجبات، وتخليه عن كل المحرمات والمكروهات ومسابقته في الصالحات والخيرات، والمؤمن: يضعف إيمانه ويسوء إسلامه لما يطرأ عليه من عوامل الرغبة في الحياة الدنيا ومؤثرات النفس والهوى وقرناء السوء وعارض الغفلة والنسيان، ويظهر ذلك في إهماله بعض الفرائض، وتركه الكثير من الواجبات مع غشيانه بعض المحرمات، وليس ذلك بمخرجه من الإيمان ولا بمبعده عن الإسلام ما دام يؤمن بالله ولقائه

---

(١) هي حفظ الله للعبد من الوقوع في المعصية التي هي ترك واجب أو فعل محرم، هذه العصمة خاصة بالنبي ﷺ؛ لأنه أسوة للمؤمنين، فلو كان يجوز في حقه فعل المعاصي لكان الناس معذورين في ارتكابهم المعاصي بحجة الاقتداء بالرسول ﷺ.

(٢) أوضح دليل على ارتكاب المعصية هو شرع الله تعالى للحدود كحد الزنا والسرقة والقذف والقتل... إلخ.

والرسول وما جاء به من الهدى والشرائع والأحكام، فإن تاب قبل موته تاب الله عليه، ويرجى له دخول الجنة بعد النجاة من النار، وإن مات قبل أن يتوب فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه وغفر له، وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه، ثم رحمه فأدخله الجنة دار السلام مع المتقين والأبرار....(١).

والآن أتحدث عن الكفر... ومن هو الكافر؟

الكفر: لغة: الستر والتغطية، ومنه: كفر الزُّرَّاع البذر في الأرض: أي: غطوه بالتراب لينبت؛ ولئلا يأكله الطير.. وفي القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ اَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى الْأَمْوَٰلِ وَالْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى الْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ الْغُرُورِ ﴾[الحديد: ٢٠].

والكفر نقيض الإيمان وهو الجحود.

والكفر نوعان: كفر أكبر، وكفر دون كفر (الكفر الأصغر).

- **أولاً: الكفر الأكبر:**

وهو ذلك الذي يناقض الإيمان ويبطل الإسلام، ومن صوره:

١- إنكار وجود الله سبحانه وتعالى: وهو ككفر الشيوعيين

(١) «القول المبين في حكم تكفير المؤمنين» (٩-١٥).

والعلمانيين.

٢- **إنكار أسماء الله وصفاته أو الإلحاد فيها**: الإلحاد: الميل والعدول عن الشيء، فالملحد العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس منه، ولحد في الدين يلحد، وألحد: مال وجار وعدل.

٣- **تكذيب المولى ﷻ فيما أخبر به عن الغيبيات**، ونزول الوحي ووجود الملائكة والجن والبعث والحساب.

٤- **تكذيب رسول الله ﷺ بما جاء به من نبوة ورسالة.**

٥- **التكذيب بالقرآن الكريم أو بحرف منه**: ويشمل التكذيب بالكتب السابقة كالتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى، فكل هذا جاء من عند الله والتكذيب به كفر.

٦- **تكذيب المولى ﷻ فيما شرعه من الشرائع**: كالعبادات والأحكام والآداب والأخلاق.

٧- **إنكار البعث والحساب ومعاد الأجسام دون الأرواح** كاعتقاد النصارى.

٨- **إنكار القدر**: وهو حدوث حدث في الكون صغيرًا كان أو كبيرًا قد سبق علم الله به.

٩- **إنكار وجوب حدٍّ من حدود الله كحد السرقة والزنا،**

والقتل... إلخ.

١٠ - **الإشراك بالله**: في ربوبيته باعتقاد خالق أو رازق أو مدبر للكون والحياة مع الله تعالى أو في أسمائه وصفاته كأن يسمي إنسانًا: الله أو الرحمن أو الرب، وكأن يعتقد أن فلانًا يعلم الغيب، أو أن الميت يسمع نداء الحي فيشفع له في قضاء حاجته(١)، أو يتوسل بالميت لقضاء حوائجه.

١١ - **إنكار تكفير الكافر أو إشراك المشرك**(٢): لما في ذلك من تكذيب المولى ﷻ ورسوله ﷺ؛ إذ الرضا بالشيء معناه: إقراره وقبوله.

١٢ - **تَعَلُّم السحر وتعاطيه**: بإجماع من أهل السنة والجماعة على كفر الساحر ووجوب قتله؛ لحديث: «**حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ**»(٣).

وعن بجالة بن عبدة قال: كنت كاتبًا لِجَزْءِ بن معاوية عم الأحنف ابن قيس فأتى كتاب عمر بن الخطاب قبل موته بشهر: أن اقتلوا كل

---

(١) لا يكفر جهال المسلمين بمثل هذا الشرك إلا بعد علمهم به، فإن علموا أنه شرك وأصروا على اتباعه أو حفاظًا على منافعهم المادية، فإنهم يكفرون بهذا الشرك ولا شك.

(٢) كمن ينكر: كفر اليهود والنصارى ويقول بإيمانهم.

(٣) رواه الترمذي (١٤٦٩)، وضعفه ابن حجر في «الفتح» (١٠/ ٢٣٦)، وقال الترمذي: الصحيح أنه موقوف.

ساحر وساحرة، وفرقوا بين كل ذي رحم محرم من المجوس، وانهوهم عن الزمزمة، فقتلنا ثلاث سواحر، وجعلنا نفرق بين الرجل وحريمه(١).

١٣- الاستهزاء والاستخفاف بالله وآياته ورسله وأوليائه الصالحين وما شرع الله تعالى ورسوله لعباده المؤمنين من الشرائع وغيرها:

اعلم أخا الإسلام أن هذا الكفر لا يحكم لصاحبه بالنار والخلود فيها إلا بعد أن يموت على كفره ولم يتب منه قبل موته، فإن تاب قبل أن يحضره الموت قبلت توبته إن شاء الله.

١٤- تكذيب ما جاء في القرآن والحديث:

أو تكذيب بعض ما جاء فيهما، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٨]، وقوله تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ [البقرة: ٨٥].

١٥- كفر الإباء والاستكبار مع التصديق:

وهو عدم الانقياد للحق مع الإقرار به، وذلك ككفر إبليس، والدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ

(١) رواه أبو داود (٣٠٤٣) وغيره. وقال أحمد شاكر في «تحقيق المسند» (١٦٥٧): إسناده صحيح، ورواه أحمد (١/ ١٩٠-١٩١).

﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

١٦- **كفر الظن والشك بيوم القيامة أو إنكاره وعدم تصديقه**: كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرًا مِّنۡهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٦، ٣٧].

١٧- **كفر الإعراض**: وهو أن يعرض الشخص عن مطلب شرعي من مطالب الإسلام غير مؤمن به، والدليل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣].

١٨- **كفر النفاق**: وهو إظهار الإسلام باللسان وإبطانه الكفران؛ لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨].

١٩- **الحاكم بغير ما أنزل الله**: وهو معترف بحكم الله ولكنه فعلَ ذلك من أجل رشوة مثلًا، فلا يخرجه من الملة، ولكن يعد هذا العمل كبيرة من الكبائر.

قال ابن عباس: من أقر به فهو ظالم فاسق، واختاره ابن جرير، وقال عطاء: كفر دون كفر.

• **ثانيًا: الكفر الأصغر:**

وهذا الكفر لا يخرج من الملة، وهو الكفر العملي، وهو الذنوب التي وردت تسميتها في الكتاب والسنة كفرًا، وهي لا تصل إلى حد الكفر الأكبر، مثل كفر النعمة المذكور في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١١٢].

ومثل:

١- **اختلاف الأمة وضرب بعضها رقاب بعض**؛ لقوله ﷺ: «**لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**»(١).

٢- **الحلف بغير الله**؛ إذ قال ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ، فَقَدْ أَشْرَكَ**»(٢)، أو «**كَفَرَ**»(٣).

وأجمع أهل السنة والجماعة على أن هذا الشرك والكفر هما من الشرك والكفر الأصغر الذي لا يخرج صاحبه من الإسلام.

٣- **إتيان الكاهن وتصديقه فيما يخبر به من الغيب**؛ لحديث: «**مَنْ أَتَى**

---

(١) البخاري (١٧٣٩).

(٢) الترمذي (١٥٣٥)، وأحمد (٢/ ٦٧، ٨٧، ١٢٥)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٣) رواه أبو داود (٣٢٥١) وغيره، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».

كَاهِنًا، أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»(١).

هذا كفر أصغر بلا خلاف بين أهل السنة والجماعة.

٤- قول المؤمن لأخيه المؤمن: (يا كافر)؛ للحديث الصحيح: «**إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا**»(٢) يعني: إذا كان الوصف مطابقًا للموصوف فذاك، وإلا فقد رجع الكفر على قائله، فهذا كفر أصغر لا يخرج من الملة، وإنما هو ذنب عظيم؛ إذ لا يجوز وصف المسلم بالكفر.

٥- إتيان المرأة في دبرها وجماع الحائض قبل طهرها، الحديث رواه الإمام أحمد: «**مَنْ أَتَى حَائِضًا، أَو امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا، أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ**»(٣).

٦- كفر الجحود: وهو إنكار شيء معلوم من الدين، مثل أركان الإسلام أو الإيمان كمن يترك الصلاة جاحدًا لها- وكذلك الحاكم إذا جحد حكم الله؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وهذا الكفر الأصغر لا يخرج من الملة، ولكنه كبيرة من الكبائر توجب العذاب لصاحبها في الدار الآخرة.

---

(١) رواه أبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥) وغيرهما، وصححه الألباني رحمه الله.

(٢) رواه البخاري (٦١٠٤).

(٣) أحمد (٢/ ٤٠٨، ٤٧٦) وغيره، وصححه الألباني في «إرواء الغليل» (٢٠٠٦).

٧- كفر النعمة: قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧].

٨- وقوله ﷺ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»(١).

وقوله ﷺ: «لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»(٢).

وقوله ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ»(٣) وذلك إذا تركها كسلًا لا جحودًا. كان هذا تفصيلًا للكفرين الأكبر والأصغر، وبيان خطورة كل منهما وبيان أن الكفر الأول كان عليه أئمة الكفر أمثال أبي جهل وأبي لهب... وغيرهم، والكفر الثاني وهو من أعظم الذنوب التي توجب لصاحبها العذاب في الدار الآخرة إن لم يتب.

ملخص الفروق بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر:

١ - أن الكفر الأكبر يخرج من الملة، ويحبط الأعمال، والكفر الأصغر لا يخرج من الملة ولا يحبط الأعمال، لكن ينقصها بحسبه ويعرض صاحبها للوعيد.

---

(١) البخاري (٦٠٤٤).

(٢) البخاري (٦٧٧٢)، ومسلم (٥٧).

(٣) مسلم (٨٢).

٢- أن الكفر الأكبر.. يخلد صاحبه في النار، والكفر الأصغر إذا دخل صاحبه النار، فإنه لا يخلد فيها، وقد يتوب الله على صاحبه، فلا يدخله النار أصلًا.

٣- أن الكفر الأكبر يبيح الدم والمال والكفر الأصغر لا يبيح الدم والمال.

٤- أن الكفر الأكبر يوجب العداوة الخالصة بين صاحبه وبين المؤمنين، فلا يجوز للمؤمنين محبته وموالاته، ولو كان أقرب قريب، وأما الكفر الأصغر، فإنه لا يمنع الموالاة مطلقًا، بل صاحبه يُحَبُّ ويُوَالَى بقدر ما فيه من الإيمان، ويُبْغَضُ ويُعَادَى بقدر ما فيه من العصيان(١).

- **كانت هذه هي الفروق بين الكفر الأكبر والأصغر، فمن هو الكافر...؟**

والجواب... الكافر حقًّا الذي تجب معاداته وتحرم موالاته، ولا يتزوج مسلمة، ولا تقبل له شهادة، ولا يرث ولا يورث، وإذا مات لا يغسل ولا يكفن ولا يُصلى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين وهو من انطبقت عليه صورة أو أكثر من الصور الثلاث عشرة التي تقدمت أولها: جحود الله تعالى، إنكار وجوده... إلخ... وآخرها الاستهزاء أو

---

(١) «**عقيدة التوحيد**» **للدكتور** صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان (ص:٨٤).

الاستخفاف بالله وآياته ورسله... إلخ[١].

- **وأخيرًا متى يصير المؤمن كافرًا وما حكم من يكفره؟**

وللإجابة على الجزء الأول من السؤال: أقول:

قال الإمام الطحاوي رحمه الله: ولا نُكفِّر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله، ولا نقول: «لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله»، إلى أن قال: «والأمن والإياس ينقلان عن ملة الإسلام، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة، ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه[٢]. اهـ.

وبيان هذه القاعدة أن الشارع قد جعل للإيمان والإسلام مدخلًا وبابًا يدخل منه ـ وهو كما علمت ـ الإقرار والتصديق بالشهادتين، فمن ولج إلى الإسلام من هذا الباب، فإنه لا يخرج إلا أن يصدر عنه قول أو عمل أو اعتقاد يناقض إقراره السابق وتصديقه بالشهادتين، وقد علمت فيما تقدم أن معنى شهادة أن «لا إله إلا الله» توحيد الله في ربوبيته وأسمائه وصفاته وأفعاله وتوحيده في ألوهيته، وعدم توجه الإنسان بالعبادة إلى غيره سبحانه، وأن معنى شهادة «أن محمدًا رسول الله ﷺ» الإيمان بما جاء به من الشرائع وما أخبر به من أمور الغيب، وأنه من عند ربه عز وجل والاعتراف له بجميع أخلاق وصفات النبوة من صدق وأمانة

(١) «القول المبين في حكم تكفير المؤمنين» (ص:٢٥).

(٢) انظر: «شرح العقيدة الطحاوية».

وفطانة وتبليغ وعصمة وغير ذلك، وبعد هذا فإن من قال قولًا أو فعل فعلًا يدل على إنكار شيء مما تقدم يكون قد نقض إقراره السابق بالشهادتين، وخرج من دين الله - سبحانه - فإن كان قوله أو فعله مطابقًا لحقيقة نيته واعتقاده كان كافرًا في الدنيا والآخرة، فيعامل بأحكام الكفار في الدنيا، وتطبق عليه أحكام الردة، والتي من أهمها الاستتابة، ثم القتل إن لم يتب، فيكون من المخلدين في نار جهنم إن مات على هذا الحال، وأما إذا أذنب المؤمن وقال قولًا أو فعل فعلًا يعد في الشرع معصية لله ـ تعالى ـ فلا يكون هذا بمجرده دليلًا على خروجه من الإيمان، وإن لم يتب منه، إن لم يكن فيه ما يدل على نقضه الشهادتين أو إحداهما، وهو في مشيئة الله إن شاء عذبه بذنبه ومعصيته وأدخله النار، ثم مآله إلى الجنة، لكثرة الأحاديث الصحيحة الدالة على أنه يخرج من النار من مات وفي قلبه مثقال ذرة من إيمان، وإن شاء الله - سبحانه - غفر له ولم يعذبه وأدخله الجنة بغير عذاب في النار، فإن الله سبحانه يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] (١).

فهذه الآية ـ ولا شك ـ في حق من مات على غير توبة؛ لأنه ﷻ قيد المغفرة وخصصها بما دون الشرك، أما قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ

(١) «الإيمان: أركانه حقيقته نواقضه» (ص: ٩٩، ١٠٠) نقلًا عن «عقيدة أهل السنة والجماعة» لأحمد فريد (ص:١٣، ١٤).

جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، ففي حق التائبين أطلق المغفرة وعمم بها جميع الذنوب، فالمشرك إذا تاب قبلت توبته، والله أعلى وأعلم(١).

قال في «معارج القبول»:

اعلم أن الذي أثبتته الآيات القرآنية والسنة النبوية ودرج عليه السلف الصالح والصدر الأول من الصحابة والتابعين لهم بإحسان من أئمة التفسير والحديث والسنة أن العصاة من أهل التوحيد على ثلاث طبقات:

الأولى: قوم رجحت حسناتهم بسيئاتهم، فأولئك يدخلون الجنة من أول وهلة، ولا تمسهم النار أبدًا.

الطبقة الثانية: قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم وتكافأت، فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة، وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار، وهؤلاء هم أصحاب الأعراف الذين ذكر الله- تعالى- أنهم يوقفون بين الجنة والنار ما شاء الله أن يوقفوا، ثم يؤذن لهم في دخول الجنة.

الطبقة الثالثة: قوم لقوا الله - تعالى - مُصرِّين على كبائر الإثم والفواحش ومعهم أصل التوحيد، فرجحت سيئاتهم بحسناتهم، فهؤلاء

(١) «عقيدة أهل السنة والجماعة».

هم الذين يدخلون النار بقدر ذنوبهم، وهؤلاء هم الذين يأذن الله ـ تعالى ـ بالشفاعة فيهم لنبينا محمد ﷺ ولغيره من بعده من الأولياء والملائكة ومن شاء أن يكرمه(١).

• **وخلاصة القول:**

إن المؤمن ينسب إلى الكفر إذا اعتقد الكفر أو قاله عالمًا به أو فعله مريدًا له مختارًا غير مُكْرَهٍ عليه؛ لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ [النحل: ١٠٦]، ومعنى تكفير المؤمن نسبته إلى الكفر أو نسبة الكفر إليه، وذلك بأن يعتقد ما هو كفر أو يقوله أو يفعله، وقد مرت صوره آنفًا، وعرفنا من هو الكافر، وبناء على ذلك نقول: إن المؤمن قد ينسب إلى الكفر إذا هو اتصف بصفة أو أكثر من تلك الصفات التسع عشرة، فإن هو تاب عاد إلى الإسلام وعادت إليه مكانته بين إخوانه المسلمين، وإن أصر على الكفر بعد الإيمان تعينت معاداته، وحرمت موالاته وعومل بما يعامل به سائر الكفار والمشركين من أهل الملل والنحل التي لا تدين لله بالإسلام كالمشركين والمجوس واليهود والنصارى(٢).

---

(١) «معارج القبول» (١/ ٤٢٢، ٤٢٣) مع حذف يسير.

(٢) «حكم تكفير المؤمنين».

• **أما حكم من يكفره:**

اعلم أخي المسلم: أن الحكم على المسلم بالكفر وهو لا يستحقه ذنب عظيم؛ لأنه حكم عليه بالخروج من ملة الإسلام، وأنه حلال الدم والمال وحكم عليه بالخلود في النار إن مات على ذلك؛ ولذلك ورد الوعيد الشديد في شأن من يحكم على مسلم بالكفر وهو ليس كذلك، فقد ثبت عن أبي ذر قال: قال النبي ﷺ: «**لاَ يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالْفُسُوقِ، وَلاَ يَرْمِيهِ بِالْكُفْرِ، إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ**»(١).

وقال ﷺ: «**مَا أَكْفَرَ رَجُلٌ رَجُلًا قَطُّ إِلَّا بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا**»(٢).

وقال ﷺ: «**أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يا كَافِرٌ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ**».

وقال المناوي رحمه الله: إذا أكفر الرجل أخاه أي: نسبه إلى الكفر بأن قال: أنت كافر أو يا كافر أو قال عنه: فلان كافر (فقد باء): أي: رجع (بها) أي بالمعصية المذكورة حكمًا، يعني: رجع أحدهما بمعصية إكفاره على حد: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ: ٢٤].

قال بعضهم: والجزم في الحديث التالي: «**إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ**»، ومن ثم كانت هذه الرواية في قوة قضية منفصلة أقيم

---

(١) البخاري (٦٠٤٥).

(٢) «صحيح الجامع» (٥٤٢١).

البرهان على صدقها بخلاف تلك؛ إذ معناه كل مكفر أخاه فدائما إما أن يكفر القائل أو المقول له، وبرهن على صدق ذلك بأنه إن كان كما قال وإلا كفر القائل(١).

ولذلك كله، فإنه يجب على المسلم الذي يريد لنفسه النجاة ألَّا يتعجل في إصدار الحكم على أحد من المسلمين بالكفر أو الشرك. كما أنه يجب على كل مسلم أن يجتنب مجالسة الذين يتكلمون في مسائل التكفير، وهم ممن يحرم عليهم ذلك لقلة علمهم؛ لأن كلامهم في هذه المسائل من الخوض في آيات الله، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٦٨] (٢).



---

(١) «فيض القدير» (١/ ٢٩٥).

(٢) «تهذيب تسهيل العقيدة الإسلامية» (ص:١٠٠ تأليف أ. د. عبد الله بن عبد العزيز الجبرين).

الكــــذب

الكذب

الكذب لغة:

قال ابن منظور ؒ: الكذب نقيض الصدق يقال: كَذَبَ يَكْذِبُ كَذِبًا وكِذْبًا وكِذْبةً وكَذِبةً، وكُذَبَةٌ مثال هُمَزَة، وكَذْبانٌ، والكُذَّب: جمع كـاذب، مثل: رَاكِع ورُكَّع، والكُذُب: جمع كذوب، مثل صبور وصُبُر، وكَذَبَ الرجل: أخبر بالكذب [١].

قال ابن فارس: الكذب لغة: مصدر قولهم: كذب يكذب وهو مأخوذ من مادة (ك ذ ب) التي تدل على خلاف الصدق، وتلخيص هذا: أنه لا يبلغ نهاية الكلام في الصدق... يقال: كذب كذبًا وكذبت فلانًا: نسبته إلى الكذب، وأكذبته وجدته كاذبًا... [٢].

الكذب اصطلاحًا: قال ابن حجر ؒ: الكذب: هو الإخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه سواء كان عمدًا أم خطأ [٣].

---

(١) «لسان العرب» (١/ ٧٠٤، ٧٠٥).

(٢) «مقاييس اللغة» (٥/ ١٦٨).

(٣) «فتح الباري» (٦/ ٢٤٢).

حديث القرآن عن الكذب:

- **القرآن يذم الكذب والكذابين:**

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ١٠٥].

وقال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ٦١].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴾ [الذاريات: ١٠] أي: لعن الكاذبون...

فالمؤمن والمؤمنة لا يكذبان أبدًا؛ لأنهما يعلمان علمًا يقينيًا أن الله لا يحب الكاذبين، وقد يوصف المسلم بالجبن، ولكنه لا يوصف بالكذب، المؤمن والمؤمنة لا يكذبان؛ لأن الكذب مذموم عند الله رب العالمين، أما الكذاب والكذابة يفتريان الكذب؛ لأن الإيمان بآيات الله لم يرسخ في قلبيهما، فمن ثم من آمن بآيات الله الواحد، فهو لا يفتري الكذب.

- **النبي ﷺ يحذر أمته من الكذب:**

- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ**

صِدِّيقًا، وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»(١).

البر: العمل الصالح الخالص من كل مذموم.

الفجور: الأعمال السيئة، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ليس فيما دون الصدق من الحديث خير، من يكذب يفجر، ومن يفجر يهلك.

- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا ائْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ »(٢).

- وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ»(٣).

ربض الجنة: أي: فيما حولها من خارج عنها.

---

(١) البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

(٢) البخاري (٢٤٥٩)، ومسلم (٥٨).

(٣) رواه أبو داود (٤٨٠٠)، وحسنه الألباني وهو في «الصحيحة» (٢٧٣).

- **يستفاد من هذه الأحاديث:**

١- الحث على تحري الصدق.

٢- التحذير من الكذب والتساهل فيه، فإنه إذا تساهل فيه أكثر منه فعرف به فكتب عند الله كذابًا.

٣- الجزاء المعد في الآخرة لمن ترك الكذب ولو كان مازحًا.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ - قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ - وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ** »(١).

- **بعض مرادفات الكذب في القرآن الكريم:**

١- قد يأتي بمعنى النفاق، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠]، أي بما كانوا ينافقون.

٢- ويأتي الكذب بمعنى الإنكار... وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم: ١١]، أي ما أنكر الفؤاد ما رأى.

٣- ويأتي بمعنى خلف الوعد... وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ [الواقعة: ٢]، أي ليس لوقعتها رد وخلف.

---

(١) رواه مسلم (١٠٧).

حكم الكذب:

ذكر الإمام الذهبي وابن حجر الهيتمي - رحمهما الله تعالى - أن الكذب غير المرخص فيه من الكبائر، وأن أشد الكذب ما كان كذبًا على الله أو رسول الله ﷺ.

وذكر ابن حجر في «زواجره» أن هذين النوعين من الكذب (أعني الكذب على الله والكذب على رسوله ﷺ) من الكبائر، وذهب بعض العلماء إلى أن الكذب على الله والرسول ﷺ كفر، ولا ريب أن تعمد الكذب على الله ورسوله في تحليل حرام أو تحريم حلال كفر محض، وإنما الكلام في الكذب عليهما فيما سوى ذلك [١].

وقد ذكر الذهبي رحمه الله أن الكذب على الله ورسوله كبيرة، وكذلك الكذب في غالب أقواله من الكبائر[٢].

وللكذب أسباب ودواعٍ ودوافع ذكرها صاحب «أدب الدنيا والدين» فقال رحمه الله: من هذه الدواعي والأسباب:

١-اجتلاب النفع واستدفاع الضر، فيرى الكذاب أن الكذب أسلم وأغنم، فيرخص لنفسه فيه اغترارًا بالخُدَعِ، واسْتِشْفَافًا للطَّمَعِ.

٢- أن يقصد بالكذب التشفي من عدوه، فيسمه بقبائح يخترعها

(١) «الزواجر» (١٢٤، ١٢٥).

(٢) «الكبائر» للذهبي.

عليه، ويصفه بفضائح ينسبها إليه.

٣- أن تكون دواعي الكذب قد ترادفت عليه، حتى ألفها فصار الكذب له عادة ونفسه إليه منقادة(١).

أنواع الكذب:

- **الكذب على الله:**

إن الكذب على الله تعالى أبشع أنواع الكذب... وذلك يكون بتحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفۡتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴾ [النحل: ١١٦].

وقوله: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفۡتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ... ﴾ أي: ينهاهم عن التحريم والتحليل من تلقاء أنفسهم بأن يصفوا الشيء بأنه حلال أو حرام لمجرد قولهم بألسنتهم الكذب: هذا حلال وهذا حرام، كما يفعل المشركون فحللوا وحرموا بدون وحي إليهم ولا شرع سماوي ليؤول قولهم وصنيعهم ذلك إلى الافتراء على الله، والكذب عليه مع أن الكاذب على الله لا يفلح أبدًا؛ لقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ﴾ [النحل:

---

(١) «أدب الدنيا والدين» (ص:٢٥٦).

١١٦، ١١٧] وإن تمتعوا قليلًا في الدنيا بمال وولد أو عزة وسلطان، فإن ذلك متاع قليل جدًّا، ولا يعتبر صاحبه مفلحًا ولا فائزًا، فإن وراء ذلك العذاب الأخروي الأليم الدائم الذي لا ينقطع، ويدخل في باب الكذب على الله أولئك الذين يتجرؤون على الفتوى بدون علم، فتجد أحدهم يفتي في مسألة ما فإذا سألته عن الدليل من آية أو حديث تحير وتوقف، وربما قال لك: هذا مذهب فلان أو هذا رأى الجمهور أو إلى هذا ذهب بعض أهل العلم، وأمثال هذه المصطلحات التي تؤتى بها عند فقدان الحجة، كما قال الشافعي رحمه الله:

والعلم ما كان فيه: قال: حدثنا   وما سوىٰ ذاك وسواس الشياطين

ولا تظن أخي المسلم أن هذا الكلام دعوة إلى نبذ المذاهب وإهمالها.. كلا...كلا... ولكن المقصود ألا نأخذ مسألة إلا بعد معرفة الدليل من الكتاب أو السنة أو إجماع الأمة والأئمة. والله تعالى أعلم.

- **الكذب على رسول الله ﷺ:**

إن الكذب على النبي الكريم ﷺ من صور الكذب القبيحة، قال ﷺ: «**إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»(١).

(١) رواه البخاري(١٢٩١)، ومسلم (٤).

وقال ﷺ: «**لَا تَكْذِبُوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَلِجِ النَّارَ**»(١).

وقال ﷺ: «**مَنْ تَعَمَّدَ عَلَيَّ كَذِبًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»(٢).

وقال ﷺ: «**مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ، فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ**»(٣).

قال الإمام النووي رحمه الله:

قوله: «**فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»: قال العلماء: معناه: فلينزل، وقيل: فليتخذ منزله من النار، وقال الخطابي: أصله من مباءة الإبل وهي أعطانها ثم قيل: إنه دعاء بلفظ الأمر أي: معناه فقد استوجب ذلك، فليوطن نفسه عليه، ثم قال: واعلم أن هذا الحديث يشتمل على فوائد وجمل من القواعد:

إحداها: تقرير هذه القاعدة لأهل السنة أن الكذب يتناول إخبار العامد والساهي عن الشيء بخلاف ما هو.

الثانية: تعظيم تحريم الكذب عليه وأنه فاحشة عظيمة وموبقة كبيرة، ولكن لا يكفر بهذا الكذب إلا أن يستحله، هذا هو المشهور من مذاهب

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري- في كتاب العلم (ج١)، ومسلم - باب تغليظ الكذب على رسول الله (ج١).

(٢) متفق عليه: «اللؤلؤ والمرجان».

(٣) متفق عليه.

العلماء.

الثالثة: أن لا فرق في تحريم الكذب عليه ﷺ وبين ما كان في الأحكام، وما لا حكم فيه كالترغيب والترهيب والمواعظ، وغير ذلك فكله حرام من الكبائر وأقبح القبائح بإجماع المسلمين الذين يعتد بهم في الإجماع.

يقول عَلِيُّ بن أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَأَنْ أَخِرَّ مِنَ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكْذِبَ عَلَيْهِ، وَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، فَإِنَّ الحَرْبَ خَدْعَةٌ(١).

- **الكذب لإضحاك الناس:**

روى أبو داود والترمذي وحسنه أن النبي ﷺ قال: «**وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالحَدِيثِ لِيُضْحِكَ بِهِ القَوْمَ فَيَكْذِبُ، وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ**»(٢).

فمن الأمور المنكرة التي انتشرت بين الناس في هذه الأيام ما يسمى بالنكت، وهذه النكت كما هو معلوم قصص مكذوبة، يقصد بها إضحاك الآخرين، وإدخال السرور إلى قلوبهم.

---

(١) البخاري مع «الفتح» (٦/ ٣٦١١).

(٢) أحمد (٧/ ٢٠٠٦٦)، وأبو داود (٤٩٩٠)، والترمذي (٢٣٢٢) وقال: حديث حسن، المقصود بالحديث الذي يضحك الناس: وهي النكت المتعارف عليها في زماننا.

- **ومن أضرار هذه النكت ما يلي:**

أولاً: الكذب، وهو من أعظم المفاسد، وقد نهى الله تعالى عنه في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠].

وهذه النكت وإن قصد بها المزاح، فإنه ورد عن النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أبو داود من حديث أبي أمامة أنه قال: «**أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ**»(١).

وهذا - والله أعلم- إذا لم تتضمن قولًا فاحشًا، أو نشر فاحشة، أو إشاعة منكر، أو استطالة في عرض مسلم، فما كان من هذا ونحوه لا شك أنه من المحرمات.

قال الإمام أحمد رحمه الله: (الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل).

وقال الذهبي: رحمه الله: «يطبع المسلم على الخصال كلها إلا الخيانة والكذب».

ثانيًا: ومن أضرارها: أن بعض هذه النكت تحتوي على الاستهزاء

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٠٠).

بدين الله، أو المؤمنين، وهذا يؤدي بصاحبه إلى الكفر والخروج من دائرة الإسلام، قال الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦]، وهو من نواقض الإسلام العشرة.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: أجمع العلماء على كفر من فعل شيئًا من ذلك، فمن استهزأ بالله أو بكتابه، أو رسوله، كفر ولو مازحًا لم يقصد حقيقة الاستهزاء إجماعًا(١).

ثالثًا: أنها تؤدي إلى السخرية بالناس واحتقارهم.

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

[الحجرات: ١١].

روى مسلم في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا** - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - **بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ**

---

(١) «تيسير العزيز الحميد» (٦١٧).

أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»(١).

رابعًا: أن فيها إضاعة الوقت، وهذا الوقت سيسأل عنه العبد يوم القيامة، عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ**»(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ**»(٣).

خامسًا: أن بعض هذه النكت تحتوي على الفحش وبذاءة اللسان، وهذا لا يليق بالمؤمن، لا قوله، ولا الاستماع إليه، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

قال بعض المفسرين: أي: الكذب، وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ

---

(١) مسلم (٢٥٦٤).

(٢) الترمذي (٢٤١٧).

(٣) البخاري (٦٤١٢).

فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: «**إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا**»(١).

• الكذب في الرؤيا:

روى البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ، وَلَنْ يَفْعَلَ**»(٢).

وروى البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «**أَفْرَى الْفِرَى أَنْ يُرِيَ الرَّجُلُ عَيْنَيْهِ مَا لَمْ تَرَيَا**»(٣) والفرية: هي الكذبة.

وروى أيضًا من حديث أبى الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الفِرَى أَنْ يَدَّعِيَ الرَّجُلُ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، أَوْ يُرِيَ عَيْنَهُ مَا لَمْ تَـرَ، أَوْ يَقُولُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا لَمْ يَقُلْ**».

يُرِيَ عينه: يكذب فيما يدعي أن عينه رأته.

يدَّعِي: أي ينتسب إلى غير أبيه.

• يستفاد من هذه الأحاديث:

أن من أشد الكذب ثلاثة أمور:

الخبر عن الشيء أنه رآه في المنام ولم يكن رآه؛ وذلك لأنه يكذب

---

(١) البخاري (٣٥٥٩)، ومسلم (٢٣٢١).

(٢) البخاري (٧٠٤٢).

(٣) «الفتح» (١٢/ ٤٢٧).

على الله في أن الله أراه كذا وهو لم ير ما يقول، والادعاء إلى غير الأب؛ لأن فيه إضاعة للأنساب وإدخالا على الأسر ما ليس منها، وهذا يترتب عليه محاذير شرعية، والكذب على النبي ﷺ أيضًا لما يترتب على ذلك من تضليل الناس في الدين.

- **التكذيب بالقدر:**

يقول النبي ﷺ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي فِي آخِرِ زَمَانِهَا: النُّجُومُ، وَتَكْذِيبُ الْقَدَرِ، وَحَيْفُ السُّلْطَانِ**»(١).

- **ما يستفاد من الحديث:**

١- خبره ﷺ الصادق بوقوع الجور من السلطان، والظلم من الرعاة على الرعية.

٢- خوفه ﷺ على أمته من أذى الأئمة، وأن طائفة من أمته سوف يؤمنون بالنجوم وتأثيرها، وقد حصل هذا، وتَعَلُّم شعبة من النجوم تعلم شعبة من الشرك، وفي الحديث الذي رواه مسلم: «**مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي، مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ**».

٣- وفيه وقوع التكذيب بالقدر في هذه الأمة، وقد حصل هذا، ونشأ قوم يقولون: الأمر أُنُفٌ ولا قضاء ولا قدر، وقد كذبوا على الله بل القضاء

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» وصححه الألباني في «صحيح الجامع».

والقدر وعلمه سبحانه سابق لما حصل، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

روى الإمام أحمد من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَاقٌّ، وَلَا مُدْمِنُ خَمْرٍ، وَلَا مُكَذِّبٌ بِقَدَرٍ**»(١).

- **ما يستفاد من الحديث:**

هؤلاء الأصناف الثلاثة وهم: العاق لوالديه المنكر لفضلهما القاطع لمودتهما وبرهما، والمدمن الخمر يشربها، ويواظب عليها ويسكر بها، والمكذب بقضاء الله وقدره، هؤلاء جميعًا جزاؤهم إبطال أعمالهم وذهابها هباء منثورًا، فلا يقبل منهم فريضة أو نافلة أو شفاعة أو أية طاعة؛ لأن الثلاثة يجمعهم الجحود، وخسة النفس وسفالة الرأي ورذالة الهمة والاستهانة بأمر الله وموعوده وشرعه، فكان هذا جزاء وفاقًا.

- **من الكذب: التحدث بكل ما سمع:**

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

ولا تقف: القفو: الاتباع، يقال: قفاه يقفوه إذا تبعه.

أي: لا تتبع ما لا يتعلق به علمك من قول وفعل، فيدخل فيه شهادة

(١) رواه أحمد وصححه الألباني (٦٧٥).

الزور والكذب والبهتان.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**»[(١)].

• **يستفاد من الحديث:**

الزجر عن التحدث بكل ما سمع، فإنه يسمع الصدق والكذب، فإن حدث بكل ما سمع فقد كذب لإخباره بما لم يكن[(٢)].

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: بحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع.

وقال **عبد الرحمن بن مهدي**: لا يكون الرجل إمامًا يقتدى به حتى يمسك عن بعض ما سمع.

السلف يحذرون من الكذب:

- **قال عمر بن الخطاب** رضي الله عنه: لَأَنْ يضعني الصِّدقُ ـ وَقَلَّمَا يفعل ـ أحبُّ إليَّ من أن يرفعني الكذبُ ـ وَقَلَّمَا يفعل ـ[(٣)].

---

(١) رواه مسلم (٥).

(٢) «بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين».

(٣) «أدب الدنيا والدين» (٢٥٥).

- **وقال عبد الله بن مسعود** ﷺ: أعظم الخطايا الكذب...[١].

- **وقال أيضًا**: إياكم والكذب، فإنه يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب حتى يكتب عند الله كذابًا، ويثبت الفجور في قلبه، فلا يكون للبر موضع إبرة يستقر فيها.

- **وقال علي بن أبي طالب** ﷺ: أعظم الخطايا عند الله: اللسان الكذوب، وشر الندامة: ندامة يوم القيامة.

- **وقال سعد بن أبي وقاص** ﷺ: كل الخلال يطبع عليها المؤمن: إلا الخيانة والكذب.

- **وقال النووي** ﷺ: قد تظاهرت نصوص الكتاب والسنة على تحريم الكذب في الجملة، وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب، وإجماع الأمة منعقد على تحريمه مع النصوص المتظاهرة.

- **وقال الإمام أحمد** ﷺ: الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل[٢].

- **وقال ابن القيم** ﷺ: إياك والكذب، فإنه يفسد عليك تصور المعلومات على ما هي عليه، ويفسد عليك تصويرها، وتعليمها للناس.

---

(١) «الفوائد» لابن القيم (٢٠١).

(٢) «الآداب الشرعية» (١/ ٢٥).

- وقال أيضًا رحمه الله: إن أول ما يسري الكذب من النفس إلى اللسان فيفسده ثم يسري إلى الجوارح، فيفسد عليها أعمالها، يعم الكذب أقواله وأعماله وأحواله فيستحكم عليه الفساد، ويترامى داؤه إلى الهلكة [١].

- **وقال الحسن البصري** رحمه الله: الكذب جماع النفاق، أي: أصله.

- **وقال مسروق** رحمه الله: ليس شيء أعظم عند الله من الكذب.

- **وقال محمد بن كعب القرظي** رحمه الله: إنما يكذب الكاذب من مهانة نفسه.

- **وقال يزيد بن ميسرة** رحمه الله: الكذب يسقي باب كل شر كما يسقي الماء أصول الشجر.

- **وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى**: ما ماريت أخي أبدًا؛ لأني إن ماريته إما أن أكذبه وإما أن أغضبه[٢].

- **وقال أبو بكر بن عياش رحمه الله تعالى**: إذا كذبني الرجل كذبة لم أقبل منه بعدها.

- **قيل لخالد بن صبيح**: أرأيت من يكذب الكذبة هل يسمى فاسقًا؟ قال: نعم.

---

(١) «الفوائد» (ص:١٨٧) مع حذف يسير.

(٢) «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/١٨).

- **وقال جعفر بن محمد** رحمه الله: كفى بك موبخًا على الكذب علمك بأنك كاذب.

- **وقال ميمون بن مهران** رحمه الله تعالى: الله يقسم بما يشاء من خلقه، وليس لأحد أن يقسم إلا بالله، ومن أقسم بالله فلا يكذب، بلغني أنه فيما كتب الله لموسى - عليه الصلاة والسلام - في التوراة: (لا تحلف بي كاذبًا، إني لا أزكي عمل من يحلف بي كاذبًا).

- **وقال هزيل بن شرحبيل** رحمه الله: قال موسى عليه الصلاة والسلام: «رب أي عبادك خير عملًا؟» قال: «من لا يكذب لسانه، ولا يفجر قلبه، ولا يزني فرجه».

- **وهذا لقمان الحكيم** يحذر ولده من الكذب: يقول: يا بني إياك والكذب، فإنه شهي كلحم العصفور عما قليل يقلاه صاحبه [(١)].

- **ويقول أبو بكر الصديق** رضي الله عنه: أيها الناس: إياكم والكذب، فإنه مجانب الإيمان.

- **وقال الشعبي** رحمه الله: من كذب، فهو منافق.

عقوبة الكذب في القبر:

من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا**

---

(١) «الكذب في النار» (ص: ٤٠، ٤١).

عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخرَهُ إِلَى قفاهُ، وَعَيْنَهُ إِلَى قفاهُ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الجَانِبِ الآخَرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ المَرَّةَ الأُولَى» ... وفي آخر الحديث... «وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ، يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخرُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ، فَيَكْذِبُ الكَذْبَةَ تَبْلُغُ الآفَاقَ»، وفي رواية «فيفعل به إلى يوم القيامة».

كثرة الكذب دليل على قرب قيام الساعة:

فمن العلامات التي كثرت وانتشرت: الكذب ففي الحديث الذي رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي أُنَاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ مَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ، وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ»(١).

- وفي رواية عند أحمد بسند حسن من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْكَذِبُ...»(٢).

- وفي رواية في «صحيح مسلم» من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه أن

---

(١) مسلم (٦) في المقدمة.

(٢) أحمد (١٦/ ٤٢٢)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٧٧٢).

النبي ﷺ قال: «**إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ كَذَّابِينَ فَاحْذَرُوهُمْ**»(١).

لقد انتشر الكذب وكثر وأنا لا أعلم زمانا قد انتشر فيه الكذب، وكثر فيه الكذابون، وزيفت فيه الحقائق، وضيعت فيه الحقوق كهذا الزمان لو تدبرت - أخي الحبيب - ونظرت إلى حياة الناس نظرة فاحصة مدققة لوجدت جُلَّ أحوال الناس كذبًا في كذب...

- حاكم يكذب على شعبه.

- وشعب يدَّعي كذبًا أنهم شعب الله المختار، وأنهم أبناء العزيز الغفار وأنهم أحبابه، وأن لهم حقًّا تاريخيًّا في فلسطين...

- وعالم السوء يكذب على أمته، والتاجر يكذب على زبائنه...

- والوالد يكذب على ولده..

- والولد يكذب على والده...

- والزوجة تكذب على زوجها، والزوج يكذب على زوجته...(٢).

فيا أخي المسلم إياك...ثم إياك أن تقترف مثل هذا الذنب العظيم (الكذب).

---

(١) مسلم (١٨٢٢).

(٢) «أحداث النهاية» للشيخ الدكتور- محمد حسان- حفظه الله - (ص:٢٨٥، ٢٨٦).

• **ومن مثالبه وأضراره:**

١- الكذب وسيلة لدمار صاحبه أممًا وأفرادًا.

٢- الكذب قد يؤدي بصاحبه إلى النار.

٣- الكذب سراب يقرب البعيد ويبعد القريب.

٤- الكذب يذهب المروءة والجمال والبهاء.

٥- الكذاب لص يسرق العقل كما يسرق اللص المال.

٦- الكاذب مهان ذليل.

٧- الأمم التي كذبت الرسل لاقت مصيرها من الدمار والهلاك.

٨- يورث فساد الدين والدنيا.

٩- دليل على خسة النفس ودناءتها.

١٠- احتقار الناس له وبعدهم عنه.

١١- يمقت نفسه بنفسه ويحتقرها (١).

• **من صفات الكذاب:**

- ليس له مروءة تحثه، وتدفعه إلى الخير، وتمنعه من كل شر، يكثر من المواعيد... ويكثر من الاعتذارات.. يماطل...يُسَوِّفُ... لا يعتني

(١) «نضرة النعيم» (١١/ ٥٤٣٠).

بالعهود ولا يفي بالوعود... يزيد في الكلام إن كان ذلك لصالحه، وينقص منه إن كان في ذلك منفعته... عدم المسارعة إلى قول الحق... يزين كلامه؛ ليخفي أخطاءه التي يعرفها من نفسه... إلخ.

الشعراء يذمون الكذب والكذابين:

يقول الكريزي:

كذبت ومن يكذب فإن جزاءه إذا ما أتى بالصدق ألا يصدقا
إذا عرف الكذاب بالكذب لم يزل لدى الناس كذابا وإن كان صادقا
ومن آفة الكذاب نسيان كذبه وتلقاه ذا فقه إذا كان حاذقا

وقال مسعر بن كدام يوصي ابنه كدامًا:

إني منحتك يا كدام وصيتي فاسمع لقول أب عليك شفيق
أما المرا والمراء فدعهما خلقان لا أرضاهما لصديق
إني بلوتهما فلم أجدهما لمجاور جارًا ولا لرفيق
والجهل يزري بالفتي وعمومه وعروقه في الناس أي عروق[1]

وقال في «أدب الدنيا والدين»:

وما شيء إذا فكرت فيه بأذهب للمروءة والجمال
من الكذب الذي لا خير فيه وأبعد بالبهاء من الرجال[2]

---

(١) «الآداب الشرعية» (١/ ١٩).

(٢) «أدب الدنيا والدين» (ص:٢٥٣).

وقال محمود الوراق:

اصدق حديثك إن في ... الصدق الخلاص من الدنس
ودع الكذوب لشأنه ... خير من الكذب الخرس

وقال أيضًا:

إذا عرف الكذاب بالكذب لم يكن ... لدى الناس ذا صدق وإن كان صادقا
ومن آفة الكذاب نسيان كذبه ... وتلقاه ذا حفظ إذا كان حاذقا

وقال صالح بن عبد القدوس:

واختر صديقك واصطفيه تفاخرًا ... إن القرين إلى المقارن ينسب
ودع الكذوب ولا يكن لك صاحبا ... إن الكذوب لبئس خِلًّا يصحب(١)

وقال الأبرش:

الكذب مرديك وإن لم تخف ... والصدق منجيك على كل حال

وقال آخر:

لا يكذب المرء إلا من مهانته ... أو عادة السوء أو قلة الأدب (٢)

ما يباح من الكذب:

يقول النبي ﷺ: «**لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِي خَيْرًا، أَوْ يَقُولُ خَيْرًا**»(٣)، وزاد مسلم في رواية: **قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَلَمْ**

---

(١) «الترغيب والترهيب» (٤/ ٥٢- ٥٣).

(٢) انظر: «نضرة النعيم» و«الكذب في النار» لمجدي فتحي السيد.

(٣) متفق عليه.

أَسْمَعْ يُرَخَّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبٌ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: الْحَرْبُ، وَالْإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثُ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا.

معنى الحديث: ليس الكذاب المذموم الذي يصلح بين الناس، بل هو محسن وقوله: قالت أم كلثوم: ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس كذب إلا في ثلاث- تعني- الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها، قال القاضي: لا خلاف في جواز الكذب في هذه الصور، والكذب المباح: قالت طائفة: هو على إطلاقه.

وقالوا: الكذب المذموم ما فيه مضرة، واحتجوا بقول إبراهيم: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٣]، وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]، وقوله: «إنها أختي»، وقول منادي يوسف: ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ [يوسف: ٧٠] قالوا: ولا خلاف أنه لو قصد ظالم قتل رجل متخف وجب عليه الكذب في أنه لا يعلم أين هو.

قال الطبري رحمه الله: لا يجوز الكذب في شيء أصلا قالوا: ما جاء في الإباحة المراد به التورية، واستعمال المعاريض، لا صريح الكذب، مثل أن يعد زوجته أن يحسن إليها ويكسوها كذا وينوي عن قدر الله ذلك، وحاصله أنه يأتي بكلمات محتملة يفهم المخاطب منها ما يطيب قلبه وإذا سعى في الإصلاح نقل عن هؤلاء إلى هؤلاء كلامًا جميلًا، ومن هؤلاء

إلى هؤلاء كذلك، وروي: وكذا في الحرب بأن يقول لعدوه: مات إمامكم الأعظم وينوي إمامهم في الأزمان الماضية هذا من المعاريض المباحة فكل هذا جائز، وتأولوا قصة إبراهيم ويوسف وما جاء من هذا على المعاريض(١).

وقال النووي رحمه الله عما يجوز من الكذب: وأحسن ما قيل في هذا الموضوع ما ذكره الإمام أبو حامد الغزالي فقال: الكلام وسيلة إلى المقاصد، فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام لعدم الحاجة إليه، وإن أمكن التوصل إليه بالكذب ولم يمكن بالصدق، فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك مباحًا، وواجب إن كان المقصود واجبًا، كما أن عصمة دم المسلم واجبة، فمهما كان في الصدق سفك دم امرئ مسلم، قد اختفى عن ظالم فالكذب منه واجب، ومهما كان لا يتم مقصود الحرب أو إصلاح ذات البين أو استمالة قلب المجني عليه إلا بالكذب فالكذب مباح إلا أنه ينبغي أن يحترز منه ما أمكن؛ لأنه إذا فتح باب الكذب على نفسه، فيُخشى أن يَتَدَاعى إلى ما يُستغنى عنه وإلى ما لا يقتصر على حدِّ الضرورة، فيكون الكذب حرامًا في الأصل إلا لضرورة، وكذلك كل ما

---

(١) المعاريض: جمع معراض من التعريض: وهو خلاف التصريح من القول؛ قاله الراغب: وهو كلام له ظاهر وباطن فيقصد قائله الباطن ويظهر إرادة الظاهر.

كان له غرض له أو لغيره، فأما ماله فمثل أن يأخذه ظالم فيسأله عن ماله، فله أن ينكره أو يأخذه سلطان فيسأله عن فاحشة بينه وبين الله ارتكبها، فله أن ينكر ذلك، وذلك أن إظهار الفاحشة فاحشة أخرى، فللرجل أن يحفظ دمه وماله الذي يؤخذ ظلمًا وعِرْضَه بلسانه وإن كان كاذبًا، وأما ما لغيره فبأن يسأل عن سر أخيه فله أن ينكره، وأن يصلح بين اثنين، وأن يصلح بين الضَّرَّات من نسائه بأن يظهر لكل واحدة أنها أحب إليه[١].

• **قصة رجل لم يكذب قط:**

عن منصور بن المعتمر رحمه الله: قال: ذكرت ربعيًّا وتدرون من كان ربعي بن خراش؟

كان رجلًا من قبيلة أشجع زعم قومه أنه لم يكذب قط، فسعى به ساع (أي وَشَى به ونَمَّ) إلى الحجاج بن يوسف الثقفي الأمير الغاشم الظالم، فقال: ههنا رجل من أشجع زعم قومه أنه لم يكذب قط، وأنه يكذب لك اليوم، وقد قدم ابناه من خراسان وهما عاصيان لك، فقال الحجاج: عليَّ به، وكان عقوبة الحجاج ضرب السيف فلما جاءه، قال: أيها الشيخ ما فعل ابناك؟ قال: المستعان بالله خلفتهما في البيت، قال: لا جَرَم والله لا أسوؤك فيهما هما لك، قال: فحمله وكساه وأوصى به خيرًا، وهكذا عندما ابتعد عن الكذب نجا من سيف الحجاج... بل وبالغ في إكرامه..

---

(١) «الأذكار» (ص: ٣٧٠، ٣٧١).

وكانت عاقبة أمره خيرًا.

فعليك أخي المسلم بالصدق في أقوالك وأفعالك وأحوالك.. واعلم أن الصدق كما قال النبي ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا».



القذف

القذف

• القذف: لغة:

قال ابن منظور رحمه الله: يقال: قذف بالشيء يقذف قذفًا فانقذف: رمى، والتقاذف: الترامي، والقذف: الرمي بقوة[(١)].

وقال ابن فارس رحمه الله: القذف: مصدر قولهم: قذف يقذف إذا رمى بالشيء وهو مأخوذ من مادة (ق ذ ف) التي تدل على الرمي والطرح، ومن ذلك قذف بالشيء يقذفه إذا رمى به...[(٢)].

• أما القذف اصطلاحًا:

فهو: الرمي بالزنا وكل من رمى محصنًا أو محصنة بالزنا فقال له: زنيت أو يا زانٍ فيجب عليه جَلْدُ ثمانين جلدة إن كان حرًّا، وإن كان عبدًا فيجلد أربعين، وإن كان المقذوف غير محصن فعلى القاذف[(٣)] التعزير.

وقال الذهبي رحمه الله: والقذف: أن يقول لامرأة أجنبية حرة عفيفة

---

(١) «لسان العرب» (٩/ ٢٧٦، ٢٧٧) بتصرف.

(٢) «مقاييس اللغة» (٥/ ٦٨) مع حذف يسير.

(٣) «تفسير البغوي» (٣/ ٣٢٣).

مسلمة: «يا زانية، أو يا باغية، أو يا قحبة، أو يقول لزوجها: يا زوج القحبة، أو يقول لولدها: يا ولد الزانية، أو يا بن القحبة، أو يقول لابنتها: يا بنت الزانية، أو يا بنت القحبة»، فإن القحبة عبارة عن الزانية، فإذا قال ذلك لأحد من رجل وامرأة كمن قال لرجل: يا زانٍ، أو لصبي حُرٍّ يا عِلْق أو يا منكوح وجب عليه الحد فيجلد ثمانين جلدة إلا أن يقيم بينة بذلك.

والبينة كما قال الله: أربعة شهود يشهدون على صدقه فيما قذف به تلك المرأة أو ذاك الرجل، فإن لم يُقِم بينة جُلِد إذا طالبته بذلك التي قذفها، أو إذا طالبه بذلك الذي قذفه، وكذلك إذا قذف مملوكه أو جاريته بأن قال لمملوكه: يا زانٍ أو لجاريته: يا زانية أو يا باغية أو يا قحبة؛ لما ثبت في «الصحيحين» عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ بِالزِّنَا، يُقَامُ عَلَيْهِ الْحَدُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ**»(١).

حديث القرآن عن القذف ووعيد الله لأصحابه والتحذير منه:

- قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٤، ٥].

معنى المحصنات: اللاتي أُحْصِنَّ: وهن النساء اللواتي تزوجن.

(١) رواه البخاري (٦١٥٨)، ومسلم (١٦٦٠).

قال ابن كثير رحمه الله عند تفسير الآية: هذا وعيد من الله تعالى للذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات، خرج مخرج الغالب، فأمهات المؤمنين أَوْلَى بالدخول في هذا من كل محصنة، ولا سيما التي كانت سبب النزول- وهي عائشة رضي الله عنها - أي أن هذه الآية نزلت في عائشة ولم تنزل في غيرها- ولكنها بعد ذلك تعم جميع المؤمنات المحصنات الغافلات، وهذا ما ذهب إليه ابن عباس وغيره.

وقال صاحب «أيسر التفاسير»:

﴿يَرْمُونَ﴾: أي: يقذفون، ﴿ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾: أي: العفيفات، والرجال هنا كالنساء، ﴿فَٱجْلِدُوهُمْ﴾: أي: حدًّا عليهم واجبًا، ﴿وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا﴾: لسقوط عدالتهم بالقذف للمؤمنين والمؤمنات ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ فإنهم بعد توبتهم يعود إليهم اعتبارهم وتصح شهادتهم، ثم قال بعد بيان حكم الزناة: بَيَّنَ تعالى حكم القذف فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ أي: والذين يرمون المؤمنين والمؤمنات بالفاحشة وهي الزنا واللواط، بأن يقول: فلان زانٍ أو لائط فيقذفه بهذه الكلمة الخبيثة، فإن عليه أن يحضر شهودًا أربعة يشهدون أمام الحاكم على صحة ما رمى به أخاه المؤمن، فإن لم يأت بالأربعة شهود أقيم عليه الحد المذكور في الآية، وهو جلد ثمانين جلدة على ظهره، وتسقط عدالته حتى يتوب [١].

---

(١) «أيسر التفاسير» (٢/ ٩٩١).

• **ما يستفاد من الآية الكريمة:**

١- بيان حد القذف وهو جلد ثمانين جلدة لمن قذف مؤمنًا أو مؤمنة بالفاحشة، وكان المقذوف بالغًا عاقلًا مسلمًا عفيفًا أي: لم يُعْرف بالفاحشة قبل رميه بها.

٢- سقوط عدالة القاذف إلا أن يتوب، فإنه تعود إليه عدالته، بل إن الله تعالى لعن الذين يقذفون المؤمنات الغافلات، وهن اللاتي لا علم لهن بما رمين به، وذلك لسلامة صدورهن وبعدهن بحكم إيمانهن- عن مواطن الريب- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النور: ٢٣ – ٢٥] المراد بالغافلات: أي المعرضات عن الفاحشة التي رمين بها إفكًا وبهتانًا فأكد سبحانه- أن عفة هذه النفوس عفة خِلْقية لا يخطر معها الإثم على بال، ثم أتبع ذلك جل ذكره بوصف هذه النفوس بأنها مؤمنات لها الحصانة العظمى مع إيمانها وعقيدتها، وفي هذا إرشاد لما يجب أن يكون عليه المؤمن من العفة والخلق الكريم والابتعاد عن مواضع الشكوك والريب التي تكون ذريعة إلى إطلاق

الألسنة في الأعراض بالحق وبالباطل[١]، وأما لعنة هؤلاء القاذفين في الآخرة فبحرمانهم من رحمة الله وفضله وإحسانه، ثم يكون لهم النار وبئس المصير، وشهادة الألسن والأيدي والأرجل، وذلك يوم القيامة اليوم الذي يتناول فيه القاذف الفاجر كتابه بشماله فيقول: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾ [الحاقة: ٢٥ – ٢٧]، ثم يختم المولى جل وعلا على فمه فيصاب بالبكم ولا ينطق لهول ما هو فيه، وإذ ذاك تشهد عليه جوارحه وتنطق بسوء ما صنع.

قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥].

وقال سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [فصلت: ٢٠، ٢١]، وشهادة الألسن والأرض هنا إنما هي شهادة نطق ومقال وليست حالًا....

(١) «الأسرة في التشريع الإسلامي» لعطية صقر رحمه الله.

شروط القذف:

ذكر بعض العلماء أن للقذف شروطًا تسعة: العقل والبلوغ: وهما للقاذف والمقذوف سواء، إذ هما شرط التكليف، وذكروا شرطين في الشيء المقذوف به، وهما: أن يكون القذف بوطءٍ يوجب الحد وهو الزنا واللواط أو بنفيه من أبيه، وخمسة في المقذوف وهي العقل والبلوغ والإسلام والحرية والعفة.

حكم القذف:

إن القذف كبيرة من الكبائر، ذكر الإمام الذهبي في كتابه «الكبائر» فقال: الكبيرة الحادية والعشرون: قذف المحصنات(١)....

وعدَّ ابن حجر الهيتمي في «زواجره» القذف من الكبائر، قذف المحصن أو المحصنة بزنا أو لواط أو السكوت على ذلك، وقال: أجمع العلماء على أن المراد من الرمي في الآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ﴾ [النور: ٢٣] هو الرمي بالزنا، وهو يشمل الرمي باللواط كقوله: يا زانية... إلى أن قال: عد القذف كبيرة هو ما اتفقوا عليه لما نصت عليه الآيات من لعن فاعله في الدنيا والآخرة، وهذا من أقبح الوعيد وأشده(٢).

---

(١) «الكبائر» (ص:١٢٥).

(٢) «الزواجر» (٢/ ١١١- ١١٦) بتصرف.

الحكمة من حد القذف:

١- صيانة عرض المسلم والمسلمة.

٢- صيانة الكرامة.

٣- المحافظة على طهارة المجتمع من إشاعة الفواحش فيه، وانتشار الرذائل بين الناس.

عقوبة القاذف:

أخي المسلم، لا يحل للمسلم أن يقذف أخاه المسلم، وإن فعل ذلك بأن قذف شخصًا عفيفًا وقال له: يا زانٍ أو أنت زانٍ أو أنت لوطي، أو ما أشبه، فإما أن يأتي بأربعة شهداء يشهدون على المقذوف بالزنا صريحًا وإلا فإن هذا القاذف يعاقب بثلاث عقوبات:

العقوبة الأولى: أن يجلد ثمانين جلدة.

والعقوبة الثانية: ألَّا تقبل له شهادة أبدًا، كلما شهد عند القاضي ترد شهادته سواء شهد بالدماء أو شهد برؤية الهلال أو شهد بأي شيء آخر يرفض القاضي شهادته ويردها.

العقوبة الثالثة: الفسق أن يكون فاسقًا بعد أن كان عدلًا، فلا يُزَوِّج ابنته ولا أخاه ولا يتقدم إمامًا في المسلمين عند كثير من العلماء، ولا يُوَلّى أي ولاية؛ لأنه صار فاسقًا.

هذه عقوبة من يرمي شخصًا بالزنـا أو بـاللواط، إلا أن يـأتي بأربعـة شهداء.

النبي ﷺ يحذر أمته من القذف ويعده من المهلكات:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ**»، (المهلكات) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «**الشِّرْكُ بِـاللهِ، وَالسِّـحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِـالحَقِّ، وَأَكْـلُ الرِّبَـا، وَأَكْـلُ مَـالِ اليَتِـيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ**»(١).

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ بِمِنًى: «**أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟**»، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ: «**فَإِنَّ هَـذَا يَـوْمٌ حَـرَامٌ، أَفَتَـدْرُونَ أَيُّ بَلَـدٍ هَذَا؟**»، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَـمُ، قَـالَ: «**بَلَـدٌ حَـرَامٌ، أَفَتَـدْرُونَ أَيُّ شَـهْرٍ هَذَا؟**» ، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**شَهْرٌ حَرَامٌ**»، قَالَ: «**فَإِنَّ اللهَ حَـرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَـهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا**»(٢).

قـال ابـن حجـر رحمه الله: والغـرض مـن هـذا الحـديث بيـان تحـريم العِرْض- الذي هو موضع المدح والذم من الشخص- أعم من أن يكون

---

(١) البخاري (٣/ ١٩٥)، ومسلم (١/ ٩٢).

(٢) البخاري مع «الفتح» (١٠/ ٤٦٣).

في نفسه أو نسبه أو حسبه(١).

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**»(٢).

- وعنه أيضًا - قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ وَهُوَ بَرِيءٌ مِمَّا قَالَ جُلِدَ يَوْمَ القِيَامَةِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ**»(٣).

- **مزيد من الأحاديث في ذم القذف:**

- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «أَنَّ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ قَذَفَ امْرَأَتَهُ، فَأَحْلَفَهُمَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا»(٤).

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وُلِدَ لِي غُلَامٌ أَسْوَدُ، فَقَالَ: «**هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟**» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**مَا أَلْوَانُهَا؟**» قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: «**هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ؟**» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَأَنَّى ذَلِكَ؟**» قَالَ: لَعَلَّهُ نَزَعَهُ عِرْقٌ، قَالَ: «**فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ**»(٥).

وعَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ رضي الله عنه أَنَّ يَهُودِيَّيْنِ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ:

---

(١) الفتح (١٠/ ٤٦٤).

(٢) مسلم (١٩٨٦).

(٣) البخاري (٣٥١٨)، ومسلم (١٢٨٢).

(٤) البخاري(٥٣٠٦).

(٥) البخاري (٥٣٠٥).

اذْهَبْ بِنَا إِلَى هَذَا النَّبِيِّ نَسْأَلُهُ، فَقَالَ: لَا تَقُلْ لَهُ: نَبِيٌّ، فَإِنَّهُ إِنْ سَمِعَهَا تَقُولُ: نَبِيٌّ كَانَتْ لَهُ أَرْبَعَةُ أَعْيُنٍ، فَأَتَيَا النَّبِيَّ ﷺ فَسَأَلَاهُ عَنْ قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾ [الإسراء: ١٠١] فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئًا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَسْحَرُوا، وَلَا تَمْشُوا بِبَرِيءٍ إِلَى سُلْطَانٍ فَيَقْتُلَهُ، وَلَا تَأْكُلُوا الرِّبَا، وَلَا تَقْذِفُوا مُحْصَنَةً، وَلَا تَفِرُّوا مِنَ الزَّحْفِ - شَكَّ شُعْبَةُ - وَعَلَيْكُمْ اليَهُودَ خَاصَّةً أَلَّا تَعْتَدُوا فِي السَّبْتِ**» فَقَبَّلَا يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ وَقَالَا: نَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ، قَالَ: «**فَمَا يَمْنَعُكُمَا أَنْ تُسْلِمَا؟**» قَالَا: إِنَّ دَاوُدَ دَعَا اللهَ، أَلَّا يَزَالَ فِي ذُرِّيَّتِهِ نَبِيٌّ، وَإِنَّا نَخَافُ إِنْ أَسْلَمْنَا أَنْ تَقْتُلَنَا اليَهُودُ (١).

- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**وَمَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ أَسْكَنَهُ اللهُ رَدْغَةَ الْخَبَالِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ**»(٢).

وردغة الخبال: هي عصارة أهل النار.

يقول الشيخ سيد قطب- رحمه الله تعالى: إن ترك الألسنة تلقي التهم على المحصنات ـ وهن العفيفات الحرائر ثيباتٍ أو أبكارًا ـ بدون دليل قاطع يترك المجال فسيحًا لكل من شاء أن يقذف بريئة أو بريئًا بتلك

---

(١) رواه الترمذي (٣١٤٤) وغيره، وقال: حسن صحيح.

(٢) رواه أبو داود (٣٥٩٧) وغيره، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦١٩٦)، و«صحيح الترغيب» (٢٢٤٨).

التهمة النكراء، ثم يمضي آمنًا فتصبح الجماعة وتمسي وإذا أعراضها مجرحة وسمعتها ملوثة، وإذا كل فرد فيها متهم أو مهدد بالاتهام، وإذا كل زوج فيها شاك في زوجه، وكل رجل فيها شاك في أصله، وكل بيت فيها مهدد بالانهيار، وهي حالة من الشك والقلق والريبة لا تطاق. ذلك إلى أن اطراد سماع التهم يوحي إلى النفوس المتحرجة من ارتكاب الفعلة أن جو الجماعة كله ملوث، وأن الفعلة فيها شائعة، فيقدم عليها من كان يتحرج منها، وتهون في حسه بشاعتها بكثرة تردادها، وشعوره بأن كثيرين غيره يأتونها، ومن ثم لا تجدي عقوبة الزنا في منع وقوعه، والجماعة تمسي وتصبح وهي تتنفس في ذلك الجو الملوث الموحي بارتكاب الفحشاء؛ لهذا وصيانة للأعراض من التهجم وحماية لأصحابها من الآلام الفظيعة التي تصب عليهم شدد القرآن الكريم في عقوبة القذف، فجعلها قريبة من عقوبة الزنا ثمانين جلدة مع إسقاط الشهادة والوصم بالفسق، والعقوبة الأولى جسدية والثانية أدبية في وسط الجماعة، ويكفي أن يهدر قول القاذف، فلا يؤخذ له بشهادة، وأن يسقط اعتباره بين الناس، ويمشي بينهم متهمًا لا يوثق له بكلام، والثالثة: دينية فهو منحرف عن الإيمان خارج عن صراطه المستقيم، والجماعة المسلمة لا تخسر بالسكوت عن تهمة غير محققة كما تخسر بشيوع الاتهام والترخص فيه وعدم التحرج من الإذاعة به، وتحريض الكثيرين من المتحرجين على ارتكاب الفعلة التي كانوا يستقذرونها، ويظنونها ممنوعة

في الجماعة أو نادرة، وذلك فوق الآلام الفظيعة التي تصيب الحرائر الشريفات، والأحرار الشرفاء فوق الآثار التي تترتب عليها في حياة الناس وطمأنينة البيوت، وتظل العقوبات التي توقع على القاذف بعد الحد مصلتة فوق رأسه إلا أن يتوب: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٥].

وقد اختلف الفقهاء في هذا الاستثناء: هل يعود إلى العقوبة الأخيرة وحدها فيرفع عنه وصف الفسق، ويظل مردود الشهادة أم أن شهادته تقبل كذلك بالتوبة؟ فذهب الأئمة مالك وأحمد والشافعي إلى أنه إذا تاب قبلت شهادته، وارتفع عنه حكم الفسق.

وقال الإمام أبو حنيفة: إنما يعود الاستثناء إلى الجملة الأخيرة، فيرتفع الفسق بالتوبة ويبقى مردود الشهادة.

وقال الشعبي والضحاك: لا تقبل شهادته وإن تاب، إلا أن يعترف على نفسه أنه قال البهتان فيما قذف، فحينئذ تقبل شهادته. وأنا أختار هذا الأخير؛ لأنه يزيد على التوبة إعلان براءة المقذوف باعتراف مباشر من القاذف، وبذلك يُمْحَى آخر أثر للقذف، ولا يقال: إنه إنما وقع الحد على القاذف؛ لعدم كفاية الأدلة ولا يحيك في أي نفس ممن سمعوا الاتهام أنه ربما كان صحيحًا، ولكن القاذف لم يجد بقية الشهود بذلك يبرأ العرض المقذوف تمامًا ويرد له اعتباره من الوجهة الشعورية بعد رده من الوجهة

التشريعية، فلا يبقى هناك داع لإهدار اعتبار القاذف المحدود التائب المعترف بما كان من بهتان (١).

واعلم أخي المسلم أن من يتجرأ ويتكلم في عرض أحد من المسلمين يبتلى بمن يتكلم في عرضه إن عاجلًا أو آجلًا، والجزاء من جنس العمل: وقد ابتليت الطاهرات العفيفات من نساء المسلمين في مصرنا بكل علماني وقح أو عمائم الضرار فيقول الواحد منهم: إنهن لا يرتدين النقاب إلا لحالة نفسية أو كبت سعار جنسي، والذي تولى كِبْرَهُ في عصرنا وذهب إلى مزبلة التاريخ قال عن النقاب: إنه خيمة ثم بعد ذلك أتى إلى البيوت العفيفة يلفق ويروج قصصًا كاذبة عن أمير مزواج وفتيات ونساء ليس لهن من هدف إلا فورة اللحم، فابتلاه الله بمن تكلم في عرضه وبيته، بل وفي ذاته بما تعف عنه الألسن المؤمنة التي رطبها ذكر الله، ولكن ما عفت ألسن مناوئيه من الشيوعيين والعلمانيين، فأطلقوا العنان في الكلام حول شذوذ الرجل وتكلموا عن شواطئ مارسيليا، وكما تدين تدان، والجزاء من جنس العمل.

ويسخر كل أفاك دعي ديوث من نساء المسلمينا
ويهزأ بالحرائر بالنقاب وقد لبسته أم المؤمنينا
فلستم للنقاب وليس منكم فذا شرف لسكن الطاهرينا
وما عرف العفاف لكم طريقا وفاح الطهر من بيت الأمينا

---

(١) «في ظلال القرآن» (٤/ ٢٤٩٠، ٢٤٩١).

أترمـي بيـوت طهـر يـا لئـيم وبيتـك مـن زجـاج هـش لينـا
فسل مارسـيليا تخبـرك الـدواهي بمـا فعـل المغنـي اللعينـا
تـراقص كـل غانيـة بمصـر وتشرب رجس خمر القـوم طينا
وسل عنك الحشيش بكـل ربـع أو الأفيـون حـب المجانينـا
سـتدري يـا خبيـث إذا التقينـا حمـارًا كنـت أم فرسـا هجينـا(١)

أقوال بعض العلماء في ذم القذف:

١- عن أبي الزناد أنه قال: جلد عمر بن عبد العزيز عبدًا في فرية ثمانين، قال أبو الزناد: فسألت عبد الله بن عامر بن ربيعة عن ذلك؟ فقال: أدركت عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان والخلفاء هلم جرا فما رأيت أحدًا جلد عبدًا في فرية أكثر من أربعين (٢).

٢- عن ابن عباس رضي الله عنهما في ولد الملاعنة: هو الذي لا أب له ترثه أمه وإخوته من أمه وعصبة أمه، فإن قذفه قاذف جلد قاذفه(٣).

وللقذف أضرار ومثالب منها:

١- يمقت الله القذف، ويعد فاعله فاسقًا ملعونًا في الدنيا والآخرة.

---

(١) «الجزاء من جنس العمل» (٢/ ٢٣٨، ٢٣٩).

(٢) أخرجه مالك في «الموطأ»- باب الحد في القذف- (ص:٥٤٦) المجلد الثاني، وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ٢٥١)، وانظر: «تهذيب الأخلاق» (٤/ ١١٧).

(٣) الدارمي (٢٩٦٧).

٢- القذف قد يكون فيه انتهاك لعرض مسلم أو مسلمة.

٣- عادة سائدة في المجتمعات الساقطة يقع فيها السُّذج والأطفال.

٤- يسبب العداوة والبغضاء بين الناس.

٥- هو من علامات الإفلاس الخلقي والخواء الديني، ومن الموبقات التي توبق صاحبها في النار (١).

الغاية أخي المسلم أن نتقي الله تعالى في ألسنتنا، فهي والله ما خلقت لنهش الأعراض وإشاعة الفواحش، وإنما خلقت لذكر رب الأرض والسموات فيجب علينا أن نتقي الله في ألسنتنا حتى نفوز بجنة ربنا، وكما قال النبي ﷺ: «**مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ**»(٢).

«**مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ**»: اللسان، «**وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ**»: الفرج.



(١) «موسوعة نضرة النعيم» (١١/ ٥٣٢٢).

(٢) متفق عليه.

الوعد الكاذب

الوعد الكاذب(١)

إن الوفاء بالوعد أمر واجب ولازم على كل نفس بشرية مسلمة، فهذا نداء من الله تعالى إلى عباده الذين آمنوا به ربًّا وبالإسلام دينًا وبنبيه محمد نبيًّا ورسولًا بأن يوفوا بالعهود والعقود... قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ...﴾ [المائدة: ١].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: المراد بالعقود: عهود الله التي عهد إلى عباده: أي: ما أحل وما حرم وما فرض وما حَدّ في القرآن كله لا تغدروا ولا تنكثوا.

وعن عبد الله بن عبيد قال: العقود خمس: عقدة الإيمان، وعقدة النكاح، وعقدة البيع، وعقدة العهد، وعقدة الحلف (٢).

والظاهر المتبادر أن الله تعالى أمرنا بالوفاء بجميع العقود الصحيحة التي عقدها علينا، والتي نتعاقد عليها فيما بيننا، وأساس العقود الثابتة في

---

(١) هو الرجوع عما يبذله الإنسان من نفسه ويضمن الوفاء به وهو خلق مستقبح، قاله الجاحظ انظر: «تهذيب الأخلاق» (٣٠).

(٢) «المختصر المفيد في تفسير القرآن المجيد» - مختصر تفسير المنار (٢/ ٢٥٤).

الإسلام ممثلة في هذه الجملة البليغة المختصرة المفيدة: ﴿أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]، وهي تفيد أنه يجب على كل مؤمن أن يفي بما عقده وارتبط به(١). إن الله تعالى وعد عباده الأجر العظيم والثواب الكبير فقال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠].

ومدح هذا الصنف من أهل الإيمان، وأن محبته لهم عظيمة، فقال: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦] .

وسماهم الله تعالى بأولي الألباب فقال: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد: ١٩]

- **فمن هم وما هي صفاتهم؟:**

﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾ [الرعد: ٢٠] فعاقبة الوفاء عاقبة حميدة؛ لأن صاحبها صادق مع ربه، صادق مع نفسه، صادق مع إخوانه.

إن الله تعالى أوصانا في غير هذا النداء القرآني بأن نكون أوفياء في عقودنا وعهودنا، فقال سبحانه: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [النحل: ٩١].

---

(١) «نداءات الرحمن لأهل الإيمان» (ص:٢٢٧).

وقال سبحانه: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾ [البقرة: ٤٠].

وقال الله تعالى: ﴿ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

ورحم الله من قال:

إذا قلت في شيء نعم فأتمه فإن (نعم) دين على الحر واجب
وإلا فقل (لا) تسترحْ وتُرح بها لئلا يقول الناس إنك كاذب

إن الوفاء بالوعد من صفات المتقين، قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

والوفاء بالوعد خلق كريم يتحلى به الأخيار، ويتمسك به الأبرار، وعاقبة الوفاء بالوعد حميدة؛ لأن صاحبه يحظى بالنعيم في أهله، ويكون معززًا في قومه محببًا إلى الناس، وإن قال قبل منه قوله، وإن أراد شيئًا أجابوا طلبه.. ورحم الله من قال:

فسارع الوفاء للناس تحظ عندهم بجميل ذكر لا تنال مطالبه

أما إذا وعدت أخي المسلم الناس وعودًا كاذبة، فقد نزعت الثقة من

نفوسهم، ونزعت الاطمئنان من قلوبهم .. إن رسول الإسلام ﷺ قد حذر من أن يقع المسلم في الوعود الكاذبة وعد أصحابها من المنافقين...روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»(٢).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**»(٣).

وقال الله تعالى: ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ

---

(١) رواه البخاري- كتاب الإيمان (٣٣).

(٢) رواه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٨).

(٣) رواه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨)، قال الغزالي رحمه الله: وهذا ينزل على عزم الخلق أو ترك الوفاء من غير عذر، فأما من عزم على الوفاء فعرض له عذر منعه من الوفاء لم يكن منافقًا وإن جرى عليه ما هو صورة النفاق، ولكن ينبغي أن يحترز من صورة النفاق أيضًا كما يحترز من حقيقته. (إحياء ١٧٩).

لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ
وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا
وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾ [التوبة: ٧٥ – ٧٧] .

ورحم الله من قال:

لا كلّف الله نفسًا فوق طاقتها ... ولا تجود يد إلا بما تجد
فلا تعد عدة إلا وفيت بها ... واحذر خلاف مقال للذي تعد(١)

قال أعرابي: وعد الكريم نقد وتعجيل، ووعد اللئيم مطل وتعليل (تأجيل وتسويف).

وقال أعرابي أيضًا: العذر الجميل خير من المطل الطويل، ومدح بشار خالد بن برمك فأمر له بعشرين ألفًا فأبطأت عليه، فقال لقائده: أقمني حيث يمر فأقامه فمر، فأخذ بلجام بغلته، وأنشأ يقول:

أظلت علينا منك يومًا سحابة ... أضاء لها برق وأبطأ رشاشها
فلا غيمها يجلى فييأس طامع ... ولا غيثها يأتي فتروي عطاشها

وقال آخر:

لئن جمع الآفات فالبخل شرها ... وشر من البخل المواعيد والمطل
ولا خير في وعد إذا كان كاذبًا ... ولا خير في قول إذا لم يكن فعل(٢)

---

(١) «ديوان الشافعي رحمه الله» (ص: ٢٠).

(٢) «المستطرف في كل فن مستظرف» (ص: ٢٦٦).

حديث القرآن والسنة عن الوفاء بالوعود:

• **أولاً: القرآن:**

- قال تعالى عن الخليل إبراهيم: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ [النجم: ٣٧].

- وقال تعالى عن نبيه إسماعيل عليه السلام: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ [مريم: ٥٤].

بل إن الوفاء صفة جميلة من صفات الخالق جل وعلا.

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ﴾ [البقرة: ٨٠].

ثانيًا: السنة:

- عن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**أَحَقُّ مَا أَوْفَيْتُمْ مِنَ الشُّرُوطِ أَنْ تُوفُوا بِهِ مَا اسْتَحْلَلْتُمْ بِهِ الْفُرُوجَ**»(١).

- وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمُ الْجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ،**

---

(١) البخاري (٥١٥١)، ومسلم (١٤١٨).

وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ»(١).

- وهذا رسول الله محمد ﷺ أعظم الناس وأكملهم وفاء تعالوا معي في هذه الصفحات لنتعلم منه معنى الوفاء، فهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول: ابْتَاعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْأَعْرَابِ جَزُورًا - أَوْ جَزَائِرَ - بِوَسقٍ مِنْ تَمْرِ الذَّخِرَةِ، وَتَمْرُ الذَّخِرَةِ الْعَجْوَةُ، فَرَجَعَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى بَيْتِهِ، فَالْتَمَسَ لَهُ التَّمْرَ، فَلَمْ يَجِدْهُ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: «**يَا عَبْدَ اللهِ، إِنَّا قَد ابْتَعْنَا مِنْكَ جَزُورًا - أَوْ جَزَائِرَ - بِوَسْقٍ مِنْ تَمْرِ الذَّخْرَةِ، فَالْتَمَسْنَاهُ، فَلَمْ نَجِدْهُ**» قَالَ: فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: وَا غَدْرَاهُ، قَالَتْ: فَنَهَمَهُ النَّاسُ، وَقَالُوا: قَاتَلَكَ اللهُ، أَيَغْدِرُ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**دَعُوهُ، فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا**»، ثُمَّ عَادَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**يَا عَبْدَ اللهِ إِنَّا ابْتَعْنَا مِنْكَ جَزَائِرَكَ وَنَحْنُ نَظُنُّ أَنَّ عِنْدَنَا مَا سَمَّيْنَا لَكَ، فَالْتَمَسْنَاهُ، فَلَمْ نَجِدْهُ**»، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: وَاغَدْرَاهُ، فَنَهَمَهُ النَّاسُ، وَقَالُوا: قَاتَلَكَ اللهُ أَيَغْدِرُ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**دَعُوهُ، فَإِنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا**» فَرَدَّدَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، فَلَمَّا رَآهُ لَا يَفْقَهُ عَنْهُ، قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ: «**اذْهَبْ إِلَى خُوَيْلَةَ بِنْتِ حَكِيمِ**

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٥٩) وغيره، وقال: صحيح ولم يخرجاه ووافقه الذهبي إلا أنه قال: فيه إرسال.

ابْنِ أُمَيَّةَ، فَقُلْ لَهَا: رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ لَكِ: إِنْ كَانَ عِنْدَكِ وَسْقٌ مِنْ تَمْرِ الذَّخِرَةِ، فَأَسْلِفِينَاهُ حَتَّى نُؤَدِّيَهُ إِلَيْكِ إِنْ شَاءَ اللهُ»، فَذَهَبَ إِلَيْهَا الرَّجُلُ، ثُمَّ رَجَعَ الرَّجُلُ، فَقَالَ: قَالَتْ: نَعَمْ، هُوَ عِنْدِي يَا رَسُولَ اللهِ، فَابْعَثْ مَنْ يَقْبِضُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلرَّجُلِ: «اذْهَبْ بِهِ، فَأَوْفِهِ الَّذِي لَهُ» قَالَ: فَذَهَبَ بِهِ، فَأَوْفَاهُ الَّذِي لَهُ، قَالَتْ: فَمَرَّ الْأَعْرَابِيُّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا، فَقَدْ أَوْفَيْتَ وَأَطْيَبْتَ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أُولَئِكَ خِيَارُ عِبَادِ اللهِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُوفُونَ الْمُطِيبُونَ»(١).

- بل لقد كان الوفاء الكامل شأن النبي الكريم ﷺ في جميع مواقفه، فلقد كان عقد مع اليهود عهدًا بعد الهجرة، وظل وفيًّا بعهده حتى بدأ اليهود بالغدر والخيانة، فحاق بهم مكرهم، وعقد مع قريش عهدًا يوم الحديبية، فظل وفيًّا بعهده حتى بدأت قريش بالغدر، وحاربت قبيلة خزاعة المحالفة للمسلمين، فجزاهم الرسول على غدرهم وغزاهم في دارهم، فجاء نصر الله والفتح، وخضعت قريش وأسلمت، وهكذا صلوات الله وسلامه عليه في جميع مواقفه...).

---

(١) رواه أحمد (٦/ ٢٦٨)، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٤٠٠)، وصححه أحمد شاكر رحمه الله.

حكايات وقصص عن الوفاء بالوعد:

كان النعمان بن المنذر الملك - قد جعل يومين يوم بؤس، من صادفه فيه قتله وأرداه، ويوم نعيم من لقيه أحسن إليه وأغناه، وكان هناك رجل يسمى الطائي، قد رماه حادث دهره بسهام فاقته وفقره فأخرجته الفاقة من محل استقراره ليرتاد شيئًا (ليطلب القوت) لصبيته وصغاره، فبينما هو كذلك؛ إذ صادفه النعمان في يوم بؤسه، فلما رآه الطائي علم أنه مقتول وأن دمه مطلوب، فقال: حيًّا الله الملك، إن لي صبية صغارًا وأهلًا جياعًا وقد أرقت ماء وجهي في حصول شيء من البُلْغة لهم، وقد أقدمني سوء الحظ على الملك في هذا اليوم العبوس، وقد قربت من مقر الصبية والأهل وهم على شفا تلف من الطوى، ولن يتفاوت الحال في قتلي بين أول النهار وآخره، فإن رأى الملك أن يأذن لي في أن أوصل لهم هذا القوت وأوصي بهم أهل المروءة من الحي؛ لئلا يهلكوا ضياعًا، ثم أعود إلى الملك وأسلم نفسي لنفاذ أمره، فلما سمع النعمان صورة مقاله وفهم حقيقة حاله ورأى تلهفه على ضياع أطفاله رق له ورثى لحاله غير أنه قال له: لا آذن لك حتى يضمنك رجل معنا فإن لم ترجع قتلناه، وكان شريك ابن عدي بن شرحبيل نديم النعمان معه فالتفت الطائي إلى شريك وقال له:

يا شريك بن عدي ما من الموت انهزام
من لأطفال ضعاف عدموا طعم الطعام

بـــين جـــوع وانتظـــار وافتقـــار وســـقام
يـــا أخـــا كـــل كـــريم أنـــت مـــن قـــوم كـــرام
يـــا أخـــا النعمـــان جـــد لي بضـــمان والتـــزام
ولـــك الله بـــأني راجـــع قبـــل الظـــلام

فقال شريك بن عدي: أصلح الله الملك عليَّ ضمانه، فمر الطائي مسرعًا، وصار النعمان يقول لشريك: إن صدر النهار قد ولَّى ولم يرجع، وشريك يقول: ليس للملك عليَّ سبيل حتى يأتي المساء، فلما قرب المساء قال النعمان لشريك: قد جاء وقتك قم فتأهب للقتل، فقال شريك: هذا شخص قد لاح مقبلًا، وأرجو أن يكون الطائي، فإن لم يكن فأمر الملك ممتثل قال: فبينما هو كذلك وإذا بالطائي قد اشتد عَدْوُهُ في سيره مسرعًا حتى وصل، فقال: خشيت أن ينقضي النهار قبل وصولي، ثم وقف قائمًا وقال: أيها الملك مُرْ بأمرك، فأطرق النعمان، ثم رفع رأسه، وقال: والله ما رأيت أعجب منكما، أما أنت يا طائي فما تركت لأحد في الوفاء مقامًا يقول فيه ولا ذكرًا يفتخر به، وأما أنت يا شريك فما تركت لكريم سماحة يذكر بها في الكرماء، فلا أكون أنا ألأم الثلاثة، ألا وإني قد رفعت يوم بؤسي عن الناس، ونقضت عادتي كرامة لوفاء الطائي، وكرم شريك، فقال الطائي:

ولقد دعتني للخلاف عشيرتي فعددت قولهم من الإضلال
إني امرؤ مني الوفاء سجية وفعال كل مهذب مفضال

فقال له النعمان: ما حملك على الوفاء وفيه إتلاف نفسك؟ فقال: ديني، فمن لا وفاء فيه فلا دين له، فأحسن إليه النعمان ووصله بما أغناه مكرما إلى أهله وأناله ما تمناه(١).

حكاية أخرى:

قال مالك بن عمارة اللخمي: كنت جالسًا في ظل الكعبة أيام الموسم عند عبد الملك بن مروان وقبيصة بن ذؤيب وعروة بن الزبير، وكنا نخوض في الفقه مرة، وفي المذاكرة مرة، وفي أشعار العرب وأمثال الناس مرة، فكنت لا أجد عند أحد ما أجده عند عبد الملك بن مروان من الاتساع في المعرفة والتصرف في فنون العلم وحسن استماعه إذا حُدِّثَ، وحلاوة لفظه إذا حَدَّثَ فخلوت معه ليلة فقلت له: والله إني لمسرور بك لما شاهدته من كثرة تصرفك وحسن حديثك وإقبالك على جليسك، فقال: إن تعش قليلًا فسترى العيون طامحة إليَّ والأعناق نحوي متطاولة، فإذا صار الأمر إليَّ، فلعلك أن تنقل إليَّ ركابك، فلأملأن يديك، فلما أفضت إليه الخلافة توجهت إليه فوافيته يوم الجمعة وهو يخطب على المنبر، فلما رآني أعرض عني، فقلت: لعله لم يعرفني أو عرفني وأظهر لي نكره، فلما قضيت الصلاة ودخل بيته لم ألبث أن خرج الحاجب فقال: أين مالك بن عمارة؟ فقمت فأخذ بيدي وأدخلني عليه

(١) «المستطرف» (ص:٢٦٨).

فمد إليَّ يده وقال: إنك تراءيت لي في موضع لا يجوز فيه إلا ما رأيت، فأما الآن فمرحبًا وأهلًا، كيف كنت بعدي؟ فأخبرته، فقال لي: أتذكر ما كنت قلت لك؟ قلت: نعم، فقال: والله ما هو بميراث رعيناه ولا أثر رويناه، ولكني أخبرك بخصال مني سمت بها نفسي إلى الموضع الذي ترى، ما خنت ذا ود قط، ولا شمت بمصيبة عدو قط، ولا أعرضت عن محدث حتى ينتهي حديثه، ولا قصدت كبيرة من محارم الله تعالى متلذذًا بها، فكنت أؤمل بهذه أن يرفع الله تعالى منزلتي وقد فعل، ثم دعا بغلام فقال له: يا غلام بَوِّئه منزلًا في الدار، فأخذ الغلام بيدي وأفرد لي منزلًا حسنًا، فكنت في ألذ حال وأنعم بال، وكان يسمع كلامي وأسمع كلامه، ثم أدخل عليه في وقت عشائه وغدائه فيرفع منزلتي، ويقبل عليَّ ويحادثني، ويسألني مرة عن العراق ومرة عن الحجاز، حتى مضت لي عشرون ليلة، فتغديت يومًا عنده، فلما تفرق الناس نهضت قائمًا فقال: على رِسْلك فقعدت فقال: أي الأمرين أحب إليك المقام عندنا مع النصفة لك في المعاشرة أو الرجوع إلى أهلك ولك الكرامة؟ فقلت: يا أمير المؤمنين فارقت أهلي وولدي على أني أزور أمير المؤمنين وأعود إليهم، فإن أمرني أمير المؤمنين اخترت رؤيته على الأهل والولد، فقال: لا بل أرى لك الرجوع إليهم والخيار لك بعد في زيارتنا، وقد أمرنا لك بعشرين ألف دينار وكسوناك وحملناك،، أتراني قد ملأت يديك، فلا خير

فيمن ينسى إذا وعد وعدًا، وزرنا إذا شئت، صحبتك السلامة [١].

أقوال العلماء وأهل التفسير في ذم من لم يف بعهده ووعده:

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ [الأنفال: ٥٥ – ٥٨] أخبر الله تعالى- أن شر ما دَبَّ على وجه الأرض هم الذين كفروا فهم لا يؤمنون، الذين كلما عاهدوا عهدًا نقضوه، وكلما أكدوه بالأيمان نكثوه، وهم لا يخافون الله في شيء ارتكبوه من الآثام، ثم يقول تعالى للنبي ﷺ: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ﴾ قد عاهدتهم ﴿خِيَانَةٗ ﴾ أي: نقضًا لما بينك وبينهم من المواثيق والعهود ﴿فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ ﴾: أي: عهدهم على سواء: أي أعلمهم بأنك قد نقضت عهدهم حتى يبقى علمك وعلمهم بأنك حرب لهم وهم حرب لك، وأنه لا عهد بينك وبينهم ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ أي: تستوي أنت وهم في ذلك.

ورُوي عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه أنه قال: كان معاوية يسير في أرض الروم وكان بينه وبينهم أمد، فأراد أن يدنو منهم، فإذا انقضى الأمد

---

(١) «المستطرف» (ص:٢٧٢).

غزاهم فقال له عمرو بن عبسة: الله أكبر، الله أكبر وفاء لا غدر، إن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ، فَلَا يَحِلَّنَّ عُقْدَةً وَلَا يَشُدَّهَا حَتَّى يَنْقَضِيَ أَمَدُهَا، أَوْ يَنْبِذَ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ**»، فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ فَرَجَعَ [١].

قال أبو العالية: ست خصال في المنافقين إذا كانت فيهم الظهرة على الناس أظهروا هذه الخصال: إذا حدثوا كذبوا، وإذا وعدوا أخلفوا، وإذا ائتمنوا خانوا، ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه، وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل، وأفسدوا في الأرض، وإذا كانت الظهرة عليهم أظهروا الخصال الثلاث: إذا حدثوا كذبوا، وإذا وعدوا أخلفوا، وإذا ائتمنوا خانوا [٢].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: الغدر حرمته غليظة لا سيما من صاحب الولاية العامة؛ لأن غدره يتعدى ضرره إلى خلق كثير؛ ولأنه غير مضطر إلى الغدر لقدرته على الوفاء[٣].

قال الإمام النووي- رحمه الله تعالى بعد أن ذكر جملة من الآيات والأحاديث في باب الأمر بالوفاء بالعهد والوعد: ... وقد أجمع العلماء على أن من وعد إنسانًا شيئًا ليس بمنهي عنه، فينبغي أن يفي بوعده، وهل

---

(١) «مختصر صحيح تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٢٠).

(٢) السابق (١/ ٦٧).

(٣) «فتح الباري» (٦/ ٣١٩) مع حذف يسير.

ذلك واجب أم مستحب؟ فيه خلاف، بينما ذهب الشافعي وأبو حنيفة والجمهور إلى أنه مستحب، فلو تركه فاته الفضل، وارتكب المكروه كراهة تنزيهية شديدة، ولكن لا يأثم، وذهب جماعة إلى أنه واجب، قال الإمام أبو بكر بن العربي المالكي: أجل من ذهب إلى هذا المذهب عمر ابن عبد العزيز، قال: وذهبت المالكية مذهبا ثالثا أنه إن ارتبط الوعد بسبب كقوله: تزوج ولك كذا، أو احلف أنك لا تشتمني ولك كذا، أو نحو ذلك وجب الوفاء، وإن كان وعدًا مطلقا لم يجب(١).

أشعار قيلت في الوفاء بالوعد:

قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

أخلاء الرخاء هم كثير ... ولكن في البلاء هم قليل
فلا يغررك خلة من تؤاخي ... فما لك عند نائبة خليل
وكل أخ يقول أنا وفي ... ولكن ليس يفعل ما يقول
سوى خل له حسب ودين ... فذاك لما يقول هو الفعول(٢)

وقال آخر:

إذا قلت في شيء نعم فأتمه ... فإن نعم دين على الحر واجب
وإلا فقل لا تسترح وترح بها ... لئلا يقول الناس إنك كاذب

---

(١) «الأذكار» للنووي (٣٥٤).

(٢) «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص:٢٢٦).

وقال آخر:

وميعاد الكريم عليه دين فلا تزد الكريم على السلام
يذكره سلامك ما عليه ويغنيك السلام عن الكلام

وقال آخر:

تعجيل وعد المرء أكرومة تنتشر عنه أطيب الذكر
والحر لا يمطل معروفه ولا يليق المطل بالحر[١]

من أضرار ومثالب الوعد الكاذب:

- بغض الله لصاحبه والوعيد للمنافقين بالنار.
- تسلط الخلق عليه ونزع الثقة منه.
- يضر نفسه قبل أن يضر غيره.
- تفكك المجتمع وشيوع البغضاء والفساد فيه[٢].

أما الوعد الصادق فمن فوائده:

- مدح الله الموفين بعهودهم كثيرًا في القرآن.
- الوفاء صفة أساسية في بنية المجتمع الإسلامي حيث يشمل سائر المعاملات والعلاقات الاجتماعية، والوعود والعهود تتوقف على

---

(١) «المستطرف» (ص:٢٦٧).

(٢) «نضرة النعيم» (٥٦٤٤).

الوفاء، فإذا انعدم الوفاء انعدمت الثقة، وساء التعامل وساد التنافر.

- المسلم المتمسك بالوفاء في كل أحواله يجد في نفسه سعادة عظيمة عندما يوفي حقوق الله ﷻ كاملة وحقوق إخوانه المسلمين، ولا ينسى حق أهله ونفسه عليه فيعطي كل ذي حق حقه.

- الذين يوفون بعهد الله - هم أولو الألباب وهم الذين باعوا أنفسهم وأموالهم لله فوعدهم أن لهم الجنة ومن أوفى بعهده من الله؟(١).



(١) «نضرة النعيم» (٣٦٦٨).

الْمَنُّ بالعطية

المنُّ بالعطية

المن لغة:

الميم والنون أصلان: أحدهما يدل على قطع وانقطاع، والآخر على اصطناع خير، الأول: المَنُّ: القطع، ومنه يقال: مننت الحبل: قطعته، قال الله تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٦]، والأصل الآخر المن: تقول: من يَمُنُّ مَنًّا إذا صنع صنعًا جميلًا، ومن الباب المُنَّة: وهي القوة التي بها قوام الإنسان وربما قالوا: مَنَّ بِيَدٍ أسداها إذا قَرَّعَ بها، وهذا يدل على أنه قَطَعَ الإحسان، فهو من الأول(١).

وقال الراغب رحمه الله: والمِنَّة: النعمة الثقيلة، ويقال ذلك على وجهين:

أحدهما: أن يكون ذلك بالفعل فيقال: مَنَّ فلان على فلان إذا أثقله بالنعمة، وعلى ذلك قوله: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٩٤]، ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ [الصافات: ١١٤]، ﴿يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم: ١١]، ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾ [القصص: ٥]، وذلك على الحقيقة لا يكون إلا لله تعالى.

---

(١) «مقاييس اللغة» (٩٦٢).

والثاني: أن يكون ذلك بالقول، وذلك مستقبح فيما بين الناس إلا عند كفران النعمة ولقبح ذلك قيل: المنة تهدم الصنيعة، ولحسن ذكرها عند الكفران قيل: إذا كفرت النعمة حسنت المنة، وقوله: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم﴾ [الحجرات: ١٧] فالمنة منهم بالقول ومنة الله عليهم بالفعل، وهو هدايته إياهم كما ذكر[١].

والمنان: هو الشخص الذي إذا أعطى شيئًا مَنَّ به على من أعطاه، يبتغي بذلك عرض الحياة الدنيا.

والمن: مرض خطير من أمراض اللسان؛ لما فيه من ضياع ثواب المنفق؛ لأنه لم يبتغ بذلك وجه ربه، وإنما ابتغى وجه الناس فهو كالمرائي.

وقال الإمام الغزالي رحمه الله: وعندي أن المن له أصل وغرس، وهو من أحوال القلب وصفاته، ثم يتفرع عليه أحوال ظاهرة على اللسان والجوارح فأصله: أن يرى نفسه محسنًا إليه ومنعمًا عليه، وحقه أن يرى الفقير محسنًا إليه بقبول حق الله عز وجل منه الذي هو طهرته ونجاته من النار، وأنه لو لم يقبله لبقي مرتهنًا به فحقه أن يتقلد منه الفقير؛ إذ جعل كفه نائبًا عن الله عز وجل في قبض حق الله عز وجل فليتحقق أنه مسلم لله عز وجل حقه، والفقير آخذ من الله رزقه بعد صيرورته إلى الله عز وجل، ومهما عرف المعاني

(١) «المفردات في غريب القرآن» (ص:٤٧٧).

الثلاثة التي ذكرناها في فهم وجوب الزكاة أو أحدها لم ير نفسه محسنًا إلا إلى نفسه، إما ببذل ماله إظهارًا لحب الله تعالى، أو تطهيرًا لنفسه عن رذيلة البخل، أو شكرًا على نعمة المال طلبًا للمزيد، وكيفما كان فلا معاملة بينه وبين الفقير حتى يرى نفسه محسنًا إليه، ومهما حصل هذا الجاهل بأن رأى نفسه محسنًا إليه تفرع منه على ظاهره ما ذكر في معنى المن وهو: التحدث به وإظهاره وطلب المكافأة منه بالشكر والدعاء والخدمة والتوقير والتعظيم والقيام بالحقوق والتقديم في المجالس، فهذه كلها ثمرات المنة، ومعنى المنة في الباطن.. ما ذكرناه، وأما الأذى: فظاهره التوبيخ، والتعيير، وتخشين الكلام، وتقطيب الوجه، وهتك الستر بالإظهار وفنون الاستخفاف وباطنه وهو منبعه أمران:

أحدهما: كراهيته لرفع اليد عن المال، وشدة ذلك على نفسه، فإن ذلك يضيق الخلق لا محالة.

والثاني: رؤيته أنه خير من الفقير، فهو لسبب حاجته أخسّ منه، وكلاهما منشؤه الجهل، وأما كراهية تسليم المال فهو حمق؛ لأن من كره بذل درهم في مقابل ما يساوي ألفًا فهو شديد الحمق ومعلوم أنه يبذل المال لطلب رضا الله ﷻ والثواب في الدار الآخرة، وذلك أشرف مما بذله أو يبذله لتطهير نفسه عن رذيلة البخل أو شكرًا لطلب المزيد وكيفما فرض فالكراهة لا وجه لها، وأما الثاني: فهو أيضًا جهل؛ لأنه لو عرف فضل الفقير على الغني، وعرف خطر الأغنياء لما استحقر الفقير،

بل تبرك به وتمنى درجته، فصلحاء الأغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام كما ورد... ولأجل المن وخشية إيذاء الفقير في شعوره كان بعض السلف الصالح - رضوان الله عليهم - يبسط كفه ليأخذ الفقير من كفه، وتكون يد الفقير هي العليا، وكانت عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما إذا أرسلتا معروفًا إلى الفقير قالتا للرسول - أي الذي يذهب بالصدقة: احفظ ما يدعو به - ثم كانتا تردان عليه قوله وتقولان: هذا بذاك حتى تخلص لنا صدقتنا، فكانوا لا يتوقعون الدعاء؛ لأنه شبه المكافأة، وكانوا يقابلون الدعاء بمثله، وهكذا فعل عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضي الله عنهما، وهكذا كان أرباب القلوب يداوون قلوبهم[1].

يقول الفضيل بن عياض رحمه الله: من المعروف أن ترى المنة لأخيك عليك إذا أخذ منك شيئًا؛ لأنه لولا أخذه منك ما حصل لك الثواب، وأيضًا فإنه خصك بالسؤال ورجا فيك الخير دون غيرك.

وقال معاذ النسفي رحمه الله: من لم ير نفسه أحوج إلى ثواب صدقته، فهو ممن أبطل صدقته بالمن؛ لأنه رأى نفسه على الفقير.

أخي المسلم ها أنت قد علمت أن المن: هو ذكر الصدقة وتعدادها على من تصدق بها عليه على وجه التفضل عليه، واعلم أيضًا أن الإنسان قد يمن على الله، نعم وقد يمن على أخيه الإنسان، وكلاهما شر من الآخر

---

(١) «الإحياء» (١/ ٢٨٤، ٢٨٥).

إلا أن الأول منهما أشد ذمًّا وشرًّا، ومنه قول الله تعالى في جماعة من الأعراب: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

بل إن الله جل وعلا نهى نبيه المصطفى ﷺ عن المن منذ أن كلفه بالدعوة؛ لتكون أعماله كلها من أول ساعة لله ﷻ، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ١ – ٦]. معنى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾: أي: لا تمنن على الناس بما أسديت إليهم من النعم الدينية والدنيوية فتستكثر بتلك المنة وترى الفضل عليهم، بل أحسن إلى الناس مهما أمكنك، وانس عندهم إحسانك، واطلب أجرك من الله تعالى، واجعل من أحسنت إليه وغيره على حد سواء(١).

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٢].

أقوال المفسرين في الآية:

قال أبو حيان في تفسير الآية: أصل المن القطع؛ لأن المنعم يقطع

(١) انظر: «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» للسعدي.

قطعة من ماله لمن ينعم عليه، والمن أيضًا النقص من الحق والبخس له ومنه المن المذموم، وهو ذكر المنة للمنعم عليه على سبيل الفخر عليه بذلك والاعتداد عليه بإحسانه... ثم قال: والمن من الكبائر؛ لما ثبت في «صحيح مسلم» وغيره أن المانّ أحد الثلاثة الذين لا ينظر الله إليهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، وظاهر الآية يدل على أن المن والأذى يكونان من المنفق على المنفق عليه سواء أكان الإنفاق في الجهاد على سبيل التجهيز أم الإعانة فيه أم كان في غير الجهاد، والأذى يشمل المن وغيره، ونص على المن وقدمه لكثرة وقوعه من المتصدق، ومنه (مثلًا) أن يقول: قد أحسنت إليك أو يتحدث بما أعطى فيبلغ ذلك المُعْطَى فيؤذيه، ومن الأذى أن يسب المُعْطَى أو يشتكي منه أو ما أشبه ذلك[١].

قال ابن كثير رحمه الله **في تفسير الآية**: يمدح تبارك وتعالى الذين ينفقون في سبيله، ثم لا يتبعون ما أنفقوا من الخيرات والصدقات مَنًّا على من أعطوه فلا يمنون على أحد ولا يمنون به لا بقول ولا فعل وقوله: ﴿وَلَآ أَذًى﴾ أي: لا يفعلون مع من أحسنوا إليه مكروهًا ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي: ثوابهم على الله لا على أحد سواه ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: فيما يستقبلونه من أهوال يوم القيامة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي: على ما خلفوه من الأولاد، ولا ما فاتهم من الحياة الدنيا وزهرتها لا يأسفون

(١) «تفسير البحر المحيط» (٢، ٣١٣، ٣١٨، ٣١٩).

عليها؛ لأنهم قد صاروا إلى ما هو خير لهم من ذلك [١].

وقال القرطبي رحمه الله **في تفسير الآية**: المن ذكر النعمة على معنى التعديد لها والتقريع بها، مثل أن يقول: قد أحسنت إليك ونعشتك وشبهه.

وقال بعضهم: المن: التحدث بما أعطى حتى يبلغ ذلك المُعْطَى فيؤذيه، والمن من الكبائر [٢].

قال السعدي رحمه الله **في تفسير الآية**: أي: الذين ينفقون أموالهم في طاعة الله وسبيله، ولا يتبعونها بما يفسدها من المن بها على المُنْفَقِ عليه بالقلب أو باللسان بأن يعدد عليه إحسانه، ويطلب منه مقابلته، ولا أذية له قولية أو فعلية، فهؤلاء لهم الأجر اللائق بهم، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فحصل لهم الخير، واندفع عنهم الشر؛ لأنهم عملوا عملًا خالصًا لله سالمًا من المفسدات[٣].

قال الجزائري رحمه الله: هذه الآية تحمل بشرى الله تعالى للمنفقين في سبيله، الذين لا يتبعون ما أنفقوه مَنًّا به ولا أذى لمن أنفقوه عليه بأن لا خوف عليهم فيما يستقبلونه من حياتهم، ولا هم يحزنون على ما يتركون

(١) «مختصر صحيح تفسير ابن كثير» (١/ ١٩٠).

(٢) القرطبي (٣/ ٣٠٨).

(٣) «تفسير السعدي» (١/ ١٧٠).

وراءهم ويخلفون، وهذه هي السعادة حيث خلت حياتهم من الخوف والحزن وحل محلها الأمن والسرور (١).

• **ما يستفاد من الآية:**

- فضل النفقة في الجهاد وأنها أفضل النفقات.
- فضل الصدقات وعواقبها الحميدة.
- حرمة المن بالصدقة، وفي الحديث «**ثلاثة لا يدخلون الجنة...**» وذكر من بينهم المنان.

المن والأذى يبطلان الصدقة:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

قال العلماء: إن الصدقة التي يعلم الله من صاحبها أنه يَمُنُّ أو يؤذي بها، فإنها لا تقبل؛ لأن الله قال: ﴿لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾، وإبطالها هو عدم قبولها، وإذا لم تقبل فلا يعطي صاحبها ثوابًا عليها، وهو

---

(١) «أيسر التفاسير» (١/ ١٤١).

معنى لا تقبل(١).

حكم المن:

هو من كبائر الذنوب إذ صاحبه أحد «ثَلَاثَةٍ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»(٢).

قال الإمام الذهبي رحمه الله في كتابه «الكبائر»: الكبيرة الأربعون المنان..

ثم استدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ...﴾، واستدل بحديث النبي ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَ مِرَارٍ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ»(٣).

قال الذهبي: قال الواحدي: المنان: هو أن يمن بما أعطى، وكذلك استدل بحديث «ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمن الخمر، والمنان»(٤).

---

(١) حاشية «أيسر التفاسير» (١/ ١٤١).

(٢) رواه مسلم (١٠٦).

(٣) رواه مسلم (١٠٦).

(٤) النسائي.

ممن يقع المن؟

قال القرطبي رحمه الله: المن غالبًا يقع من البخيل والمعجب، فالبخيل تعظم في نفسه العطية وإن كانت حقيرة في نفسه، والمعجب يحمله العجب على النظر لنفسه بعين العظمة، وأنه منعم بماله على المُعْطَى وإن كان أفضل منه في نفس الأمر، وموجب ذلك كله الجهل ونسيان نعمة الله فيما أنعم به عليه ولو نظر مصيره لعلم أن المنة للآخذ لما يترتب له من الفوائد (١).

- **شرح حديث: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة...»:**

عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**» قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَ مِرَارٍ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ**»(٢).

معنى «لا يكلمهم»: تكليم أهل الخيرات بإظهار الرضا، بل بكلام أهل السخط والغضب، وقيل: المراد: الإعراض عنهم، وقال جمهور المفسرين: لا يكلمهم كلامًا ينفعهم ويسرهم، وقيل: لا يرسل إليهم الملائكة بالتحية، ومعنى «لا ينظر إليهم» أي: يعرض عنهم، ونظره

---

(١) «فتح الباري» (٣/ ٢٩٩).

(٢) رواه مسلم (١٠٦).

سبحانه لعباده رحمته ولطفه بهم[١]، ومعنى «لا يزكيهم»: لا يطهرهم من دنس ذنوبهم، وقال الزجاج وغيره: معناه لا يثني عليهم، ومعنى «عذاب أليم»: مؤلم.

قال الواحدي: هذا العذاب الذي يخلص إلى قلوبهم وجعه، قال: والعذاب كل ما يعيي الإنسان ويشق عليه، قال: وأصل العذاب في كلام العرب من العذب وهو المنع، يقال: عذبته عذابا إذا منعته، وعذب عذوبًا: أي امتنع وسمي الماء.. عذبًا؛ لأنه يمنع العطش فسمي العذاب عذابًا؛ لأنه يمنع المعاقب من معاودة مثل جرمه، ويمنع غيره من مثل فعله.

«المسبل»: هو الذي يسبل إزاره أو ثيابه أو قميصه أو سراويله حتى تكون إلى القدمين. و«المنفق سلعته بالحلف الكاذب»: يحاول ترويجها بالكذب[٢].

«المنان بما أعطى»: قال سليمان بن مسهر: المنان الذي لا يعطي شيئًا إلا مِنَّة، قال الخطابي في «المعالم»: المنان يتأول على وجهين: أحدهما من المِنَّة وهي إن وقعت في الصدقة أبطلت الأجر، وإن كانت في

(١) يقول المعلق: النظر صفة تليق به سبحانه ولازم الرحمة واللطف أن تُنفى الصفة وتُؤول بلازمها، فهذا مخالف لما عليه السلف رحمهم الله.

(٢) «نووي على شرح مسلم» (١/ ٣٩٣، ٣٩٤).

المعروف كدرت الصنيعة وأفسدتها، والوجه الآخر: أن يراد بالمن النقص يريد النقص من الحق والخيانة في الوزن والكيل ونحوهما، ومن هذا قال الله سبحانه: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ [القلم: ٣] أي: غير منقوص، قالوا: ومن ذلك يسمى الموت منونًا؛ لأنه ينقص الأعداد، ويقطع الأعمار. اهـ[١].

السلف يذمون المن والمنان:

- **سمع ابن سيرين** رحمه الله **رجلًا يقول لآخر**: أحسنت إليك، وفعلت وفعلت، فقال له ابن سيرين: اسكت فلا خير في معروف إذا أحصي.

- **وكان بعضهم يقول**: مَنْ مَنَّ سقط مِنْ شكره، ومَنْ أُعْجب بعمله سقط أجره[٢].

- **عن ابن عباس** رضي الله عنهما **قال**: لا يدخل الجنة منان، فشق ذلك عليَّ حتى وجدت في كتاب الله في المنان: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤][٣].

- **أورد ابن جرير الطبري** رحمه الله **في تفسيره** عن ابن أبي مليكة أنه كان

---

(١) «عون المعبود» (٧/ ٢٠٣، ٢٠٤).

(٢) «الكبائر» للذهبي (ص:١٨٨).

(٣) «الدر المنثور» (٢/ ٤٤).

يقول في هذه الآية: ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] قال: المنان والمختال والذي يقتطع بيمينه أموال الناس بالباطل(١).

مزيد من الأحاديث في ذم المن:

- عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ خِبٌّ**، (الخادع الغاش) **وَلا بَخِيلٌ، وَلا مَنَّانٌ**»(٢).

- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ، وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ، وَالدَّيُّوثُ، وَثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ، وَالْمُدْمِنُ عَلَى الْخَمْرِ، وَالْمَنَّانُ بِمَا أَعْطَى**»(٣).

أشعار قيلت في ذم المن والتحذير منه:

قال الإمام الشافعي رحمه الله:

لا تحملن لمن يَمُنُّ ... من الأنام عليك مِنَّه
واختر لنفسك حظها ... واصبر فإن الصبر جُنَّه(٤)

(١) «جامع البيان» (١٠/ ٤٩٢).

(٢) رواه الترمذي (١٩٦٣)، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٣) رواه النسائي (٥/ ٨٠)، وحسنه الألباني.

(٤) جنة: أي وقاية.

مِــنَنُ الرجــال عــلى القلــوب   أشــد مــن وقــع الأســنه[١]

وأنشد بعضهم فقال:

أفسدت بالمن ما قدمت من حسن   لـيس الكـريم إذا أعطـى بمنـان

فعلى العاقل الأريب أن يتجنب المن وأن يعلم ـ لكل ما سلف ـ أن عاقبته وخيمة، وأن يتجنب أضراره التي منها:

١ - نقصان الأجر، وقد يذهب به بالكلية.

٢- المن مرض من أمراض اللسان والنفس ومظهر من مظاهر سوء الخلق.

٣- شدة الوعيد لمن حصل منه ذلك.

٤- يوغر الصدور ويحبط الأعمال.

٥- يستجلب غضب الله سبحانه، ويستحق صاحبه الطرد من رحمته سبحانه.

٦- إن المن صفة يتشبه صاحبها بالمنافقين.

٧- يحرم صاحبها من نعمة نظر الله إليه وكلامه معه يوم القيامة [٢].



---

(١) الأسنة: جمع لكلمة سنان وهو نصل الرمح.

(٢) «نضرة النعيم» (١١/ ٥٥٦٩).

السَّبُّ

السَّبُّ

السب لغة:

قال ابن فارس: السين والباء حدّه بعض أهل اللغة أن أصل هذا الباب القطع، ثم اشتق منه الشتم، من ذلك السب: الخمار؛ لأنه مقطوع من منسجه، فأما الأصل فالسب: العقر، يقال: سببت الناقة، إذا عقرتها والسب: الشتم ولا قطيعة أقطع من الشتم ويقال: لا تسبوا الإبل فإن فيها رقوء الدم، فهذا نهي عن سبها أي شتمها، ويقال: رجل سَبَبَةٌ، إذا كان يسب الناس كثيرًا، ورجل سِبّة، إذا كان يسب كثيرًا[١].

السب اصطلاحًا:

هو الشتم في عرض الإنسان بما يعيبه ويؤلمه، وقيل: هو الكلام الذي يقصد به الانتقاص والاستخفاف وهو ما يفهم منه السب في عقول الناس على اختلاف اعتقاداتهم كاللعن والتقبيح ونحوه.

أنواع السب:

والسب أنواع يتصاعد بعضها فوق بعض من التافه اليسير إلى الخطر العسير، وإذا كان سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقًا؛ كما قال النبيُّ ﷺ يعني:

---

(١) «**مقاييس اللغة**» (ص:٤٧٥، ٤٧٦).

فجورًا وخروجًا عن الحق- فإن سب الله ﷻ يعد أقبح وأشنع أنواع المكفرات القولية، وإذا كان الاستهزاء بالله كفرًا سواء استحله أم لم يستحله، فإن السب كفر من باب أولى.

يقول الإمام ابن تيمية- رحمه الله تعالى: من سب الله أو سب رسوله كفر ظاهرًا أو باطنًا، سواء كان الساب يعتقد أن ذلك محرم، أو كان مستحلًّا، أو كان ذاهلًا عن اعتقاده.

وقال إسحاق بن راهويه رحمه الله: قد أجمع المسلمون أن من سب الله أو سب رسوله ﷺ أنه كافر بذلك، وإن كان مقرًّا بما أنزل الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧]، فرّق الله تعالى في الآية الكريمة بين أذى الله ورسوله وبين أذى المؤمنين والمؤمنات، فجعل على هذا أنه قد احتمل بهتانًا وإثمًا مبينًا، وجعل على ذلك اللعنة في الدنيا والآخرة، وأعد له العذاب المهين، ومعلوم أن أذى المؤمنين قد يكون من كبائر الإثم، وفيه الجلد، وليس فوق ذلك إلا الكفر والقتل.

قال القاضي عياض رحمه الله: لا خلاف أن ساب الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم.

وقال الإمام أحمد رحمه الله **في رجل قال لرجل**: يا ابن كذا وكذا - أعني أنت ومن خلقك: هذا مرتد عن الإسلام تضرب عنقه.

وقال الإمام ابن قدامة رحمه الله: مَنْ سبَّ الله تعالى كفر سواء كان مازحًا أو جادًّا.

وسئل الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله عن سب الدين أو الرب هل يكون كافرًا أو مرتدًّا؟

فكان الجواب: سب الدين والرب من أعظم الكبائر وأعظم المنكرات، ومن أعظم نواقض الإسلام، ومن أسباب الردة عن الإسلام فإذا كان من سب الرب أو الدين ينتسب للإسلام فإنه يكون مرتدًّا بذلك عن الإسلام، ويكون كافرًا يستتاب فإن تاب وإلا قتل من جهة ولي أمر البلد بواسطة المحكمة الشرعية، وقال بعض أهل العلم: لا يستتاب بل يقتل؛ لأن جريمته عظيمة، ولكن الأرجح أن يستتاب لعل الله يمن عليه بالهداية، فيلزم الحق ولكن ينبغي أن يعزر بالجلد والسجن حتى لا يعود لمثل هذه الجريمة العظيمة، وكذلك سب الله عز وجل يكون بنسبة الولد إليه كأن يدعي شخص أن لله ولدًا أو شريكًا في الملك كما ادَّعت النصارى فقالت عن الله: ﴿ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣] وادَّعت اليهود فقالت: ﴿عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] تعالى الله عن هذه الأقوال وعن هذا السباب علوًّا كبيرًا.

يقول النبي ﷺ: «**قال الله تعالى: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، أَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ أَنْ يَقُولَ: إِنِّي لَنْ أُعِيدَهُ كَمَا**

بَدَأْتُهُ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ أَنْ يَقُولَ: اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا، وَأَنَا الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ»(١).

ومن الأمور التي تكون سببًا في سب الرب- سبحانه وتعالى، وقد أمر الله المؤمنين باجتنابها: سب الذين يدعون من دون الله، لأن سبهم وسب ما يدعون من دون الله سيكون سببًا في سب الرب جل وعلا، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

ففي هذه الآية الكريمة: ينهى الله تعالى المؤمنين عن أمر كان جائزًا؛ بل مشروعًا في الأصل وهو سب آلهة المشركين التي اتخذت أوثانًا وآلهة مع الله التي يتقرب إلى الله بإهانتها وسبها، ولكن لما كان هذا السب طريقًا إلى سب المشركين لرب العالمين الذي يجب تنزيه جنابه العظيم عن كل عيب وآفة وسب وقدح، نهى الله عن سب آلهة المشركين؛ لأنهم يتحمسون لدينهم ويتعصبون له؛ لأن كل أمة زين الله لهم عملهم فرأوه حسنًا وذبوا عنه، ودافعوا بكل طريق حتى إنهم يسبون الله رب العالمين الذي رسخت عظمته في قلوب الأبرار والفجار إذا سب المسلمون آلهتهم(٢).

---

(١) البخاري (٤٩٧٥).

(٢) «تفسير السعدي» (١/ ٤٤٦).

جاء في «أحكام القرآن» لابن العربي: اتفق العلماء على أن معنى الآية: لا تسبوا آلهة الكفار فيسبوا إلهكم وكذلك هو، فإن السب في غير الحجة فعل الأدنياء، وقال النبي ﷺ: «مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَهَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ»، فمنع الله تعالى في كتابه أحدًا أن يفعل فعلا جائزًا يؤدي إلى محظور، ولأجل هذا تعلق علماؤنا بهذه الآية في سد الذرائع، وهو كل عقد جائز في الظاهر يؤول أو يمكن أن يتوصل به إلى محظور، وقد قيل: إن المشركين قالوا: لئن لم تَنْتَهُنَّ عن سبِّ آلهتنا لَنَسُبَّنَّ إلهكم، فأنزل الله تعالى الآية...)[1].

• **ما يستفاد من الآية:**

- إن وسائل المحرم ولو كانت جائزة تكون محرمة إذا كانت تفضي إلى شر.

- **سب النبي ﷺ**: أخي المسلم إنه من المعلوم لدى ذوي البصائر أن للحبيب المصطفى محمد ﷺ منزلة عالية رفيعة عظيمة في قلوب أهل التقى والإيمان، فهو الذي بلَّغ الرسالة وأدى الأمانة، وكان ناصحًا للأمة، كشف الله به الغمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين فنحن نحبه ﷺ كما أمر محبة لا تخرجه إلى حد الغلو في الإطراء

(١) «أحكام القرآن» لابن العربي (٢/ ٢٦٥).

والمدح أو إقامة البدع التي نهى عنها ﷺ، وحذر منها، بل له المكانة العالية السامية والمنزلة الكبيرة الرفيعة، نطيعه فيما أمر ونجتنب ما نهى عنه وزجر، فليحذر كل مسلم من سبه ﷺ، فإن ذلك من نواقض الإيمان التي توجب الكفر ظاهرًا وباطنًا سواء استحل ذلك فاعله أو لم يستحله، يقول ابن تيمية رحمه الله: من سبّ الله أو سب رسوله كَفَرَ ظاهرًا وباطنًا، سواء كان الساب يعتقد أن ذلك محرم أو كان مستحلًا أو كان ذاهلًا عن اعتقاده، والأمر في ذلك يصل إلى حتى مجرد لمز النبي ﷺ في حكم أو غيره كما قال رحمه الله: فثبت أن كل من لمز النبي في حكمه أو قسمه، فإنه يجب قتله كما أمر به النبي في حياته وبعد موته.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ أَعْمَى كَانَتْ لَهُ أُمُّ وَلَدٍ تَشْتُمُ النَّبِيَّ ﷺ، وَتَقَعُ فِيهِ، فَيَنْهَاهَا، فَلَا تَنْتَهِي، وَيَزْجُرُهَا فَلَا تَنْزَجِرُ، قَالَ: فَلَمَّا كَانَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ، جَعَلَتْ تَقَعُ فِي النَّبِيِّ ﷺ، وَتَشْتُمُهُ، فَأَخَذَ الْمِغْوَلَ فَوَضَعَهُ فِي بَطْنِهَا، وَاتَّكَأَ عَلَيْهَا فَقَتَلَهَا، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «**أَلَا اشْهَدُوا أَنَّ دَمَهَا هَدَرٌ**»[(١)]، وفي رواية أخرى عند أبي داود من حديث المغيرة عن الشعبي عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه، «أَنَّ يَهُودِيَّةً كَانَتْ تَشْتُمُ النَّبِيَّ ﷺ وَتَقَعُ فِيهِ، فَخَنَقَهَا رَجُلٌ حَتَّى مَاتَتْ، فَأَبْطَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ دَمَهَا»، فيه دليل على أنه يقتل من

(١) أبو داود (١٢/ ١٥)، والنسائي (٧/ ١٠٧)، وقال الصنعاني: رواته ثقات، «سبل السلام» المجلد الثالث، وحسّن الحديث الشيخ مقبل في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (٣/ ١٦٣).

شتم النبي ﷺ، وقد نقل ابن المنذر الاتفاق على أن من سبَّ النبيَّ صريحًا وجب قتله.

وقال **الخطابي** رحمه الله: (لا أعلم خلافًا في وجوب قتله إذا كان مسلمًا).

وقال **ابن بطال** رحمه الله: اختلف العلماء فيمن سب النبي، فأما أهل الذمة والعهد كاليهود فقال ابن القاسم عن مالك: يقتل من سبه ﷺ منهم إلا أن يسلم، وأما المسلم فيقتل بغير استتابة، ورُوِيَ عن الأوزاعي ومالك في المسلم أنها ردة يستتاب منها وعن الكوفيين- إن كان ذميًّا عُزِّر، وإن كان مسلما فهي ردة(١).

وقال **الصنعاني** رحمه الله في «**سبل السلام**»: الحديث دليل على أنه يقتل من سب النبي ويهدر دمه، فإن كان مسلمًا كان سبه للرسول ردة فيقتل.

قال ابن بطال: من غير استتابة، وهذا رأي الشافعي وأحمد وإسحاق - رحمهم الله - ونقل ابن المنذر: أنه يستتاب.

سب الصحابة رضي الله عنهم :

الصحابة الكرام هم صحابة النبي ﷺ ورفقاء دعوته الذين أثنى الله ﷻ عليهم في مواضع كثيرة في القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ

(١) «عون المعبود شرح سنن أبي داود» للمباركفوري.

وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال الله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح: ٢٩] .

ومن سبهم بعد هذه الآيات فهو مكذب بالقرآن، والواجب نحوهم محبتهم والترضي عنهم والدفاع عنهم، ورد من تعرض لأعراضهم، ولا شك أن حبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان، وقد أجمع العلماء على عدالتهم، أما التعرض لهم وسبهم وازدراؤهم فقد قال ابن تيمية: إن كان مستحلًّا لسبِّ الصحابة رضي الله عنهم فهو كافر، وقد حذر النبي ﷺ بقوله: «مَنْ سَبَّ أَصْحَابِي، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ

(١) «صحيح الجامع» (٦٢٨٥).

وَلَا نَصِيفَهُ»(١).

سئل الإمام أحمد رحمه الله عمن يشتم أبا بكر وعمر وعائشة رضي الله عنهم فقال: ما أراه على الإسلام.

وقال الإمام مالك رحمه الله: من شتم أحدًا من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم: أبا بكر وعمر وعثمان أو معاوية أو عمرو بن العاص، فإن قال: كانوا على ضلال وكفر قتل.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: فمن سبهم فقد خالف ما أمر الله من إكرامهم، ومن اعتقد السوء منهم كلهم أو جمهورهم، فقد كذب الله تعالى فيما أخبر من كمالهم وفضلهم، ومكذبه كافر، أما من قذف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فإنه كذب بالقرآن الذي يشهد ببراءتها فتكذيبه كفر والوقيعة فيها تكذيب له، ثم إنها رضي الله عنها فراش النبي صلى الله عليه وسلم والوقيعة فيها تنقيص له صلى الله عليه وسلم، وتنقيصه كفر.

قال ابن كثير رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣]، وقد أجمع العلماء قاطبة على أن من سبها بعد هذا ورماها بما رماها به بعد ذلك الذي ذكر في الآية فإنه كافر؛ لأنه معاند للقرآن.

---

(١) البخاري(٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١).

ساق اللالكائي بسنده أن الحسن بن زيد لما ذكر رجل بحضرته عائشة بذكر قبيح من الفاحشة فأمر بضرب عنقه، فقال له العلويون: هذا رجل من شيعتنا فقال: معاذ الله، هذا رجل طعن على النبي ﷺ: قال الله ﷻ: ﴿ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ [النور: ٢٦] فإن كانت عائشة ؓ خبيثة، فالنبي ﷺ: «خبيث» فهو كافر، فاضربوا عنقه.

إن سب الصحابة يستلزم تضليل أمة محمد ﷺ، ويتضمن أن هذه الأمة شر الأمم، وأن سابقي هذه الأمة شرارها، وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام.

وقال الإمام الذهبي ؒ: فمن طعن فيهم (أي: الصحابة) أو سبهم فقد خرج من الدين، ومرق من ملة الإسلام والمسلمين؛ لأن الطعن لا يكون إلا على اعتقاد مساوئهم وإضمار الحقد فيهم، وإنكار ما ذكره الله في كتابه من ثنائه عليهم وما لرسوله ﷺ من ثنائه عليهم وفضائلهم ومناقبهم وحبهم.

سب القدر:

فمن الأمور التي نهى عنها الشارع الحكيم وجعلها من الألفاظ الكفرية سب القدر، ولذا فقد أخطأ من قال: (قدرك أسود) (قدر أعمى)

(عبث الأقدار) (القدر يلعب بنا) (لعبة القدر العمياء) (قدر أحمق الخُطَا) فكل هذا مناف لكمال التوحيد ومناف لكمال الإيمان بالقدر، فالقدر ليس بأعمى، القدر لا يلهو ولا يعبث بأحد، القدر ليس بأحمق الخُطَا، فكل شيء يسير في هذه الحياة على وفق ما أراد الله وبتقدير الله وبعلمه - سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: وفي الحقيقة إن سب الصحابة رضي الله عنهم ليس جرحًا في الصحابة رضي الله عنهم فقط، بل هو قدح في الصحابة وفي النبي ﷺ وفي شريعة الله، وفي ذات الله عز وجل: أما كونه قدحًا في الصحابة، فواضح.

- **وأما كونه قدحًا في رسول الله ﷺ**، فحيث كان أصحابه وأمناؤه وخلفاؤه على أمته من شرار الخلق، وفيه قدح في رسول الله ﷺ من وجه آخر، وهو تكذيبه فيما أخبر به من فضائلهم ومناقبهم.

- **وأما كونه قدحًا في شريعة الله**، فلأن الواسطة بيننا وبين رسول الله ﷺ في نقل الشريعة هم الصحابة، فإذا أسقطت عدالتهم، لم يبق ثقة فيما نقلوه من الشريعة.

- **وأما كونه قدحًا في الله سبحانه وتعالى**، فحيث بعث نبيه ﷺ في شرار الخلق، واختارهم لصحبته وحمل شريعته ونقلها لأمته[1]!!

(١) «شرح العقيدة الواسطية» (٢/ ٢٨٣).

الآثار المترتبة على سب الصحابة رضي الله عنهم:

- **تعدى على سعد فصار عبرة لمن بَعْدُ:**

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: شَكَا أَهْلُ الكُوفَةِ سَعْدًا إِلَى عُمَرَ رضي الله عنه، فَعَزَلَهُ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا، فَشَكَوْا حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لاَ يُحْسِنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ إِنَّ هَؤُلاَءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لاَ تُحْسِنُ تُصَلِّي، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: أَمَّا أَنَا وَاللهِ فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلاَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا أَخْرِمُ عَنْهَا، أُصَلِّي صَلاَةَ العِشَاءِ، فَأَرْكُدُ فِي الأُولَيَيْنِ وَأُخِفُّ فِي الأُخْرَيَيْنِ، قَالَ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلًا أَوْ رِجَالًا إِلَى الكُوفَةِ، فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الكُوفَةِ وَلَمْ يَدَعْ مَسْجِدًا إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ، وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ: أُسَامَةُ ابْنُ قَتَادَةَ يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ قَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا، فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لاَ يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلاَ يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلاَ يَعْدِلُ فِي القَضِيَّةِ، قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللهِ لَأَدْعُوَنَّ بِثَلاَثٍ: اللهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالفِتَنِ، وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ، قَالَ عَبْدُ المَلِكِ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ، قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ(١).

---

(١) البخاري (٧٥٥)، ومسلم (٤٥٣).

• **الحية السريعة تدافع عن حملة الشريعة:**

قال الحافظ أبو سعيد السمعاني: سمعت أبا المعمر المبارك بن أحمد، سمعت أبا القاسم يوسف بن علي الزنجاني الفقيه، سمعت الفقيه أبا إسحاق الفيروزآبادي، سمعت القاضي أبا الطيب يقول: كنا في مجلس النظر بجامع المنصور فجاء شاب خراساني، فسأل عن مسألة المصراة (١)، فطالب بالدليل حتى استدل بحديث أبي هريرة رضي الله عنه الوارد فيها، فقال- وكان حنفيًّا: أبو هريرة غير مقبول الحديث، فما استتم كلامه حتى سقطت عليه حية عظيمة من سقف الجامع، فوثب الناس من أجلها وهرب الشاب منها وهي تتبعه، فقيل له: تُبْ تُبْ، فقال: تبت، فغابت الحية، فلم يُر لها أثر (٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وفي المسألة حكاية ثانية ذكرها أبو سعيد السمعاني عن الشيخ العارف يوسف الهمداني، عن الشيخ الفقيه أبي إسحاق الشيرازي عن القاضي أبي الطيب الطبري، قال: كنا جلوسا بالجامع ببغداد، فجاء خراساني سألنا عن المصراة فأجبناه فيها، واحتججنا بحديث أبي هريرة، فطعن في أبي هريرة، فوقعت حية من

---

(١) المصراة: هي التي تربط أخلافها: أي: ثديها وضرعها ليجتمع لبنها للتدليس على المشتري وغشه، وقد نهى النبي ﷺ عن التصرية فقال: «**لا تصروا الإبل والغنم**..» رواه البخاري(٢١٤٨)، ومسلم (١٥٢٤).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٦١٨، ٦١٩).

السقف، وجاءت حتى دخلت الحلقة، وذهبت إلى ذلك الأعجمي فضربته فقتلته (١).

سبحانه- هو الذي يصرف الليل والنهار، وهو الذي يقدر السعادة والشقاء حسب ما تقتضيه حكمته سبحانه، وقد تخفى تلك الحكمة عن الناس؛ لأن علومهم محدودة وعقولهم قاصرة عن إدراك حكمته، وكل شيء في الوجود مخلوق لله، خلقه بمشيئته وقدرته وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن كيف كان يكون: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠].

سب الوالدين:

إن الله – سبحانه – أوصى الأبناء بالوالدين في كتابه الكريم، في غير ما موضع أوصى ببرهما والإحسان إليهما، فقال ﷻ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾

[الإسراء: ٢٣، ٢٤].

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٥٣٨، ٥٣٩) نقلًا عن «سرعة العقاب لمن خالف السنة والكتاب» (ص:٧٧، ٧٨).

وقال ﷻ في موضع آخر: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [لقمان: ١٤].

وفي موضع آخر قال ﷻ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا ﴾ [الأحقاف: ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [النساء: ٣٦].

فمن العار والدمار بعد أن يسمع المرء هذه الآيات وغيرها الكثير تنادي ببر الوالدين والإحسان إليهما، ثم بعد ذلك لا يقوم بحقهما أو يتسبب في أذيتهما بالسب واللعن، فلتحذر يا عبد الله من مغبة ذلك الأمر ولتحفظ لسانك فقد أخبر النبي ﷺ أن سبهما من الكبائر، بل ومن أكبر الكبائر، فقد روى البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ**» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «**يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ**»، وفي رواية عند أبي داود - قال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ**» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ كَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «**يَلْعَنُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَلْعَنُ أَبَاهُ، وَيَلْعَنُ أُمَّهُ**،

فَيَلْعَنُ أُمَّهُ»(١).

ما يستفاد من الحديثين:

حفظ اللسان عن سب ولعن الوالدين، فإن سبهما ولعنهما من أكبر الكبائر، بل وأعظم الجرائم.

- **سب المسلم بغير حق:**

سب المسلم: أي: شتمه والتكلم في عرضه بما يعيبه، وقد حرم الله تعالى سبه بغير حق. قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٨].

﴿ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا﴾: البهتان: الفعل الشنيع، أو الكذب الفظيع.

ويقول النبي ﷺ: «**سِبَابُ المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**»(٢).

فسوق: أي: خروج عن طاعة الله ﷻ.

يستفاد من الحديث:

التحذير من سب المسلم؛ لأن هذا ينافي أخوة الإيمان، ويؤدي إلى كفران النعمة.

---

(١) «صحيح الجامع» (٢٢١٤) عن ابن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) البخاري مع «الفتح» (١٠/ ٣٨٧)، ومسلم (٦٤).

ويقول النبي ﷺ: «**لَا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالْفِسْقِ، وَلَا يَرْمِيهِ بِالْكُفْرِ إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ**»(١).

ارتدت: أي: رجعت على قائلها.

ما يستفاد من الحديث:

تفسيق من فَسَّقَ أحدًا ليس بفاسق، وتكفير من رمى المؤمن بالكفر وذاك إن قصد به ظاهره واستحل ذلك (٢).

يقول النبي ﷺ: «**الْمُسْتَبَّانِ**(٣) **مَا قَالَا، فَعَلَى الْبَادِئِ، مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ**»(٤).

قال النووي رحمه الله: معناه: أن إثم السباب الواقع بينهما يختص بالبادئ منهما كله، إلا أن يجاوز الثاني قدر الانتصار فيؤذي الظالم بأكثر مما قاله.

يرشدنا الحديث إلى حرمة سباب المسلم بغير حق وجواز الانتصار إلا أن الصبر والعفو أفضل؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

---

(١) البخاري مع «الفتح» (١٠/ ٣٨٨).

(٢) «نزهة المتقين شرح رياض الصالحين».

(٣) اللذان يسب كل منهما الآخر.

(٤) رواه مسلم (٢٥٨٧).

سب الموتى:

إن سبَّ أموات المسلمين يعد شرًّا مستطيرًا تقع فيه بعض الألسن، فلا يليق بهذه الألسن التي خلقها الله- تعالى- لذكره أن تستخدم في غير ما خلقت له، فتنهش في أعراض أناس فارقوا الدنيا، وصاروا إلى ما قدموا من عمل، وأولى بها ثم أولى بها أن تترحم عليهم، وتطلب لهم المغفرة، وإذا كان سباب المسلم الحي فسوقًا، فإن سباب المسلم الميت أشد فسقًا وأعظم وبالًا وجرمًا، ومن ثم جاء التحذير النبوي، فقال ﷺ: «**لاَ تَسُبُّوا الأَمْوَاتَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا**»(١).

قال الإمام النووي رحمه الله: الحديث في سب أموات المسلمين، أما أموات الكفار فيجوز سبهم عمومًا، وذلك للتحذير من الاقتداء بهم في بدعتهم وفسقهم، وأما المعين منهم فلا يجوز سبه، واحتمال أنه مات مسلمًا إلا أن يكون ممن نَصّ الشارع على موته كافرًا كأبي لهب وأبي جهل(٢)، وغيرهم.

سب الذين يدعون من دون الله:

إذا خيف من وراء سبهم مفسدة، فلا يجوز حينئذ سبهم؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾

---

(١) رواه البخاري (٣/ ٣٠٤) طبعة. دار أم القرى.

(٢) «رياض الصالحين» (ص: ٤١٠).

[الأنعام: ١٠٨]، ففي هذه الآية: يقول تعالى ناهيًا رسوله والمؤمنين عن سب آلهة المشركين وإن كان فيه مصلحة إلا أن يترتب مفسدة أعظم منها وهي مقابلة المشركين بسب إله المؤمنين، فقد ورد أن المشركين قالوا: يا محمد لتنتهين عن سبك آلهتنا أو لنهجون ربك، فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم، فيسبوا الله عَدْوًا بغير علم، فنزلت الآية(١).

سب الشيطان:

عن أبي هريرة ﵁: أن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ تَسُبُّوا الشَّيْطَانَ وَتَعَوَّذُوا بِالله مِنْ شَرِّهِ**»(٢).

وقال النبي ﷺ: «**لَا تَقُلْ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَعَاظَمَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الْبَيْتِ**»(٣)

ذلك أنك لو سببت الشيطان يتعاظم ويتفاخر بذلك؛ لأنه استطاع أن يحقق فيك مراده من شر وإيذاء، أما لعنه فجائز لورود ذلك في كتاب الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿**لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا**﴾ [النساء: ١١٨].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٦٤).

(٢) «صحيح الجامع» (٧٣١٨)، والسلسلة «الصحيحة» (٢٤٢٢).

(٣) رواه أبو داود (٥/ ٢٦٠)، وابن السني – عمل اليوم والليلة – (٥١)، وأحمد (٥١/ ٥٩/ ٧١).

وقد أمرنا الله تعالى أن نتعوذ من شرِّه، قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١ - ٦]، والوسواس الخناس: الشيطان، فهذه السورة مشتملة على الاستعاذة برب الناس ومالكهم وإلههم من الشيطان الذي هو أصل الشرور كلها ومادتها(١).

سب الديك:

نهى رسول الله ﷺ عن سب هذا المخلوق، فعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا الدِّيكَ، فَإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلَاةِ**»(٢).

الديك مخلوق جميل من مخلوقات الله عز وجل خلقه - سبحانه - لحكمة أرادها، وقد حذَّر النبي ﷺ من سبه؛ لأنه يوقظ للصلاة، فلا يحملن أَحَدَكُمْ إيقاظُ الديك له بصوته على سبِّه؛ إذ فوت عليه لذيذ منامه؛ لأن ما يدعو إليه من الإيقاظ للصلاة خير مما فاته من لذيذ النوم.

قال ابن عثيمين رحمه الله: الديك هو الذكر من الدجاج وله صوت يؤذن فيوقظ النائم، وبعضها يؤذن على أوقات الصلاة، وقد أمر النبي ﷺ من

---

(١) «تفسير السعدي».

(٢) رواه أبو داود (٥١٠١)، و«صحيح الجامع» (٧٣١٤).

سمع صوت الديك أن يسأل الله من فضله، فإنها رأت ملكًا، وبعض الديكة يكون أذانه على دخول الوقت وقرب دخول الوقت، فيوقظ النائم للصلاة، فنهى النبي ﷺ عن سبه لهذه المزية التي تميز بها.

ما يستفاد من الحديث:

كراهة سب الديك؛ لأنه يوقظ النائمين وينبههم، فيبادرون إلى الصلاة والتهجد.

وفي الحديث دليل على أنه ينبغي للإنسان أن يتخذ ما يوقظه للصلاة، وذلك مثل الساعات المنبهة حتى يستيقظ للصلاة؛ لأنه ما لم يتم المأمور إلا به، فهو مأمور به.

سب الريح:

أخي المسلم إذا هبت الريح ورأيت ذلك، فلا يحملك هذا على سب الريح؛ لأن ذلك يكون رحمة من الله بعباده... لكن إذا رأيت هبوب الريح فاسأل الله من خيرها، واستعذ بالله من شرها، يقول النبي ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِنَّهَا تَجِيءُ بِالرَّحْمَةِ وَالْعَذَابِ، وَلَكِنْ سَلُوا اللهَ خَيْرَهَا، وَتَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ شَرِّهَا**»(١).

وفي رواية عند الترمذي، حديث أُبَيٍّ قال عليه الصلاة والسلام: «**لَا**

(١) رواه أحمد والبيهقي عن أبي هريرة. «صحيح الجامع» (٧٣١٦).

تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: اللهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَـذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ»(١).

قال الإمام الشافعي رحمه الله: لا ينبغي لأحد أن يسب الريح؛ لأنها خلق لله مطيع، وجند من أجناده يجعلها رحمة ونقمة إذا شاء(٢).

قال في «فتح المجيد»: الريح إنما تهب عن إيجاد الله وخلقه لها وأمره؛ لأنه هو الذي أوجدها وأمرها فمسبتها مسبة للفاعل وهو الله، وهذا جهل لا يفعله إلا أهل الجهل بالله ودينه، فنهى صلى الله عليه وسلم عما يقوله أهل الجهل والجفاء وأرشد المؤمنين إلى ما يجب أن يقال عند هبوب الرياح، ففي هذه عبودية لله وطاعة له ولرسوله صلى الله عليه وسلم، واستدفاع للشرور به، وتعرض لفضله ونعمته، وهذا حال أهل الإيمان والتوحيد، خلافا لحال أهل الفسق والعصيان الذين حرموا ذوق طعم التوحيد الذي هو حقيقة الإيمان (٣).

ما يستفاد من الحديث:

١ - صون اللسان عن سب الريح والنهي عن ذلك.

---

(١) «صحيح الجامع» (٧٣١٥).

(٢) «الأذكار» للنووي.

(٣) «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» (٢/ ٦٥٣، ٦٥٤).

٢- الإرشاد إلى الكلام النافع إذا رأى الإنسان ما يكره.

٣- الريح لا تفعل هذا من تلقاء نفسها وإنما هي مأمورة.

سب الحُمَّى:

إذا أصيب الإنسان بمرض الحمى، ويئس من الشفاء فلا يحمله ذلك على سبها؛ لأن ذلك يدل على التبرم والتضجر من قدر الله تعالى، أضف إلى ذلك أن الأمراض والأسقام تكون سببًا في تكفير السيئات وإثبات الحسنات، فإصابة الإنسان بالحمى أو بأي مرض لا يكون ذلك شرًّا وإنما هو خير من الله للعبد، فمن ثم جاء النهي من رسول الله ﷺ عن سب الحمى.

وروى مسلم رحمه الله: من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ أَوْ أُمِّ الْمُسَيِّبِ فَقَالَ: **«مَا لَكِ يَا أُمَّ السَّائِبِ - أَوْ يَا أُمَّ الْمُسَيِّبِ - تُزَفْزِفِينَ؟»** قَالَتْ: الْحُمَّى، لَا بَارَكَ اللهُ فِيهَا، فَقَالَ: **«لَا تَسُبِّي الْحُمَّى، فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ، كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ»**(١).

«تذهب خطايا بني آدم»: أي: الصغائر المتعلقة بحق الله تعالى، فالخطايا في الحديث عام مخصوص.

---

(١) مسلم (٤٥٧٥).

«**كما يذهب الكير خبث الحديد**»: الكير: زق الحداد الذي ينفخ به، خبث الحديد: أي: وسخه.

سب النَّفْسِ:

يكره للإنسان أن يصف نفسه بالخبث؛ لأن صفة الخبث لا تنطبق إلا على كل شيء رديء، لا تنطبق إلا على كل نفس تضمر الشر للآخرين وتريد أن توردهم موارد التهلكة، أما المسلم فلا يصف نفسه بهذه الكلمة، ومن ثم جاء النهي من رسول الله ﷺ فقال: «**لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: خَبُثَتْ نَفْسِي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: لَقِسَتْ نَفْسِي**»(١).

ما يستفاد من الحديث:

- كراهية وصف المسلم نفسه بالخبث؛ لأن الله تعالى كرمه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

- الحث على الأدب في المنطق، واستعمال اللفظ الحسن، وهجران القبيح (٢).

---

(١) البخاري (٧٨)، ومسلم- كتاب الألفاظ من الآداب وغيرها – «اللؤلؤ والمرجان».

(٢) «نزهة المتقين شرح رياض الصالحين».

الآثار في ذم (السب) والتحذير منه:

- **قال الزهري:** أراد ابن عمر أن يلعن خادمه فقال: «اللهم العـ» فلم يتمها وقال: هذه كلمة ما أحب أن أقولها .

- **وعن عاصم قال:** ما رأيت أبا وائل مُلْتَفتًا في صلاة ولا في غيرها ولا سمعته يسب دابة قط إلا أنه ذكر الحَجَّاج يومًا فقال: اللهم أطعم الحجاج من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع، ثم تداركها فقال: إن كان ذاك أحب إليك، فقلت: وتستثني في الحجاج؟ فقال: نعدها ذنبًا.

- **وعن مالك بن دينار قال:** قرأت في الحكم أن الله تعالى يقول: أنا ملك الملوك، قلوب الملوك بيدي، فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة، فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك، ولكن توبوا إليَّ أعطفهم عليكم.

- **وعن سعيد بن عبد العزيز قال:** كنت جالسًا عند مكحول فاستطال عليه رجل، فقال مكحول: ذَلَّ من لا سفيه له.

- كان ابن عياش المنتوف يقع في عمر بن ذر ويشتمه، فلقيه عمر بن ذر فقال: يا هذا لا تفرط في شتمنا، وأبق للصلح موضعًا، فإنا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه (١).

---

(١) «التهذيب الموضوعي لحلية الأولياء» (ص:٤٢٨).

السخرية والاستهزاء

السخرية والاستهزاء

السخرية لغة:

قال ابن فارس: السين والخاء والراء أصل مطرد يدل على احتقار واستذلال من ذلك قولنا: سَخَّر الله عَجَلَ الشيء، وذلك إذا ذَلَّلَهُ لأمره وإرادته، قال الله جل ثناؤه: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [الجاثية: ١٣] ويُقالُ: رَجُلٌ سُخْرَةٌ: يُسَخَّرُ في العملِ، وَسُخْرَةٌ أيضًا، إذا كان يُسْخَرُ منه، ومن الباب: سَخِرت منه، إذا هزئت به، ولا يزالون يقولون: سَخِرت به، وفي كتاب الله تعالى: ﴿ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ [هود: ٣٨].اهـ(١).

وقال ابن منظور رحمه الله تعالى:

وقال الفراء: يقال: سخرت منه ولا يقال سخرت به، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾ [الحجرات: ١١]، قال: وسخرت منه هي اللغة الفصيحة وقول الراعي:

تَغَيَّرَ قومي ولا أسخر ... وما حُمَّ من قدر يقدر

المعنى: لا أسخر منهم (٢).

---

(١) «مقاييس اللغة» (ص/ ٥٠٩).

(٢) «لسان العرب» (٤/ ٣٥٢).

السخرية اصطلاحًا:

السخرية: هي استزراء العقل معنى، بمنزلة التسخير في الفعل حسًّا.

ونقل عن **ابن الكمال** قوله: السخرية تكون من شيء يحقُّ عند صاحبه، ولا يحقُّ عند الساخر[١].

- **هل هناك فرق بين السخرية والاستهزاء؟**

ذكر العلماء أن هناك فرقا بين السخرية والاستهزاء من جهتين:

الأولى: السخرية تكون بالفعل وبالقول، والاستهزاء لا يكون إلا بالقول.

الثانية: أن السخرية يسبقها عمل من أجله يسخر بصاحبه، أما الاستهزاء، فلا يسبقه ذلك[٢].

أمور من السخرية:

ذكر العلماء أمورًا من السخرية منها: التنابز بالألقاب... والهمز واللمز... والتهكم والتعيير.

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف (ص:١٩٢) نقلًا عن «نضرة النعيم» (١٠/ ٤٦٠٣).

(٢) «نضرة النعيم» (١٠/ ٤٦٠٤).

• **أولاً: التنابز بالألقاب:**

قال الطبري- رحمه الله تعالى: التنابز بالألقاب هو دعاء المرء صاحبه بما يكرهه من اسم أو صفة، وعمَّ الله بنهيه ذلك، ولم يخصص به بعض الألقاب دون بعض، وغير جائز لأحد من المسلمين أن ينبز أخاه باسم يكرهه أو صفة يكرهها(١)، ولما كانت آية السخرية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ [الحجرات: ١١] فيما يقوله أنس وابن زيد في نساء النبي ﷺ عيرن صفية بالقصر وقيل: نزلت في عائشة رضي الله عنها أشارت بيدها إلى صفية، قائلة: يا نبي الله إنها لقصيرة، وقال عكرمة وابن عباس: إن صفية بنت حيي قالت: يا رسول الله، إن النساء يعيرنني ويقلن لي: يا يهودية..، كل ذلك يدل على أن التنابز بالألقاب إنما هو داخل في مفهوم السخرية، كما دخل فيها مفهوم الهمز واللمز، ومن ثم يكون ذكر اللمز والتنابز بعد ذكر السخرية من قبيل ذكر الخاص بعد العام اهتمامًا به، ونظير ذلك قول الله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ﴾ [الرحمن: ٦٨]؛ إذ النخل والرمان من الفاكهة أيضًا (٢).

ثانيا: الهمز واللمز:

قال القرطبي رحمه الله: قال سفيان الثوري: الهُمَزة الذي يهمز بلسانه،

---

(١) «تفسير القرطبي» (١١/ ٨٥).

(٢) «نضرة النعيم» (١٠/ ٤٦٠٤، ٤٦٠٥).

واللُّمَزة: الذي يلمز بعينيه، وقال ابن كيسان: الهمزة الذي يؤذي جلساءه بسوء اللفظ، واللمزة: الذي يكسر عينه على جليسه ويشير بعينه ورأسه وبحاجبيه (سخرية به)(١).

ويقول **يحيى المعلمي**: الهمز: هو السخرية من الناس بالإشارة كتحريك اليد قرب الرأس إشارة إلى الوصف بالجنون أو الغض بالعين رمزًا للاستخفاف أو نحو ذلك من الحركات، واللمز: هو السخرية من الناس بالقول: كتسمية الشخص باسم يدل على عاهة فيه أو مرض، أو اتهامه بخليقة سيئة أو التعريض بذلك(٢).

ثالثا: التَّهكُّم والتعيير:

المراد بالتهكم: ما كان ظاهره جدًّا وباطنه هزلًا.

يقول الكفوي: ولا تخلو ألفاظ التهكم من لفظ من الألفاظ الدالة على الذم، أو لفظة معناها الهجو(٣).

ومن ثم كان التهكم من السخرية، أما التعيير بالفقر أو الذنب أو العلة، أو ما شابه ذلك فقد نصوا على أنه من السخرية.

---

(١) «تفسير القرطبي» (٢٠/ ١٨٣).

(٢) «مكارم الأخلاق في القرآن الكريم» ليحيى المعلمي (ص:٣٣٣) نقلًا عن «نضرة النعيم» (١٠/ ٤٦٠٤).

(٣) «الكليات» للكفوي (٢/ ٨٧).

يقول الإمام الطبري رحمه الله: عَمَّ الله بنهيه المؤمنين عن أن يسخر بعضهم من بعض جميع معاني السخرية، فلا يحل لمؤمن أن يسخر من مؤمن لفقره ولا لذنب ركبه ولا لغير ذلك(١).

حديث القرآن عن السخرية والاستهزاء:

أخي المسلم: اعلم أنه لمن العجيب أن نجد أناسًا يهزؤون من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولقد عهدنا ذلك في أئمة الكفر والضلال أمثال أبي جهل الحكم بن هشام وأبي لهب، وعبد الله بن أبي ابن سلول وغيرهم كثير نقرأ ماذا يقول رب العزة والجلال عن هذه الظاهرة القديمة الحديثة: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [البقرة: ٢١٢].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ۝٢٩ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴾ [المطففين: ٢٩، ٣٠].

وقال الله تعالى حكاية عن نبي الله نوح بعد استهزاء قومه منه وهو يصنع الفلك: ﴿ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ [هود: ٣٨] فهذا ليس غريبًا عنهم ولا عجيبًا منهم أن يسخروا ويستهزئوا من عباد الله؛ لأنهم أئمة في ضلالهم ولا يستبعد هذا منهم، ولكن العجيب أن أبناء

(١) «تفسير القرطبي» (١١/ ٨٣).

ملة الإسلام ومن ينتسبون إليها هم الذين يقودون مثل هذا فيهزؤون ممن مَنَّ الله عليهم بتطبيق ما أمر واجتناب ما عنه نهى.

والسخرية بشيء مما دل عليه الكتاب والسنة يعد كفرًا وردة عن الإسلام؛ لقول ربنا جل وعلا: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

- **أقوال المفسرين وأهل العلم في الآية:**

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: قال عبد الله بن وهب: أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عمر قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يومًا: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسنًا ولا أجبن عند اللقاء، فقال رجل في المجلس: كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن، فقال عبد الله بن عمر: وأنا رأيته بِحَقَبِ ناقة رسول الله ﷺ تنكبه الحجارة ويقول: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله ﷺ يقول: ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [التوبة: ٦٥] فجعل استهزاءه بالمؤمنين استهزاء بالله وآياته ورسوله: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٦] أي: بهذا المقال الذي استهزأتم به: ﴿إِن نَّعْفُ

عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة: ٦٦] أي: لا يعفى عن جميعكم، ولابد من عذاب بعضكم بأنهم كانوا مجرمين بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة (١).

قال السعدي رحمه الله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥] عما قالوه من الطعن في المسلمين وبدينهم يقول طائفة منهم في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء - يعنون النبي ﷺ وأصحابه - أرغب بطونًا وأكذب ألسنة وأجبن عند اللقاء ونحو ذلك، ولما بلغهم أن النبي ﷺ قد علم بكلامهم، جاؤوا يعتذرون إليه ويقولون: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ [التوبة: ٦٥] أي: نتكلم بكلام لا قصد لنا به ولا قصدنا الطعن والعيب، قال الله تعالى مُبيِّنًا عدم عذرهم وكذبهم في ذلك قل لهم: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦]، فإن الاستهزاء بالله ورسوله كفر مخرج عن الدين؛ لأن أصل الدين مبني على تعظيم الله، وتعظيم دينه ورسله والاستهزاء بشيء من ذلك منافٍ لهذا الأصل وناقض له أشد المناقضة؛ ولهذا لما جاؤوا إلى الرسول ﷺ يعتذرون عن هذه المقالة والرسول ﷺ لا يزيدهم على قوله: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [التوبة: ٦٥](٢). اهـ.

---

(١) «مختصر صحيح تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٩٧).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (ص:٣٠٢).

- قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الحجرات: ١١].

- **أقوال المفسرين في الآية:**

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «ينهى تعالى عن السخرية بالناس وهو احتقارهم والاستهزاء بهم، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**»(١)، والمراد من ذلك احتقارهم واستصغارهم وهذا حرام، فإنه قد يكون المُحْتَقَر أعظم قدرًا عند الله تعالى وأحب إليه من الساخر منه المُحْتَقِر له؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّ ﴾ [الحجرات: ١١]، فنص على نهي الرجال، وعطف بنهي النساء: ﴿ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾ [الحجرات: ١١] أي: لا تلمزوا الناس، والهماز اللماز من الرجال مذموم ملعون، كما قال تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ﴾ [الهمزة: ١]، والهمز بالفعل واللمز بالقول، كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ﴾ [القلم: ١١] أي: يحتقر الناس ويهمزهم

(١) رواه مسلم (٩١).

طاغيًا عليهم، ويمشي بينهم بالنميمة وهي: اللمز بالمقال... إلى آخر ما قال رحمه الله(١).

وقال **الجزائري** رحمه الله عند تفسير الآية: «إذ من عوامل النزاع والتقاتل وأسبابهما سخرية المؤمن بأخيه واحتقاره لضعف حاله ورثاثة ثيابه وقلة ذات يده، فحرم تعالى بهذه الآية على المسلم أن يحتقر أخاه المسلم ويزدريه منبهًا إلى أن من احتقر وازدرى به وسخر منه قد يكون غالبًا عند الله خيرًا من المحتقر له، والعبرة بما عند الله لا بما عند الناس، والرجال في هذا والنساء سواء، فلا يحل لمؤمنة أن تزدري وتحتقر أختها المؤمنة، عسى أن تكون عند الله خيرًا منها منزلة، والعبرة بالمنزلة عند الله لا عند الناس، وكما حرم السخرية بالمؤمنين والمؤمنات لإفضائها إلى العداوة والشحناء ثم التقاتل حرم كذلك اللمز والتنابز بالألقاب...»(٢)، إلى آخر ما قال رحمه الله.

مزيد من الآيات الواردة في السخرية:

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنبياء: ٤١].

والمعنى: ولقد سخر الكفار من رسلهم قبل الرسول ﷺ فوقع

---

(١) «مختصر صحيح تفسير ابن كثير» (٣/ ٣٣٣).

(٢) «أيسر التفاسير» (٢/ ١٥٠٥).

بالمستهزئين عذاب الله الذي كانوا يستهزئون به (١).

قال الله تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴾ [الصافات: ١٢ - ١٤].

والمعنى: بل عجبت- أيها النبي- من جحدهم للبعث وأعجب من ذلك استهزاؤهم بك وبرسالتك، وإذا وعظ الكفار بالوحي لا ينتفعون به ولا يتدبرون معانيه؛ لأنهم في إعراض وغفلة، وإذا رأى الكفار برهانًا ومعجزة تدل على صدق الرسول ﷺ استهزؤوا بها وسخروا منها (٢).

النبي ﷺ ينهى أمته عن السخرية:

روى البخاري رحمه الله من حديث المَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ بِالرَّبَذَةِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَى غُلاَمِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: **«يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»**(٣).

---

(١) «التفسير الميسر» (ص:٣٨١).

(٢) «التفسير الميسر» (ص:٥١٨).

(٣) البخاري مع «الفتح» حديث رقم (٣٠).

- عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ غَيْرُ مُسَدَّدٍ: تَعْنِي قَصِيرَةً، فَقَالَ: «**لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ**» قَالَتْ: وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا، فَقَالَ: «**مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا**»(١).

معنى الحديث:

اغتابت أم المؤمنين عائشة أم المؤمنين صفية بنت حيي رضي الله عنهما عند رسول الله ﷺ فقالت بسبب الغيرة التي تكون بين الضرائر: يكفي أنها قصيرة، فقال لها رسول الله ﷺ: «**إنك قلت كلمة قبيحة عند الله، لو خالطت ماء البحر لأفسدته من شدة نتنها وقبحها**». ثم تحكي أم المؤمنين عائشة أنها حكت له حركة إنسان يكرهها، مثل أن تصف له مشية أعرج أو نحوه، فأخبرها النبي ﷺ بعظم إثم من يفعل ذلك، وأخبرها أنه لا يحب أن يحكي حركة إنسان، ولو كان له مقابل ذلك كذا وكذا من المال أو نحوه (٢).

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٧٥)، والترمذي (٢٥٠٢، ٢٦٣٢)، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) «بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين» (ص:٧٨٤).

من آثار وأقوال بعض أهل العلم والمفسرين التي وردت في ذم السخرية والاستهزاء:

- **قال الإمام الطبري** رحمه الله عند تفسيره للآيات: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ۝٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ﴾ [المطففين: ٢٩، ٣٠].

إن الذين اكتسبوا المآثم فكفروا بالله في الدنيا كانوا فيها من الذين أقروا بوحدانية الله وصدقوا به يضحكون استهزاء منهم بهم، وكان هؤلاء الذين أجرموا إذا مر الذين آمنوا بهم يتغامزون، أي يغمز بعضهم بعضًا بالمؤمن استهزاء به وسخرية(١).

- **قال الإمام القرطبي** رحمه الله في قوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي﴾ [المؤمنون: ١١٠].

يستفاد من هذا التحذير من السخرية والاستهزاء بالضعفاء والمساكين والاحتقار لهم والازدراء عليهم والاشتغال بهم فيما لا يعني وأن ذلك مبعد من الله عز وجل (٢).

- **قال النووي- رحمه الله تعالى-** باب تحريم احتقار المسلمين

(١) «جامع البيان» (١٢/ ٧٠).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٢/ ١٥٥).

والسخرية منهم، قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧٩].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِ ﴾ [الحجرات: ١١].

وقال تعالى: ﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ﴾ [الهمزة: ١].

ثم قال رحمه الله: وأما الأحاديث الصحيحة في هذا الباب فأكثر من أن تحصر، وإجماع الأمة منعقد على تحريم ذلك، والله أعلم.

ورُوِّينا في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»**(١).

(١) رواه مسلم (٢٥٦٤).

قلت(١): ما أعظم نفع هذا الحديث وأكثر فوائده لمن تدبره.

وروينا في «صحيح مسلم» عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**»(٢).

قلت(٣): «بَطَر الحق» بفتح الباء والطاء المهملة وهو دفعه وإبطاله، و«غمط» بفتح الغين المعجمة وإسكان الميم وآخره طاء مهملة، ويروى «غَمْص» بالصاد المهملة ومعناهما واحد وهو الاحتقار. انتهى كلام النووي رحمه الله.

قال ابن قدامة رحمه الله: والسخرية في النظر إلى المسخور منه بعين النقص والاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب، والنقائص على وجه يضحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول، وقد يكون بالإشارة والإيماء (٤).

قال الشيخ العلامة سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب

---

(١) القائل: النووي في «أذكاره» (ص:٣٩١).

(٢) رواه مسلم (٨١).

(٣) النووي.

(٤) «منهاج القاصدين» (ص:١٥٢).

- رحمه الله تعالى: ولهذا أجمع العلماء على كفر من هزل بشيء فيه ذكر الله، أو القرآن أو الرسول، فمن استهزأ بالله، أو بكتابه، أو برسوله، أو بدينه كفر، ولو هازلًا لم يقصد حقيقة الاستهزاء إجماعًا[(١)].

قال الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان: الاستهزاء بالدين ردة عن الإسلام، وخروج عن الدين بالكلية، قال الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦]، هذه الآية تدل على أن الاستهزاء بالله كفر، وأن الاستهزاء بالرسول كفر، وأن الاستهزاء بآيات الله كفر، فمن استهزأ بواحدة من هذه الأمور فهو مستهزئ بجميعها، والذي حصل من هؤلاء المنافقين: أنهم استهزؤوا بالرسول ﷺ وصحابته، فنزلت الآية.

ثم قال- حفظه الله: والاستهزاء على نوعين:

أحدهما: الاستهزاء الصريح، كالذي نزلت الآية فيه، وهو قولهم: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، أرغب بطونًا، ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء، أو نحو ذلك من أقوال المستهزئين، كقول بعضهم: دينكم هذا دين خامس، وقول الآخر: دينكم أخرق، وقول الآخر إذا رأى الآمرين

---

(١) «تيسير العزيز الحميد» (ص:٤٦٥).

بالمعروف والناهين عن المنكر: جاءكم أهل الدين، من باب السخرية بهم، وما أشبه ذلك مما لا يحصى إلا بكلفة، مما هو أعظم من قول الذين نزلت فيهم الآية.

النوع الثاني: غير الصريح وهو البحر الذي لا ساحل له، مثل: الرمز بالعين، وإخراج اللسان، ومد الشفة، والغمز باليد عند تلاوة كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ، أو عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومثل هذا ما يقول بعضهم: إن الإسلام لا يصلح للقرن العشرين، وإنما يصلح للقرون الوسطى وأنه تأخر ورجعية، وأن فيه قسوة ووحشية، في عقوبات الحدود والتعازير، وأنه ظلم المرأة حقها، حيث أباح الطلاق وتعدد الزوجات، وقولهم: الحكم بالقوانين الوضعية أحسن للناس من الحكم بالإسلام، ويقولون في الذي يدعو إلى التوحيد، وينكر عبادة القبور والأضرحة: هذا متطرف، أو يريد أن يفرق جماعة المسلمين، أو: هذا وهابي، أو مذهب خامس، وما أشبه هذه الأقوال التي كلها سب للدين وأهله، واستهزاء بالعقيدة الصحيحة، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ومن ذلك استهزاؤهم بمن تمسك بسنة من سنن الرسول ﷺ فيقولون: الدين ليس في الشَّعر استهزاء بإعفاء اللحية، وما أشبه هذه الألفاظ الوقحة [1].

---

(١) «عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها» (ص:١٣٧- ١٤٠) بتصرف.

- وعن وهب بن منبه قال: إن أعظم الذنوب عند الله بعد الشرك بالله السخرية بالناس.

أشعار قيلت في ذم السخرية:

قال الشاعر:

المـرء إذا كـان عـاقلا ورعـا ... أشـغله عـن عيوبـه ورعـه
كمـا السـقيم المـريض يشـغله ... عـن وجـع النـاس كلهـم وجعـه

وقال آخر:

لا تكشفن مساوي الناس ما ستروا ... فيهتـك الله سـترًا عـن مسـاويكا
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكـروا ... ولا تعب أحدًا منهم بما فيكـا[(١)]

قصة وعبرة:

قال ابن كثير رحمه الله: قال ابن خلكان: بلغنا عن جماعة يوثق بهم وصلوا إلى دمشق من أهل بصرى أن عندهم قرية يقال لها: دير أبي سلامة، كان بها رجل من العربان فيه استهزاء زائد وجهل، فجرى في يوم ذكر السواك وما فيه من الفضيلة فقال: والله ما أستاك إلا من المخرج فأخذ سواكًا وتركه في دبره فآلمه تلك الليلة، ثم مضى عليه تسعة أشهر وهو يشكو من ألم البطن والمخرج.

ثم أصابه مثل طلق الحامل فوضع حيوانًا على هيئة الجرذون،

---

(١) «تفسير القرطبي» (١٦/ ٣٢٧).

ورأسه مثل رأس السمكة، وله أربعة أنياب بارزة وذَنَبٌ طويل مثل شبر وأربع أصابع، وله دبر مثل دبر الأرنب، ولما وضعه صاح ذلك الحيوان ثلاث صيحات، فقامت ابنة ذلك الرجل فشجت رأسه فمات ـ وعاش ذلك الرجل بعده يومين ومات، وهو يقول: هذا الحيوان قتلني، وقطع أمعائي، وشاهد ذلك الحيوان جماعة من أهل تلك الناحية وخطيب المكان(١).

انظروا إلى جزاء هذا الرجل الذي استهزأ بسنة رسول الله ﷺ فعاقبه الله بأن حمل كالنساء ثم مات... نسأل الله العافية.

قصة أخرى:

استهزأ بطلاب العلم الكرام فجفت منه الأقدام؛ قال أحمد بن مروان المالكي في كتابه (المجالسة): حدثنا زكريا بن عبد الرحمن البصري قال: سمعت أحمد بن شعيب يقول: كنا عند بعض المحدثين بالبصرة فحدثنا بحديث النبي ﷺ: «**إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَطْلُبُ**»، وفي المجلس معنا رجل من المعتزلة، فجعل يستهزئ بالحديث، فقال: والله لأطرقن غدًا نعلي بمسامير فأطأ بها أجنحة الملائكة، ففعل ومشى في النعلين فجفت رجلاه جميعًا، ووقعت في

(١) «البداية والنهاية» (١٣/ ٢٦٣)، و«شذرات الذهب» (٥/ ٤٥٧) دراسة وتحقيق عبد القادر عطا.

رجليه الأكلة.

وقال الطبراني: سمعت أبا يحيى زكريا بن يحيى الساجي قال: كنا نمشي في بعض أزقة البصرة إلى باب بعض المحدثين فأسرعنا المشي، وكان معنا رجل ماجن متهم في دينه، فقال: ارفعوا أرجلكم عن أجنحة الملائكة لا تكسروها، كالمستهزئ فما زال من موضعه حتى جفت رجلاه فسقط[١].

فعلى العاقل الأريب أن يتجنب السخرية والاستهزاء، وأن يعلم أن كل ما سبق عاقبته وخيمة، وأن يتجنب أضراره التي منها:

١- في السخرية مخالفة صريحة لأمر الله ﷻ، ثم هي جالبة لسخطه مستوجبة لعذابه.

٢- السخرية نذير شؤم للساخرين، فقد كان الغرق عاقبة قوم نوح ﷺ الذين كفروا بالله وسخروا من نوح ﷺ.

٣- السخرية تفقد الساخر الوقار، وتسقط عنه المروءة.

٤- الساخر يظلم نفسه بتحقير من وقره الله ﷻ واستصغار من عظمه الله.

٥- السخرية من سمات الكفار والمنافقين، وقد نهينا عن التشبه بهم.

---

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٤/ ٥٣٩)، و«مفتاح دار السعادة» (١/ ٢٥٦).

٦- في ارتكاب السخرية اقتراف أمر محرم نهى عنه الشرع الحنيف.

٧- السخرية تنسي الإنسان ذكر ربه، وبذلك يخسر الساخر نفسه ويلقي بها في النار.

٨- السخرية داء من أدواء الجاهلية يجب تجنبه والبعد عنه.

٩- اللامز لأخيه المؤمن الساخر منه إنما يلمز نفسه ويسخر منها؛ لأن المؤمنين كرجل واحد.

١٠- على الساخر أن يتوقع عقوبته في الدار العاجلة أيضًا بأن يحدث له مثل ما حدث للمسخور منه (١).



(١) «نضرة النعيم» (١٠/ ٤٦١٤) بتصرف.

المـــزاح

المزاح

المزاح لغة:

بمعنى الدعابة(١).

واصطلاحًا:

المُـزاح بضـم المـيم: المباسـطة إلى الغيـر عـلى وجـه التلطـف والاستعطاف دون أذية (٢).

والمزاح: أصله مـذموم منهـي عنـه إلا قـدرًا يسـيرًا، والمنهـي عنـه الإفراط فيه أو المداومـة عليـه، أمـا المداومـة؛ فلأنـه اشـتغال باللعـب والهزل، واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذمومة، وأما الإفـراط فيـه، فإنه يـورث كثـرة الضـحك؛ وكثـرة الضـحك تميـت القلـب، وتـورث الضغينة في بعض الأحوال، وتسقط المهابة والوقار.

قال النبي ﷺ «**إِنِّي لَأَمْزَحُ وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا**»(٣).

قال النبي ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَـةِ يُضْـحِكُ بِهَـا جُلَسَـاءَهُ،**

(١) انظر: «لسان العرب»، و«القاموس المحيط» – مادة: مزح، فكه، دعب.

(٢) «الموسوعة الفقهية الكويتية» (١٣٥٧١).

(٣) البخاري (٥٦٩٨)، ومسلم (٦١).

يَهْوِي بِهَا مِنْ أَبْعَدِ مِنَ الثُّرَيَّا»(١).

وقال عمر رضي الله عنه: من كثر ضحكه قلّت هيبته، ومن مزح استخف به، ومن أكثر من شيء عرف به، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه.

ولأن الضحك يدل على الغفلة عن الآخرة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا وَلَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا**»(٢).

وقال رجل لأخيه: يا أخي هل أتاك أنك وارد النار؟ قال: نعم، قال: فهل أتاك أنك خارج منها؟ قال: لا، قال: ففيم الضحك؟، قيل: فما رئي ضاحكًا حتى مات.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: من أذنب ذنبًا وهو يضحك دخل النار وهو يبكي.

والمحمود منه التبسم الذي ينكشف فيه السِّن، ولا يسمع له الصوت، والمذموم منه أن يستغرق ضحكًا.

قال عمر رضي الله عنه: من مزح استخف به.

وقال محمد بن المنكدر: قالت لي أمي: يا بني لا تمازح الصبيان،

---

(١) أحمد (٩٢٢٠).

(٢) البخاري (٩٧٧)، ومسلم (٩٠١).

فتهون عندهم.

وقال سعيد بن العاص: يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك، ولا الدني فيجترئ عليك.

وقال عمر بن عبد العزيز: اتقوا الله وإياكم والمزاح، فإنه يورث الضغينة، ويجر إلى القبيح.

وقال عمر رضي الله عنه: أتدرون لم سمي المزاح مزاحًا؟ قالوا: لا، قال: لأنه أزاح صاحبه عن الحق.

فإن قلت: قد نقل المزاح عن رسول الله ﷺ وأصحابه، فكيف ينهى عنه؟

فأقول: إن قدرت على ما قدر عليه رسول الله ﷺ وأصحابه: وهو أن تمزح ولا تقول إلا حقًّا، ولا تؤذي قلبًا، ولا تفرط فيه، وتقتصر عليه أحيانا على الندور- فلا حرج عليك فيه، ولكن من الغلط العظيم أن يتخذ الإنسان المزاح حرفة يواظب عليه ويفرط فيه، ثم يتمسك بفعل الرسول ﷺ، وهو كمن يدور نهاره مع الزنوج ينظر إليهم وإلى رقصهم، ويتمسك بأن رسول الله ﷺ أذن لعائشة في النظر إلى رقص الزنوج في يوم عيد، وهو خطأ، إذ من الصغائر ما يصير كبيرة بالإصرار، ومن المباحات ما يصير صغيرة بالإصرار.

وأكثر المطايبات المنقولة عن النبي ﷺ كانت مع النساء والصبيان،

وكان ذلك منه ﷺ معالجة لضعف قلوبهم، من غير ميل إلى هزل، ومثلها يباح على الندور لا على الدوام، والمواظبة عليها هزل مذموم، وسبب للضحك المميت للقلب (١).

المزاح مباح لكن بشروط:

اعلم أخي المسلم أن المزاح مندوب بين الإخوان والأصدقاء فهو مما يروّح بالنفس بشرط ألا يكون في المزاح قذف ولا غيبة ولا انهماك بما يسقط الحشمة ويقلل الهيبة، ولا فحش يورث الضغينة، وألّا يورث الغل وألّا يكون فيه كذب(٢).

ومن هذه الشروط كذلك: أن يتجنب المرء المزاح في الدين؛ إذ الله يقول: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا﴾ [البقرة: ٢٣١].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ

---

(١) «سلسلة منتقى العابدين من إحياء علوم الدين» (١٢٨- ١٣٠).

(٢) «منتقى الآداب الشرعية» (ص:١٣٣).

قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [البقرة: ٦٧]، ففي الآية دليل على منع الاستهزاء بدين الله ودين المسلمين ومن يجب تعظيمه، وأن ذلك جهل وصاحبه مستحق للوعيد، وليس المزاح من الاستهزاء بسبيل، ألا ترى أن النبي ﷺ كان يمزح والأئمة بعده.

قال ابن خويز منداد: وقد بلغنا أن رجلًا تقدم إلى عبيد الله بن الحسن وهو قاضي الكوفة فمازحه عبيد الله فقال: جبتك هذه من صوف نعجة أو صوف كبش؟ فقال له: لا تجهل أيها القاضي، فقال له عبيد الله: وأين وجدت المزاح جهلًا؟ فتلا عليه هذه الآية فأعرض عنه عبيد الله؛ لأنه رآه جاهلًا لا يعرف المزح من الاستهزاء، وليس أحدهما من الآخر بسبيل.[1] اهـ.

قال المناوي رحمه الله: قال ابن العربي: لا يستعمل المزاح أيضًا في أحكام الدين فإنه جهل، قال الله تعالى مخبرًا عن قصة البقرة: ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [البقرة: ٦٧]، قال: معناه: لا أمزح في أحكام الدين، فإن ذلك فعل الجاهلين، ولكن اذبحوها، فستروا الحقيقة فيها .اهـ .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وحاصل الأمر أن اللعب والهزل والمزاح

---

(١) «تفسير القرطبي» (١/ ٤٤٧).

هزل أم مزاح إلا ما استثناه الشرع؛ لأن الكذب في الهزل والمزاح يعوّد النفس على قبول الكذب.

وقد حذر النبي ﷺ من الكذاب الذي يكذب ليضحك الناس، فقال عليه الصلاة والسلام: «**وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ، لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ**»(١).

قال الإمام المناوي رحمه الله:... أخذ الشافعية من هذا الخبر وما أشبهه أن اعتياد أكثر الحكايات تضحك وفعل خيالات كذلك خارم للمروءة راد للشهادة، وصرح بعضهم بأنه حرام، وآخرون بأنه كبيرة تمسكًا بهذا الخبر وفرضه البعض في كلمة في الغير بباطل يضحك بها أعداءه؛ لأن فيه حينئذ من الإيذاء ما يربو على كثير من الكبائر... «**لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ**»، كرره إيذانًا بشدة هلكته، وذلك لأن الكذب وحده رأس كل مذموم وجماع كل فضيحة، فإذا انضم إليه استجلاب الضحك الذي يميت القلب ويجلب النسيان ويورث الرعونة كان أقبح القبائح، ومن ثم قال الحكماء: إيراد المضحكات على سبيل السخف نهاية القباحة . اهـ(٢).

ومن الشروط كذلك: ألا يخرج عن حد المستحب أو المباح: فإن

---

(١) الترمذي وغيره (٢٣١٥)، وقال: حسن.

(٢) «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (٢/ ٣٣٦).

المزاح المنهي عنه هو الذي فيه إفراط ويداوم عليه فهو يورث قسوة القلب، ويشغل عن ذكر الله، ويؤول في كثير من الأوقات إلى الإيذاء ويورث الأحقاد ويسقط المهابة والوقار وما سلم من ذلك فلا مانع منه فقد كان الرسول ﷺ يفعله نادرًا للمصلحة وتطييب النفس والمؤانسة، وهذا لا مانع منه قطعًا، بل هو سنة مستحبة إذا كان بهذه الصفة(١).

ومن الشروط **أيضًا**: ألا يكون في المزاح سخرية من أحد أو غيبة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

فعلى المسلم أن يتجنب في مداعباته للآخرين السخرية والاستهزاء، أو إظهار بعض العيوب بصورة تدعو إلى الضحك والسخرية، فهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول عن أختها: إنها قصيرة، فيقول لها النبي ﷺ: «**لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ**»(٢).

وقد يقول البعض الغيبة ويحكيها في صورة مزاح، فمن ثم يكون داخلًا في حديث أبي هريرة رضي الله عنه والذي فيه أن رسول الله ﷺ قال:

(١) «الأذكار» للنووي (٣٤٣).

(٢) أبو داود (٤٨٧٥) وغيره، وسنده صحيح.

«أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ»، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ»(١).

ومن هذه الشروط كذلك: ألا يمزح العلماء أمام عامة الناس... ذكرت آثار عن رسول الله ﷺ والصحابة والسلف، إلا أن مزاحهم كان بصورة فردية مع نوع خاص من الناس، ولم يكن هذا المزاح على المنبر ولا في الأسواق، وذلك صيانة لعلمهم ورعاية لجانبهم ومكانتهم.

قال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله: فلا ينبغي للعالم أن يتبسط عند العوام حفظًا لهم، ومتى أراد مباحًا، فليستتر به عنهم (٢).

وقال ابن الجوزي رحمه الله: وإذا رأى العوام أحد العلماء مترخصًا في أمر هان عندهم، فالواجب عليه صيانة علمه وإقامة قدر العلم عندهم، فقد قال بعض السلف: كنا نمزح ونضحك فإذا صرنا يُقْتَدى بنا فما أراه يسعنا ذلك.

وآخر هذه الشروط: الاقتصاد في المزاح من غير إفراط ومداومة عليه؛ فالمزاح والمداعبة إذا كان على الاقتصاد فهو محمود وجائز، والإفراط فيه يذهب البهاء ويجرئ السفهاء، وتركه يقبض المؤانس

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨٩).

(٢) «الآداب الشرعية» (٢/ ٢١٧).

ويوحش المخالط، لكن الاقتصاد منه صعب جدًّا لا يكاد يوقف عليه؛ ولذلك يخرج عنه أكثر الحكماء، حيث قيل: المزاح مسلبة للبهاء مقطعة للإخاء، فَحْلٌ لا ينتج إلا الشر (١).

وقال الإمام المباركفوري رحمه الله: كان رسول الله ﷺ: يفعله على الندرة لمصلحة تطييب نفس المخاطب ومؤانسته وهو سنة مستحبة، فاعلم هذا، فإنه مما يعظم الاحتياج إليه. اهـ.

وأنشد أبو الفتح البستي:

أفد طبعك المكدود بالجد راحة نجم وعلله بشيء من المزح
ولكن إذا أعطيته المزح فليكن بمقدار ما تعطي الطعام من الملح

أي: لو جلس الإنسان ساعة من الزمن، وروى طرفة أو طرفتين، فلا بأس فلا يكثر من المزاح بحيث يغلب على حاله ويعرف به، وتتحول حياته إلى هزل لا جد فيها، وتذهب هيبته ويستخف به ويصير به ذلك إلى البغي والكذب والاستهتار وخوارم المروءة، فهو كالملح في الطعام، إن زاد عن حده انقلب إلى ضده (٢).

(١) «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (٣/ ١٤).
(٢) «المراح في المزاح» (ص:٨). وانظر: «المزاح آداب وأحكام» لأبي عبد الله السيد بن حمودة.

النبي ﷺ يمزح مع أصحابه ولا يقول إلا حقًّا:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا، قَالَ: «إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا»(١).

قال الإمام الخطابي رحمه الله: وسئل بعض السلف عن مزح الرسول ﷺ فقال: كانت له مهابة، فكان يبسط الناس بالدعابة (٢).

فمن مزاح النبي ﷺ لأصحابه:

أن النبي ﷺ قال لأنس بن مَالِكٍ رضي الله عنه: «يَا ذَا الأُذُنَيْنِ» قَالَ مَحْمُودٌ: قَالَ أَبُو أُسَامَةَ: يَعْنِي: مَازَحَهُ(٣).

ومن مداعبة النبي ﷺ معه أيضًا: قَالَ أَنَسٌ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، فَأَرْسَلَنِي يَوْمًا لِحَاجَةٍ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا أَذْهَبُ، وَفِي

---

(١) الترمذي (١٩٩٠) وغيره، وقال: حسن صحيح.

(٢) غريب الحديث (٢/ ١٦٣).

(٣) الترمذي (١٩٩٢) وغيره، وسنده صحيح قال المناوي رحمه الله عند شرحه للحديث: أي: يا صاحب الأذنين السميعتين الواعيتين الضابطتين لما سمعتاه، وصفه به مدحًا له لذكائه وفطنته وحسن استماعه؛ لأن مَنْ خلق الله له أذنين سميعتين كان أدعى لحفظه ووعيه جميع ما يسمعه، ولما كان ذلك لا يوجب كون الكلام ممازحة قال أبو أسامة: يعني يمازحه وإنما كان ممازحًا كون معناه صحيحًا يقصد بالإفادة؛ لأن في التعبير عنه يا ذا الأذنين مباسطة حيث سماه بغير اسمه، فهو من جملة مزاحه ولطيف أخلاقه.

نَفْسِي أَنْ أَذْهَبَ لِمَا أَمَرَنِي بِهِ نَبِيُّ اللهِ ﷺ، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَمُرَّ عَلَى صِبْيَانٍ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي السُّوقِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ قَبَضَ بِقَفَايَ مِنْ وَرَائِي، قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: «**يَا أُنَيْسُ أَذَهَبْتَ حَيْثُ أَمَرْتُكَ؟**» قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، أَنَا أَذْهَبُ، يَا رَسُولَ اللهِ (١).

فانظر إلى تواضعه بمزاحه مع خادمه وترك معاتبته له ﷺ.

ومن مزاحه ﷺ: أَنَّ رَجُلًا اسْتَحْمَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**إِنِّي حَامِلُكَ عَلَى وَلَدِ النَّاقَةِ**» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَصْنَعُ بِوَلَدِ النَّاقَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَهَلْ تَلِدُ الإِبِلَ إِلَّا النُّوقُ؟**»(٢).

لما كان المتعارف عند العامة في بادئ الرأي استعمال ولد الناقة فيما كان صغيرًا لا يصلح للركوب، وإنما يقال للصالح الإبل توحش الرجل على فهم المعنى.. فالإبل ولو كبارًا أولاد الناقة فيصدق ولد الناقة بالكبير والصغير (٣).

إنما أراد النبي ﷺ بذلك أن يمازح هذا الرجل ويلاطفه.

ومن مزاحه ﷺ مداعبته للصبيان؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَيُخَالِطُنَا، حَتَّى يَقُولَ لِأَخٍ لِي صَغِيرٍ: «**يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا**

(١) رواه مسلم (٢٣١٠).

(٢) الترمذي (١٩٩١) وغيره، وقال: حسن صحيح غريب.

(٣) «عون المعبود شرح سنن أبي داود» (١٣/ ٣٤٣).

فَعَلَ النُّغَيْرُ»(١).

وقال **علي القاري**: فيه ممازحة الصغير لتسليته وتطييب خاطره(٢).

وهكذا نرى النبي ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقًّا ويمزح تطييبًا للنفس والمؤانسة، فإن قدر الإنسان على أن يقتدي بالنبي ﷺ في هذا الجانب، فحينئذ جاز له أن يمزح، وحينئذ يجوز في حقه المزاح، وكذلك إن استطاع أن يلتزم بالشروط السالفة الذكر جاز له أن يمزح، أما خلاف ذلك فالمزاح في حقه مذموم ومنهي عنه؛ لقوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]؛ ولقول النبي ﷺ: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ**» والله أعلم.

النغير: طائر يشبه العصفور، وقيل: هو فرخ العصفور، وقيل: هو العصفور صغير المنقار أحمر الرأس (٣).

قال الترمذي رحمه الله: وفقه هذا الحديث أن النبي ﷺ كان يمازح، وفيه أنه كنى غلامًا صغيرًا فقال له: يا أبا عمير، وفيه أنه لا بأس أن يُعْطَى الصبي الطير ليلعب به، وإنما قال له النبي ﷺ: «**يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟**»؛ لأنه كان له نغير يلعب به، فمات فحزن الغلام عليه، فمازحه

(١) البخاري (٦١٢٩)، ومسلم (٢١٥٠).

(٢) «جمع الوسائل» (٢/ ٣٠).

(٣) «لسان العرب».

النبي ﷺ فقال: «**يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟**»(١).

قال المناوي رحمه الله: وإنما قال له ﷺ: «**يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْـرُ؟**»؛ لأنه كان له نغير يلعب بـه فمـات فحـزن عليـه فمازحـه النبـي ﷺ (أي باسطه بذلك)، ليسليه بحزنه عليه، كما هو شأن الصـغير إذا فقـد لعبتـه، وإنما كان ذلك مباسطة له؛ لأنه يفرح بمكالمـة المصـطفى ﷺ ويرتـاح لها، ويفتخر بعد ذلك بمباسطته له...)(٢).



(١) «الشمائل» (٢٣٦).

(٢) «شرح الشمائل» (٢/ ٣٢).

المسألة
من غير ضرورة
أو حاجة
(الشحاذة)

المسألة من غير ضرورة أو حاجة

(الشحاذة)

والمقصود بالمسألة: أن يسأل الإنسان الناس أموالهم أو حاجاتهم من غير ضرورة أو حاجة ملحة، لما يتضمن السؤال من الذل لغير الله تعالى.

وهذا أمر قد انتشر في زماننا هذا انتشارًا يندى له الجبين خجلًا، فلا تكاد تسير في الطرقات بضع خطوات حتى ترى من يعترض طريقك، ويسألك من مالك، بل وفي المواصلات أيضًا، فهذا من الصفات المذمومة التي حذر منها الشارع.

قال الله تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

- **أقوال المفسرين في الآية:**

قال ابن كثير رحمه الله في قوله: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ أي: لا يلحون في المسألة، ويكلفون الناس ما لا يحتاجون إليه، فإن من سأل

وله ما يغنيه عن المسألة، فقد ألحف في المسألة(١).

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى - عند تفسير الآية: فوصفهم بست صفات، ثم ذكر ابن القيم ﵀ الخمس صفات، ثم قال في الصفة السادسة: تركهم مسألة الناس، فلا يسألونهم شيئًا، والإلحاف هو الإلحاح والنفي متسلط عليهما معًا، أي: لا يسألون ولا يلحفون، فليس يقع منهم سؤال يكون بسببه إلحاف...، ثم قال: وفيه: التنبيه على أن المذموم من السؤال: هو سؤال الإلحاف، فأما السؤال بقدر الضرورة من غير إلحاف، فالأفضل تركه ولا يحرم(٢).

وقال الجزائري ﵀: أي: لا يسألون بإلحاح ولا بدونه، فهم لا يسألون غيرهم ألبتة(٣).

ما يستفاد من الآية:

١- ذم السؤال من غير ضرورة.

٢- فضيلة التعفف، وهو ترك السؤال مع الاحتياج وذم الإلحاح في الطلب من غير الله تعالى.

وعن أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**لَيْسَ الْمِسْكِينُ بِهَذَا**

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ١٩٦).

(٢) «التفسير القيم» لابن القيم ﵀ (ص ١٧٨).

(٣) «أيسر التفاسير» (١/ ١٤٧).

الطَّوَّافِ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ، فَتَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ» قَالُوا: فَمَا الْمِسْكِينُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ، وَلَا يُفْطَنُ لَهُ، فَيُتَصَدَّقَ عَلَيْهِ، وَلَا يَسْأَلُ النَّاسَ شَيْئًا»(١).

قال النووي رحمه الله: معناه: المسكين الكامل المسكنة الذي هو أحق بالصدقة وأحوج إليها ليس هو هذا الطواف، بل هو الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يُفْطَن له ولا يسأل الناس.

وليس معناه نفي أصل المسكنة عن الطواف، بل معناه نفي كمال المسكنة؛ كقوله تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ...﴾ إلى آخر الآية [البقرة: ١٧٧].

قوله: «قالوا: فما المسكين؟» هكذا هو في الأصول كلها (فما المسكين) وهو صحيح لأن (ما) تأتي كثيرًا لصفات من يعقل، كقوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣](٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكَثُّرًا، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ».

قال القاضي: معناه: أنه يعاقب بالنار، ويحتمل أن يكون على ظاهره،

(١) البخاري (١٤٧٩)، ومسلم (١٠٣٩) واللفظ لمسلم.

(٢) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٤/ ١٥٨).

وأن الذي يأخذه يصير جمرًا يكوى به، كما ثبت في مانع الزكاة [(١)].

وقال في «**إهداء الديباجة**»: مقصود الحديث: التخويف والترهيب من مغبة سؤال الناس مع قدرة المرء على الكسب أو وجود ما يكفيه، وأن من سأل تكثرًا ولغير ضرورة فإنه يعاقب بالنار [(٢)].

وعن حمزة بن عبد الله، عن أبيه، أن النبي ﷺ قال: «**لَا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللهَ، وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ**»[(٣)].

قال القاضي: قيل: معناه: يأتي يوم القيامة ذليلًا ساقطًا لا وجه له عند الله.

وقيل: هو على ظاهره فيحشر ووجهه عظم لا لحم عليه عقوبة له وعلامة له بذنبه، حين طلب وسأل بوجهه، كما جاءت الأحاديث الأخر بالعقوبات في الأعضاء التي كانت بها المعاصي، وهذا فيمن سأل لغير ضرورة سؤالًا منهيًا عنه وأكثر منه[(٤)].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَأَلَ، وَلَهُ مَا يُغْنِيهِ جَاءَتْ مَسْأَلَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُدُوشًا، أَوْ خُمُوشًا، أَوْ كُدُوحًا فِي**

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٤/ ١٦٠).
(٢) «إهداء الديباجة بشرح سنن ابن ماجه» (٢/ ٥١١).
(٣) رواه مسلم (١٠٤٠).
(٤) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٤/ ١٦٠).

وَجْهِهِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا يُغْنِيهِ؟ قَالَ: «**خَمْسُونَ دِرْهَمًا، أَوْ قِيمَتُهَا مِنَ الذَّهَبِ**»(١).

قال الخطابي في «معالم السنن»: الخموش: هي الخدوش يقال: خمشت المرأة وجهها إذا خدشته بظفر أو حديدة أو نحوها، والكدوح: الآثار من الخدوش والعض ونحوه، وإنما قيل للحمار: مكدوح لما به من آثار العضاض... إلى أن قال رحمه الله: وأما تحديد الغِنَى الذي يحرم معه الصدقة بخمسين درهما فقد ذهب إليه قوم من أهل العلم، ورأوه حدًّا في غنى من تحرم عليه الصدقة، قالوا: وليس الحديث أن من ملك خمسين درهما لم تحل له الصدقة، إنما فيه كره له المسألة فقط، وذلك أن المسألة إنما تكون مع الضرورة ولا ضرورة لمن يجد ما يكفيه في وقته إلى المسألة، وقال مالك والشافعي: لا حد للغنى معلوم توسعة وطاقة، فإذا اكتفى بما عنده حرمت عليه الصدقة، وإذا احتاج حلت له(٢). اهـ.

قال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله: والسؤال في الأصل أنه حرام، وإنما يباح لضرورة، أو حاجة ملحة قريبة من الضرورة، لما فيه من الشكوى من الله تعالى، وفيه إظهار قصور نعمة الله على عبده وهو عين الشكوى وفيه إذلال السائل نفسه لغير الله تعالى، وكذلك أنه لا ينفك عن

(١) رواه ابن ماجه (١٨٤٠)، وصححه الألباني.

(٢) نقلًا عن «إهداء الديباجة» (٢/ ٥١٣، ٥١٤).

إيذاء المسؤول غالبًا، فقد يعطيه حياء أو رياء، وهذا حرام على الآخذ(١).

السائل من غير ضرورة ولا حاجة ملحة إنما يفتح على نفسه باب الفقر:

- عن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ**» قَالَ: «**مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللهُ عِزًّا، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ**»(٢).

وها هو رسول الله ﷺ يأخذ البيعة من بعض أصحابه ألَّا يسألوا الناس شيئًا، ويعد بالجنة لمن لا يسأل الناس شيئًا.

ففي الحديث الذي رواه مسلم(٣) قال عوف بن مالك: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً، فَقَالَ: «**أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟**» وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ، فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟**» فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟**» قَالَ: فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنَا وَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَعَلَامَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: «**عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَوَاتِ**

---

(١) «الإحياء» (٤/ ٢٢٣) باختصار يسير وحذف.

(٢) الترمذي (٢٣٢٥).

(٣) مسلم (١٠٤٣).

الْخَمْسِ، وَتُطِيعُوا - وَأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيَّةً - **وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا»** فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولَئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ، فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ.

قال النووي رحمه الله: قوله: فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدًا يناوله إياه، فيه: التمسك بالعموم، لأنهم نهوا عن السؤال فحملوه على عمومه، وفيه الحث على التنزيه عن جميع ما يسمى سؤالًا وإن كان حقيرًا، والله أعلم (١).

وعن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ يَتَقَبَّلُ لِي بِوَاحِدَةٍ وَأَتَقَبَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ؟»** قُلْتُ: أَنَا، قَالَ: **«لَا تَسْأَلِ النَّاسَ شَيْئًا»** قَالَ: فَكَانَ ثَوْبَانُ يَقَعُ سَوْطُهُ وَهُوَ رَاكِبٌ، فَلَا يَقُولُ لِأَحَدٍ نَاوِلْنِيهِ حَتَّى يَنْزِلَ فَيَأْخُذَهُ (٢).

من تحل له المسألة؟

عَنْ قَبِيصَةَ بْنِ مُخَارِقٍ الْهِلَالِيِّ، قَالَ: تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَسْأَلُهُ فِيهَا، فَقَالَ: **«أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ، فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا»**، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: **«يَا قَبِيصَةُ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدِ ثَلَاثَةٍ: رَجُلٍ تَحَمَّلَ حَمَالَةً، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا، ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ** - أَوْ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - **وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ حَتَّى يَقُومَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي الْحِجَا مِنْ**

---

(١) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٤/ ١٦٠، ١٦١).

(٢) رواه ابن ماجه وغيره (١٨٣٧)، وصححه الألباني.

قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ - أَوْ قَالَ سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - **فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتًا يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا»**(١).

قال النووي: قوله: «تحملت حمالة»: هي بفتح الحاء، وهي المال الذي يتحمله الإنسان أي: يستدينه ويدفعه في إصلاح ذات البين كالإصلاح بين قبيلتين ونحو ذلك، وإنما تحل له المسألة، ويُعْطَى من الزكاة بشرط أن يستدين لغير معصية. قوله: «حتى يصيب قوامًا من عيش أو قال: سدادًا من عيش» القِوام والسِّداد بكسر القاف والسين وهما بمعنى واحد، وهو ما يغني من الشيء وما تسد به الحاجة، وكل شيء سددت به شيئًا فهو (سِداد) بالكسر، قوله: «**حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحجا من قومه: لقد أصابت فلانًا فاقة**»: أي: يقومون بهذا الأمر فيقولون: لقد أصابته فاقة.

(والحجا) مقصور وهو العقل، وإنما قال ﷺ: «**من قومه**»؛ لأنهم من أهل الخبرة بباطنه، والمال مما يخفى في العادة فلا يعلمه إلا من كان خبيرًا بصاحبه، وإنما شرط الحجا تنبيها على أنه يشترط في الشاهد التيقظ فلا تقبل من مغفل، وأما اشتراط الثلاثة فقال بعض أصحابنا: هو شرط في بينة الإعسار، فلا يقبل إلا من ثلاثة؛ لظاهر هذا الحديث، وقال

---

(١) رواه مسلم (١٠٤٤).

الجمهور: يقبل من عدلين كسائر الشهادات غير الزنا، وحملوا الحديث على الاستحباب، وهذا محمول على من عرف له مال، فلا يقبل قوله في تلفه والإعسار إلا ببينة، وأما من لم يعرف له مال، فالقول قوله في عدم المال.

عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ المَسْأَلَةَ كَدٌّ يَكُدُّ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ، إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ الرَّجُلُ سُلْطَانًا، أَوْ فِي أَمْرٍ لَا بُدَّ مِنْهُ**»(١).

قال الإمام الصنعاني رحمه الله: وأما سؤاله السلطان، فإنه لا مذمة فيه؛ لأنه إنما يسأل مما هو حق له في بيت المال، ولا مِنّة للسلطان على السائل؛ لأنه وكيل، فهو كسؤال الإنسان وكيله أن يعطيه من حقه الذي لديه(٢).

وقال أيضًا رحمه الله: والظاهر من الأحاديث تحريم السؤال إلا للثلاثة المذكورين في حديث قبيصة، أو أن يكون المسؤولُ السلطانَ(٣).

وقال ابن عبد البر رحمه الله: السؤال لا يجوز لمن فيه مُنَّة وقوة وأدنى حيلة في المعيشة(٤).اهـ.

---

(١) رواه الترمذي (٦٨١)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) «سبل السلام» (١/ ٦٣٢).

(٣) السابق (١/ ٦٣٦).

(٤) «التمهيد» (٧/ ١٨٨).

وقد بيَّن المصطفى عليه الصلاة والسلام قدر الغِنَى الذي يحرم به السؤال، فقال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ سَأَلَ وَعِنْدَهُ مَا يُغْنِيهِ، فَإِنَّمَا يَسْتَكْثِرُ مِنْ جَمْرِ جَهَنَّمَ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا يُغْنِيهِ؟ قَالَ: «**مَا يُغَدِّيهِ أَوْ يُعَشِّيهِ**»(١).

قال ابن عبد البر في «التمهيد»(٢): ومن أحسن ما رأيت من أجوبة في معاني السؤال وكراهيته ومذاهب أهل الورع فيه ما حكاه الأثرم عن أحمد ابن حنبل، قال الأثرم: سمعت أبا عبد الله يسأل عن المسألة: متى تحل؟ فقال: إذا لم يكن عنده ما يغديه ويعشيه.

قيل لأبي عبد الله: فإن اضطر إلى المسألة؟ قال: هي مباحة له إذا اضطر، قيل له: فإن تعفف؟ قال: ذلك خير له ثم قال: ما أظن أحدًا يموت من الجوع، الله يأتيه برزقه، ثم ذكر حديث أبي سعيد الخدري(٣) «**من استعف أعفه الله**»، وحديث أبي ذر أن النبي ﷺ قال له: «**تعفف**»(٤).

---

(١) أحمد (٤/ ١٨٠).

(٢) «التمهيد» (٧/ ٢٢٢).

(٣) البخاري (١/ ٤٥٥)، ومسلم (١٠٥٣) ونص الحديث عند البخاري «**ومن يستعفف يعفه الله...**».

(٤) «إهداء الديباجة» (٢/ ٥١٢، ٥١٣).

والعمل وإن كان شاقًّا وصعبًا والمال الذي يأتي من ورائه يسير وقليل، فهو أفضل للمرء من السؤال يقول النبي ﷺ: «**لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا، فَيَكُفَّ اللهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ**»(١).

ويجوز أخذ المال من غير مسألة ولا تطلع، فعن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ رضي الله عنه يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعْطِينِي العَطَاءَ، فَأَقُولُ: أَعْطِهِ مَنْ هُوَ أَفْقَرُ إِلَيْهِ مِنِّي، فَقَالَ: «**خُذْهُ، إِذَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا المَالِ شَيْءٌ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلاَ سَائِلٍ، فَخُذْهُ وَمَا لاَ فَلاَ تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ**»(٢).

قوله: «**وما لا فلا تتبعه نفسك**» معناه: ما لم يوجد فيه هذا الشرط لا تعلق النفس به(٣).

وتعلم الصحابة رضوان الله عليهم من رسول الله ﷺ هذا التوجيه النبوي، فكانوا حريصين على ألا يسألوا الناس شيئًا من عرض الدنيا ومتاعها.

فهذا حكيم بن حزام رضي الله عنه يقول: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَعْطَانِي،

---

(١) البخاري (١٤٧١).

(٢) البخاري (١٤٧٣)، ومسلم (١٠٤٥).

(٣) «صحيح مسلم بشرح النووي» (٤/ ١٦٣).

ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي ثُمَّ قَالَ: «يَا حَكِيمُ، إِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ، واليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى» ، قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لاَ أَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه يَدْعُو حَكِيمًا إِلَى العَطَاءِ، فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ رضي الله عنه دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا، فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي أُشْهِدُكُمْ يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ عَلَى حَكِيمٍ، أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ مِنْ هَذَا الفَيْءِ فَيَأْبَى أَنْ يَأْخُذَهُ، فَلَمْ يَرْزَأْ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى تُوُفِّيَ (١).

ما قيل من الشعر في ذم المسألة:

قال الشاعر:

من يسأل الناس يحرموه ... وسائل الله لا يخيب

وقال آخر:

لا تسألن بُنَي آدم حاجة ... وسل الذي أبوابه لا تحجب

الله يغضب إن تركت سؤاله ... وبني آدم حين يسأل يغضب



(١) البخاري (١/ ٤٥٦)، ومسلم (١٠٣٥).

الجدال والمراء

الجدال والمراء

الجدال لغة:

يقول ابن فارس رحمه الله: الجيم والدال واللام أصل واحد، وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام[(١)].

وقال الراغب رحمه الله: الجدال: هو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وأصله من جدلت الحبل أي: أحكمت فتله ومنه الجديل، وجدلت البناء أحكمته ودرع مجدولة، والأجدل: الصقر المحكم البنية، والمجدل: القصر المحكم البناء، ومنه: الجدال فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه، وقيل: الأصل في الجدال الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة وهي الأرض الصلبة[(٢)].

الجدال اصطلاحًا:

قال المناوي رحمه الله: هو مراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها، وقيل: هو التخاصم بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب[(٣)].

---

(١) «مقاييس اللغة» (ص:٢٠٥). ط. دار الفكر - بيروت - لبنان.

(٢) «المفردات في غريب القرآن» (٩٧).

(٣) «التوقيف على مهمات التعاريف» (ص:١٢٢) نقلًا عن «نضرة النعيم».

قال الإمام الغزالي رحمه الله: وحد المراء: هو كل اعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه: إما في اللفظ، وإما في المعنى، وإما في قصد المتكلم- من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير وإظهار مزية الكياسة، وترك المراء بترك الإنكار والاعتراض. فكل كلام سمعته، فإن كان حقًّا فصدق به، وإن كان باطلًا أو كذبًا ولم يكن متعلقًا بأمور الدين، فاسكت عنه. وأما المجادلة: فعبارة عن قصد إفحام الغير وتعجيزه وتنقيصه، بالقدح في كلامه ونسبته إلى القصور والجهل فيه (ويتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها)(١).

أما المراء: فهو طعنك في كلام الغير لإظهار خلل فيه لغير غرض سوى تحقير صاحبه وإظهار مزيتك عليه (٢).

الباعث على الجدال والمراء:

قال الغزالي رحمه الله(٣): وأما الباعث على الجدال والمراء، فهو الترفع بإظهار العلم والفضل، والتهجم على الغير بإظهار نقصه، وهما شهوتان باطنتان للنفس قويتان لها:

أما إظهار الفضل: فهو من قِبَلِ تزكية النفس، وهي من مقتضى ما في

---

(١) «سلسلة منتقى العابدين من إحياء علوم الدين» (١٢١).

(٢) قاله الإمام الغزالي.

(٣) «إحياء علوم الدين» (٣/ ١٥٩).

العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء، وهي من صفات الربوبية.

وأما تنقيص الآخر: فهو من مقتضى طبع السبعية، فإنه يقتضي أن يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويؤذيه، وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان وإنما قوتهما: المراء والجدال، فالمواظب على المراء والجدال مُقَوٍّ لهذه الصفات المهلكة، وهذا مجاوز حد الكراهة بل هو معصية مهما حصل فيه إيذاء الغير، بل ينبغي للإنسان أن يكف لسانه عن أهل القبلة، وإذا رأى مخطئًا تلطف في نصحه في خلوة لا بطريق الجدال، فإذا عرف أن النصح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه.

والواجب: إن جرى الجدل في مسألة علمية فالواجب السكوت أو السؤال في معرض الاستفادة لا على وجه العناد والنكارة، أو التلطف في التعريف لا في معرض الطعن، وأما قصد إفحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونسبته إلى القصور والجهل فيه، فهي المجادلة المحظورة التي لا نجاة من إثمها إلا بالسكوت (١).

وأما علاجه: فهو بأن يكسر الكبر الباعث له على إظهار فضله، والسبعية(٢) الباعثة له على تنقيص غيره(٣).

---

(١) «موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين» (٢٩٣).

(٢) أي: الطباع السبعية وهي ذنوب العدوان والغضب وسفك الدماء والتوثب على الضعفاء والعاجزين، ويتولد منها أنواع: أذى النوع الإنساني والجرأة على الظلم والعدوان.

(٣) «موعظة المؤمنين» (٢٩٤).

حكم الجدل والمراء:

عدَّه الإمام الذهبي كبيرة من الكبائر في كتابه المسمى بـ «الكبائر» فقال رحمه الله تعالى: الكبيرة الستون: الجدل والمراء واللدد.

ثم ذكر الآيات والأحاديث التي تدل على ذلك (١).

وقال **النووي** رحمه الله: اعلم أن الجدال قد يكون بحق وقد يكون بباطل، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر: ٤].

قال: فإن كان الجدال للوقوف على الحق وتقريره كان محمودًا، وإن كان في مدافعة الحق أو كان جدالًا بغير علم كان مذمومًا، وعلى هذا التفصيل تنزل النصوص الواردة في إباحته وذمه، والمجادلة والجدال بمعنى واحد (٢).

---

(١) (ص: ٢٩٤).

(٢) «الكبائر» (ص: ٢٩٤).

الآيات والأحاديث الواردة في ذم الجدال:

• أولاً: الآيات:

- قال الله تعالى: ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [غافر: ٤].

أي: ما يخاصم في براهين الله ويجحدها ويشك في أدلة الوحدانية إلا كل مكذب معاند جاحد (١).

- وقال الله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة: ١٩٧].

يستفاد من الآية: أن الجدال شر يفسد على العبد عبادته.

- وقال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٧].

المعنى: وإياك (أيها الرسول) أن تدافع عن الخونة الذين يرتكبون الخيانة ثم يضيفونها إلى أبرياء ويتهمون بها المخلصين، فهؤلاء أجرموا في حق أنفسهم ثم نسبوها إلى غيرهم لزيادة مكرهم وخديعتهم، والله سبحانه وتعالى لا يحب ناقض العهد، ناكث الميثاق، المرتكب للمعاصي والآثام، المدمن الخطايا بلا توبة، السريع في انتهاك حدود الله، الذي لا يرده عن الذنب رد، ولا يحده عن المعصية حد، فهؤلاء

---

(١) «التفسير الميسر» (ص:٥٤٧).

سوف يعودون بغضب الله ومقته، وهذه الآية نزلت في قوم من المنافقين سرقوا، ثم نسبوا السرقة إلى غيرهم من الأبرياء، فدافع النبي ﷺ عنهم بناء على ظاهر حالهم، فأنزل الله تعالى الآية (١).

يستفاد من الآية: لا جدال عن الباطل!

- وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

معنى الآية: ولا تأكلوا ما ذبح على غير اسم الله كالذبح للصنم والكاهن والعراف ونحوه، وأكل هذه الذبائح تجاوز لحدود الله، وتَعَدٍّ وتَحَدٍّ لشرعه، وعصاة الجن يأمرون أولياءهم من أشرار الإنس بإلقاء الحجج الواهيات، وانتحال الكذب والشُّبَه، مثل كيف تأكلون ما ذبحتم أنتم ولا تأكلون ما ذبح الله (يقصدون الميتة)، وإذا اتبعتم ضلالهم في تحليل ما حرم الله، فقد اشتركتم في الشرك(٢).

- وقال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ﴾ [غافر: ٦٩].

---

(١) «التفسير الميسر».

(٢) «التفسير الميسر».

والمعنى: ألا تعجب- أيها الرسول- من الكفار الذين يخاصمون في براهين الله الصادقة الصحيحة، وهي يقينية على وحدانية الله، كيف ينحرفون عن الإيمان بها مع صحتها وصدقها، وكيف يضلون بعد إقامة الحجة البينة[1].

فكان جزاؤهم: ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ [غافر: ٧١، ٧٢].

يستفاد من الآيتين: التعجيب من حال المكذبين بآيات الله المجادلين فيها كيف يصرفون عن الحق بعد وضوح أدلته وقوة براهينه.

وإبراز صورة واضحة للمكذبين بالآيات المجادلين لإبطال الحق وهم في جهنم يقاسون العذاب بعد أن وضعت الأغلال في أعناقهم والسلاسل في أرجلهم يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون[2].

- وقال الله تعالى: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ [الرعد: ١٣].

فمع هذه الآيات العظيمة تسبيح الرعد بحمد الله وتسبيح الملائكة

---

(١) «التفسير الميسر».

(٢) «أيسر التفاسير» للجزائري (٢/ ١٣٧٢) ط. مكتبة العلوم والحكم.

وتقديسها وثناؤها على الله وشكرها لـه خوفًـا مـن سـطوته – سـبحانه – وهيبته، وإرسال الصواعق المحرقة التي تسحق وتمحق وتمـزق وتـدمر من يشاء من خلقه، مع كل هذه الآيـات البـاهرات تجـد هـؤلاء الكفـار يجادلون بالباطل في صـفات الله وآياتـه ورسـالاته، ويشـكون في قدرتـه ويخاصمون رسل الله – سبحانه– شديد الحول والقوة والبطش بأعدائـه قوي الأخذ لهم.

يستفاد من الآية:

- لا يجوز الجدال في الله ﷻ.

- عاقبة من يجادل في الله: فقد نزلت هذه الآيـة في رجـل بعـث إليـه رسول الله ﷺ من يدعوه إلى الإسلام فقال الرجل الكافر لمن جـاء مـن قِبَلِ رسول الله ﷺ: من رسول الله؟ وما الله أمن ذهب هو أم من فضـة أم من نحاس؟ فنزلت عليه صاعقة أثناء كلامه فذهبت بقحف رأسه، وقيل: نزلت في يهودي، وقيل: في أربد بن ربيعة وعامر بن الطفيـل، وقـد هلـك أربد بصاعقة نزلت به، وهلك عامر بغدة نبتت في جسمه فمات منها وهو في بيت امرأة من بني سلول(١).

- لا يجوز الجدال في آيات الله بغير علم، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ۝٣ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ

(١) «أيسر التفاسير» (١/ ٧٠٦).

مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الحج: ٣، ٤].

وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [غافر: ٣٥].

والمعنى: الذين يخاصمون بالباطل ويردون البراهين التي أرسل الله بها رسله بالهوى، وليس عندهم علم ولا دليل على ما ذهبوا إليه، عظمت هذه المخاصمة عند الله لقبحها، وعظمت عند المؤمنين، ومثلما ختم الله على قلوب من جادل بالباطل من الأمم السابقة يختم على قلب كل مستكبر معاند جاحد ظالم مستبد، فلكبره رد الحق ولجبروته عمل بالباطل ودعا إليه (١).

يستفاد من الآيات:

* حرمة الجدال بغير علم، وأن صاحبه عرضة لمقت الله ﷻ ومقت المؤمنين(٢).

* الإنسان أكثر المخلوقات جدلًا ومجادلة:

- قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ

(١) «التفسير الميسر».

(٢) «أيسر التفاسير» (١/ ١٣٦١).

وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ [الكهف: ٥٤].

والمعنى: ولقد بَيَّنَ الله في كتابه لعباده أمثلة كثيرة من كل ما ينفعهم؛ ليعتبروا بهذه الأمثال ويتعظوا بها، وكان الإنسان أكثر الخليقة مخاصمة ومجادلة (١).

يستفاد من الآية: بيان غريزة الجدل في الإنسان والمخاصمة(٢).

- قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [النحل: ١١١].

- **الأحاديث الواردة في ذم الجدال:**

- عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الجَدَلَ**»، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٥٨](٣).

قال الإمام أبو داود رحمه الله: باب النهي عن الجدال في القرآن ثم ساق

---

(١) «التفسير الميسر».

(٢) «أيسر التفاسير» (١/ ٨٤٤).

(٣) رواه الترمذي (٣٢٥٣)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»، و«صحيح ابن ماجه» (٤٧)، و«صحيح الترغيب» (١٣٧) طبعة مكتبة المعارف.

حديثًا عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ**»(١).

- وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿**هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ**﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿**وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ**﴾ [آل عمران: ٧] فَقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ، إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِيهِ، فَهُمُ الَّذِينَ عَنَاهُمُ اللهُ، فَاحْذَرُوهُمْ**»(٢).

- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**الصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَجْهَلْ، وَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ**» مَرَّتَيْنِ.

«**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، يَقُولُ** ﷻ: **إِنَّمَا يَذَرُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي، فَالصَّوْمُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، كُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، إِلَّا الصِّيَامَ فَهُوَ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**».

قال ابن حجر رحمه الله: ولسعيد بن منصور من طريق سهيل بن أبي صالح عن أبيه «**فلا يرفث ولا يجادل**» قال القرطبي: لا يفهم من هذا أن غير يوم الصوم يباح فيه ما ذكر، وإنما المراد أن المنع من ذلك يتأكد

---

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٣) قال الألباني: حسن صحيح في «صحيح سنن أبي داود».

(٢) رواه ابن ماجه (٤٧)، وصححه الألباني.

بالصوم (١).

وقال **ابن حجر أيضًا**: ولسعيد بن منصور من طريق سهيل «فإن سابه أحد أو ماراه» أي: جادله(٢).

أقوال سلفية في ذم الجدل والمراء:

قال وهب بن منبه: دع المراء والجدال، فإنه لن يعجز أحد رجلين: رجل هو أعلم منك، فكيف تعادي وتجادل من هو أعلم منك؟! ورجل أنت أعلم منه، فكيف تعادي وتجادل من أنت أعلم منه ولا يطيعك.

وعن يحيى بن أبي كثير قال: قال سليمان عليه السلام: يا بني إياك والمراء، فإنه ليس فيه منفعة، وهو يورث العداوة بين الإخوان.

وقال حفص بن غياث: سمعت حجاج بن أرطاة يقول: ما خاصمت أحدًا ولا جادلته.

وقال الأوزاعي رحمه الله: إذا أراد الله بقوم شرًّا فتح عليهم الجدل ومنعهم العمل.

وقال ابن وهب: سمعت مالكًا يقول: ليس هذا الجدل من الدين بشيء.

---

(١) «فتح الباري» (٤/ ١٢٦).

(٢) نفس المصدر والصفحة.

وعن مالك قال: الجدال في الدين ينشئ المراء، ويذهب بنور العلم من القلب، ويقسي القلوب، ويورث الضغائن.

وعن معروف الكرخي قال: إذا أراد الله بعبد شرًّا أغلق عنه باب العمل، وفتح عليه باب الجدل.

قال ابن النجار: (قرأت بخطه - أي الجياني - قال: كنت مشتغلًا بالجدل والخلاف مُجِدًّا في ذلك، فرأيت النبي ﷺ في النوم، فوقف على رأسي وقال لي: قم يا أبا بكر، فلما قمت، تناول يدي، فصافحني، ثم ولَّى وقال لي: تعال خلفي. فتبعته نحوًا من عشر خطوات، وانتهيت، فأتيت أبا طالب إبراهيم بن هبة الله الدياري الزاهد - وكنت لا أمضي أمرًا دونه - فقصصت عليه، فقال لي: يريد منك رسول الله ﷺ أن تترك الخلاف وتشتغل بحديثه؛ إذ قد أمرك باتباعه، فتركت الخلاف، وكان أحب إِلَيَّ من الحديث، وأقبلت على الحديث[1]).

وعن محمد بن واسع قال: رأيت صفوان بن محرز، وأناسًا في المسجد قريبًا منه، وأصحابه يتجادلون، فقام ونفض ثوبه، وقال: إنما أنتم جرب.

وعن مالك بن أنس قال: كلما جاءنا رجل أجدل من رجل، تركنا ما

---

(١) «التهذيب الموضوعي لحلية الأولياء» (ص:٢٣٤).

نزل به جبريل عليه السلام على محمد ﷺ لجدله [١].

وعن عمر بن عبد العزيز رحمه الله **قال**: احذر المراء، فإنه لا تؤمن فتنته، ولا تفهم حكمته.

وعنه أيضًا قال: «قد أفلح من عصم من المراء، والغضب والطمع».

وعن ميمون بن مهران قال: لا تُمَارِينَّ عالمًا ولا جاهلًا، فإنك إن ماريت عالمًا، خزن عنك علمه، وإن ماريت جاهلًا، خَشُنَ صَدْرُكَ [٢].

وعن زياد بن حدير قال: قال لي عمر: هل تعرف ما يهرم الإسلام؟ قال: قلت: لا، قال: يهرمه زلة العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين [٣].

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه **لإياس بن عمر** رحمه الله: إنك إن بقيت سيقرأ القرآن ثلاثة أصناف: فصنف لله، وصنف للجدال، وصنف للدنيا، ومن طلب به أدرك [٤].

أشعار قيلت في ذم الجدل والمراء:

قال مسعر بن كدام -رحمه الله تعالى- يوصي ابنه كدامًا:

---

(١) «تحفة العلماء بترتيب سير أعلام النبلاء» (ص:٦٠٩ - ٦١٢).

(٢) «التهذيب الموضوعي لحلية الأولياء».

(٣) الدارمي (١/ ٨٢). وصحح الألباني إسناده في «مشكاة المصابيح» (١/ ٨٩).

(٤) الدارمي (٢/ ٥٢٦).

إني منحتك يا كدام نصيحتي ... فاسمع لقول أب عليك شفيق
أما المزاحة والمراء فدعهما ... خلقان لا أرضاهما لصديق
إني بلوتهما فلم أحمدهما ... لمجاور جارًا ولا لرفيق
والجهل يزري بالفتى في قومه ... وعروقه في الناس أي عروق[1]

فعلى العاقل الأريب أن يبتعد عن الجدال والمراء بالباطل وأن يعلم لكل ما سيق من أدلة تحذر منه أن عواقبه وخيمة وأضراره كثيرة.

ومنها:

١- الجدال يحرم صاحبه من الوصول إلى الحق ومعرفة الرشد.

٢- يورث البغضاء والكراهية.

٣- يحذر منه الناس ويتحاشونه.

٤- سبب للمعاقبة بالحرمان من السعادة التي يحظى بها الباحث عن الحق.

٥- طول ممارسته يغري بالتمادي في الباطل.

٦- يؤدي إلى سوء العاقبة بالحرمان من المنزلة العالية في الجنة[2]. نسأل الله العافية.

---

(١) «نضرة النعيم» (٩/ ٤٣٤٨).

(٢) «نضرة النعيم» (٩/ ٤٣٤٩).

الخصومة واللدد:

الخصومة: هي لجاج في الكلام ليُستوفَى به مال أو حق مقصود وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضًا. وهي أيضًا مذمومة وهي وراء الجدال والمراء.

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴾ [البقرة: ٢٠٤، ٢٠٥].

وقال النبي ﷺ: «**إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ الأَلَدُّ الخَصِمُ**»(١).

قال الإمام النووي رحمه الله: و(الألد): شديد الخصومة مأخوذ من لديدي الوادي وهما جانباه؛ لأنه كلما احتج عليه بحجة أخذ في جانب آخر.

وأما (الخصم) فهو: الحاذق بالخصومة. والمذموم هو الخصومة بالباطل في رفع حق، أو إثبات باطل(٢). والله أعلم.

وقال في «موعظة المؤمنين»: ولا تكون الخصومة مذمومة إلا إن كانت بالباطل أو بغير علم.

---

(١) رواه البخاري (٢٤٥٧)، ومسلم (٢٦٦٨).

(٢) «نووي على شرح مسلم» (٨/ ٤٢٤).

كالذي يدافع قبل أن يعلم الحق في أي جانب أو يمزج بخصومته كلمات مؤذية ولا حاجة لها في نصرة الحجة وإظهار الحق، أو يحمله محض العناد لقهر الخصم وكسره مع أنه قد يستحقر ذلك القدر من المال، وفي الناس من يصرح به ويقول: إنما قصدي عناده وكسر عرضه وإني إن أخذت منه هذا المال ربما رميت به في بئر ولا أبالي، وهذا مقصوده اللدد والخصومة واللجاج وهو مذموم جدًّا. اهـ(١).

قال بعضهم: إياك والخصومة فإنها تمحق الدين.

وقال بعضهم: ما رأيت شيئًا أذهب للدين ولا أنقص للمروءة ولا أشغل للقلب من الخصومة(٢).

فإن قلت: فإذا كان للإنسان حق، ولا بد له من الخصومة في طلبه أو حفظه مهما ظلمه ظالم، فاعلم أن هذا الذم يتناول الذي يخاصم بالباطل، والذي يخاصم بغير علم، مثل وكيل القاضي: فإنه قبل أن يتعرف أن الحق في أي جانب، هو يتوكل في الخصومة من أي جانب كان، فيخاصم بغير علم، ولا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد في الخصومة على قصد الإيذاء.

ويتناول الذي يمزج بالخصومة كلمات مؤذية ليس يحتاج إليها في

---

(١) (ص: ٢٩٤، ٢٩٥).

(٢) رواه ابن **أبي الدنيا في** «الصمت» (١٥٨)، وقال محققه: إسناده صحيح.

نصرة الحجة وإظهار الحق.

ويتناول الذي يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره، فهذا هو المذموم، وأما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد وإسراف وزيادة لجاج على الحاجة من غير قصد عناد ولا إيذاء، ففعل هذا ليس حرامًا ولكن الأَوْلَى تركه ما وجد إليه سبيلًا؛ لأن ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر، والخصومة توغر الصدور، وتهيج الغضب، وإذا هاج الغضب حصل الحقد بينهما حتى يفرح كل واحد منهما بمساءة الآخر ويحزن لمسرته ويطلق لسانه في عرضه، فمن خاصم فقد تعرض لهذه الآفات، وأقل ما فيها اشتغال القلب حتى إنه يكون في صلاته، وخاطره متعلق بمحاججه وخصمه، فلا يبقى الأمر على حد الواجب، والخصومة مبدأ الشر فينبغي على الإنسان ألا يفتح عليه باب الخصومة إلا لضرورة لابد منها[١].

جاء عن علي رضي الله عنه قال: إن الخصومة لها قحم، والقحم: يعني المهالك.

وأيضًا مما يفوته في الخصومة: طيب الكلام وما ورد فيه من الثواب، فإن من خاصم غيره، فقد جهله أو كذبه فيفوت به طيب الكلام،

---

(١) هذه النقول من كلام الإمام الغزالي نقله عنه الإمام الذهبي في كتابه «الكبائر» (ص:٢٩٥).

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرْفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا أَعَدَّهَا اللهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَلَانَ الْكَلَامَ، وَتَابَعَ الصِّيَامَ وَصَلَّى بالليل وَالنَّاسُ نِيَامٌ»(١) .

وقال عليه الصلاة والسلام: «الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ»(٢).

وقال عمر رضي الله عنه: «البر شيء هين: وجه طليق وكلام لين».

وقال بعض الحكماء: الكلام اللين يغسل الضغائن المستكنة في الجوارح.

وقال بعض الحكماء: كل كلام لا يسخط ربك إلا أنك تُرضي به جليسك، فلا تكن به عليه بخيلًا. وهذا كله في فضل الكلام الطيب، وتضاده الخصومة واللجاج، فإنه الكلام المستكره الموحش، المؤذي للقلب المنغص للعيش، المهيج للغضب، الموغر للصدر(٣). فنسأل الله الكريم السلامة والعافية.



---

(١) «صحيح الجامع» (٢١٢٣).

(٢) رواه مسلم (١٠٠٩).

(٣) مختصر المنهلكات.

فضح المسلم وكشف ستره

فضح المسلم وكشف ستره

أخي المسلم ابتداءً وقبل الخوض في الحديث عن هذا الموضوع أقول: يجب على كل مسلم أن يتخلق بأخلاق الله ﷻ الذي يحب الستر ويستر عباده في الدنيا والآخرة.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ اللهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ** ـ كنفه: أي: ستره، يستره عن أهل الموقف حتى لا يطلع على سره غيره ـ **وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ:** ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]»(١).

وقال النبي عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ اللهَ ﷻ حَلِيمٌ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسِّتْرَ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ**»(٢).

---

(١) البخاري (٢٤٤١).

(٢) النسائي (٤٠٤)، وصححه الألباني.

سِتِّير: قال في «النهايـة»: سِـتِّير: فِعِّيـل بمعنـى فاعـل أي: مـن شـأنه وإرادته حب الستر والصون.

قال الإمام السندي رحمه الله: أي أن الله تعالى سـاتر للعيـوب والفضـائح يحب الحياء والستر من العبد ليكون متخلقا بأخلاقه تعالى. اهـ[1].

فمن ستر عورة أخيه المسلم، فإن الله تعالى يكافئه مـن جـنس عملـه فيستره في الدنيا والآخرة.

يروي أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لَا يَسْتُرُ اللهُ عَلَى عَبْدٍ فِـي الدُّنْيَا، إِلَّا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[2].

قال القاضي: يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يستر معاصيه وعيوبه عن إذاعتها في أهل الموقف.

والثاني: ترك محاسبته عليها، وترك ذكرها.

قال: والأول أظهر لما جاء في الحديث الآخر: «**يقرره بذنوبه يقـول: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم**».

وقـال عليـه الصـلاة والسـلام: «**وَمَـنْ سَـتَرَ مُسْـلِمًا سَـتَرَهُ اللهُ يَـوْمَ**

---

(١) «حاشية السندي على سنن النسائي» (١/ ٢١٨).

(٢) رواه مسلم (٢٥٩٠).

الْقِيَامَةِ»(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**»(٢).

بل اعلم أخي المسلم أنك إذا سترت عورات الناس ستر الله عيوبك.

فعن أبي برزة الأسلمي، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ** - أي: عيوبهم ومساويهم - **فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ**»(٣) أي: ولو كان في بيته مخفيا من الناس.

وقال الشاعر:

لا تلتمس من مساوي الناس ما ستروا فيكشف الله سترًا من مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ولا تعب أحدًا منهم بما فيكا

وقال في «جامع العلوم والحكم»: وقد روي عن بعض السلف أنه قال: أدركت قومًا لم يكن لهم عيوب فذكروا عيوب الناس، فذكر الله لهم عيوبًا، وأدركت أقواما كانت لهم عيوب فكفوا عن عيوب الناس،

---

(١) البخاري (٢٤٤٢، ٦٩٥١)، ومسلم (٢٥٨٠) واللفظ لمسلم.

(٢) مسلم (٢٦٩٩).

(٣) أبو داود (٤٨٨٠)، والترمذي (٢٠٣٢) وصححه الألباني.

فنسيت عيوبهم[١].

وروى ابن مقلة - محمد بن علي بن الحسن - عن ثعلب:

إذا ما تعيب الناس عابوا فأكثروا عليك وأبدوا منك ما كنت تستر
فلا تعيبن خلقًا بما فيك مثله فكيف يعيب العور من هو أعور[٢]

فما هو الفضح؟

الفضح لغة: مصدر: فضحه يفضحه فضحًا إذا كشفه ولم يستره.

يقول ابن فارس: الفاء والضاد والحاء كلمتان متقاربتان تدل إحداهما على انكشاف شيء ولا يكاد يقال إلا في قبيح، والأخرى على لون غير حسن أيضًا.

فالأول قولهم: أفضح الصبح وفضح إذا بدا، ثم يقولون في التهتك: الفضوح [٣].

والفضيحة: العيب والجمع فضائح، وفضحته فضحًا من باب نفع: كشفته، وفي الدعاء: «**لا تفضحنا بين خلقك**» أي: استر عيوبنا

---

(١) لابن رجب الحنبلي (٢/ ٢٩١)، وانظر أيضًا: «غذاء الألباب» للسفاريني (٢/ ٢٠٤).

(٢) «تاريخ الإسلام» حوادث (٣٢١ - ٣٣٠) (ص:٢٤١).

(٣) «مقاييس اللغة» (٤/ ٥٠٩).

ولا تكشفها[(١)].

قال ابن منظور: ويقال للمفتضح: يا فضوح.

قال الراجز:

قوم إذا ما رهبوا الفضائحا على النساء لبسوا الصفائحا

ويقال: افتضح الرجل يفتضح افتضاحًا إذا ركب أمرًا سيئًا، فاشتهر به.

وفضح الشيء يفضحه فضحًا فافتضح، إذا انكشفت مساويه، والاسم الفضاحة والفضوح والفضوحة والفضيحة، ورجل فضاح وفضوح: يفضح الناس، والفضيحة: اسم من هذا لكل أمر سيئ يشهر صاحبه بما يسوء[(٢)].

حكم فضح المسلم:

عد ابن حجر الهيتمي هتك المسلم أو تتبع عوراته حتى يفضحه ويذله بها بين الناس من الكبائر، مستدلًّا بقول المصطفى ﷺ: «**مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، كَشَفَ اللهُ عَوْرَتَهُ، حَتَّى يَفْضَحَهُ بِهَا فِي بَيْتِهِ**»، وعلل لذلك

---

(١) «المصباح المنير» (٤٧٥).

(٢) «لسان العرب» (٢/ ٥٤٥) نقلًا عن «نضرة النعيم» (١١/ ٥٢٧٠).

بقوله: لأن كشف العورة والافتضاح فيه من الوعيد ما لا يخفى(١).

القرآن الوارد في الحديث عن هذا المرض:

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ٦٣، ٦٤].

معنى الآيتين:

ألم يعلم هؤلاء المنافقون أن من عادى الله وعادى رسوله فأن مصيره نار جهنم خالدًا فيها، وهذا هو الذل العظيم والهوان الشديد والخزي الدائم، ثم بين الله تعالى أن المنافقين يخافون أن يكشف الله أمرهم لرسوله، فقال جل وعلا: ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ ... ﴾ [التوبة: ٦٤] أي: يخشى المنافقون أن ينزل الله على رسوله ﷺ سورة تفضحهم وتطلع رسوله والمؤمنين على ما في قلوب المنافقين من الكفر والعداوة، قل أيها الرسول على سبيل التهديد: ﴿ٱسْتَهْزِءُوٓا۟﴾ [التوبة: ٦٤] استهزئوا على طريقتكم كما تشاؤون، فالله مظهر ما تخفون وكاشف ما تسرون(٢).

---

(١) «الزواجر» (٥٣٧).

(٢) «التفسير الميسر» (ص:٢٣٧).

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢٧].

المعنى: وإذا أنزل الله على رسوله سورة تكشف حال المنافقين وتفضح أمرهم وتهتك سترهم، نظر بعض المنافقين إلى بعض ريبة وتدبيرًا للفرار من مجلس الرسول ﷺ، يقولون: هل يراكم أحد من المؤمنين إذا فررتم متسللين؟ ثم هربوا إلى منازلهم خوفًا من الوحي أن يفضحهم، صرف الله قلوبهم عن الهدى والرشد؛ لأنهم أناس لا يفهمون ما أنزل الله على رسوله فَهْمَ تعقل وتدبر وقبول(١).

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُواْ بَلۡ جِئۡنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَٱتَّبِعۡ أَدۡبَٰرَهُمۡ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٞ وَٱمۡضُواْ حَيۡثُ تُؤۡمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيۡنَآ إِلَيۡهِ ذَٰلِكَ ٱلۡأَمۡرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقۡطُوعٞ مُّصۡبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهۡلُ ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ﴾... إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٦١-٧٥].

---

(١) «التفسير الميسر» (ص:٢٤٦).

أي: قال لوط عليه الصلاة والسلام لقومه: هؤلاء ضيوفي وهم في حمايتي وحفظي فلا تفضحوني بما أردتم من عمل شنيع.

حديث السنة عن هذا المرض وذم النبي ﷺ له:

- عن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللهُ ﷻ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ**»(١).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ، قَذَفَ امْرَأَتَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ بِشَرِيكِ ابْنِ سَحْمَاءَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الْبَيِّنَةَ أَوْ حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ**»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِذَا رَأَى أَحَدُنَا عَلَى امْرَأَتِهِ رَجُلًا يَنْطَلِقُ يَلْتَمِسُ الْبَيِّنَةَ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**الْبَيِّنَةَ وَإِلَّا حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ**»(٢) فَقَالَ هِلَالٌ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنِّي لَصَادِقٌ، فَلَيُنْزِلَنَّ اللهُ مَا يُبَرِّئُ ظَهْرِي مِنَ الْحَدِّ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ [النور: ٦] فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ: ﴿إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [النور: ٩] فَانْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا، فَجَاءَ هِلَالٌ

---

(١) «صحيح سنن أبي داود» (٤٨٨٠) ط. مكتبة المعارف.

(٢) وهذا من حرص النبي ﷺ على صون عرض المسلم وعدم فضحه، فهذه الجملة تشير من طرف خفي إلى عدم فضح المسلم بدون ضوابط شرعية وبينة جلية.

فَشَهِدَ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ، فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ**» ثُمَّ قَامَتْ فَشَهِدَتْ، فَلَمَّا كَانَتْ عِنْدَ الخَامِسَةِ وَقَّفُوهَا، وَقَالُوا: إِنَّهَا مُوجِبَةٌ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَتَلَكَّأَتْ وَنَكَصَتْ، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهَا تَرْجِعُ، ثُمَّ قَالَتْ: لاَ أَفْضَحُ قَوْمِي سَائِرَ اليَوْمِ، فَمَضَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَبْصِرُوهَا، فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَكْحَلَ العَيْنَيْنِ، سَابِغَ الأَلْيَتَيْنِ، خَدَلَّجَ السَّاقَيْنِ، فَهُوَ لِشَرِيكِ ابْنِ سَحْمَاءَ**»، فَجَاءَتْ بِهِ كَذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَوْلاَ مَا مَضَى مِنْ كِتَابِ اللهِ لَكَانَ لِي وَلَهَا شَأْنٌ**»(١).

عن أَنَس بْن مَالِكٍ، قَالَ: جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ - وَهِيَ جَدَّةُ إِسْحَاقَ - إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ لَهُ، وَعَائِشَةُ عِنْدَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، الْمَرْأَةُ تَرَى مَا يَرَى الرَّجُلُ فِي الْمَنَامِ، فَتَرَى مِنْ نَفْسِهَا مَا يَرَى الرَّجُلُ مِنْ نَفْسِهِ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، فَضَحْتِ النِّسَاءَ، تَرِبَتْ يَمِينُكِ، فَقَالَ لِعَائِشَةَ: «**بَلْ أَنْتِ، فَتَرِبَتْ يَمِينُكِ، نَعَمْ، فَلْتَغْتَسِلْ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، إِذَا رَأَتْ ذَاكَ**»(٢).

فضحت النساء: معناه: حكيت عنهن أمرًا تستحيي النساء من وصفهن به ويكتمنه، وذلك أن نزول المني منهن يدل على شدة شهوتهن للرجال.

قولها: «تربت يمينك»: فيه خلاف كثير منتشر جدًّا للسلف والخلف

---

(١) رواه البخاري (٤٧٤٧).

(٢) رواه مسلم (٣١٠).

والأصح الأقوى الذي عليه المحققون في معناه: أنها كلمة أصلها افتقرت، ولكن العرب اعتادت استعمالها غير قاصدة حقيقة معناها الأصلي، فيذكرون: تربت يداك، وقاتله الله ما أشجعه، ولا أم له، ولا أب لك، وثكلته أمه، وويل أمه، وما أشبه هذا من ألفاظهم يقولونها عند إنكار الشيء أو الزجر عنه والذم عليه، أو استعظامه، أو الحث عليه، أو الإعجاب به. والله أعلم(١).

أما قول النبي لعائشة رضي الله عنها: «**بل أنت فتربت يمينك**»: فمعناه: أنت أحق أن يقال لك هذا، فإنها فعلت ما يجب عليها من السؤال عن دينها، فلم تستحق الإنكار، واستحققت أنت الإنكار لإنكارك ما لا إنكار فيه(٢).

عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، كَشَفَ اللهُ عَوْرَتَهُ، حَتَّى يَفْضَحَهُ بِهَا فِي بَيْتِهِ**»(٣).

ففي هذا الحديث: بيان فضل الستر على المؤمنين والحث على ذلك، فينبغي لمن اطلع على ما استخفى بفعله مسلم من فاحشة أو سوء

---

(١) «نووي على شرح مسلم» (٢/ ٢٢٥).

(٢) «نووي على شرح مسلم» (٢/ ٢٢٦).

(٣) ابن ماجه (٢٥٤٦)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٣٤١).

أن يستره ولا يفضحه مع نصح هذا العاصي بالتوبة والإقلاع عن الذنوب، فإن من فعل ذلك وستر أخاه المسلم المبتلى بالذنب عامله الله تعالى بمثل ما عامل به عباده من الستر، فيستره الله في الآخرة، فلا يفضحه بذنوبه ومعاصيه على رؤوس الأشهاد، وإن مما يعين العبد كذلك على التخلق بهذا الخلق وهو ستر المؤمن الذي لم يشتهر بالقبائح والذنوب ولم يعرف بالمجاهرة بها، أن يتفكر في أنه معرض للوقوع في الذنب وأنه يرجو إن رآه أحد على الذنب أن يستره ولا يفضحه.

وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما نحو هذا المعنى فأورد ابن عبد البر في «الاستذكار»(١) أثرًا عن عكرمة أن ابن عباس وعمارًا والزبير أخذوا سارقًا فخلوا سبيله قال عكرمة: فقلت لابن عباس: بئسما صنعتم حين خليتم سبيله، فقال: لا أم لك، أما لو كنت أنت لسرك أن يخلى سبيلك. اهـ(٢).

وقد فصّل أهل العلم القول فيما يستحب من الستر وما لا يستحب فقالوا: إن الستر المندوب إليه والمراد في الحديث هو الستر على ذوي الهيئات ممن ليس معروفًا بالمعاصي والفساد، أما من عرف بذلك واشتهر به، فالأفضل في حقه أن يرفع أمره إلى الوالي لتأديبه، وردع أمثاله

(١) «الاستذكار» لابن عبد البر (٢٤/ ١٧٨).

(٢) صحح ابن حجر العسقلاني إسناده في «الفتح» (١٢/ ٨٨).

عن انتهاك الحرمات.

قال ابن رجب الحنبلي(١): واعلم أن الناس على ضربين:

أحدهما: من كان مستورًا لا يعرف بشيء من المعاصي فإذا وقعت منه هفوة أو زلة؛ فإنه لا يجوز هتكها ولا كشفها ولا التحدث بها؛ لأن ذلك غيبة محرمة وهذا هو الذي وردت فيه النصوص، ومثل هذا لو أخذ بجريمته ولم يبلغ الإمام، فإنه يشفع له حتى لا يبلغ الإمام.

الثاني: من كان مشتهرًا بالمعاصي، معلنًا لها، لا يبالي بما ارتكب منها ولا بما قيل له، فهذا هو الفاجر المعلن وليس له غيبة كما نص على ذلك الحسن البصري وغيره، ومثل هذا لا بأس بالبحث عن أمره لتقام عليه الحدود. اهـ.

ويقول ابن المنذر(٢): وعلى من أصاب حدًّا أن يستتر بستر الله وينزع عن ذلك، ويحدث توبة نصوحًا وهو ألَّا يعود في الذنب أبدًا، فإذا بلغ الإمام ذلك لم يسعه إقامة الحد، لحديث النبي ﷺ: «**تَعَافُوا الْحُدُودَ فِيمَا بَيْنَكُمْ، فَمَا بَلَغَنِي مِنْ حَدٍّ فَقَدْ وَجَبَ**».

وفي هذا المعنى يقول الإمام الشافعي رحمه الله **فيما نقله الإمام البغوي** رحمه الله: وأحب لمن أصاب ذنبًا، فستره الله عليه أن يستر على نفسه، ويتوب

(١) (٢/ ٣١٣).

(٢) «الإشراف» (٢/ ٣١٥).

فيما بينه وبين ربه، وكذلك رُوي عن أبي بكر وعمر أنهما أمرا أن يستر على نفسه، وقاله الزبير بن العوام وابن عباس. اهـ[١].

جزاء من سمع بفاحشة فأفشاها[٢]:

عن علي ﭬ قال: «القائل الفاحشة، والذي يشيع بها، في الإثم سواء»[٣].

المفردات: القائل الفاحشة: هو البادئ في ذكرها بين الناس.

والفحش: هو كل ما يشتد قبحه من الذنوب والمعاصي، وكثيرًا ما ترد الفاحشة بمعنى الزنا، وكل خصلة قبيحة، فهي فاحشة من الأقوال والأفعال.

والذي يشيع بها: أي: يظهرها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور: ١٩].

قال البغوي: يعني يظهر ويذيع الزنا.

---

(١) «إهداء الديباجة بشرح سنن ابن ماجه» (٣/ ٤٧٥، ٤٧٦).

(٢) الإفشاء: الإذاعة، وأفشى سره لفلان: كشفه ونشره وأظهره.

(٣) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٤٧١)، وقال الألباني: حسن الإسناد برقم (٣٢٤). انظر: صحيح «الأدب المفرد».

في الإثم سواء: لأنهما متعاونان على الإثم والعدوان، وانتشار هذا المنكر لا يتم إلا بهما (١).

وعن شبيل بن عوف قال: «كان يقال: من سمع بفاحشة فأفشاها، فهو فيها كالذي أبداها»(٢).

المفردات:

من سمع بفاحشة فأفشاها: أي: نشرها وأذاعها.

فهو فيها كالذي أبداها: أي: كالذي أظهرها أول مرة، وهذا يوضح الأثر الذي قبله، وما أكثر ما يقع الناس في مثل هذا دون أن يتدبروا عاقبة الأمور، وفي الحديث: «**كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**»(٣).

وعن عطاء: أنه كان يرى النكال على من أشاع الزنا، يقول: أشاع الفاحشة (٤).

الشرح: النكال: أن يجعله عبرة لغيره، والنكال: العقوبة التي تنكل الناس عن فعل ما جعلت له جزاء، كقوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ

---

(١) «شرح صحيح الأدب المفرد» (١/ ٤٢١) بقلم حسين بن عودة العوايشة.

(٢) صحيح «الأدب المفرد» (٣٢٥).

(٣) رواه مسلم في مقدمة «صحيحه» وأبو داود وغيرهما. وانظر: «الصحيحة» (٢٠٢٥).

(٤) «صحيح الأدب المفرد» (٣٢٦).

وَٱلْأُولَىٰٓ ﴾ [النازعات: ٢٥].

قال ابن كثير رحمه الله: أي: انتقم الله منه انتقامًا، جعله عبرة ونكالًا لأمثاله من المتمردين في الدنيا (١).

عاقبة نشر الفواحش:

وعن علي رضي الله عنه قال: لا تكونوا عُجُلًا مَذَايِيعَ، بُذرًا؛ فإن من وَرَائِكُمْ بلاءً مُبَرِّحًا مُمْلِحًا، وأمورًا مُتَمَاحِلَةً رُدُحًا (٢).

المفردات:

١- مذاييع: جمع مذياع، من أذاع الشيء، والمراد ها هنا الذين يشيعون الفاحشة.

٢- البذر: جمع بذور، الذي لا يستطيع أن يكتم سره، أي المفشون للأسرار.

٣- البرح بفتح وسكون: الشدة والشر والعذاب الشديد والمشقة.

٤- وفي بعض الطرق: مكلحا: أي يكلح الناس لشدته، والكلوح: العبوس.

٥- المتماحل من الرجال: الطويل.

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير رحمه الله».

(٢) قال الألباني: صحيح الإسناد، انظر: «صحيح الأدب المفرد» برقم (٣٢٧).

٦- ردحًا: جمع رداح وهو الحمل المثقل حملًا، والمعنى: الفتن الثقيلة العظيمة [١].

معنى الأثر:

لا تستعجلوا في إذاعة الأشياء والفواحش، ولا تفشوا الأسرار فهناك بلاء شديد شاق ينتظركم، وفتن ثقيلة تترقبكم، فلا تسهموا في صنع الفتن والرزايا، وحذار أن تكونوا عيابين بإشاعة وإفشاء الأسرار؛ لأنه يصعب الرجوع عنها، ولا تزداد الفتن إلا توقدًا وشدة. والله أعلم[٢].

فعلى المرء أن يتذكر عيوب نفسه وينشغل بها، فإنها ستلجمك وتبعدك عن القول السيئ في أخيك، فإن كان يشين أخاك ما تعيبه به وتأخذه عليه، فإن هذا يشينك كذلك ويعيبك، وأنت لا تزيل ذلك بل أنت متلوث به وبأمثاله[٣].

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك، فاذكر عيوب نفسك[٤] والله أعلم.

---

(١) انظر: حاشية «صحيح الأدب المفرد» (ص:١٣٤).

(٢) «شرح صحيح الأدب المفرد» (١/ ٤٢٢).

(٣) «فضل الله الصمد» (١/ ٣٠٤).

(٤) «الأدب المفرد» للبخاري برقم (٣٢٩).

أضرار ومثالب الفضح وكشف العورات:

١- فضح الأسرار والأعراض اعتداء، والاعتداء محظور شرعًا.

٢- من فضح سر أخيه أو عورته فضحه الله في الدنيا والآخرة على رؤوس الأشهاد.

٣- الفاضح ممقوت، يتجنب الناس مجالسته ومخالطته.

٤- إذا وجد المجتمع قد نبذه ازداد حقدًا على الناس وانعكس ذلك قلقًا واضطرابًا في نفسه.

٥- إذا كثرت الفضائح في مجتمع ما فليتودع منه؛ إذ إنه أصبح مجتمعًا منحلًّا لا قيمة له(١).

فصل في ضوابط التعامل مع أخطاء البشر:

أولاً: لابد أن نقدم بين يدي الموضوع حقيقة مهمة تغيب عن كثير من الناس عند التعامل مع أخطاء البشر ألا وهي قوله ﷺ: «**كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**»(٢) فكلمة «كل» تفيد العموم لا تستثني أحدًا من بني آدم، ومن ثَمَّ فإذا ما وقع أحد من بني آدم في الخطأ، فلابد ألا تنظر إليه بمعزل عن هذا الأصل؛ إذ من لا يقع في الخطأ هم الملائكة؛

(١) «نضرة النعيم» (١١/ ٥٢٨٣).

(٢) ابن ماجه وحسنه الألباني.

إذ إنهم: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

ثانيًا: أن أفضل البشر بعد الأنبياء هم الصحابة وقد زكاهم ربهم فقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠] فالحق سبحانه وتعالى رضي عنهم فدل ذلك على عظيم منزلتهم عنده.

هؤلاء الأفاضل وقع بعضهم في المعاصي، فمنهم من زنى وأقيم عليه الحد، قال تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢].

ومنهم من سرق ونزل فيه قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

[المائدة: ٣٨].

ومنهم من رمى المحصنات ونزل فيه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً﴾ [النور: ٤].

ووقوعهم في المعاصي دليل على بشريَّتهم، فإذا ما وقع واحد من الناس الآن في مثل ما وقع فيه هؤلاء الأفاضل، فإن الناس تذبحه بألسنتهم ويتناسون الطبيعة البشرية التي قد تدفعه لمثل هذه المعاصي؛ إذ إن الناس يتعاملون الآن مع المتدينين على أنهم ملائكة لا تخطئ، فإذا ما وقعوا في الخطأ سقطوا من أعين الناس، والفرق بيننا وبين

الصحابة أن الواحد منهم إذا وقع في المعصية ألهبته نارها، وأراد أن يطفئها، ويتطهر منها بإقامة الحد عليه، والنبي ﷺ تعامل مع هذه الحقيقة البشرية وليس أدل على ذلك من الآتي:

١- ما رواه عُمَر بْنُ الخَطَّابِ، أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللهِ، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ، فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: اللهُمَّ العَنْهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لاَ تَلْعَنُوهُ، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ**»(١).

فقد علَّم النبي ﷺ أصحابه أن الوقوع في المعصية لا يزيل مسمى الإيمان، ولا ينفي عن العاصي محبته لله ﷻ، ونهاهم عن لعنه وسبه.

٢- ما رواه بُرَيْدَة بْنُ الحصيب عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ مَاعِزَ بْنَ مَالِكٍ الْأَسْلَمِيَّ، أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَزَنَيْتُ، وَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ تُطَهِّرَنِي، فَرَدَّهُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَاهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ، فَرَدَّهُ الثَّانِيَةَ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: «**أَتَعْلَمُونَ بِعَقْلِهِ بَأْسًا، تُنْكِرُونَ مِنْهُ شَيْئًا؟**» فَقَالُوا: مَا نَعْلَمُهُ إِلَّا وَفِيَّ الْعَقْلِ مِنْ صَالِحِينَا فِيمَا نُرَى، فَأَتَاهُ الثَّالِثَةَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ أَيْضًا فَسَأَلَ عَنْهُ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُ لَا بَأْسَ بِهِ، وَلَا بِعَقْلِهِ، فَلَمَّا كَانَ الرَّابِعَةَ حَفَرَ لَهُ حُفْرَةً، ثُمَّ أَمَرَ

---

(١) البخاري (٦٧٨٠).

بِهِ فَرُجِمَ، قَالَ، فَجَاءَتِ الْغَامِدِيَّةُ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ فَطَهِّرْنِي، وَإِنَّهُ رَدَّهَا، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، لِمَ تَرُدُّنِي؟ لَعَلَّكَ أَنْ تَرُدَّنِي كَمَا رَدَدْتَ مَاعِزًا، فَوَاللهِ إِنِّي لَحُبْلَى، قَالَ: «**أَمَّا الآنَ فَلَا، فَاذْهَبِي حَتَّى تَلِدِي**» ، فَلَمَّا وَلَدَتْ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي خِرْقَةٍ، قَالَتْ: هَذَا قَدْ وَلَدْتُهُ، قَالَ: «**اذْهَبِي فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَفْطِمِيهِ**» ، فَلَمَّا فَطَمَتْهُ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي يَدِهِ كِسْرَةُ خُبْزٍ، فَقَالَتْ: هَذَا يَا نَبِيَّ اللهِ قَدْ فَطَمْتُهُ، وَقَدْ أَكَلَ الطَّعَامَ، فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَحُفِرَ لَهَا إِلَى صَدْرِهَا، وَأَمَرَ النَّاسَ فَرَجَمُوهَا، فَيُقْبِلُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِحَجَرٍ، فَرَمَى رَأْسَهَا فَتَنَضَّحَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِ خَالِدٍ فَسَبَّهَا، فَسَمِعَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ سَبَّهُ إِيَّاهَا، فَقَالَ: «**مَهْلًا يَا خَالِدُ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ**»، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا، وَدُفِنَتْ(١).

وهنا أيضًا ينهى النبي ﷺ خالدًا عن سبِّه للغامدية، ويبين له أنها تابت توبة لو تابها صاحب مكس (وهو جامع الضرائب بغير حق) لغفر له، وفي رواية: «**لو تابها سبعون رجلًا من أهل المدينة لغفر لهم**».

أما نحن فإننا نقيم على المعاصي ولا نبادر إلى التوبة بل ويبحث الواحد منا على دليل يؤيد ما هو عليه من المعاصي!! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) مسلم (١٦٩٥).

ثالثًا: أن كفار قريش عارضوا دعوة النبي ﷺ بشتى السبل، فقالوا: ساحر، وقالوا: كاهن، وقالوا: مجنون...إلخ ما قالوه، ولم يأت دليل أنهم أقاموا الدنيا ولم يقعدوها عند وقوع الصحابة في المعاصي، فلم نسمعهم مثلًا يعممون الحكم على كل الصحابة عندما زنى ماعز والغامدية، ولم نسمعهم يقولون: انظروا إلى أصحاب محمد ينزل عليهم القرآن ويسمعون ويرون نبيهم ومع ذلك يزني أحدهم ويسرق آخر، وينفرون من لم يدخل في الإسلام بنشر مثل هذه الأحداث في كل مكان، لم يفعلوا ذلك أما إعلام الآن، ومن في قلبه مرض وبغض للمتدينين فيحاول نشر هذه الأحداث لا لفضح أصحابها فقط وإنما لسحب الحكم على الفصيل المنتمي إليه بأسره فسبحان الله، وهذا فارق مهم بين أخلاق كفار قريش وأخلاق المسلمين الآن!!

رابعًا: ضوابط التعامل مع أخطاء البشر والشائعات تكون بالآتي:

١- **الضابط الأول:** التثبت من صحتها- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦] فإذا تبين صحتها ننتقل إلى الضابط الثاني وهو:

٢- **الضابط الثاني:** النظر إلى الدوافع التي أدت بالشخص إلى القول أو الفعل المخالف للشرع، فربما كان الدافع مقبولًا، ومثال ذلك ما رواه عمرو بن العاص قال: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل،

فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك فتيممت، ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «**يَا عَمْرُو، صَلَّيْتَ بِأَصْحَابِكَ وَأَنْتَ جُنُبٌ؟**» فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال وقلت: إني سمعت الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩] فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئًا(١).

فقد قبل النبي ﷺ فعل عمرو لما علم دافعه فإذا كان الدافع غير مقبول ننتقل إلى الضابط الثالث، وهو:

٣- **الضابط الثالث**: تقييم المخطئ: فإذا كان الفعل أو القول يشكل معصية توجب حدًّا، فإنه يطبق على صاحبه- هذا إذا كانت الحدود مطبقة في البلد الذي يقيم به المرء، فإذا كانت الحدود غير مطبقة فيجب عليه التوبة والاستغفار- أما إذا كانت المعصية لا تشكل حدًّا فننظر إلى صاحبها فإن كانت حسناته ترجح على سيئاته عفونا عنه، وإن كانت سيئاته ترجح على حسناته حاسبناه عليها، والدليل على ذلك ما رواه علي ابن أبي طالب رضي الله عنه: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالمِقْدَادَ، فَقَالَ: «**انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ** ـ الروضة: الحديقة ـ **فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً** ـ الظعينة: المرأة الشابة المسافرة ـ **مَعَهَا كِتَابٌ، فَخُذُوه مِنْهَا**» قَالَ: فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، قُلْنَا لَهَا:

---

(١) أبو داود (٣٣٤)، وصححه الألباني.

أَخْرِجِي الكِتَابَ، قَالَتْ: مَا مَعِي كِتَابٌ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الكِتَابَ، أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، قَالَ: فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا ـ أي من ضفائر شعرها ـ فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ، إِلَى نَاسٍ بِمَكَّةَ مِنَ المُشْرِكِينَ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، يَقُولُ: كُنْتُ حَلِيفًا، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ المُهَاجِرِينَ مَنْ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ قَرَابَتِي ـ أي يحمون أقاربه المسلمين الذين لم يهاجروا من مكة إلى المدينة ـ وَلَمْ أَفْعَلْهُ ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي، وَلاَ رِضًا بِالكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ**»، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، فَقَالَ: «**إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَى مَنْ شَهِدَ بَدْرًا فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**» فَأَنْزَلَ اللهُ السُّورَةَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: ١](١).

---

(١) البخاري (٤٢٧٤).

فالنبي ﷺ علم أمته التثبت، فقال: «**يا حاطب ما هذا؟**» مع أن الله ﷻ أخبره بأمر حاطب وبالرسالة التي أرسلها إلى قريش يخبرهم بعزم النبي فتح مكة، فلما لم يقتنع بالدافع وأراد عمر أن يقتله، بيّن لأصحابه الضابط الثالث: تقييم المخطئ بالنظر إلى ميزان حسنات وسيئات المرء في الدنيا، فلما وجد حاطبًا قد شهدِ بدرًا، وهذه حسنة لا تضاهيها حسنة، ولم يكن للفعل حد يستوجبه عفا عنه النبي ﷺ، فهل نحن الآن نتعامل مع ما تنقله وسائل الإعلام بمثل هذه الضوابط؟ فهل نتثبت قبل أن ننقل، فالأصل في المسلم حسن الظن لا إساءته، وذلك لأن الأصل براءة الذمة، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦] ونقل هذه الأخبار إشاعة للفاحشة.

الثاني: أنها تدخل تحت قوله ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ**»(١).

فمن نقل مثل هذه الأمور تتبع الله عورته فيفضحه ولو في جوف بيته. نسأل الله السلامة والعافية، وأن يسترنا بستره الجميل، وأن يعافينا من الذنوب، ويستر علينا العيوب (٢).

---

(١) ذكره السيوطي في «جامعه الصغير» وصححه الألباني.

(٢) انظر: مجلة التوحيد- العدد ٤٩٠ - شوال ١٤٣٣هـ.

إفشاء الأسرار وإذاعتها

إفشاء الأسرار وإذاعتها

الإفشاء لغة:

مصدر قولهم: أفشيت كذا أفشيه، وهو مأخوذ من مادة (ف ش و) التي تدل على الظهور، يقول ابن فارس: الفاء والشين والحرف المعتل كلمة واحدة وهي (تعني) ظهور الشيء، يقال: فشا الشيء: ظهر (١).

وقال **الجوهري**: يقال: فشا الخبر يفشو فُشُوًّا أي: ذاع، وأفشاه غيره: (أذاعه ونشره)، وتَفَشَّى الشيء: اتسع(٢).

وقال **الفيروزآبادي**: يقال: فشا خبره وعرفه وفضله فَشْوا وفُشُوًّا وفشيا أي انتشر، والفواشي ما انتشر من المال كالغنم السائمة والإبل وغيرها، وتفشاهم المرض، وتفشى بهم: كثر فيهم، والقرحة: اتسعت(٣).

وبهذا الذي ذكره الفيروزآبادي يتضح معنى قول ابن منظور: أن الفشو بمعنى الظهور عام في كل شيء وأن منه إفشاء السر (٤).

---

(١) «مقاييس اللغة» (ص:٨٤٦). ط. دار الفكر – لبنان.

(٢) «الصحاح» (٦/ ٢٤٥٥).

(٣) «القاموس المحيط» (فشا) (ص:١٧٠٣). ط. بيروت.

(٤) «لسان العرب» (فشا) ٣٤١٨) ط – دار المعارف وانظر: «نضرة النعيم» (٩/ ٩٤٩).

إفشاء السر اصطلاحًا:

قال الجاحظ: إفشاء السر: خلق مركب من الخرق و الخيانة، فإنه ليس بوقور من لم يضبط لسانه، ولم يتسع صدره لحفظ ما يستسر به [١].

وقال السفاريني: إفشاء السر نشره وإذاعته بين الناس، والسر هو ما يكتم في النفس[٢] كالسريرة.

وقال الكفوي: إفشاء السر[٣] يكون بالكتابة والإشارة والكلام.

أيها المسلم: اعلم أن من حق المسلم على أخيه المسلم أن يسكت عن أسراره التي بثها إليه ولا يبثها إلى غيره ألبتة، ولا إلى أخص أصدقائه، ولا يكشف شيئًا منها ولو بعد القطيعة والوحشة، فإن ذلك من لؤم الطبع وخبث الباطن، وكذلك عند الغضب، فإن من أفشى السر عند الغضب فهو اللئيم، بل له أن ينكره وإن كان كاذبًا، فليس الصدق واجبًا في كل مقام، فإنه كما يجوز للرجل أن يخفي عيوبه - عيوب نفسه وأسراره - وإن احتاج إلى الكذب، فله أن يفعل ذلك في حق أخيه، فإن أخاه نازل منزلته، وهما كشخص واحد لا يختلفان إلا بالبدن [٤].

---

(١) «تهذيب الأخلاق» (٣٠، ٣١) بتصرف عن «غذاء الألباب...».

(٢) بتصرف عن «غذاء الألباب شرح منظومة الآداب» (١/ ١١٥).

(٣) السابق نفس الصفحة.

(٤) «مختصر المهلكات» (ص:١٣٢).

لكن ما حكم إفشاء السر؟

قال الإمام الغزالي رحمه الله: هو منهي عنه؛ لما فيه من الإيذاء والتهاون بحق المعارف والأصدقاء، قال النبي ﷺ: «**إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِحَدِيثٍ ثُمَّ التَفَتَ، فَهِيَ أَمَانَةٌ**»(١).

وهو حرام إذا كان فيه إضرار، ولؤم إن لم يكن فيه إضرار(٢).

وقال السفاريني رحمه الله: ويحرم على كل مكلف إفشاء أي نشر وإذاعة سر، وهو ما يكتم كالسريرة وجمعه أسرار وسرائر، ولعله يحرم حيث أمر بكتمه، أو دلته قرينة على كتمانه، أو ما كان يكتم عادة ثم قال في «الرعاية»: إفشاء السر المضر (أي: هو المحرم)(٣).

وهل يجوز إفشاء السر بعد موت صاحبه؟

قال ابن بطال رحمه الله: الذي عليه أهل العلم أن السر لا يباح به إذا كان على صاحبه منه مضرة، وأكثرهم يقول: إنه إذا مات لا يلزم من كتمانه ما كان يلزم في حياته إلا أن يكون عليه فيه غضاضة(٤).

---

(١) رواه أبو داود، والترمذي وحسنه، وانظر: «صحيح الجامع» (٤٨٦)، و«الصحيحة» (١٠٩٠).

(٢) «الإحياء» (٣/ ١٧٧، ١٧٨).

(٣) «غذاء الألباب» (١/ ٩٠). ط. دار الكتب العلمية.

(٤) «فتح الباري» (١١/ ٩).

قال ابن حجر رحمه الله: الذي يظهر انقسام ذلك بعد الموت إلى ما يباح، وقد يستحب ذكره، ولو كرهه صاحب السر، كأن يكون فيه تزكية له من كرامة أو منقبة أو نحو ذلك، وإلى ما يكره مطلقًا وقد يحرم، وهو الذي أشار إليه ابن بطال، وقد يجب كأن يكون فيه ما يجب ذكره كحق عليه كان يعذر بترك القيام به فيرجى بعده إذا ذكر لمن يقوم به عنه أن يفعل ذلك(١).

ما هو الدافع إلى إفشاء السر ودلالته؟ ومن الأحق بأن تستودعه سرك؟

يقول الماوردي رحمه الله: اعلم أن كتمان الأسرار من أقوى أسباب النجاح، وأدوم لأحوال الصلاح.

وفي الاسترسال بإبداء السر دلائل على ثلاث أحوال مذمومة:

إحداها: ضيق الصدر، وقلة الصبر، حتى إنه لم يتسع لسر، ولم يقدر على صبر. وقال الشاعر:

إذا المرء أفشى سره بلسانه ولام عليه غيره فهو أحمق
إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه فصدر الذي يستودع السر أضيق

والثانية: الغفلة عن تفطن العقلاء، والسهو عن يقظة الأذكياء.

وقال بعض الحكماء: انفرد بسرك ولا تودعه حازمًا فيزل، ولا جاهلًا فيخون.

---

(١) السابق.

والثالثة: ما ارتكبه من الغرر، واستعمله من الخطر.

وقال **بعض الحكماء**: سرك من دمك، فإذا تكلمت به، فقد أرقته [١].

من الأحق بأن تستودعه سرك؟

أخي المسلم اعلم أن من الأسرار ما لا يستغنى فيه عن مطالعة صديق مساهم، واستشارة ناصح مسالم، فليختر العاقل لسره أمينًا إن لم يجد إلى كتمه سبيلًا، وليتحرَّ في اختيار من يأتمنه عليه ويستودعه إياه، فليس كل من كان على الأموال أمينًا كان على الأسرار مؤتمنًا، والعفة عن الأموال أيسر من العفة عن إذاعة الأسرار؛ لأن الإنسان قد يذيع سر نفسه بمبادرة لسانه، وسقط كلامه، ويشح باليسير من ماله، حفظًا له وضنًّا به، ولا يرى ما أضاع من سره كبيرًا في جنب ما حفظه من يسير ماله، مع عظم الضرر الداخل عليه.

فمن أجل ذلك كان أمناء الأسرار أشد تعززًا وأقل وجودًا من أمناء الأموال، وكان حفظ المال أيسر من كتم الأسرار؛ لأن أحراز الأموال منيعة، وأحراز الأسرار بارزة يذيعها لسان ناطق، ويشيعها كلام سابق.

ومن **صفات أمين السر**: أن يكون ذا عقل صادٍّ، ودين حاجز، ونصح مبذول، وود موفور، وكتومًا بالطبع، فإن هذه الأمور تمنع من الإذاعة، وتوجب حفظ الأمانة، فمن كملت فيه فهو عنقاء مغرب، وقيل في منثور

(١) «أدب الدنيا والدين» (٤٢٦).

الحكم: قلوب العقلاء حصون الأسرار وليحذر صاحب السر أن يودع سره من يتطلع إليه، ويؤثر الوقوف عليه، فإن طالب الوديعة خائن.

وقال صالح بن عبد القدوس:

لا تودع سرك إلى طالبه منك، فالطالب للسر مذيع، وليحذر كثرة المستودعين لسره، فإن كثرتهم سبب الإذاعة، وطريق إلى الإشاعة لأمرين:

أحدهما: أن اجتماع هذه الشروط في العدد الكثير معوز، ولابد إذا كثروا من أن يكون فيهم من أَخَلَّ ببعضها.

والثاني: أن كل واحد منهم يجد سبيلًا إلى نفي الإذاعة عن نفسه، وإحالة ذلك على غيره، فلا يضاف إليه ذنب، ولا يتوجه عليه عتب.

وقد قال بعض الحكماء: كلما كثرتْ خزان الأسرار زادت ضياعًا.

قال الشاعر:

فلا تنطق بسرك فكل سر إذا ما جاوز الاثنين فاشي

ثم لو سلم من إذاعتهم لم يسلم من إدلالهم واستطالتهم، فإن لمن ظفر بسر من فرط الإدلال وكثرة الاستطالة، ما إن لم يحجزه عنه عقل ولم يكفه عنه فضل، كان أشد من ذُلِّ الرِّقِّ وخضوع العبد، ولذلك قال بعض الحكماء: من أفشى سره، كثر عليه المتآمرون، فإذا اختار - وأرجو أن يوفق للاختيار، واضطر إلى استيداع سره كفي الاضطرار - وجب على

المستودع له أداء الأمانة فيه بالتحفظ والتناسي له حتى لا يخطر لـه ببـال ولا يدور به في خَلَدٍ، ثم يرى ذلك حرمة يرعاها ولا يدل إدلال اللئام(١).

وحكي أن رجلًا أسرّ إلى صديق له حديثًا ثم قال: أفهمت؟ قال: بـل جهلت، قال: أحفظت؟ قال: بل نسيت.

ويرى بعض العلماء أنه يجوز إفشاء السر من أجل المصلحة، أو من أجل دفع ضرر، واستدلوا على ذلك بما ذكره القـرآن الكـريم مـن إفشـاء يوسف عليه السلام بسر التـي راودتـه عـن نفسـه، وسـر النسـوة الـلاتي قطعـن أيديهن.

قال العز بن عبد السـلام: وإنمـا قـال يوسـف عليه السلام: ﴿هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾ [يوسف: ٢٦] ليدفع عـن نفسـه مـا تعـرض لـه - أو مـا يمكـن أن يتعرض له - من قتل أو عقوبة، وكـذلك قولـه: ﴿مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: ٥٠]، ليدفع التهمة عن نفسه، فإن الملك لو اتهمه لم يولّه، ولم يحمل على إحسان الولاية (٢).

---

(١) «أدب الدنيا والدين» للماوردي (٤٢٦ - ٤٢٩).

(٢) «نضرة النعيم» (٩/ ٣٩٤٧).

القرآن ينهى عن إفشاء الأسرار وإذاعتها:

• **جملة من الأدلة العامة في النهي عن إفشاء الأسرار:**

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٣، ٤].

معنى الآيتين: وإذ أسر النبي إلى زوجته حفصة بحديث مخصوص، فأخبرت عائشة فأخبر الله رسوله ﷺ بإفشاء حفصة سره، فأخبر حفصة ببعض ما أخبرت به، وترك بعضًا تكرمًا، فقالت: من أخبرك بهذا وهو سر، قال: أخبرني الله الذي لا تخفى عليه خافية، العليم بما خفي وظهر، الحكيم فيما شرع وقدر، إن تتوبا يا عائشة ويا حفصة إلى الله من الميل إلى ما كرهه الرسول ﷺ حيث حصل إفشاء سر الرسول ﷺ، وإن تتعاونا على الرسول ﷺ بما يكرهه فإن الله يتولاه وينصره وجبريل معه وكل صالح من المؤمنين في صفه، والملائكة أعوان له على من يؤذيه ويعاديه(١).

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟

---

(١) «التفسير الميسر» (ص: ٦٦٠).

أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٧].

أي: ولا تخونوا كل ما اؤتمنتم عليه من حقوق وواجبات وأسرار ومعاهدات وشروط ومعاقدات، وأنتم تعلمون أن هذا الفعل حرام وأنتم متعمدون فعله.

جملة من الأحاديث في ذم إفشاء السر والنهي عنه:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا**»(١).

يفضي إلى امرأته وتفضي إليه: يذكر تفاصيل ما يقع حال الجماع وقبله من مقدماته وهو من الكبائر.

ينشر سرَّها: يذكر للناس ما يجري بينه وبين زوجته في خلوته معها وأثناء الجماع.

وقال ابن حجر: عدّوا هذا كبيرة لما فيه من إيذاء المحكي عنه وغيبته وهتك ما أجمعت العقلاء على تأكد ستره وقبح نشره (٢).

---

(١) مسلم (١٤٣٧).

(٢) «الزواجر» (٢/ ٥٤).

ما يستفاد من الحديث:

تحريم إفشاء الرجل ما يجري بينه وبين زوجته من أمور الاستمتاع ووصف تفاصيل ذلك؛ فمن حقوق الزوجة على زوجها عدم إفشاء أسرارها.

وعن معتمر بن سليمان قال: سمعت أبي قال: سمعت أنس بن مالك: أسر إليَّ النبي ﷺ سرًّا فما أخبرت به أحدًا بعده ولقد سألتني أم سليم فما أخبرتها به [1].

قال ابن حجر رحمه الله: قال بعض العلماء كأن هذا السر كان يختص بنساء النبي ﷺ، وإلا فلو كان من العلم ما وسع أنسًا كتمانه[2].

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ غَسَّلَ مَيِّتًا، فَأَدَّى فِيهِ الْأَمَانَةَ، وَلَمْ يُفْشِ عَلَيْهِ مَا يَكُونُ مِنْهُ عِنْدَ ذَلِكَ، خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ** ...» الحديث [3].

وَعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: اجْتَمَعَ نِسَاءُ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يُغَادِرْ مِنْهُنَّ امْرَأَةً،

---

(١) البخاري (٦٢٨٩)، ومسلم (٢٤٨٢) واللفظ للبخاري.

(٢) «فتح الباري» (١١/ ٩٥).

(٣) رواه أحمد (٦/ ١١٩ - ١٢٠) بسند فيه ضعف، وذكر الهيثمي في «مجمع الزوائد» شواهد له، ورواه الحاكم (١/ ٣٥٤)، وقال: صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي.

فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِشْيَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**مَرْحَبًا بِابْنَتِي**» فَأَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَبَكَتْ فَاطِمَةُ، ثُمَّ إِنَّهُ سَارَّهَا فَضَحِكَتْ أَيْضًا، فَقُلْتُ لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ، فَقُلْتُ لَهَا حِينَ بَكَتْ: أَخَصَّكِ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحَدِيثِهِ دُونَنَا، ثُمَّ تَبْكِينَ؟ وَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَتَّى إِذَا قُبِضَ سَأَلْتُهَا فَقَالَتْ: إِنَّهُ كَانَ حَدَّثَنِي: «**أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ بِالْقُرْآنِ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارَضَهُ بِهِ فِي الْعَامِ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أُرَانِي إِلَّا قَدْ حَضَرَ أَجَلِي، وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِي لُحُوقًا بِي، وَنِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ**»، فَبَكَيْتُ لِذَلِكَ، ثُمَّ إِنَّهُ سَارَّنِي، فَقَالَ: «**أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ**». فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ (١).

وَعَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما، يُحَدِّثُ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، حِينَ تَأَيَّمَتْ - أي: مات عنها زوجها - حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَتُوُفِّيَ بِالْمَدِينَةِ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: أَتَيْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ، فَقَالَ: سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ لَقِيَنِي، فَقَالَ: قَدْ بَدَا لِي أَلَّا أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا، قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ، فَقُلْتُ: إِنْ

---

(١) البخاري (٣٦٢٣، ٣٦٢٤)، ومسلم (٢٤٥٠).

شِئْتَ زَوَّجْتُكَ حَفصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، وَكُنْتُ أَوْجَدَ عَلَيْهِ - أي: أكثر غضبًا منه - مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ شَيْئًا؟ قَالَ عُمَرُ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ عَلَيَّ، إِلَّا أَنِّي كُنْتُ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ ذَكَرَهَا، فَلَمْ أَكُنْ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَوْ تَرَكَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَبِلْتُهَا (١).

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: رَكِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَغْلَتَهُ، وَأَرْدَفَنِي خَلْفَهُ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا تَبَرَّزَ كَانَ أَحَبَّ مَا تَبَرَّزَ فِيهِ هَدَفٌ يَسْتَتِرُ بِهِ، أَوْ حَائِشُ نَخْلٍ، فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَإِذَا فِيهِ نَاضِحٌ(٢) لَهُ. فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ، حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ(٣) وَسَرَاتَهُ، فَسَكَنَ فَقَالَ: «**مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ؟**» فَجَاءَ شَابٌّ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: أَنَا، فَقَالَ: «**أَلا تَتَّقِي اللهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللهُ إِيَّاهَا، فَإِنَّهُ شَكَاكَ إِلَيَّ وَزَعَمَ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ**(٤)» ثُمَّ ذَهَبَ

---

(١) البخاري (٩/ ١٥٢) مع «الفتح».

(٢) البعير يستسقى عليه.

(٣) الذفرى من الإنسان والحيوان: العظم الشاخص خلف أذنه. والسراة من كل شيء ظهره وأعلاه.

(٤) أي: تتعبه.

رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فِي الْحَائِطِ فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ تَوَضَّأَ، ثُمَّ جَاءَ وَالْمَاءُ يَقْطُرُ مِنْ لِحْيَتِهِ عَلَى صَدْرِهِ، فَأَسَرَّ إِلَيَّ شَيْئًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا، فَحَرَّجْنَا عَلَيْهِ(١) أَنْ يُحَدِّثَنَا، فَقَالَ: لَا أُفْشِي عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ سِرَّهُ حَتَّى أَلْقَى اللهَ تعالى (٢).

ما يستفاد من الأحاديث:

حرص الصحابة على عدم إفشاء سر رسول الله ﷺ، فأين نحن من هؤلاء الكرام؟!

أشعار قيلت في ذم إفشاء السر والأمر بكتمانه:

قال كعب بن سعد الغنوي:

ولست بمبدٍ للرجال سريرتي ... ولا أنا عن أسرارهم بسؤول

وقال آخر:

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت ... عنه ملوك بني مروان إذ جهدوا
ما زلت أسعى عليهم في ديارهم ... والقوم في غفلة بالشام قد رقدوا
حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا ... من نومة لم ينمها قبلهم أحد
ومن رعى غنمًا في أرض مُسْبَعَةٍ ... ونام عنها تولى رعيها الأسد

---

(١) فحرجنا عليه: أي: ألححنا عليه وضيقنا من الحرج وهو الضيق.

(٢) «المسند» (٣/ ١٧٥٤) بتحقيق العلامة أحمد شاكر.

ومن أحسن ما قيل في كتمان السر قول الشاعر:

ولها سرائر في الضمير طويتها نسي الضمير بأنها في طيه

وقد أجازه الشيخ شمس الدين البدوي فقال:

إني كتمت حديث ليلى لم أبح يومًا بظاهره ولا بخفيه
وحفظت عهد ودادها متمسكًا في حبها برشاده أو غيه
ولها سرائر في الضمير طويتها نسي الضمير بأنها في طيه(١)

وقال آخر في ذم إفشاء السر:

إذا ما ضاق صدرك عن حديث وأفشته الرجال فمن تلوم
وإن عاتبت من أفشى حديثي وسِرِّي عنده فأنا الملوم

وقال آخر:

إذا ما غفرت الذنب يومًا لصاحب فلست معيدًا ما حييت له ذكرا
ولست إذا ما صاحب خان عهده وعندي له سر مذيعا له سرّا

وأين هذا من قول القائل:

ولا تودع الأسرار أذني فإنما تصبن ماء في إناء مُثَلّم

أو القائل:

ولا أكتم الأسرار لكن أذيعها ولا أدع الأسرار تغلو على قلبي
وإن قليل العقل من بات ليله تقلبه الأسرار جنبا إلى جنب(٢)

---

(١) «المستطرف» (ص:٢٧٦، ٢٧٧).

(٢) السابق (ص:٢٧٨).

وقال آخر:

إذا المـرء أفشـى سـره بلسـانه ... ولام عليـه غيـره فهـو أحمـق

وقال آخر:

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه ... فصدر الذي يستودع السر أضيق(١)

وقال أكثم بن صيفي: إن سرك من دمك، فاحذر أن تريقه.

وقال الشاعر:

وسـرك مـا كـان عنـد امـرئ ... وسـر الثلاثـة غيـر الخفـي

وقال آخر:

فـلا تخبـر بسـرك فكـل سـر ... إذا مـا جـاوز الاثنـين فاشـي

وقد ذكر من أضجره كتم الأسرار وأنها تغلي في قلبه غليان النار:

ولا أكـتم الأسـرار لكـن أبثهـا ... ولا أدع الأسـرار تقتلنـي غمـا

وأن سخيف الرأي من بـات ليلـه ... حزينـا بكتمـان كـأن بـه حمـى

وفي بثـك الأسـرار للقلـب راحـة ... وتكشف بالإفشاء عن قلبك الهما(٢)

وقال أنس بن أسيد:

ولا تفـش سـرك إلا إليـك ... فـإن لكـل نصـيح نصـيحا

فـإني رأيـت وشـاة الرجـال ... لا يتركـون أديمًـا صـحيحا(٣)

---

(١) «غذاء الألباب» (١/ ٩١).

(٢) «غذاء الألباب» (١/ ٩٢).

(٣) «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص:٤٢٥).

بل لقد بالغ أحدهم فقال حتى في كتمان السر عن الجماد وعدم إفشائه:

لا تودعن ولا الجماد سريرة فمن الجوامد ما يشير وينطق
وإذا الْمُحَكُّ أذاع سر أخ له وهو الجماد فمن به يستوثق(١)

أقوال سلفية في ذم إفشاء الأسرار:

قال السفاريني رحمه الله:

قال الحكماء: ثلاثة لا ينبغي للعاقل أن يقدم عليها: شرب السم للتجربة، وإفشاء السر إلى القرابة والحاسد وإن كان ثقة، وركوب البحر وإن كان فيه غِنًى.

وقال أيضًا: ويروى: أصبر الناس من لا يفشي سره إلى صديقه مخافة التقلب يومًا ما(٢).

وقال بعض الحكماء: القلوب أوعية الأسرار، والشفاه أقفالها، والألسن مفاتيحها فليحفظ كل منكم مفاتيح سره (٣).

وقال الغزالي رحمه الله: وقال الحسن: إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك.

---

(١) «غذاء الألباب» (١/ ٩٢).

(٢) «غذاء الألباب» (١/ ٩١).

(٣) السابق نفس الصفحة.

ويروى أن معاوية رضي الله عنه أسر إلى الوليد بن عتبة حديثًا، فقال لأبيه: يا أبت إن أمير المؤمنين أسر إلي حديثًا وما أراه يطوي عنك ما بسطه إلى غيرك؟ قال: فلا تحدثني به فإن من كتم سره كان الخيار إليه ومن أفشاه كان الخيار عليه، قال: فقلت: يا أبت وإن هذا ليدخل بين الرجل وبين ابنه؟ فقال: لا والله يا بني، ولكن أحب أن لا تُذَلِّلَ لسانك بأحاديث السر، قال: فأتيت معاوية فأخبرته فقال: يا وليد أعتقك أبوك من رق الخطأ، فإفشاء السر خيانة(١).

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما أفشيت سري إلى أحد قط فأفشاه، فلمته إذا كان صدري به أضيق (٢).

وقال **الأحنف بن قيس**: يضيق صدر الرجل بسره، فإذا حدث به أحدًا قال: اكتمه علي (٣).

وقيل: من حصن سره فله بتحصينه خصلتان: الظفر بحاجته والسلامة من السطوات.

وقيل: كتمان الأسرار يدل على جواهر الرجال، وكما أنه لا خير في آنية لا تمسك ما فيها، فكذلك لا خير في إنسان لا يمسك سره (٤).

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٣/ ١٧٧، ١٧٨).

(٢) «المستطرف» (ص:٢٧٧).

(٣) «المستطرف» نفس الصفحة.

(٤) «المستطرف» (٢٧٧).

وقال صالح بن عبد القدوس: لا تودع سرك إلى طالبه، فالطالب للسر مذيع، ولا تودع مالك عند من يستدعيه، فالطالب للوديعة خائن[١].

وقال علي بن أبي طالب ﵁: سرك أسيرك، فإن تكلمت به صرت أسيره[٢].

وقال بعض الحكماء لابنه: يا بني كن جوادًا بالمال في موضع الحق، ضنينا بالأسرار عن جميع الخلق، فإن أحمد جود المرء الإنفاق في وجه البر، والبخل بمكتوم السر[٣].

هذا ولتعلم أخي المسلم أن لإفشاء الأسرار أضرارًا يجب الحذر منها... من هذه الأضرار:

١- إفشاء السر دليل الغفلة عن تفطن العقلاء والسهو عن يقظة الأذكياء.

٢- إفشاء السر خيانة للأمانة ونقض للعهد.

٣- إفشاء السر دليل على لؤم الطبع وفساد المروءة.

٤- إفشاء السر دليل على قلة الصبر وضيق الصدر.

---

(١) نفس المصدر.

(٢) «أدب الدنيا والدين» (ص:٤٢٥).

(٣) نفس المصدر.

٥- إفشاء السر – خاصة عند الغضب- يعقب الندم والحسرة في نفس صاحبه.

٦- إفشاء الأسرار إخلال بالمروءة وإفساد للصداقة ومدعاة للتنافر.

٧- إفشاء الرجل سر امرأته، وإفشاء المرأة سر زوجها يجعل كلا منهما بمثابة الشيطان، ويخل بفضيلة الحياء.

٨- إفشاء السر من فضول الكلام الذي يعاب عليه صاحبه.

٩- إفشاء السر من مقتضيات الجهل كما أن حفظه من سمة العقلاء.

١٠ – في إذاعة السر ما يجلب العار والفضيحة للمفشي عندما يعرف بذلك من استودعه هذا السر.

١١- إفشاء السر فيه ذل لصاحبه.

١٢- إفشاء السر- خاصة ما يتعلق بالميت - يعرض صاحبه لعذاب الله.

١٣- إفشاء السر يدخل صاحبه النار في الآخرة ويعقب الندم والحسرة في الدنيا.

١٤- مُفشي الأسرار من أشر الناس (١).



---

(١) «نضرة النعيم» (٩/ ٣٩٥٧).

النجوى

النجوى

النجوى لغة:

قال ابن منظور رحمه الله: والنَّجْوَى والنَّجِيُّ: السِّرُّ. والنَّجْوُ: السِّرُّ بَيْنَ اثْنَيْنِ، يُقَالُ: نَجَوْتُه نَجْواً أَي سارَرْته، وَكَذَلِكَ ناجَيْتُه، وَالِاسْمُ النَّجْوى، وناجى الرجل مناجاة ونجاء: ساره وانتجى القوم وتناجوا: تسارُّوا.

والنَّجْوَى والنَّجِيُّ: المتناجون أي: المُتسارُّون، وَفُلَانٌ نجِيُّ فُلَانٍ أَي: يُنَاجِيهِ دُونَ مَنْ سِوَاهُ. وفي التنزيل العزيز: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ [يوسف: ٨٠] أي: اعتزلوه مناجين، والجمع أنجية.

وفي الحديث: «**لاَ يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ**»، وفي رواية: «**لَا يَنْتَجِي اثْنَانِ دُونَ صَاحِبِهِمَا**» أي: لا يتساران منفردين عنه؛ لأن ذلك يسوؤه(١).

والنجوى: مأخوذة من مادة (ن، ج، و) التي تدل على الستر والخفاء، ومن هذا المعنى: قيل: النجو والنجوى: السر بين اثنين، يقال: ناجيته وتناجوا وانتجوا، وهو نجي فلان والجمع أنجية، وانتجيته: أي: اختصصته بمناجاتي(٢).

---

(١) «لسان العرب» (١٥/ ٣٠٨).

(٢) «مقاييس اللغة» (ص:١٠١٥) ط. دار الفكر بيروت- لبنان.

وقال الراغب الأصفهاني رحمه الله: نجو: أصل النجاء الانفصال من الشيء، ومنه نجا فلان من فلان وأنجيته ونجيته، والنجو والنجاة: المكان المرتفع المنفصل بارتفاعه عما حوله، وناجيته: أي: ساررته، وأصله أن تخلو به في نجوة من الأرض، وقيل: أصله من النجاة وهو أن تعاونه على ما فيه خلاصه، أو أن تنجو بسرك من أن يطلع عليك، والنجوى أصله المصدر قال تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [الأنبياء: ٣] تنبيهًا أنهم لم يظهروا بوجه؛ لأن النجوى ربما تظهر بعد، وقال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧].

وقد يوصف بالنجوى فيقال: هو نجوى وهم نجوى، قال تعالى: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٤٧].

والنجي: المناجي: ويقال للواحد والجمع، قال تعالى: ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا﴾ [يوسف: ٨٠]وانتجيت فلانًا: استخلصته لسري (١).

أما النجوى اصطلاحًا:

فهي كما قال الإمام القرطبي رحمه الله: السر بين الاثنين، وتكون أيضًا بمعنى المسارة (بين اثنين أو أكثر)، وقيل: (النجوى: ما يكون من خلوة

(١) «المفردات في غريب القرآن» (ص:٤٨٦). مادة- نجو.

اثنين أو أكثر يسرون شيئًا ويتناجون به، والسِّرَار ما كان بين اثنين(١).

حكم التناجي:

يختلف حكم النجوى باختلاف الأمر المتناجى فيه، فإن كان أمرًا بمعروف أو نهيًا عن منكر، فهذا لا شيء فيه، وقد استثنى المولى ﷻ من فعل ذلك من انعدام الخيرية الغالبة على النجوى فقال: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤] فيما عدا ذلك، فالتسَارُّ خصوصًا في وجود الآخرين أمر مذموم يسول به الشيطان ويوقع سوء الظن بين الناس، مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [المجادلة: ٨].

وقد نزلت هذه الآيات في اليهود والمنافقين، وقد اشتملت آية أخرى على المحمود والمذموم من التناجي فقال ﷻ ناهيًا عن التناجي المذموم وآمرًا بالتناجي المحمود: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ

(١) «تفسير القرطبي» (٥/ ١٧، ٨٨، ١١٤).

تُحۡشَرُونَ ﴾ [المجادلة: ٩]، وعلى النوع الأول يحمل قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾ [المجادلة: ١٠] أي: من تزيينه وغوايته ولا يكون ذلك منه إلا فيما يؤذي المؤمنين (١).

الآيات والأحاديث الواردة في ذم النجوى:

• **أولاً: الآيات:**

قال الله تعالى: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ ...﴾ [النساء: ١١٤].

أقوال المفسرين في الآية:

قال السعدي رحمه الله: أي: لا خير في كثير مما يتناجى به الناس ويتخاطبون، وإذا لم يكن فيه خير، فإما لا فائدة فيه كفضول الكلام المباح، وإما شر ومضرة محضة كالكلام المحرم بجميع أنواعه(٢).

قال ابن كثير رحمه الله: ﴿لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ﴾ يعني: كلام الناس ﴿إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: إلا نجوى من قال ذلك(٣).

---

(١) «نضرة النعيم» (١١/ ٥٥٩٩).

(٢) «تفسير السعدي» (١/ ٣٢٧).

(٣) «مختصر صحيح تفسير ابن كثير» (١/ ٣٦٥).

قال الجزائري رحمه الله **عند تفسير الآية:** يخبر تعالى أنه لا خير في كثير من أولئك المتناجين ولا في نجواهم لنفاقهم وسوء طواياهم اللهم إلا في نجوى أمر أصحابها بصدقة تعطى لمحتاج إليها من المسلمين أو معروف استحبه الشارع أو أوجبه من البر والإحسان أو إصلاح بين الناس للإبقاء على الألفة والمودة بين المسلمين... (١).

وقال في «التفسير الميسر» عند تفسير الآية: أكثر الناس لا خير في كثير مما يسرونه ويتحدثون به بينهم، لكن من تحدث وأمر بصدقة في سبيل الله عز وجل أو قال خيرًا ينفع نفسه وينفع غيره، أو أصلح بين المتخاصمين من المسلمين، وأراد بذلك وجه الله عز وجل فالله سوف يأجره الأجر العظيم، وسوف يدخر له الثواب الجزيل على حسن فعله وعظيم أثره (٢).

ما يستفاد من الآية:

١- حرمة تناجي اثنين دون الثالث لثبوت ذلك في السنة.

٢- الاجتماعات السرية لا خير فيها إلا اجتماعًا كان لجمع صدقة، أو لأمر بمعروف أو إصلاح بين متنازعين من المسلمين مختلفين (٣).

---

(١) «أيسر التفاسير» (١/ ٢٩٥).

(٢) (ص:١٢٥).

(٣) انظر: «أيسر التفاسير» (١/ ٢٩٦).

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾، وذكر الآيات إلى قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المجادلة: ٨، ٩].

أقوال المفسرين في الآيتين:

قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ﴾: هم اليهود.

وقوله تعالى: ﴿وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ﴾: أي: يتحدثون فيما بينهم بالإثم وهو ما يختص بهم ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾، وهو ما يتعلق بغيرهم، ومنه معصية الرسول ومخالفته يصرون عليها ويتواصون بها، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ عن عائشة قالت: دخل على(١) رسول الله ﷺ يهود فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم، فقالت عائشة: وعليكم السام، قالت: فقال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ**» قلت: ألا تسمعهم يقولون: السام عليك؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أَوَلَمْ تَسْمَعِي أَنِّي أَرُدُّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَأَقُولُ: وَعَلَيْكُمْ**» فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ [المجادلة: ٨].

---

(١) هذا في الصحيح بنحوه رواه: البخاري (٢٩٣٥)، وأطرافه، ومسلم (٢١٦٥).

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ [المجادلة: ٨] أي: يفعلون هذا، ويقولون ما يحرفون من الكلام وإيهام السلام، وإنما هو شتم في الباطن، ومع هذا يقولون في أنفسهم: لو كان هذا نبيًّا لعذبنا الله بما نقول له في الباطن؛ لأن الله يعلم ما نسره، فلو كان هذا نبيًّا حقًّا لأوشك أن يعاجلنا الله بالعقوبة في الدنيا، فقال الله تعالى: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي: جهنم كفايتهم في الدار الآخرة: ﴿يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ .

عن عبد الله بن عمرو أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: السام عليكم، ثم يقولون في أنفسهم: لولا يعذبنا الله بما نقول؟ فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المجادلة: ٨][(١)] .

ثم قال الله تعالى مؤدبًا عباده المؤمنين ألَّا يكونوا مثل الكفرة والمنافقين؛ فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ [المجادلة: ٩] أي: كما يتناجى به الجهلة من كفرة أهل الكتاب ومن مالأهم على ضلالهم من المنافقين ﴿وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ أي: فيخبركم بجميع أعمالكم وأقوالكم التي أحصاها عليكم وسيجزيكم بها.

---

(١) رواه أحمد (٢/ ١٧٠).

عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ المَازِنِيِّ(١)، قَالَ: كُنْتُ آخِذًا بِيَدِ ابْنِ عُمَرَ إِذْ عَرَضَ لَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ يُدْنِي المُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمُنَافِقُ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ:** ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: ١٨]»(٢).

قال في «التفسير الميسر» عند تفسير الآيتين:

ألم تر - أيها النبي - إلى اليهود الذين نهاهم الله عن الكلام سرًّا بما يثير الشك عن المسلمين ويورث الريبة منهم، ثم يرجعون إلى ما نهاهم الله عنه، ويتكلمون سرًّا بالسوء، متجاوزين الحد في الظلم والاعتداء، وإذا أتاك اليهود أيها النبي - حيوك بتحية أخرى غير ما سنّه الله لك من تحية، وهو قولهم: «السام عليك» أي: الموت عليك، ثم يقولون: لماذا لا يعاقبنا الله بهذا الكلام إن كان محمد رسولًا من عند الله؟ فأخبر الله أنه أجل عذابهم لنار جهنم شديدة الحر، فهي بئس الدار، وأقبح بها من قرار

---

(١) رواه البخاري (٤٦٨٥)، ومسلم (٢٧٦٨).

(٢) «مختصر صحيح تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٤٠- ٤٤٢).

للكفار.

وقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَـٰجَيْتُمْ ... ﴾ [المجادلة: ٩]...الآية أي: أيها المؤمنون، إذا تكلمتم سرًّا فإياكم وما حرم الله من القول، سواء بما هو فاحش في نفسه وما فيه ظلم للناس، أو مخالفة للرسول ﷺ وتكلموا بما فيه صلاح وخير ونفع، والبر، وما فيه طاعة، والتقوى وترك المعصية، وخافوا الله باتباع رسول الله ﷺ وفعل أوامره واجتناب نواهيه فالله وحده سبحانه مرجعكم تعودون إليه؛ ليجازيكم على أعمالكم(١).

ما يستفاد من الآيتين:

١- حرمة التناجي بغير البر والتقوى.

٢- لا يجوز أن يتناجى اثنان دون الثالث لما يوقع ذلك في نفس الثالث من حزن، لا سيما إن كان ذلك في سفر أو في حرب وما إلى ذلك (٢).

الآية الثالثة:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المجادلة: ١٠].

---

(١) «التفسير الميسر» (ص:٦٤٣).

(٢) «أيسر التفاسير» (٢/ ١٥٩٦، ١٥٩٧).

قال الطبري رحمه الله: أي إنما المناجاة من الشيطان وعُنِي بذلك مناجاة المنافقين بعضهم بعضًا (١).

وقال **ابن كثير** رحمه الله **عند تفسير الآية**: أي: إنما النجوى: وهي المسارة حيث يتوهم مؤمن بها سوءًا: ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ يعني: إنما يصدر هذا من المتناجين عن تسويل الشيطان وتزيينه.

عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً، فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ صَاحِبِهِمَا، فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ**»(٢) (٣).

قال في «التفسير الميسر» عند تفسير الآية: إن التكلم سرًّا بالإثم والعدوان من وسوسة الشيطان ومعصية للرحمن؛ ليدخل الحزن على أهل الإيمان ولن يؤذي المؤمنين ذلك إلا بإرادة الله وحده... (٤).

الآية الرابعة:

قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [الأنبياء: ٣].

---

(١) «جامع البيان» (٢٨/ ١٦).

(٢) البخاري (٦٢٩٠)، ومسلم (٢١٨٤).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٤١، ٤٤٢).

(٤) (ص:٦٤٣).

قال ابن كثير رحمه الله: أي: قائلين فيما بينهم خفية: ﴿هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣] يعنون رسول الله ﷺ يستبعدون كونه نبيًّا...[(١)].

• **الأحاديث الواردة في ذم النجوى:**

- عَنْ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِذَا كُنْتُمْ ثَلاَثَةً، فَلاَ يَتَنَاجَى رَجُلاَنِ دُونَ الآخَرِ حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ، أَجْلَ أَنْ يُحْزِنَهُ**»[(٢)].

- وعَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا قِسْمَةً، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللهِ، قُلْتُ: أَمَا وَاللهِ لَآتِيَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ فِي مَلَأٍ فَسَارَرْتُهُ، فَغَضِبَ حَتَّى احْمَرَّ وَجْهُهُ ثُمَّ قَالَ: «**رَحْمَةُ اللهِ عَلَى مُوسَى، أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ**»[(٣)].

- وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يَتَسَارَّ اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ**»[(٤)].

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُؤْذِي الْمُؤْمِنَ، وَاللهُ تَعَالَى يَكْرَهُ أَذَى**

---

(١) «مختصر صحيح تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٥٣).

(٢) رواه البخاري (٦٢٩٠)، ومسلم (٢١٨٤) واللفظ للبخاري.

(٣) رواه البخاري (٦٢٩١).

(٤) رواه أحمد (٢/ ١٧)، وقال العلامة أحمد شاكر (٦/ ٣٠٠): إسناده صحيح.

الْمُؤْمِنِ»(١).

- وروى أحمد في «مسنده» من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَتَنَاجَ اثْنَانِ دُونَ صَاحِبِهِمَا، وَلَا يُقِيمُ الرَّجُلُ أَخَاهُ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ»(٢).

الشرح: في هذه الأحاديث التنبيه إلى أدب من الآداب الهامة في العلاقات الأخوية بين الناس، وهو أنه إذا التقى ثلاثة، فلا يجوز أن يتناجى اثنان منهم ويتركوا الثالث وحده، لئلا يحزنه ذلك ويجد في نفسه عليهما؛ إذ ربما يظن أنهما يتناجيان بالكيد له، أو يتكلمان عنه بسوء، أو أنه ليس بثقة عندهما ولهذا حجبا عنه سرهما، ومن شأن هذا أن يفسد ما بين المسلمين من المودة وسلامة الصدر الواجب بينهم بحكم الأخوة الإيمانية.

قال الحافظ في «الفتح»: وفي رواية مالك عن عبد الله بن دينار: (كان ابن عمر إذا أراد أن يسارر رجلًا وكانوا ثلاثة دعا رابعًا ثم قال للاثنين: استريحا شيئًا فإني سمعت.. فذكر الحديث، وقد نقل ابن بطال عن أشهب عن مالك قال: لا يتناجى ثلاثة دون واحد ولا عشرة؛ لأنه قد نهى

---

(١) أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٦٤).

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ٤٥) وهو صحيح الإسناد عند أحمد شاكر (٧/ ١٠١).

أن يترك واحدًا قال: وهذا مستنبط من حديث الباب؛ لأن المعنى في ترك الجماعة للواحد كترك الاثنين للواحد، قال: وهذا من حسن الأدب لئلا يتباغضوا ويتقاطعوا ويستثنى من أصل الحكم ما إذا أذن من يبقى سواء كان واحدًا أم أكثر للاثنين في التناجي دونه أو دونهم، فإن المنع يرتفع لكونه حق من يبقى، وأما إذا انتجى اثنان ابتداء وثم ثالث كان بحيث لا يسمع كلامهما لو تكلما جهرًا فأتى ليستمع عليهما فلا يجوز كما لو لم يكن حاضرًا معهما أصلًا.

وقد أخرج البخاري في «الأدب المفرد» من رواية سعيد المقبري قال: «مررت على ابن عمر ومعه رجل يتحدث فقمت إليهما فلطم صدري وقال: إذا وجدت اثنين يتحدثان فلا تقم معهما حتى تستأذنهما» زاد أحمد في روايته من وجه آخر عن سعيد وقال: أما سمعت أن النبي ﷺ قال: «**إِذَا تَنَاجَى اثْنَانِ فَلَا يَدْخُلُ مَعَهُمَا غيرهما حَتَّى يَسْتَأْذِنَهُمَا**»(١). اهـ.

وقال النووي رحمه الله في «شرح مسلم»: وفي هذه الأحاديث: حديث ابن عمر: «**إِذَا كَانَ ثَلَاثَةٌ، فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ وَاحِدٍ**»، وحديث: «**إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الْآخَرِ، حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُحْزِنَهُ**».

قال: وفي هذه الأحاديث: النهي عن تناجي اثنين بحضرة واحد وهو

---

(١) «فتح الباري» (١١/ ٨٣).

نهي تحريم، فيحرم على الجماعة المناجاة دون واحد منهم إلا أن يأذن ومذهب ابن عمر رضي الله عنه ومالك وأصحابنا وجماهير العلماء: أن النهي عام في كل الأزمان وفي الحضر والسفر.

وقال بعض العلماء: إنما المنهي عنه المناجاة في السفر دون الحضر؛ لأن السفر مظنة الخوف، وادعى بعضهم أن هذا الحديث منسوخ، وأن هذا كان في أول الإسلام، فلما فشا الإسلام، وأمن الناس سقط النهي، وكان المنافقون يفعلون ذلك بحضرة المؤمنين ليحزنوهم، أما إذا كانوا أربعة فتناجى اثنان دون اثنين فلا بأس بالإجماع. والله أعلم.

وقال ابن عبد البر في «التمهيد»: التناجي: التسارّ، وذلك مكالمة الرجل أخاه عند أذنه بما يسره من غيره، والنهي إنما ورد كما ترى إذا كانوا ثلاثة، وأما إذا كانوا أربعة فما فوقهم فلا بأس به. اهـ[(١)].

من أضرار النجوى وعيوبها[(٢)] أنها:

١- مِنْ رَجْلِ الشيطان وخيله ليحزن المؤمنين.

٢- من عمل المنافقين وأعداء المسلمين من يهود وغيرهم.

٣- النجوى يمقتها الله عز وجل وينهى أن تكون بين المجتمع المسلم.

---

(١) انظر: «شرح النووي على صحيح مسلم» (٧/ ٣٩٩)، و«التمهيد» لابن عبد البر (١٠/ ٤٠١)، و«إهداء الديباجة في شرح سنن ابن ماجه» (٥/ ١٥٢).

(٢) «نضرة النعيم» (١١/ ٥٦٠٣).

٤- تشكل جيوب الغمز واللمز، ثم التفرقة والتمزق.

٥- هناك نجوى ممدوحة كالأمر بالصدقة أو بمعروف أو إصلاح بين الناس، فهي مستثناة من النجوى المذمومة.



المدح المذموم

المدح المذموم

وهو منهي عنه في بعض المواضع كما سيأتي بيانه والمدح يدخله ست آفات: أربع تتعلق بالمادح واثنتان تتعلق بالممدوح:

- **فأما المادح:**

فالأولى: أنه قد يفرط فينتهي به إلى الكذب.

قال خالد بن معدان: «من مدح إمامًا أو أحدًا- بما ليس فيه على رؤوس الأشهاد- بعثه الله يوم القيامة يتعثر بلسانه».

والثانية: أنه قد يدخله الرياء:

فإنه بالمدح مُظْهِرٌ للحب، وقد لا يكون مضمرًا ولا معتقدًا لجميع ما يقوله، فيصير به مرائيًا منافقًا.

والثالثة: أنه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له إلى الاطلاع عليه.

والرابعة: أنه قد يفرح الممدوح وهو ظالم فاسق، وذلك غير جائز قال الحسن: من دعا للظالم بطول البقاء، فقد أحب أن يُعصى الله في الأرض.

- **وأما الممدوح فيضره من وجهين:**

أحدهما: أنه يحدث فيه كِبْرًا وإعجابًا وهما مهلكان.

والثاني: وهو أنه إذا أثني عليه فرح وفتر ورضي عن نفسه وقلَّ تشميره للعمل [(١)].

- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: مَدَحَ رَجُلٌ رَجُلًا، عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: فَقَالَ: «**وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ** - مِرَارًا - **إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا صَاحِبَهُ لَا مَحَالَةَ، فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ فُلَانًا، وَاللهُ حَسِيبُهُ، وَلَا أُزَكِّي عَلَى اللهِ أَحَدًا أَحْسِبُهُ، إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَاكَ، كَذَا وَكَذَا**»[(٢)].

- وعَنْ هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ، أَنَّ رَجُلًا جَعَلَ يَمْدَحُ عُثْمَانَ، فَعَمِدَ الْمِقْدَادُ فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، وَكَانَ رَجُلًا ضَخْمًا، فَجَعَلَ يَحْثُو فِي وَجْهِهِ الْحَصْبَاءَ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ، فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِم التُّرَابَ**»[(٣)].

وفي رواية عن المقداد أيضًا: «**أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، أَنْ نَحْثِيَ فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَابَ**»[(٤)].

قال ابن بطال- رحمه الله تعالى: حاصل النهي أن من أفرط في مدح

---

(١) «موعظة المؤمنين» (٣١٥، ٣١٦).

(٢) البخاري (٩/ ٢٥)، ومسلم (٣٠٠٠).

(٣) البخاري (٢٢٧٩).

(٤) مسلم (٣٠٠٠، ٣٠٠٢).

آخر بما ليس فيه لم يأمن على الممدوح العُجْب، لظنه أنه بتلك المنزلة، فربما ضيع العمل والازدياد من الخير اتكالًا على ما وصف به؛ ولذلك تأول العلماء في الحديث: «**احْثُوا فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَابَ**» أن المراد من يمدح الناس في وجوههم بالباطل، وقال عمر رضي الله عنه: المدح هو الذبح (١).

الجائز من المدح:

أخي المسلم لا ريب عند كل مسلم حاذق فاهم أن المدح مرض وآفة معضلة من أمراض اللسان إذا كان المدح يعود على الممدوح بالفتنة أو فيه مبالغة، أما إذا لم يكن ذلك فلا بأس.

قال الإمام البخاري- رحمه الله تعالى: قَالَ سَعْدٌ: مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ لِأَحَدٍ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ: «**إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ إِلَّا لِعَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ**»(٢).

وحديث موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حِينَ ذَكَرَ فِي الإِزَارِ مَا ذَكَرَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ إِزَارِي يَسْقُطُ مِنْ أَحَدِ شِقَّيْهِ؟ قَالَ - أي: النبي ﷺ: «**إِنَّكَ لَسْتَ مِنْهُمْ**» ، فهذا جائز ومستثنى من الذي قبله بشرط ألا يكون المدح مبالغة، ويُؤْمن على

(١) «فتح الباري» (١٠/ ٤٧٧).

(٢) انظر: «فتح الباري»- باب من أثنى على أخيه بما يعلم (١٠/ ٤٧٨).

الممدوح الإعجاب والفتنة.

ومن جملة ذلك الأحاديث التي وردت في مناقب الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، ووصف كل واحد منهم بما وصف به من الأوصاف الجميلة كقوله ﷺ لعمر رضي الله عنه: «**مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا قَطُّ، إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ**» فمن مدح بما فيه فلا يدخل ذلك في النهي- فقد مدح النبي ﷺ في الشعر، والخطب، والمخاطبة، ولم يحث في وجه مادحه ترابًا(١).

وقال النبي ﷺ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «**مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ، فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ**»(٢).

وورد أيضًا: أن النبي ﷺ قال: «**أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي دِينِ اللهِ عُمَرُ - وَقَالَ عَفَّانُ مَرَّةً: فِي أَمْرِ اللهِ عُمَرُ - وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَقْضَاهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَإِنَّ أَمِينَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ**».

بل لقد قال الإمام النووي- رحمه الله تعالى: قد جاءت أحاديث كثيرة

---

(١) «الفتح» (١٠/ ٤٧٧).

(٢) صححه الشيخ مقبل في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (٥/ ٢٩٤).

في «الصحيحين» بالمدح في الوجه.

قال العلماء: ويمكن الجمع بينهم أن النهي محمول على المجازفة في المدح، والزيادة في الأوصاف أو على من يخاف من فتنته من إعجاب ونحوه إذا سمع المدح، وأما ما لا يخاف عليه ذلك لكمال تقواه ورسوخ عقله ومعرفته فلا نهي في مدحه في وجهه إذا لم يكن فيه مجازفة، بل إن كان يحصل بذلك مصلحة كنشطه للخير، والازدياد منه أو الدوام عليه والاقتداء به كان مستحبًّا. والله أعلم [١].

فعلى الممدوح أن يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب وآفة الفتور، ويتذكر أنه يعلم من نفسه ما لا يعلمه المادح، وأنه لو انكشف له جميع أسراره وما يجري على خواطره لكف المادح عن مدحه.

وكان علي رضي الله عنه إذا أثني عليه يقول: «اللهم اغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيرًا مما يظنون».

- **وعلى المادح ألا يجزم القول إلا بعد خبرة باطنة:**

سمع عمر رضي الله عنه رجلًا يثني على رجل فقال: أسافرت معه؟ قال: لا، قال: أخالطته في المبايعة والمعاملة؟ قال: لا، قال: أفأنت جاره صباحه ومساءه؟ قال: لا، فقال: والله الذي لا إله إلا هو لا أراك تعرفه [٢].

---

(١) «شرح النووي على مسلم» (١٨/ ١٢٦).

(٢) «موعظة المؤمنين» (٣١٦).

- **واقتداء بالمبعوث رحمة للعالمين ﷺ :**

فَعَنْ مُطَرِّفٍ، قَالَ: قَالَ أَبِي: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «**السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى**» قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: «**قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ**»(١).

يقولون: أنت أفضلنا مزية ومرتبة وعطاء، وأنت سيدنا: المستحق للسؤدد: أي: المجد والشرف، وهو ﷺ كذلك، وقال عن نفسه: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ**»، فقال لهم: لا يستعملنكم الشيطان فيما يريد من التعظيم للمخلوق بمقدار لا يجوز، وإنما قال لهم ذلك؛ لأنهم قوم حديثو عهد بالإسلام، وكانوا يحسبون أن السيادة بالنبوة بأسباب الدنيا، وكان لهم رؤساء يعظمونهم وينقادون لأمرهم، وقوله: «**قُولُوا بِقَوْلِكُمْ**» أي: بقول أهل دينكم، وملتكم، وادعوني نبيًّا ورسولًا كما سماني الله تعالى في كتابه، ولا تسموني سيدًا كما تسمون رؤساءكم وعظماءكم، ولا تجعلوني مثلهم، فإني لست كأحدهم؛ إذ كانوا ليسودونكم في أسباب الدنيا، وأنا أسودكم بالنبوة والرسالة، فسموني نبيًّا ورسولًا(٢).

---

(١) أبو داود (٤٨٠٦)، وصححه الألباني.

(٢) «عون المعبود»(١٣/ ١١١، ١١٢).

• **واقتداء بسلفنا الصالح- رحمهم الله تعالى:**

فعن عدي بن أرطاة قال: كان الرجل من أصحاب النبي ﷺ إذا زُكِّي- أي مُدِح- قال: اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واغفر لي ما لا يعلمون (١).

وقال رجل لعبد الله بن عمر: يا خير الناس، وابن خير الناس، فقال ابن عمر: ما أنا بخير الناس، ولا ابن خير الناس، ولكني عبد من عباد الله ﷻ أرجو الله ﷻ وأخافه، والله لن تزالوا بالرجل حتى تهلكوه (٢).

وعن عمرو بن عثمان الحمصي قال: حدثنا خالد بن يزيد، عن جعونة قال: دخل رجل على عمر بن عبد العزيز فقال: يا أمير المؤمنين، إن من قبلك كانت الخلافة لهم زينًا، وأنت زين الخلافة، فأعرض عنه(٣).

وقال رجل لميمون بن مهران رحمه الله: يا أبا أيوب ما يزال الناس بخير ما أبقاك الله لهم، فقال له ميمون: أقبل على شأنك أيها الرجل، فلا يزال الناس بخير ما اتقوا ربهم (٤).

---

(١) البخاري «الأدب المفرد» (٧٦١). وصححه الألباني.

(٢) «صفة الصفوة» (١/ ٢٠٤).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٥/ ١٣٦).

(٤) «تاريخ دمشق» (٦٤/ ٢٧٠).

ومر **حارثة بن بدر** بمجلس من مجالس قومه- بني تميم- ومعه كعب مولاه فكلما اجتاز بقوم قاموا إليه وقالوا: مرحبا بسيدنا، فلما ولَّى قال له كعب: ما سمعت كلامًا قط أقر لعيني، ولا ألذ بسمعي من هذا الكلام الذي سمعته اليوم، فقال له حارثة: لكني لم أسمع كلامًا قط أكره لنفسي وأبغض إليَّ مما سمعته ! قال: ولم؟ قال: ويحك يا كعب، إنما سوّدني قومي حين ذهب خيارهم وأماثلهم، فاحفظ عني هذا، ثم أنشده:

خلت الديار فسدت غير مسود ومن الشقاء تفردي بالسؤدد

وقال **الفضيل** رحمه الله: علامة الزاهد في الناس: إذا لم يحب ثناء الناس عليه، ولم يبال بمذمتهم، وإن قدرت ألَّا تعرف فافعل، وما عليك ألَّا تعرف، وما عليك ألَّا يثنى عليك؟

وما عليك أن تكون مذمومًا عند الناس، إذا كنت محمودًا عند الله ومن أحب أن يذكر لم يذكر، ومن كره أن يذكر ذكر.

وقال **يوسف بن أسباط** رحمه الله: ما عالج المتعبدون شيئًا أشد عليهم من اتقاء حب الثناء، وهم يريدون بذلك الناس.

وقال **وهب بن منبه**: إذا سمعت من يمدحك بما ليس فيك، فلا تأمنه أن يذمك بما ليس فيك(١).

وعن **علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب** رحمه الله: لا يقول رجل

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥٥٠).

في رجل من الخير ما لا يعلم إلا أوشك أن يقول فيه من الشر ما لا يعلم (١).



(١) «أدب السلف في التعامل مع الناس» (٨٢- ٨٥).

اللغــو

اللغو

اللغو لغة:

قال ابن منظور رحمه الله: اللغو واللَّغا: السقط وما لا يعتد به من كلام وغيره، ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع، يقال: لغوت باليمين، ولَغَا في القول يَلْغُو وَيَلْغَى لَغْوًا وَلَغِي- بالكسر- يَلْغَى لَغًا ومَلْغَاة: أخطأ وقال باطلًا.

قال رؤبة ونسبه ابن بري للعجاج:

ورب أسراب حجيج كُظَّم ... عن اللغا ورفث التكلم

قال الشافعي: اللغو في لسان العرب، الكلام غير المعقود عليه، وجماع اللغو هو الخطأ إذا كان اللجاج والغضب والعجلة، وقيل: معنى اللغو الإثم، واللغو في الأيمان: ما لا يعقد عليه القلب، مثل قولك: لا والله، وبلى والله.

واللغو: ما لا يعتد به لقلته أو لخروجه على غير جهة الاعتماد من فاعله، كقوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

ومنه قول عائشة رضي الله عنها: إن اللغو ما يجري في الكلام على غير عقد، وألغى: أسقط، واللاغية: اللغو.

وفي حديث سلمان: إياكم وملغاة أول الليل يريد بـه اللغـو. وكلمـة لاغية: فاحشة.

وفي التنزيل العزيز: ﴿لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً﴾ [الغاشـية: ١١] أي: كلمة ذات لغو. وقيل: كلمة قبيحة أو فاحشة، وقيل: باطلًا ومأثمًـا، وقيـل: شـتمًا، ولَغَا يلغو لغوًا: تكلم.

وفي الحديث « **مَنْ قَالَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالإِمَامُ يَخْطُـبُ لِصَـاحِبِهِ: صَـهْ، فَقَدْ لَغَا** » أي: تكلم، وقيل: فقد خاب، وألغيته أي: خيبته، وفي الحديث: «**وَمَنْ مَسَّ الْحَصَى فَقَدْ لَغَا**» أي: تكلم، وقيل: عدل عـن الصـواب، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ﴾ [الفرقان: ٧٢] أي: مرُّوا بالباطل.

اللغو اصطلاحًا:

قال المناوي: اللغو: ما تسبق إليه الألسنة من القول على غير عـزم أو قصد إليه.

وقال الجرجاني: اللغو: ضم الكلام ما هو سـاقط العبـرة منـه، وهـو الذي لا معنى له في حق ثبوت الحكم.

وقال الراغب: اللغو من الكلام ما لا يعتد بـه، وهـو الـذي يـورد لا عن روية وفكر فيجري مجـرى اللغـا (صـوت العصـافير ونحوهـا مـن الطيور) وقد يسمى كل كلام قبيح لغوًا.

وقال **الكفوي**: كل مطروح من الكلام لا يعتد به فهو لغو. أما لغو اليمين، فقد أوردت له كتب المصطلحات التعريفات الآتية:

يقول **الجرجاني**: لغو اليمين: هو أن يحلف على شيء ويرى الحالف أنه كذلك وليس هذا الشيء كما يرى في الواقع، هذا قول أبي حنيفة.

وقال **الشافعي**: هو ما لا يعقد الرجل قلبه عليه كقوله: لا والله، وبلى والله.

وقال **المناوي**: اللغو في الأيمان ما لا يعقد عليه القلب، وذلك ما يجري وصلًا للكلام بضرب من العادة كقولهم: كلا والله (وهذا يتفق مع رأى الشافعي- رضي الله عن الجميع).

ونخلص مما سبق أن اللغو قسمان:

الأول: لغو الكلام، وهو ما يراد باللغو عند الإطلاق.

الثاني: لغو اليمين، وهو ما لا يعقد عليه القلب (رأي الشافعي) أو الحلف على شيء مطابق لاعتقاد الحالف، لا للواقع(رأي أبي حنيفة)[١].

هل هناك فرق بين اللغو واللغط؟

أجاب عن هذا السؤال **الخليل** فقال: اللغط: كلام ليس من شأنك

(١) «نضرة النعيم» (١١/ ٥٥٢٢).

أن تتكلم فيه، واللغو: كلام بشيء لم ترده(١).

الآيات والأحاديث الواردة في ذم هذا المرض (اللغو) مع شرح يسير لها:

• أولاً: الآيات:

قال الله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٢٥].

أقوال المفسرين في الآية:

قال السعدي رحمه الله: أي: لا يؤاخذكم بما يجري على ألسنتكم من الأيمان اللاغية، التي يتكلم بها العبد من غير قصد منه ولا كسب قلب، ولكنها جرت على لسانه، كقول الرجل في عرض كلامه: «لا والله» و «بلى والله» وكحلفه على أمر ماض، يظن صدق نفسه، وإنما المؤاخذة على ما قصده القلب(٢) وفي هذا دليل على اعتبار المقاصد في الأقوال كما هي

---

(١) «التوقيف» (ص: ٢٩٠) نقلًا عن «نضرة النعيم» (١١/ ٥٥٢٢).

(٢) اختلفت المذاهب في تفسير يمين اللغو، فمن فسروها باليمين على الاعتقاد أو باليمين غير المقصودة، ذهبوا إلى أنها لا إثم فيها من حيث ذاتها ولا كفارة لها، لكن لما فسرها المالكية بمعنى شامل للمستقبل قالوا: إنها تكفر إذا كانت على مستقبل وحنث فيها، كما لو حلف أن يفعل كذا، أو لا يفعل كذا غدًا، وهو معتقد أن ما حلف على فعله سيحصل، وما حلف على عدم فعله لن يحصل، فوقع الخلاف (خلاف ما اعتقده)، وهم لا يخالفون الحنفية في ذلك، غير أن الحنفية: لا يسمون الحلف على المستقبل لغوًا كما تقدم.

=

معتبرة في الأفعال [١].

قال في «التفسير الميسر» عند تفسير الآية[٢]:

لا يعاقبكم الله بما يجري على اللسان من أيمان دون نية منكم، كقولكم: لا والله، وبلى والله، وإنما العقاب على من قصد الكذب؛ لأن الأعمال بالنيات، والله كثير العفو عظيم التجاوز واسع الرحمة يتوب على من تاب ويقبل من أناب ويتجاوز عن المسيء.

=

ومن فسرها باليمين على المعاصي اختلفوا، هل تكفر بالحنث أم لا تكفر؟ فمنهم من قال: لا كفارة لها؛ لقوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [المائدة:٨٩]؛ لأن المراد أن الله ﷻ لا يؤاخذ من حلف على المعصية إذا لم ينفذ ما حلف علته، وذلك أن التنفيذ حرام، واجتنابه واجب فإذا اجتنبه فقد أدى ما عليه، فلا يطالب بكفارة، ومنهم من قال: يجب على الحالف الحنث، وإذا حنث وجبت عليه الكفارة؛ لأن قوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [المائدة:٨٩] يراد به أن الله ﷻ لا يؤاخذ من حلف على المعصية إذا حنث ولم ينفذ، فلا يعاقبه على هذا الحنث، بل يوجبه عليه، ويأمره به، فإذا حنث وجب عليه التكفير؛ عملًا بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ [المائدة: ٨٩] فإن المراد به: أن ما ذكر هو كفارة الأيمان مطلقًا لغوًا ومعقودة. ينظر «الموسوعة الفقهية الكويتية» (٧/ ٢٩٠).

(١) «تفسير السعدي» (١/ ١٤٧).

(٢) «التفسير الميسر» (٤٩).

ما يستفاد من الآية:

١- لغو اليمين معفو عنه وله صورتان:

الأولى: أن يجري على لسانه لفظ اليمين وهو لا يريد أن يحلف نحو: «لا والله» و«بلى والله».

والثانية: أن يحلف على شيء يظنه كذا فيتبين خلافه، مثل أن يقول: «والله ما في جيبي درهم ولا دينار» وهو ظان أو جازم أنه ليس في جيبه شيء من ذلك، ثم يجده فهذه صورة لغو اليمين.

٢- اليمين المؤاخذ عليها العبد هي أن يحلف متعمدًا الكذب قاصدًا له من أجل الحصول على منفعة دنيوية وهي المقصود بقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥] وتسمى باليمين الغموس واليمين الفاجرة.

٣- اليمين التي تجب فيها الكفارة هي التي يحلف فيها العبد أن يفعل كذا ويعجز، فلا يفعل أو يحلف ألَّا يفعل كذا ثم يضطر ويفعل، ولم يقل أثناء حلفه: إن شاء الله، والكفارة مبينة في آية المائدة وهي إطعام عشرة مساكين وكسوتهم أو تحرير رقبة، فإن لم يجد صام ثلاثة أيام[١].

---

(١) «أيسر التفاسير» (١/ ١١٧).

وقال الله تعالى: ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗا ﴾ [مريم: ٦١، ٦٢]. أي: لا يسمع أهل الجنة في الجنة كلامًا لاغيًا لا خير فيه.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴾ [المؤمنون: ٣]، أي: يتركون كل ما لا نفع فيه في الدنيا والآخرة من الأقوال والأفعال.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابٗا شَدِيدٗا وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾

[فصلت: ٢٦، ٢٧].

معنى الآيتين: وقال الكفار يوصي بعضهم بعضًا: لا تسمعوا لهذا القرآن، ولا تتبعوه ولا تقبلوه، وإذا قُرئ عليكم فارفعوا أصواتكم بالصياح والصفير على محمد لعلكم تغلبونه، فلا يقرأ القرآن وتنصرون عليه بإسكاته ومنعه من التلاوة والدعوة، فسوف يذيق الله الكفار على قبيح ما فعلوه عذابًا شديدًا في الدنيا بالقتل والأسر والنكبات وفي الآخرة بدخول النار، وسوف يعاقبهم أسوأ عقاب على سوء ما اقترفوه (١).

ما يستفاد من الآيات:

بيان ما كان المشركون يكيدون به الإسلام ويحاربونه به حتى باللغو

---

(١) «التفسير الميسر» (ص:٥٥٩، ٥٦٠).

عند قراءة القرآن حتى لا يُسْمع ولا يُهْتدى به.

- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا﴾ [النبأ: ٣١ - ٣٥].

• **أما الأحاديث:**

عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي غَرَزَةَ، قَالَ: كُنَّا نُسَمَّى فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ السَّمَاسِرَةَ، فَمَرَّ بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَسَمَّانَا بِاسْمٍ هُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ، فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ إِنَّ الْبَيْعَ يَحْضُرُهُ الْحَلِفُ وَاللَّغْوُ، فَشُوبُوهُ بِالصَّدَقَةِ**»(١).

الشرح:

قال السندي رحمه الله: السماسرة: جمع سمسار بكسر السين: وهو القيم بأمر البيع والحافظ له.

قال الخطابي: هو اسم أعجمي وكان كثير ممن يعالج البيع والشراء فيهم العجم، فتلقوا هذا الاسم عنهم، فغيره النبي ﷺ بالتجار الذي هو من الأسماء العربية (٢).

في الحديث: بيان أن الغالب على التجار الغش وتنفيق سلعهم

(١) النسائي (٣٨٠٤)، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي» و«صحيح سنن ابن ماجه» (٢١٤٥) واللفظ لابن ماجه.

(٢) «حاشية السندي على سنن النسائي» (٧/ ١٦).

بالحلف الكاذب ومجانبة الأمانة والصدق.

وقوله ﷺ: «**فشوبوه بالصدقة**»: قال السندي رحمه الله: الشوب بمعنى الخلط أمرهم بذلك؛ ليكون كفارة لما يجري بينهم من الكذب وغيره، والمراد بها صدقة غير معينة حسب تضاعيف الآثام، واستدل به المصنف على أن الحلف الكاذب بلا قصد لا كفارة فيه؛ إذ لم يأمرهم بالكفارة المعلومة في الحلف بعينها. اهـ(١).

وقال في «إهداء الديباجة»: وقوله ﷺ: «**فشوبوه بالصدقة**» أي: لما كان الاشتغال بالتجارة والصفق بالأسواق يخالطه الحلف الذي ربما غلب فيه الكذب، وتصاحبه الغفلة والانشغال عن الذكر.

لما كان الأمر كذلك أرشد النبي ﷺ التجار إلى التكفير عن ذلك بالصدقة، فإن الصدقة تطفئ غضب الرب سبحانه، وهذا من باب «**وأتبع السيئة الحسنة تمحها**» وليحذر التاجر المسلم أن يقع من حلفه ولغوه ظلم للناس، فإن وقع شيء من ذلك تعين عليه أن يتحلل منه باستعفاء من ظلمه أو تعمد غبنه، ورد الحق إليه، ثم إذا بقي شيء من الذنوب التي تقع عفوا فيستغفر الله منها ويتصدق، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤] (٢).

---

(١) السابق.

(٢) «شرح سنن ابن ماجه» (٣/ ١٢٠، ١٢١).

- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: «فَرَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ، فَمَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ»(١).

وهذا من رحمة الله تعالى بعباده، فالعبادات التي تطول ويشق التحرز منها من أمور تفوت كمالها، جعل الشرع فيها كفارة مالية بدل النقص مثلًا كالهدي في الحج والعمرة، وكذا صدقة الفطر؛ لما يكون في الصوم من لغو وغيره (٢).

- من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: « **إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَوْمَ الجُمُعَةِ: أَنْصِتْ، وَالإِمَامُ يَخْطُبُ، فَقَدْ لَغَوْتَ** »(٣).

قال النووي رحمه الله: قال أهل اللغة: يقال: لغا يلغو كغزا يغزو، ويقال: لغي يلغي كعمي يعمي، لغتان الأولى أفصح... ثم قال: ومعنى «فقد لغوت» أي: قلت: اللغو، وهو الكلام الملغي الساقط الباطل المردود، وقيل: معناه: قلت غير الصواب، وقيل: تكلمت بما لا ينبغي، ففي الحديث: النهي عن جميع الكلام حال الخطبة، ونبه بهذا على ما سواه؛

---

(١) رواه أبو داود (١٦٠٩)، وابن ماجه (١٨٢٧)، وحسنه الألباني.

(٢) «شرح النووي على مسلم» (٤/ ٩٠).

(٣) رواه البخاري (٩٣٤)، ومسلم (٨٥١) واللفظ لمسلم.

لأنه إذا قال: أنصت وهو في الأصل أمر بمعروف، وسماه لغوًا فغيره من الكلام أَوْلَى، وإنما طريقه إذا أراد نهي غيره عن الكلام أن يشير إليه بالسكوت إن فهمه، فإن تعذر فهمه فلينهه بكلام مختصر ولا يزيد على أقل ممكن(١).

وقال ابن حجر رحمه الله: قوله ﷺ: «**فقد لغوت**»: قال الأخفش: اللغو: الكلام الذي لا أصل له من الباطل وشبهه.

وقال ابن عرفة: اللغو: السقط من القول، وقيل: الميل عن الصواب، وقيل: اللغو: الإثم كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

وقال الزين بن المنير: اتفقت أقوال المفسرين على أن اللغو ما لا يحسن من الكلام.

وقال النضر بن شميل: معنى لغوت: خبت من الأجر، وقيل: بطلت فضيلة جمعتك، وقيل: صارت جمعتك ظُهْرًا.

قلت: أقوال أهل اللغة متقاربة المعنى، ويشهد للقول الأخير ما رواه أبو داود وابن خزيمة من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعا: « **وَمَنْ**

---

(١) «شرح النووي على مسلم» (٣/ ٣٨٢).

لَغَا وَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ كَانَتْ لَهُ ظُهْرًا»(١).

قال ابن وهب أحد رواته: معناه: أجزأت عنه الصلاة وحرم فضيلة الجمعة.

ولأحمد من حديث علي مرفوعًا: «وَمَنْ قَالَ: صَهْ، فَقَدْ تَكَلَّمَ، وَمَنْ تَكَلَّمَ فَلا جُمُعَةَ لَهُ».

ولأحمد والبزار من حديث ابن عباس مرفوعًا: «مَنْ تَكَلَّمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ فَهُوَ كَالْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا، وَالَّذِي يَقُولُ لَهُ: أَنْصِتْ لَيْسَتْ لَهُ جُمُعَةٌ »(٢).

وله شاهد قوي في جامع حماد بن سلمة عن ابن عمر موقوفًا.

قال العلماء: معناه: لا جمعة له كاملة للإجماع على إسقاط فرض الوقت عنه(٣).

- وعن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: « يَحْضُرُ الْجُمُعَةَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ: رَجُلٌ حَضَرَهَا يَلْغُو وَهُوَ حَظُّهُ مِنْهَا، وَرَجُلٌ حَضَرَهَا يَدْعُو، فَهُوَ رَجُلٌ دَعَا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِنْ شَاءَ أَعْطَاهُ، وَإِنْ شَاءَ مَنَعَهُ، وَرَجُلٌ حَضَرَهَا بِإِنْصَاتٍ وَسُكُونٍ، وَلَمْ يَتَخَطَّ رَقَبَةَ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُؤْذِ أَحَدًا، فَهِيَ كَفَّارَةٌ إِلَى

---

(١) حسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣٤٧).

(٢) الرواية ضعفها الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ٤٤٠).

(٣) «فتح الباري» (٢/ ٥٠٨، ٥٠٩).

الْجُمُعَةِ الَّتِي تَلِيهَا، وَزِيَادَةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠](١).

معنى «حضرها يلغو»: حال من الفاعل وهو اللغو.

قال ابن حجر المكي: أي: لا حظ له كامل؛ لأن اللغو يمنع كمال ثواب الجمعة.

- وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَرَأَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بَرَاءَة، وَهُوَ قَائِمٌ يُذَكِّرُ بِأَيَّامِ اللهِ، وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وِجَاهَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبُو الدَّرْدَاءِ وَأَبُو ذَرٍّ، فَغَمَزَ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ أَحَدُهُمَا فَقَالَ: مَتَى أُنْزِلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ يَا أُبَيُّ؟ فَإِنِّي لَمْ أَسْمَعْهَا إِلَّا الْآنَ فَأَشَارَ إِلَيْهِ، أَن اسْكُتْ، فَلَمَّا انْصَرَفُوا، قَالَ: سَأَلْتُكَ مَتَى أُنْزِلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ فَلَمْ تُخْبِرْنِي، قَالَ أُبَيٌّ: لَيْسَ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ الْيَوْمَ إِلَّا مَا لَغَوْتَ، فَذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، وَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي قَالَ أُبَيٌّ، فَقَالَ: «**صَدَقَ أُبَيٌّ**»(٢).

- وعن أوس بن أوس عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ غَسَّلَ وَاغْتَسَلَ، وَغَدَا وَابْتَكَرَ، وَدَنَا مِنَ الإِمَامِ وَلَمْ يَلْغُ، وَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ**

---

(١) «صحيح سنن أبي داود» (١١١٣).

(٢) «صحيح ابن ماجه» (١١١١) قال المعلق: وقد صحت القصة من حديث أبي ذر نفسه، لكن فيه أن السورة هي براءة، أما رواية أُبَيٍّ فهي ضعيفة، لوجود انقطاع بين عطاء بن يسار وأُبي. «صحيح الترغيب» (٧٢٠).

خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا أَجْرُ قِيَامِ سَنَةٍ وَصِيَامِهَا»(١).

قال السيوطي رحمه الله: قوله ﷺ: «**ولم يلغ**» قال الأزهري: معناه: استمع الخطبة ولم يشتغل بغيرها.

وقال **النووي**: معناه: لم يتكلم؛ لأن الكلام حال الخطبة لغو.

وقال **السندي** رحمه الله: قوله ﷺ: «**ولم يلغ**»: لم يتكلم، فإن الكلام حال الخطبة لغوٌ أو استمع الخطبة ولم يغيرها (٢).

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ، فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ، وَزِيَادَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَمَنْ مَسَّ الْحَصَى فَقَدْ لَغَا**»(٣).

المفردات: لغا: أي: أخطأ، وقال باطلًا.

معنى الحديث: من توضأ فأحسن الوضوء بإسباغه والإتيان بآدابه وسننه، ثم ذهب إلى المسجد لصلاة الجمعة، فاستمع إلى الخطبة وسكت عن الكلام، غفر الله له صغائر ذنوبه التي فعلها من الجمعة إلى الجمعة وزيادة على ذلك ثلاثة أيام، أي: تكفر عنه ذنوب عشرة أيام، ومن عبث أثناء الخطبة كأن يمس الحصى أو غير ذلك، فقد أبطل ثواب

---

(١) «صحيح ابن ماجه» (١٠٨٧).

(٢) «المجتبى شرح سنن النسائي» (٣/ ٩٤).

(٣) مسلم (٨٥٧).

جمعته (١) (٢).

ما يستفاد من الحديث:

١- الحث على إقبال القلب والجوارح أثناء الخطبة.

٢- عظم فضل صلاة الجمعة واستماع خطبتها (٣).

---

(١) قد كان في عهد النبي ﷺ يفرش المسجد بالحصبة وهي الحصى الصغار مثل العدس، أو أكبر قليلًا أو أقل، يفرش بها بدل الفرش التي نفرشها الآن، فكان بعض الناس ربما يعبث بالحصى، يحركها بيده، أو يمسحها بيده أو ما أشبه ذلك، فقال ﷺ: «**من مس الحصى فقد لغا**»؛ لأن مس الحصى يلهيه عن الاستماع للخطبة، «**ومن لغا فلا جمعة له**»، يعني يحرم ثواب الجمعة التي فضلت بها هذه الأمة عن غيرها، وإذا كان هذا في مس الحصى، فكذلك أيضًا الذي يعبث بغير مس الحصى، الذي يعبث بتحريك القلم أو الساعة أو المروحة التي يحركها ويلفها دون حاجة، والذي يعبث بالسواك يريد أن يتسوك والإمام يخطب إلا لحاجة، كأن يجيئه النوم أو النعاس فأخذ يتسوك ليطرد النعاس عنه فهذا لا بأس به؛ لأن من مصلحته استماع الخطبة، وقد يسأل سائل: هل يجوز أن أكتب ما أسمعه في الخطبة؟ أجاب بعض العلماء بعدم الجواز؛ لأن في الاشتغال بالكتابة أثناء الخطبة تلهيًا عن سماعها، وقد جعل الله تعالى لنا ما يريحنا حيث جاءت هذه الأشرطة وهذه المسجلات لتسجيل الخطبة في راحة وتستمع إليها في بيتك أو سيارتك على أي وضع كنت. «شرح رياض الصالحين» لابن عثيمين (١/ ٤٦١).

(٢) «بهجة الناظرين» (ص: ١١٦).

(٣) المصدر السابق.

٣- النهي عن مس الحصى وغيره من أنواع العبث في حال الخطبة، والمراد باللغو هنا: الباطل المذموم المردود[١].

السلف يذمون اللغو ويحذرون منه:

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤] قال: في كل لغو يخوضون[٢].

- وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - أيضًا- رضي الله عنهما ، قَالَ: لَمَّا حُضِرَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ، وَفِي البَيْتِ رِجَالٌ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، قَالَ: «**هَلُمَّ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ**» ، قَالَ عُمَرُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ غَلَبَهُ الوَجَعُ وَعِنْدَكُمُ القُرْآنُ فَحَسْبُنَا كِتَابُ اللهِ، وَاخْتَلَفَ أَهْلُ البَيْتِ وَاخْتَصَمُوا، فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: قَرِّبُوا يَكْتُبْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ مَا قَالَ عُمَرُ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغَطَ وَالِاخْتِلَافَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**قُومُوا عَنِّي**» ، قَالَ عُبَيْدُ اللهِ: فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: «إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الكِتَابَ مِنَ اخْتِلَافِهِمْ وَلَغَطِهِمْ»[٣].

أخي المسلم: من كل ما سبق اعلم أن كل قول لا خير فيه ولا منفعة

---

(١) «نووي على شرح مسلم» (٣/ ٣٩١).

(٢) «فتح الباري» (١٠/ ٥٣٦، ٥٣٧).

(٣) «فتح الباري» (١٣/ ٣٦٦)، وانظر: «نضرة النعيم» (١١/ ٥٥٢٦).

تُرْجى من ورائه، وكل لفظ فيه ثرثرة أو تشدق أو تفيهق، وكل كلمة تلهي عن الذكر واستماع الموعظة، وكل كلام حال الخطبة لغو إلا ما ورد النص باستثنائه، فأنا أهيب بكل مسلم عاقل أريب حريص على جمع الحسنات وطاعة رب الأرض والسموات أن يجعل بينه وبين اللغو كما بين السماء والأرض، وأن يعلم أن له أضرارًا ومثالبَ كثيرة...منها:

١ - أنه يؤدي إلى سخط الناس ومقتهم.

٢ - الثرثارون بعيدون عن الله وعن الناس.

٣- يورد صاحبه موارد الهلاك والردى.

٤ - دليل على خفة العقل وقلة الفهم.

٥ - مظهر من مظاهر سوء الخلق[١].



(١) «نضرة النعيم» (١١/ ٥٥٢٦).

واحذر هذه الألفاظ

واحذر هذه الألفاظ

١- الحلف بغير الله:

أخي المسلم: إن الحلف بغير الله تعالى أمر مذموم شرعًا، وهذا يقع فيه كثير من الناس إلا من رحم ربك، فقد يجعلون من حلفوا به في مرتبة الإله بما يفعلون من تفاهات في الأقوال والأفعال بما لا يقره الشرع والدين، والحلف بغير الله كأن يقول الحالف: «والنبي، والكعبة، والملائكة، والسماء، والآباء، والحياة، والروح، والرأس، وحياة السلطان، ونعمة السلطان، وتربة فلان، والأمانة» فكل هذا شرك بالله، وإنما جعل شركًا؛ لأنه يعظم من يحلف به، والعظمة لا يمكن أن تكون إلا لواحد هو الواحد جل في علاه وهو الله رب العالمين.

روى البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**أَلاَ، إِنَّ اللهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ، وَإِلَّا فَلْيَصْمُتْ**»(١).

وفي رواية: «**مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلَا يَحْلِفْ إِلَّا بِاللهِ أَوْ لِيَسْكُتْ**».

قال النووي رحمه الله: قال العلماء: الحكمة في النهي عن الحلف بغير الله

---

(١) البخاري (٧٨)، ومسلم (٤٦٤٦).

أن الحلف يقتضي التعظيم وحقيقة العظمة مختصة بالله، فلا يُضَاهَى به غيره.

وقد جاء عن ابن عباس: لأن أحلف بالله مائة مرة فآثم خير من أن أحلف بغيره فأبرّ، فإن قيل: الحديث مخالف لقوله ﷺ: «**أَفْلَحَ، وَأَبِيهِ إِنْ صَدَقَ**».

فجوابه: أن هذه الكلمة تجري على اللسان لا تقصد بها اليمين، فإن قيل: فقد أقسم الله بمخلوقاته كقوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾ [الصافات: ١] ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾ [الذاريات: ١].

فالجواب: أن الله يقسم بما شاء من مخلوقاته تنبيها على شرفه(١).

- روى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: « **إِنَّ اللهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ**»(٢).

قال عمر: فوالله ما حلفت بها منذ سمعت النبي ﷺ ذاكرًا ولا آثرًا.

ذاكرًا: أي: قائلًا لها من قبل نفسي.

ولا آثرًا: أي: ما حلفت بها ولا حكيت ذلك عن غيري.

---

(١) «شرح النووي على مسلم» (٦/ ١١٨، ١١٩).

(٢) «اللؤلؤ والمرجان»- كتاب الإيمان (٢/ ١٣٧).

- وقال النبي ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**»(١).

- وعن قتيلة بنت صيفي رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ حَلَفَ فَلْيَحْلِفْ بِرَبِّ الْكَعْبَةِ**»(٢).

ما يستفاد من الأحاديث:

إباحة الحلف بالله، وكذلك الحلف بصفاته سبحانه، والنهي عن الحلف بغير أسماء الله وصفاته، والحلف بغير الله شرك أصغر إلا أن يعتقد في المحلوف به القدرة والرزق وغير ذلك فيكون شركًا أكبر والعياذ بالله.

٢- الحلف بالأمانة:

- عن ابن بريدة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ، فَلَيْسَ مِنَّا**»(٣).

«فليس منا»: يعني ليس من ذوي طريقتنا.

قال ابن رسلان: أراد بالأمانة الفرائض، أي: لا تحلفوا بالحج

---

(١) «صحيح الجامع» (٦٢٠٤).

(٢) رواه أحمد والبيهقي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢١٤)، و«الصحيحة» (١١٦٦).

(٣) رواه أبو داود (٣/ ٥٧١)، وصححه الشيخ مصطفى العدوى.

والصوم ونحوهما (١).

قال في «عون المعبود»: وقال القاضي في «التفسير»: «**فليس منا**»: أي: فليس من ذوي أسوتنا، بل هو من المتشبهين بغيرنا، فإنه من ديدن أهل الكتاب، ولعله أراد به الوعيد عليه، قاله القاري.

وقال في «النهاية»: يشبه أن تكون الكراهة منه لأجل أنه أمر أن يحلف بأسماء الله وصفاته.

والأمانة: أمر من أموره، فنهوا عنها من أجل التسوية بينها وبين أسماء الله تعالى، فإذا قال الحالف: وأمانة الله كانت يمينًا عند أبي حنيفة، والشافعي لا يعدها يمينًا، والأمانة تقع على الطاعة والعبادة والوديعة والنقد والأمانة(٢).

٣- الحلف باللات والعزى:

اللات والعزى: اسمان لصنمين كانت العرب تعبدهما، روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: وَاللَّاتِ وَالعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرْكَ، فَلْيَتَصَدَّقْ**»(٣).

---

(١) انظر: «نزهة المتقين».

(٢) «عون المعبود شرح سنن أبي داود» (٩٠/ ٨٠).

(٣) البخاري (٦٥)، ومسلم (٨٦٠١).

قال النووي – رحمه الله تعالى: قال أصحابنا: إذا حلف باللات والعزى وغيرها من الأصنام لم ينعقد يمينه بل عليه أن يستغفر الله ويقول: لا إله إلا الله ولا كفارة عليه، هذا مذهب الشافعي، ومالك، وجماهير العلماء، وقال أبو حنيفة: تجب الكفارة.

ثم قال: (أي النووي): «**وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرْكَ، فَلْيَتَصَدَّقْ**»:

قال العلماء: أمر بالصدقة تكفيرًا لخطيئته في كلامه بهذه المعصية.

قال الخطابي رحمه الله: معناها: فليتصدق بمقدار ما أمر أن يقامر به، والصواب: أنه يتصدق بما يتيسر مما يطلق عليه اسم الصدقة.

قال القاضي رحمه الله: ففي هذا الحديث دلالة لمذهب الجمهور أن العزم على المعصية إذا استقر في القلب كان دينًا يكتب عليه، بخلاف الخاطر الذي لا يستقر في القلب (١).

٤- الحلف على يمين بملة غير ملة الإسلام متعمداً:

لا يجوز الحلف على يمين بملة غير ملة الإسلام سواء أكان صادقًا أم كاذبًا؛ لنهي النبي ﷺ عن ذلك، ولما يتعرض له الحالف من جراء حلفه.

---

(١) «شرح النووي على مسلم» (٦/ ١٢٠)

عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ حَلَفَ عَلَى مِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ كَاذِبًا، فَهُوَ كَمَا قَالَ**»(١).

قال في «بهجة الناظرين» عند شرحه للحديث: من حلف على يمين بملة غير الإسلام كاذبًا متعمدًا، كأن قال: والله إن فعلت كذا فأنا يهودي أو نصراني، فهو كما قال: أي إذا أراد التدين بذلك والعزم عليه إن فعل ذلك، فيصير كافرًا حالًا؛ لأن العزم على الكفر كفر، أما إذا أراد المبالغة في منع نفسه من ذلك وألا يفعله ألبتة من غير عزم على ذلك المحلوف به ألبتة، فمعصية فليستغفر الله منها. اهـ(٢).

وقال النووي رحمه الله تعالى: فيه بيان لغلظ تحريم هذا الحلف.

وقوله ﷺ: «**كاذبًا**» ليس المراد به التقييد والاحتراز من الحلف بها صادقا؛ لأنه لا ينفك الحالف بها عن كونه كاذبًا؛ وذلك لأنه لا بد أن يكون معظمًا لما حلف به، فإن كان معتقدًا عظمته بقلبه فهو كاذب في ذلك، وإن كان غير معتقد ذلك بقلبه فهو كاذب في الصورة؛ لكونه عظمه بالحلف به، وإذا علم أنه لا ينفك عن كونه كاذبًا حمل التقييد بـ«كاذبًا» على أنه بيان لصورة الحالف، ويكون التقييد خرج على سبب، فلا يكون له مفهوم، ثم إذا كان الحالف به معظمًا لما حلف به مجلًّا له كان كافرًا،

---

(١) البخاري (١٣٦٤) وغير موضع، ومسلم (١١٠).

(٢) (ص:٨٠٣).

وإن لم يكن معظمًا بل كان قلبه مطمئنًا بالإيمان فهو كاذب في حلفه بما لا يحلف به ومعاملته إياه معاملة ما يحلف به، ولا يكون كافرًا خارجًا عن ملة الإسلام ويجوز أن يطلق عليه اسم الكفر ويراد به كفر الإحسان وكفر نعمة الله، فإنها تقتضي ألا يحلف هذا الحلف القبيح (١).

٥- كثرة الحلف:

قال الله تعالى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

قال الطبري رحمه الله: أي: لا تتركوها بغير تكفير(٢).

وذكر غيره من المفسرين عن ابن عباس رضي الله عنهما يريد: لا تحلفوا، وقال آخرون: احفظوا أيمانكم عن الحنث فلا تحنثوا، والمصنف أراد من هذه الآية المعنى الذي ذكره ابن عباس فإن القولين متلازمان فيلزم من كثرة الحلف كثرة الحنث مع ما يدل عليه من الاستحقاق وعدم التعظيم لله سبحانه وغير ذلك مما ينافي كمال التوحيد الواجب أو عدمه(٣).

- **وأما الأحاديث:**

روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت

---

(١) «شرح مسلم للنووي» (١/ ٤٠٣).

(٢) ابن جرير الطبري (٧/ ٣١).

(٣) «فتح المجيد» (٢/ ٦٨٥).

رسول الله ﷺ يقول: «**الحَلِفُ مُنَفِّقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مُمْحِقَةٌ لِلْبَرَكَةِ**»(١).

قال في «فتح المجيد»: أنه إذا حلف على سلعة أنه أعطى فيها كذا وكذا أو أنه اشتراها بكذا وكذا قد يظنه المشتري صادقًا فيما حلف عليه، فيأخذها بزيادة على قيمتها والبائع كاذب وحلف طمعًا في الزيادة، فيكون قد عصى الله فيعاقب بمحق البركة، فإذا ذهبت بركة كسبه دخل عليه من النقص أعظم من تلك الزيادة التي دخلت عليه بسبب حلفه وربما ذهب ثمن تلك السلعة، وما عند الله لا ينال إلا بطاعته، وإن تزخرفت الدنيا للعاصي، فعاقبتها إلى اضمحلال وذهاب وعقاب.

٦- النهي عن قول: «ما شاء الله وشئت» خشية الوقوع في الشرك:

عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ، وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ**»(٢).

قال الخطابي وغيره: هذا إرشاد إلى الأدب، وذلك أن «الواو» للجمع والتشريك، و «ثم» للعطف مع الترتيب والتراخي، فأرشدهم ﷺ إلى تقديم مشيئة الله تعالى على مشيئة من سواه، وجاء عن إبراهيم النخعي أنه كان يكره أن يقول الرجل: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: أعوذ بالله ثم بك، قالوا: ويقول: لولا الله ثم فلان لفعلت كذا، ولا

---

(١) «اللؤلؤ والمرجان» (٢) (ص:١٢٤) رقم (١٠٣٥).

(٢) أحمد (٢٣٢٦٥)، والنسائي (١٠٧٥٥)، وأبو داود (٤٩٨٠).

تقل: لولا الله وفلان (١).

٧- القول بهلاك الناس:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ** »(٢).

قال النووي: قلت: رُوي «أهلكهم» برفع الكاف وفتحها، والمشهور الرفع، قوله ﷺ: «فهو أهلكُهم»: أي: أشدهم هلاكًا.

قال النووي: قال الحميدي: وذلك إذا قال على سبيل الإزراء عليهم والاحتقار لهم وتفضيل نفسه عليهم؛ لأنه لا يدري سر الله تعالى في خلقه(٣).

وقال **الخطابي**: معناه: لا يزال يعيب الناس ويذكر مساويهم ويقول: فسد الناس وهلكوا ونحو ذلك، فإذا فعل ذلك فهو أهلكُهم أي: أسوأ حالًا فيما يلحقه من الإثم في عيبهم والوقيعة فيهم، وربما أداه ذلك إلى العجب بنفسه ورؤيته أن له فضلًا عليهم، وأنه خير منهم فيهلك، هذا كلام الخطابي في كتابه «معالم السنن»، ثم قال: قال مالك: إذا قال ذلك تحزنًا لما يرى في الناس قال: يعني من أمر دينهم، فلا أرى به بأسًا، وإذا

---

(١) «الأذكار» (ص:٣٩٩).

(٢) مسلم (٢٦٢٣).

(٣) «الأذكار» (ص:٣٩٨).

قال ذلك عجبًا بنفسه وتصاغرًا للناس، فهو المكروه الذي ينهى عنه.

قال النووي: قلت: فهذا تفسير بإسناد في نهاية من الصحة وهو أحسن ما قيل في معناه وأوجز، ولا سيما إذا كان عن الإمام مالك رضي الله عنه (١).

٨- الثرثرة والتشدق والتفيهق:

لقد ذمَّ النبي ﷺ كثرة الكلام تكلفًا وكذلك التشدق وتكلف السجع والفصاحة، فقال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ فَمَا المُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: «**المُتَكَبِّرُونَ**»(٢).

الثرثارون: الذين يكثرون من الكلام تكلفًا.

المتشدقون: جمع لكلمة «متشدق»: وهو المتطاول على الناس بكلامه ويتكلم بملء فِيهِ تفاصحًا وتعظيمًا لكلامه.

المتفيهقون: جمع لكلمة المتفيهق: أصله من الفهق: وهو الامتلاء،

---

(١) «الأذكار» (ص:٣٩٩).

(٢) رواه الترمذي عن جابر، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٢٠١)، و«الصحيحة» (٧٩١).

وهو الذي يملأ شدقيه بالكلام ويتوسع فيه تكبرًا وارتفاعًا وإظهارًا للفضيلة على غيره.

يقول الإمام الغزالي رحمه الله: لا يدخل في هذا تحسين كلام الخطابة والتذكير من غير إفراط وإغراب، فإن المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها فلرشاقة اللفظ تأثير فيه، فهو لائق به.

وأما المحاورات التي تجرى لقضاء الحاجات، فلا يليق بها السجع والتشدق، والاشتغال به من التكلف المذموم، ولا باعث عليه إلا الرياء وإظهار الفصاحة والتميز بالبراعة، وكل ذلك مذموم يكرهه الشرع ويزجر عنه. اهـ (١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**» قَالَهَا ثَلَاثًا(٢).

المتنطعون: المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم. قاله النووي (٣).

٩- قوله: «لو فعلت كذا... لكان كذا»:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا**

(١) «إحياء علوم الدين» للغزالي.

(٢) رواه مسلم (٢٦٧٠).

(٣) «شرح النووي على مسلم» (٨/ ٤٧٣).

يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»(١).

قال النووي رحمه الله: قال القاضي عياض: قال بعض العلماء: هذا النهي إنما هو لمن قاله معتقدًا ذلك حتمًا، وأنه لو فعل ذلك لم تصبه قطعًا، فأما من رد ذلك إلى مشيئة الله بأنه لن يصيبه إلا ما شاء الله، فليس من هذا.

واستدل بقول أبي بكر في الغار: «**لو أن أحدهم رفع رأسه رآنا**» قال القاضي: هذا لا حجة فيه؛ لأنه إنما أخبر عن مستقبل وليس فيه دعوى لرد قدر بعد وقوعه.

قال: وكذا جميع ما ذكره البخاري في باب ما يجوز من «اللو» كحديث: «**لَوْلَا حِدْثَانُ قَوْمِكِ بِالْكُفْرِ لَتَمَّمْتُ الْبَيْتَ عَلَى قَوَاعِدِ إِبرَاهِيمَ**» و: «**لَوْ رَجَمْتُ أَحَدًا بِغَيْرِ بَيِّنَةٍ، رَجَمْتُ هَذِهِ**» و: «**لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ**» وشبه ذلك فكله مستقبل لا اعتراض فيه على قدر، فلا كراهية فيه؛ لأنه إنما أخبر عن اعتقاده فيما كان يفعل لولا المانع وعما هو في قدرته، فأما ما ذهب فليس في قدرته.

قال القاضي: فالذي عندي في معنى الحديث: أن النهي على ظاهره

---

(١) رواه مسلم (١٦/ ٢١٥).

وعمومه، لكنه نهي تنزيه ويدل عليه قول النبي ﷺ: «**فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**».

أي: يلقي في القلب معارضة القدر ويوسوس به الشيطان، هذا كلام القاضي. ا هـ.

وقد جاء من استعمال «لو» في الماضي- قوله ﷺ: « «**لَوِ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا سُقْتُ الهَدْيَ** » وغير ذلك فالظاهر أن النهي إنما هو على إطلاق ذلك فيما لا فائدة فيه، فيكون نهي تنزيه لا تحريم، فأما من قاله تأسفًا على ما فاته من طاعة الله أو ما هو متعذر عليه من ذلك ونحو هذا، فلا بأس به، وعليه يحمل أكثر الاستعمال الموجود في الأحاديث(١). والله أعلم.

١٠- كثرة السؤال عن المسكوت عنه:

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿١٠١﴾ قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴾

[المائدة: ١٠١، ١٠٢].

هذا تأديب من الله تعالى لعباده المؤمنين ونهي لهم عن أن يسألوا عن

---

(١) «الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة» للشيخ مصطفى العدوي.

أشياء، مما لا فائدة لهم في السؤال والتنقيب عنها؛ لأنها إن أظهرت لهم تلك الأمور ربما ساءتهم وشق عليهم سماعها، كما جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يُبَلِّغْنِي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئًا؛ فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ**». اهـ[1].

لقد أكثر الصحابة من السؤال[2]، سؤال رسول الله ﷺ حتى تضايق منهم، فقام خطيبًا فيهم، وقال: «**لاَ تَسْأَلُونِي اليَوْمَ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا بَيَّنْتُهُ لَكُمْ**» فَأَنْشَأَ رَجُلٌ كَانَ يُلَاحَى فَيُدْعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، مَنْ أَبِي؟ قَالَ: «**أَبُوكَ حُذَافَةُ**».

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «**أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا**»، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ**»، ثُمَّ قَالَ: «**ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ، فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ**»[3].

---

(١) ابن كثير (٢/ ١٠٤).

(٢) «أيسر التفاسير» (٣/ ٢٠).

(٣) إن قيل: ما وجه أنه تعالى نهاهم عن السؤال ثم أذن لهم بقوله: ﴿وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا...﴾ إلخ؟ الجواب: إن تسألوا عن غيرها، مما دعت الحاجة إليه، ففي الكلام حذف مضاف، [أيسر التفاسير].

وعَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَـةُ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفِـي كُـلِّ عَـامٍ؟ فَسَكَتَ، فَقَالُوا: أَفِي كُلِّ عَامٍ؟ فَسَكَتَ، قَالَ: ثُـمَّ قَـالُوا: أَفِـي كُـلِّ عَـامٍ؟ فَقَالَ: «لَا، وَلَوْ قُلْتُ: نَعَمْ، لَوَجَبَتْ» فَـأَنْزَلَ اللهُ تَعَـالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١] إِلَى آخِرِ الآيَـةِ: أي: تظهر لكم جوابًا لسؤالكم يحصل لكم بها ما يسـوؤكم ويضـركم، وفي الآية دليل على كراهة السؤال لغير حاجـة. ﴿وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]: أي: يبينها رسولنا لكـم، أمـا إن تسـألوا عنها قبل نزول القرآن بها تسؤكم.

١١- الكلام فيما لا يعني:

اعلم أخي المسلم: أن من عرف قـدر زمانـه وأن الوقـت هـو رأس ماله، فإنه محال ثم محال أن ينفقه في غير فائدة، وهـذه المعرفـة توجـب حبس اللسان فيما لا يعني، والكلام فيما لا يعني إن لم يكن فيه ضرر ففيه خسارة، وتضييع الأجر(١).

ومن ثَـمَّ يقـول النبـي ﷺ: «**مِـنْ حُسْـنِ إِسْـلامِ الْمَـرْءِ تَرْكُـهُ مَـا لَا**

(١) «منهاج القاصدين» (ص: ١٥٠).

يَعْنِيهِ»(١).

قال مجاهد: سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول: خمس لهن أحب إليَّ من الدهم(٢) الموقوفة:

١- لا تتكلّم فيما لا يعنيك؛ فإنّه فضل، ولا آمن عليك الوزر.

٢- ولا تتكلّم فيما يعنيك حتّى تجد له موضعا، فإنّه ربّ متكلّم في أمر يعنيه، قد وضعه في غير موضعه فعنت.

٣- ولا تمار حليمًا ولا سفيهًا، فإنّ الحليم يقليك، والسّفيه يؤذيك.

٤- واذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحبّ أن يذكرك به، وأعفه ممّا تحبّ أن يعفيك منه، وعامل أخاك بما تحبّ أن يعاملك به.

٥- واعمل عمل رجل يعلم أنّه مُجازى بالإحسان مأخوذ بالاحترام(٣).

وقيل **للقمان الحكيم**: ما بلغ من حكمتك؟ قال: لا أسأل عما كفيته

---

(١) رواه الترمذي (٢٣١٧)، وابن ماجه (٣٩٧٦) والحديث حسنه النووي وابن عبد البر، وقال ابن رجب: الصحيح فيه المرسل، وصححه الألباني.

(٢) الدّهم: جمع أدهم، وهو من الخيل ما بين الأشقر والأسود، وناقة دهماء إذا اشتدت ورقتها حتى ذهب البياض الذي فيها.

(٣) «حفظ اللسان» للشيخ وحيد عبد السلام بالي (ص: ٧٠، ٧١).

ولا أتكلم بما لا يعنيني[١].

قال الإمام الشافعي لصاحبه الربيع: يا ربيع لا تتكلم فيما لا يعنيك، فإنك إذا تكلمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها [٢].

وقال مورق العجلي: أمر أنا في طلبه منذ كذا وكذا سنة لم أقدر عليه ولست بتارك طلبه أبدًا قالوا: وما هو؟ قال: الكف عما لا يعنيني.

وقال سهل بن عبد الله: من تكلم فيما لا يعنيه حُرِمَ الصدق.

وقال عطاء بن أبي رباح: إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام.

وفي الأثر: ما أوتي الرجل شرًّا من فضل لسانه [٣].

١٢- تعظيم الفاسق:

أخي المسلم: إن بعض المسلمين يعظمون المشركين ويعطونهم قدرًا فوق قدرهم ومنزلة فوق منزلتهم، وهذا من الأمور التي تجلب سخط الله ﷻ، ومن ثم جاء النهي من رسول الله ﷺ واضحًا وضوح الشمس في رابعة النهار.

---

(١) «منهاج القاصدين» (ص:١٥٠).

(٢) «الأذكار» (ص:٤٣١).

(٣) «البحر الرائق» لأحمد فريد (ص:٧٠، ٧١).

فعن بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ: سَيِّدٌ، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ سَيِّدًا فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ** عز وجل»(١) (٢).

ما يستفاد من الحديث:

النهي عن تعظيم الفاسق؛ لأن تعظيمه يجلب غضب الرب؛ إذ هو تعظيم لعدوه الخارج عن طاعته ومرضاته، ويلحق بالفاسق كل مخالف لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ من كافر، ومشرك، وملحد، ومنافق.

١٣- اتخاذ الأيمان طريقًا إلى الغش والخديعة والإفساد:

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ٩٤].

أي: لا تجعلوا أيمانكم التي تحلفون بها على أنكم توفون بالعهد لمن عاهدتموه دخلًا: أي: خديعة ومكرًا ليطمئنوا إليكم وأنتم تضمرون لهم الغدر(٣).

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٧٧)، والنسائي، وقال الحافظ المنذري: إسناده صحيح، ورواه الحاكم ولفظه: «**إذا قال الرجل للمنافق يا سيد فقد أغضب ربه**»، وقال: صحيح الإسناد. انظر: «الترغيب والترهيب» (٤/ ٢١).

(٢) وهذا أيضًا يدفعنا إلى ذم المثل الذي تلوكه بعض الألسن وهو: (إذا كان لك عند الكلب حاجة قل له يا سيدي).

(٣) «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (١١/ ٥٦٦، ٥٦٧).

ما يستفاد من الآية:

حرمة اتخاذ الأيمان طريقًا إلى الغش والخديعة والإفساد.

- عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، هُوَ عَلَيْهَا فَاجِرٌ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**» فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧][(١)].

«بغير حقه»: أي: حلف وهو غير محق في حلفه من أجل أن يحصل على المال بيمينه الكاذبة «وهو عليه غضبان»: يريد الانتقام منه.

ويدخل في هذا الباب أيضًا اليمين الغموس: وهي اليمين التي يكذب بها صاحبها عن عمد ليأخذ بها ما لا يحق له أخذه، وسميت غموسًا؛ لأنها تغمس صاحبها في الإثم، وقد جعلها النبي صلى الله عليه وسلم من الكبائر.

فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الكَبَائِرُ؟ قَالَ: «**الإِشْرَاكُ بِاللهِ**» قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «**ثُمَّ عُقُوقُ الوَالِدَيْنِ**» قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «**اليَمِينُ الغَمُوسُ**» قُلْتُ: وَمَا اليَمِينُ

(١) البخاري (٢٣٥٦)، ومسلم (١٣٨)، واللفظ للبخاري.

الغَمُوسُ؟ قَالَ: «**الَّذِي يَقْتَطِعُ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، هُوَ فِيهَا كَاذِبٌ**»(١)، يعني بيمين هو فيها كاذب.

عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ يَمِينَ صَبْرٍ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، لَقِيَ اللهَ وَهوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**» فَأَنْزَلَ اللهُ تَصْدِيقَ ذَلِكَ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ ﴾ [آل عمران: ٧٧] إِلَى آخِرِ الآيَةِ، قَالَ: فَدَخَلَ الأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ، وَقَالَ: مَا يُحَدِّثُكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قُلْنَا: كَذَا وَكَذَا، قَالَ: صَدَقَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِيَّ أُنْزِلَتْ كَانَتْ لِي بِئْرٌ فِي أَرْضِ ابْنِ عَمٍّ لِي، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**بَيِّنَتُكَ أَوْ يَمِينُهُ**» فَقُلْتُ: إِذًا يَحْلِف يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ، يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، وَهوَ فِيهَا فَاجِرٌ، لَقِيَ اللهَ وَهوَ عَلَيْهِ غَضْبَانٌ**»(٢).

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَن اقْتَطَعَ** (أي: أخذ) **حَقَّ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ** (أي: حلفه الكاذب وهو يعلم)، **حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ، وَأَوْجَبَ لَهُ النَّارَ**» قَالُوا: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا؟ قَالَ: «**وَإِنْ كَانَ قَضِيبًا مِنْ**

---

(١) البخاري (١١/ ٤٨٢، ٤٨٣).

(٢) رواه البخاري (٢٣٥٦)، ومسلم (١٣٨) واللفظ هنا لمسلم.

أَرَاكٍ» يَقُولُهَا ثَلَاثًا (١).

ما يستفاد من هذه الأحاديث:

- تحريم تعمد الكذب باليمين من أجل الغش والخديعة وأخذ أموال الناس بالباطل.

- اليمين الغموس من الكبائر التي تستوجب عقاب الله، لا سيما وقد ذكرها النبي ﷺ بعد الشرك به، وعقوق الوالدين، وقتل النفس فدل ذلك على خطورتها.

قال مالك رحمه الله: لا كفارة فيها واحتج بقوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ﴾ [المائدة: ٨٩] أي: أكدتم، وهذه يمين غير منعقدة؛ لأن المنعقد ما يمكن حله ولا يتأتى في اليمين الغموس البر أصلًا.

وقال الشافعية بوجوب الكفارة في اليمين الغموس.

وقال الحنفية: لا كفارة فيها؛ لأنها كذب، وإنما تلزم صاحبها التوبة ورد الحقوق لأصحابها (٢).

---

(١) رواه مسلم (١٣٧).

(٢) «نزهة المتقين».

١٤- الدعاء على النفس والمال والولد:

إنه مرض خطير من أمراض اللسان يقع فيه الكثير من الناس وبخاصة النساء اللواتي لا يفقهن في الدين ولا يعرفن عاقبة ذلك.

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى خَادِمِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ**»(١).

ما يستفاد من الحديث:

النهي عن الدعاء على النفس والمال والولد والخادم.

والنهي هنا للتحريم.

والعلة: قد يوافق الدعاء ساعة إجابة ينال فيها الطالب ويُعْطَى مطلوبه.

١٥- الكذب في التجارة:

إنه من أقبح الذنوب وفواحش العيوب قال النبي ﷺ «**وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّهُ مَعَ الْفُجُورِ، وَهُمَا فِي النَّارِ**»(٢).

---

(١) رواه مسلم (٥٣) كتاب الزهد والرقائق.

(٢) رواه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩).

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ التُّجَّارَ هُمُ الْفُجَّارُ» قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَيْسَ قَدْ أَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ؟ قَالَ: «بَلَى، وَلَكِنَّهُمْ يَحْلِفُونَ فَيَأْثَمُونَ، وَيُحَدِّثُونَ فَيَكْذِبُونَ»(١).

وقال النبي ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْمَنَّانُ الَّذِي لَا يُعْطِي شَيْئًا إِلَّا مَنَّهُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْفَاجِرِ، وَالْمُسْبِلُ إِزَارَهُ»(٢).

قيل لخالد بن صبيح: أيسمى الرجل كاذبًا بكذبة واحدة؟ قال: نعم.

١٦- الغفلة عن دقائق الخطأ: لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته، ويرتبط بأمور الدين:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن أحدكم ليشرك، حتى يشرك بكلبه فيقول: لولاه لسُرِقْنَا الليلة (٣).

١٧- الخضوع في القول:

قال الله تعالى مخاطبًا نساء النبي ﷺ، ونساء الأمة تبع لهن: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ

---

(١) رواه أحمد والحاكم، وقال: صحيح الإسناد. وانظر: «السلسلة الصحيحة» (٣٦٦).

(٢) رواه مسلم (١٠٦).

(٣) «مختصر المهلكات سلسلة منتقى العابدين من إحياء علوم الدين» (ص:١٦٠).

﴿مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢] .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: هذه آداب أمر الله بها نساء النبي ﷺ ونساء الأمة تبع لهن في ذلك... ثم قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ قال السدي وغيره: يعني بذلك ترقيق الكلام إذا خاطبن الرجال؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ أي: دَغَلٌ ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ قال: ابن زيد: قولًا حسنًا جميلًا معروفًا في الخير، ومعنى هذا: أن تخاطب المرأة الأجانب بكلام ليس فيه ترخيم، أي: لا تخاطب المرأة الأجانب كأنها تخاطب زوجها(١).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: المرأة تندب إلى الغلظة في القول إذا خاطبت الأجانب من غير رفع صوت، فإن المرأة مأمورة بخفض الكلام. اهـ.

ما يستفاد من الآية:

١- بيان فضل نساء النبي ﷺ وشرفهن.

٢- حرمة ترقيق المرأة صوتها وتليين عبارتها إذا تكلمت مع رجل أجنبي (٢) (٣).

---

(١) «مختصر صحيح تفسير ابن كثير» (جـ٣/ ص ٢٤).

(٢) الرجل الأجنبي: الذي ليس من محارم المرأة ليس بأبيها ولا بأخيها ولا بعمها ولا بابنها.

(٣) «أيسر التفاسير» (٤/ ٢٦٦).

١٨- الخوض في الباطل:

وهو الكلام في المعاصي: كحكاية أحوال النساء، ومجالس الخمر، ومقامات الفساق، وتنعم الأغنياء، وتجبر الملوك ومراسيمهم المذمومة وأحوالهم المكروهة، فإن كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه وهو حرام، وفي هذا الجنس تقع كلمات يهلك بها صاحبها وهو يستحقرها، قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ ﷻ، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللهُ ﷻ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ ﷻ، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللهُ ﷻ بِهَا عَلَيْهِ سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»(١).

وقال ﷺ: «**أَكْثَرُ النَّاسِ خَطَايَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ خَوْضًا فِي الْبَاطِلِ**»(٢).

وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ [المدثر: ٤٥]، وبقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠].

(١) «صحيح الجامع» (١٦١٩).

(٢) ابن أبي الدنيا مرسلًا، ورجاله ثقات، ورواه هو والطبراني موقوفًا بسند صحيح. **وقال الألباني**: ضعيف.

ويدخل فيه أيضًا الخوض في حكاية البدع، والمذاهب الفاسدة وحكاية ما جرى من قتال الصحابة على وجه يوهم الطعن في بعضهم[1].



(١) «سلسلة منتقى العابدين من إحياء علوم الدين» (ص: ١٢٠).

أقوال سلفية
في ذم أمراض اللسان
والتحذير منها

أقوال سلفية في ذم أمراض اللسان والتحذير منها(١)

دَخَلَ عُمَر بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه عَلَى أَبِي بَكْرِ الصِّدِّيقِ وَهُوَ يَجْبِذُ لِسَانَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: مَهْ غَفَرَ اللهُ لَكَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ هَذَا أَوْرَدَنِي الْمَوَارِدَ(٢).

وقال ابن بريدة:

رأيت ابن عباس رضي الله عنهما أخذ بلسانه وهو يقول: «ويحك، قل خيرًا تغنم، واسكت عن شر أو سوء تسلم، وإلا فاعلم أنك ستندم»(٣).

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يحلف بالله الذي لا إله إلا هو ما على الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من اللسان(٤).

وقال الحسن البصري رحمه الله:

اللسان أمير البدن، فإذا جنى على الأعضاء شيئًا جنت، وإذا عفا

---

(١) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب الحنبلي، و«الأذكار» للنووي، و«التفسير» لابن القيم، و«إحياء علوم الدين» للغزالي.

(٢) «موطأ مالك» (٢/ ٩٨٨)، و«جامع العلوم والحكم» (ص ٣٣٥).

(٣) «جامع العلوم والحكم».

(٤) «جامع العلوم والحكم».

عفت[١].

وقال يونس بن عبيد:

ما رأيت أحدًا لسانه منه على بال إلا رأيت ذلك صالحًا في سائر عمله، ولا فسد منطق رجل قط إلا عرفت ذلك في سائر عمله.

وقال أيضًا- رحمه الله تعالى:

لا تجد شيئًا من البر واحدًا يتبعه البر كله غير اللسان، فإنك تجد الرجل يصوم النهار ويفطر على حرام، ويقوم الليل ويشهد الزور بالنهار، وذكر أشياء نحو هذا، ولكن لا تجده لا يتكلم إلا بحق، فيخالف ذلك عمله أبدًا[٢].

وقال وهب بن منبه:

أجمعت الحكماء على أن رأس الحكمة الصمت [٣].

وقال شميط بن عجلان:

يا بن آدم إنك ما سكتَّ فأنت سالم، فإذا تكلمت فخذ حذرك، إما

---

(١) «جامع العلوم والحكم».

(٢) «جامع العلوم والحكم».

(٣) «جامع العلوم» (ص١٦٢) ، ابن رجب الحنبلي.

لك وإما عليك(١).

وقال الفضيل بن عياض:

ما حج ولا رباط ولا جهاد أشد من حبس اللسان، ولو أصبحت يهمك لسانك، أصبحت في همٍّ شديد(٢).

وسئل عبد الله بن المبارك عن قول لقمان لابنه: إذا كان الكلام من فضة، فإن الصمت من ذهب؟ فقال معناه: لو كان الكلام بطاعة الله من فضة، فإن الصمت عن معصيته من ذهب.

وقال عبيد الله بن أبي جعفر:

إذا كان المرء يحدث في مجلس فأعجبه الحديث فليسكت، وإن كان ساكتًا، فأعجبه السكوت فليتحدث. اهـ(٣).

ويقول ابن القيم رحمه الله(٤):

وأما فضول الكلام فإنها تفتح للعبد أبوابًا من الشر كلها مداخل للشيطان، فإمساك فضول الكلام يسد عنه تلك الأبواب كلها، وكم من حرب جرتها كلمة واحدة، وأكثر الكلام إنما يولده الفضول والنظر، وهما

---

(١) «جامع العلوم» (ص١٦٢). ابن رجب الحنبلي.

(٢) «جامع العلوم والحكم» (ص١٦٢).

(٣) «جامع العلوم والحكم».

(٤) «التفسير القيم» (ص٦٢٧).

أوسع مداخل الشيطان، فإن جارحتيهما لا يَملَّان، ولا يسأمان، بخلاف شهوة البطن فإنه إذا امتلأ لم يبق فيه إرادة الطعام، وأما العين واللسان فلو تركا لم يفترا من النظر والكلام، فجنايتهما متسعة الأطراف كثيرة الشعب عظيمة الآفات.

ويقول الغزالي رحمه الله [1]:

اللسان رحب الميدان، ليس له مرد، ولا لمجاله منتهى ولا حدّ، له في الخير مجال رحب، وله في الشر ذيل سحب، فمن أطلق عذبة اللسان وأهمله مُرخى العنان وسلك به الشيطان في كل ميدان وساقه إلى شفا جرف هار إلى أن يضطره إلى دار البوار، ولا يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشر، فلا يطلقه إلا فيما ينفعه في الدنيا والآخرة، ويكفه عن كل ما يخشى غائلته في عاجله وآجله. اهـ.

وقال أبو القاسم القشيري:

الصمت بسلامة هو الأصل، والسكوت في وقته صفة الرجال، كما أن النطق في موضعه من أشرف الخصال [2].

---

(١) «الإحياء» (١٥٣٦).

(٢) «الأذكار» (ص٤٣٢).

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله:

من عدَّ كلامه من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه.

وقال ذو النون المصري رحمه الله:

أصون الناس لنفسه أمسكهم للسانه.

وقال الإمام النووي رحمه الله [١]:

ينبغي على كل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلامًا ظهر فيه المصلحة، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة، فالسنة الإمساك عنه؛ لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، بل هذا كثير وغالب في العادة، والسلامة لا يعدلها شيء.

يقول[٢] رحمه الله تعالى: قال الإمام الشافعي رحمه الله:

إذا أراد الكلام فعليه أن يفكر قبل كلامه، فإن ظهرت المصلحة تكلم، وإن شك لم يتكلم حتى تظهر.

وقيل: اللسان كالسبع إن لم توثقه عَدَا عليك ولحقك شره.

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه:

أنصف أذنيك من فِيكَ، وإنما جُعِل لك أذنان لتسمع أكثر مما تتكلم.

---

(١) «الأذكار» (ص٣٢٩).

(٢) «الأذكار».

يقول ابن القيم رحمه الله (١):

في اللسان آفتان عظيمتان، إن خلص من إحداهما لم يخلص من الأخرى: الكلام وآفة السكوت، وقد يكون كل منهما أعظم إثمًا من الأخرى في وقتها؛ فالساكت عن الحق شيطان أخرس عاص لله مراءٍ مداهن إذا لم يخف على نفسه، والمتكلم بالباطل شيطان ناطق عاص لله، وأكثر الخلق منحرف في كلامه وسكوته، فهم بين هذين النوعين، وأهل الوسط وهم أهل الصراط المستقيم كفوا ألسنتهم عن الباطل وأطلقوها فيما يعود عليهم نفعه في الآخرة، فلا ترى أحدهم يتكلم بكلمة تذهب عليه ضائعة بلا منفعة، فضلًا عن أنها تضره في آخرته، وإن العبد ليأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال، فيجد لسانه قد هدمها عليه كلها، ويأتي بسيئات أمثال الجبال، فيجد لسانه قد هدمها من كثرة ذكر الله وما اتصل به. اهـ.

فاتقوا الله عباد الله ولا تطلقوا ألسنتكم إلا لما فيه نفعكم، واعلموا أن الله مُطَّلع عليكم عالم بكم قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] واحفظوا ألسنتكم.

احفظ لسانك أيها الإنسان ... لا يلدغنك إنه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه ... كانت تهاب لقاءه الشجعان

---

(١) «الداء والدواء» (ص١٧٣، ١٧٤).

كيف نحافظ على ألسنتنا؟

يجيب عن هذا السؤال رسول الله ﷺ:

- فَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ**»(١).

قال ابن حجر رحمه الله (باب حفظ اللسان):

أي: عن النطق بما لا يسوغ شرعًا مما لا حاجة للمتكلم به.

شرح الحديث:

الضمان بمعنى تأدية الحق الذي على لسانه من النطق بما يجب عليه أو الصمت عما لا يعنيه.

قال الداودي:

المراد بما بين اللحيين: (الفم) قال: فيتناول الأقوال والأكل والشرب وسائر ما يأتي بالفعل من الفم.

وقال ابن بطال:

دلَّ الحديث على أن أعظم البلاء على المرء في الدنيا لسانه وفرجه

---

(١) «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، كتاب: الرقاق، باب: حفظ اللسان، رقم (٦٤٧٤) وطرفه في (٦٨٠٧).

فمن وقي شرهما وقي أعظم الشر[١].

- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»[٢].

وهذا الحديث صريح في أنه لا ينبغي ألا يتكلم إلا إذا كان الكلام فيه خيرٌ، وهو الذي ظهرت مصلحته، ومتى شك في ظهور المصلحة، فلا يتكلم[٣].

الشرح:

الصمت: السكوت.

قال القاضي عياض رحمه الله: معنى الحديث: أن من التزم شرائع الإسلام لزمه إكرام جاره وضيفه وبرهما، وكل ذلك تعريف بحق الجار، وحث على حفظه، وقد أوصى الله تعالى بالإحسان إليه في كتابه العزيز،

---

(١) «فتح الباري» (ج ١١ ص ٣٠٩، ٣١٠).

(٢) البخاري، كتاب: الأدب، باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، (ج١٠/ ٦٠١٨)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: الحث على إكرام الجار والضيف وقول الخير أو لزوم الصمت وكون ذلك كله من الإيمان، (ج١/ ٤٧) انظر: «اللؤلؤ والمرجان».

(٣) «شرح مسلم للنووي» (ج١ ص ٢٩٤- ٢٩٥).

وقـال النبـي ﷺ: «مَـا زَالَ جِبْرِيـلُ يُوصِـينِي بِالْجَـارِ، حَتَّـى ظَنَنْـتُ أَنَّـهُ سَيُوَرِّثُهُ» والضيافة من آداب الإسلام وخلق النبيين والصالحين.

وعامة الفقهاء على أنها من مكـارم الأخـلاق؛ وحجـتهم قولـه ﷺ: «جَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ» والجائزة: العطية والمنحة والصلة، وذلـك لا يكـون إلا مع اختيار، وقولـه ﷺ: «فليكـرم»، وفي روايـة أخـرى عنـد مسـلم: «فليحسن» يدل على هذا أيضًا؛ إذ ليس يستعمل مثله في الواجب، مع أنـه مضموم إلى الإكرام للجار والإحسان إليه وذلـك غيـر واجـب، وتـأولوا الأحاديث أنها كانت أول الإسلام إذ كانت المواساة واجبة. ا هـ.

- حديث أَبِي مُوسَى ؓ قَالَ: قَـالُوا يَـا رَسُـولَ اللهِ، أَيُّ الإِسْـلاَمِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ، وَيَدِهِ» »(١).

معاني المفردات:

«سلم»: أمن.

«من لسانه ويده»: خص اللسان واليد؛ لكثرة ما يقع منهما من أذى.

فقه الحديث:

- النهي عن إيذاء المسلمين خاصة والناس عامة.

---

(١) البخاري، باب: أي الإسلام أفضل؟، كتاب: الإيمان، (ج١/ ١١)، ومسلم، باب: بيان تفاضل الإسلام، كتاب: الإيمان (ج ١/ ٤٢).

- أفضل المسلمين من يقي الناس شره وإيذاءه.

- وعَنْ عِيسَى بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «**إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا، يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ**»(١).

معاني المفردات:

«يتبين»: يتفكر أنها خير أم لا.

«يزل»: يسقط.

فقه الحديث:

الحديث يحثُّ على حفظ اللسان وأن الإنسان قد يتكلم بكلمة لا يلقي لها بالًا، وتكون سببًا له في الدخول إلى النار.

- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ**»(٢).

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري، كتاب: الرقاق- باب: حفظ اللسان (٦٤٧٧)، وطرفه في: (٦٤٧٨)، ومسلم، كتاب: الزهد والرقائق- باب: التكلم بالكلمة يهوي بها في النار، وعند مسلم: «ينزل» بدل «يزل» (٢٩٨٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب: الرقاق: باب: حفظ اللسان: (٦٤٧٨).

معاني المفردات:

«ما يلقي لها بالًا»: لا يهتم ولا يبالي بها.

«سخط الله»: غضبه.

«يهوي»: ينزل.

فقه الحديث:

- أن الكلمة قد تدخل الجنة أو النار.

- أن الله تعالى ينعم على عبده برفع الدرجات وكثرة الحسنات إن هو تكلم بالخير، والوعيد الشديد بالدخول في النار لمن تكلم بالشر.

- وعَنْ بِلاَلِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُزَنِيِّ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ، مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ، مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ»**(١).

قال النووي: رواه مالك في «الموطأ» والترمذي، وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني في تحقيقه لـ«رياض الصالحين».

---

(١) رواه مالك في «الموطأ»، كتاب: الجامع، باب: ما يؤمر به من التحفظ في الكلام (٢/ ٩٨٥)، والترمذي من أبواب الزهد، باب: قلة الكلام (٣٢٠).

قال ابن عبد البر رحمه الله :

لا أعلم خلافًا في قوله في الحديث: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة**»: إنها الكلمة عند السلطان الجائر الظالم ليرضيه بها فيسخط الله عز وجل، ويزين له باطلًا يرده من إراقة دم أو ظلم مسلم ونحوه مما ينحط به في حبل هواه فيبعد من الله وينال سخطه، وكذا الكلمة التي يرضي الله بها: عند السلطان ليصرفه عن هواه ويكفه عن معصيته التي يريدها يبلغ بها رضوانًا من الله لا يحتسبه. اهـ(١).

- وعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ، قَالَ: «**قُلْ رَبِّيَ اللهُ ثُمَّ اسْتَقِمْ**» ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَخْوَفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ، فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**هَذَا**»(٢).

مفردات الحديث:

«**أعتصم**»: أتمسك به.

«**قل: آمنت بالله**»: يعني أولًا؛ لأن الإيمان هو اللبنة الأولى في تأسيس جميع الأعمال الصالحة.

«**ثم استقم**»: بامتثال الأوامر واجتناب النواهي.

---

(١) «دليل الفالحين» (ج٤).

(٢) رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح (٢٤١٢)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» باختصار السند (١٩٦٥)، و«صحيح ابن ماجه» (٣٩٧٢).

في معنى الحديث قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ...﴾ الآية [فصلت: ٣٠].

فقه الحديث:

١- الأمر بوجود الإيمان أولًا في قلب المسلم ثم إردافه بالأعمال الصالحة.

٢- تنبيه المسلمين إلى خطورة اللسان والتحذير من شره؛ لأنه سرعان ما ينزلق في هاوية الهلاك.

وقال العاقولي:

أسند الخوف إلى اللسان؛ لأنه زمام الإنسان، فإذا أطلقه لزم منه ما لا يرضي صاحبه شاء أو أبى، وليس هذا الوصف في عضو آخر من الأعضاء سواه. اهـ(١).

- وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: لَقِيتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمًا فَقُلْتُ: مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: «**يَا عُقْبَةُ، أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ**»(٢).

---

(١) انظر: «دليل الفالحين - نزهة المتقين».

(٢) رواه الترمذي (٢٤٠٨)، وصححه الألباني في «الصحيحة»، و«صحيح الترمذي» (١٩٦١).

معاني مفردات الحديث:

«ما النجاة؟»: أي: ما السبب المحصل لها.

«**أمسك عليك لسانك**»: أي: لا تُجْرِهِ إلا بما يكون لك لا عليك.

«**وليسعك بيتك**»: الأمر هنا في الظاهر للبيت، ولكنه في الحقيقة لصاحبه، أي: اشتغل بما هو سبب لزومه وهو طاعة الله تعالى والاعتزال عن الأغيار.

«**وابك على خطيئتك**»: اندم عليها بالبكاء.

فقه الحديث:

١- الحث والإرشاد على المحافظة على اللسان وحفظه.

٢- لزوم البيت إذا خيف من الاختلاط مفسدة وضياع لدين الشخص.

٣- التوبة والبكاء والندم على الخطيئة والاستغفار منها.

- وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه رَفَعَهُ قَالَ: « **إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ فَتَقُولُ: اتَّقِ اللهَ فِينَا فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ، فَإِن اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِن اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا**»(١).

---

(١) رواه الترمذي (١٤٠٩)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٢٥٣١)، وصححه أيضًا في «المشكاة» (٥/ ٤٨٣٨).

معاني مفردات الحديث:

«**إذا أصبح ابن آدم**»: أي: دخل في الصباح.

«**فإن الأعضاء كلها**»: جمع عضو: وهو كل لحم وافر بعظمه، قاله في «القاموس»، ويطلق على القطع من الشيء والجزء منه.

«**تكفر اللسان**»: تذل له وتخضع.

تكفر اللسان: كناية عن تنزيل الأعضاء اللسان بمنزلة الكافر بالنعم (قاله النووي).

«**فإنما نحن بك**»: أي: مجازون بما يصدر عنك.

«**فإن استقمت استقمنا**»: أي: فإن اعتدلت اعتدلنا.

فقه الحديث:

١- أهمية حفظ اللسان وذلك لسلامة كل إنسان؛ لأنه خليفة القلب وترجمانه، والإنسان بأصغريه: قلبه، ولسانه.

٢- الأعضاء تابعة للسان ولذا تتأثر بخطئه إن كان كذلك، وتتأثر بإحسانه إن كان محسنًا.

والنبي ﷺ أَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ وَقَالَ لِمُعَاذٍ رضي الله عنه: «**كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا**»

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِـهِ؟ فَقَـالَ: «**ثَكِلَتْـكَ**(١) **أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَـى وُجُـوهِهِمْ**، أَوْ قَـالَ: **عَلَـى مَنَاخِرِهِمْ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟**»(٢).

معاني مفردات الحديث:

«**ثكلتك**»: فقدتك.

«**يكب**»: يقلبهم في النار.

«**حصائد الألسنة**»: جزاء الكلام المحرم وعقوباته (٣).

---

(١) النبي ﷺ لم يقصد حقيقة الدعاء، وإنما طلب من الله أن يكون هذا لهم زكاة وأجرًا.

وورد في «صحيح مسلم» عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلَانِ فَكَلَّمَاهُ بِشَيْءٍ لَا أَدْرِي مَا هُوَ، فَأَغْضَبَاهُ، فَلَعَنَهُمَا، وَسَبَّهُمَا، فَلَمَّا خَرَجَا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَصَابَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا، مَا أَصَابَهُ هَذَانِ، قَالَ: «وَمَا ذَاكِ؟» قَالَتْ: قُلْتُ: لَعَنْتَهُمَا وَسَبَبْتَهُمَا، قَالَ: «**أَوَ مَا عَلِمْتِ مَا شَارَطْتُ عَلَيْهِ رَبِّي؟ قُلْتُ: اللهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَيُّ الْمُسْلِمِينَ لَعَنْتُهُ، أَوْ سَبَبْتُهُ فَاجْعَلْهُ لَهُ زَكَاةً وَأَجْرًا**».

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، وأحمد (٥/ ٢٣١)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢٥، ٢٦)، وذكره الألباني في «صحيح الترمذي» (٢١٠).

(٣) قاله الحافظ ابن رجب الحنبلي في «جامع العلوم والحكم» (ص٣٣٤).

فقه الحديث:

١- بيان خطورة اللسان والأمر بحفظه وأنه إذا لم يحفظ من الشرور كان سببا في انكباب صاحبه على وجهه في النار.

٢- دل الحديث على أن كف اللسان وضبطه وحبسه هو أصل الخير كله، ودل على أن أكثر ما يدخل الناس النار النطق بألسنتهم[١].



(١) المصدر السابق.

طرق الخلاص
من أمراض اللسان

طرق الخلاص من أمراض اللسان

أخي المسلم.. إنك تستطيع إن شاء الله تعالى أن تتخلص من آفات وأمراض اللسان إذا أعانك الله، والتزمت بهذه الأشياء التي سأذكرها لك الآن، وأسأل الله أن يتقبل مني وإياكم صالح الأعمال.

١- أولًا: تتوب إلى الله من الآفات والأمراض المذكورة في هذا الكتاب جميعًا - وشروط التوبة من الآفات والأمراض: هي:

الأول: الإقلاع عنها.

الثاني: الندم على فعلها.

الثالث: العزم الأكيد على عدم العودة إليها.

الرابع: أن تطلب ممن تناولته بلسانك أن يسامحك ويعفو عنك، فإن كنت لا تستطيع ذلك فلا تخبره ولكن عليك أن تتوب إلى الله وتستغفره، وتذكر هذا الشخص وتثني عليه خيرًا في المجالس التي ذكرته فيها بسوء.

٢- أن تجعل لسانك دائمًا رطبًا بذكر الله.

٣- أن تتعلم هذه الآفات، وتلك الأمراض وتستذكرها حتى لا تقع

في واحدة منها.

٤- أن تعلم مدى قبح هذه الآفات وتلك الأمراض وأنها مهلكات وقد تعرضك لسخط رب الأرض والسموات.

٥- أن تعلم أن هذه الآفات وتلك الأمراض قد تخف ميزان الحسنات وتثقل ميزان السيئات وتهوي بصاحبها في النار.

٦- لا تجلس في أماكن تذكر فيها هذه الأمراض (الغيبة، والنميمة، الكذب، الغناء، السب، اللعن، القذف...) حتى لا تكون مشاركًا لهم في الإثم والعدوان والسيئات.

٧- وليس ذلك فقط بل إن وجد هذا وجب عليك أن تنكر على هؤلاء الذين يقعون في أعراض إخوانهم المسلمين، ولعل ذلك يكون سببًا في دفع هذه الأمراض والتخلص منها.

٨- ألا تجعل لسانك محراث شر تفرق به بين الأحبة وأن تنظر في عيوب نفسك قبل النظر في عيوب غيرك وتنشغل بعيوب نفسك.

٩- أن تلتمس لإخوانك الأعذار، وتقبل منهم معاذيرهم، فإن ذلك يدعوك إلى عدم الخوض والطعن فيهم.

١٠- أن تحب لإخوانك المسلمين ما تحب لنفسك، فكما أنك لا تحب أن يتناولك أحد بلسانه، فكذلك لا تتناول أحدًا بلسانك.

١١- أن تقطع جميع الأسباب الباعثة على أمراض اللسان كالغضب والحسد والكبر والمباهاة والغرور وتزكية النفس فتحاول جاهدًا معالجة نفسك من هذه الأمراض التي تنتج عنها آفات اللسان.

وأيضًا عليك أخي المسلم أن تشغل لسانك بما سيأتي ذكره الآن في الصفحات الآتية، وحتى يتعود منك اللسان عليها، وحتى يكون لسانك رطبًا بذكر الله – تعالى – فلسانك إن لم تشغله بالذكر والحق شغلك باللغو والباطل، نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يطهر ألسنتنا من هذه الأمراض اللسانية، وأن يبدلنا – سبحانه – خيرًا منها، إن ربي سميع الدعاء واسع العطاء...

أن تشغل لسانك بتلاوة القرآن:

أخي المسلم: لقد امتن الله تعالى على عباده بنبيه المرسل ﷺ، وكتابه المنزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه حتى اتسع على أهل الافتكار طريق الاعتبار بما فيه من القصص والأخبار، واتضح به سلوك المنهج القويم والصراط المستقيم بما فصل فيه من الأحكام وفرق بين الحلال والحرام، فهو الضياء والنور، وبه النجاة من الغرور، وفيه شفاء لما في الصدور، من تمسك به فقد هُدي، ومن عمل به فقد فاز، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩][(١)]، وهو

---

(١) «موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين» (ص:١٢٣).

حبل الله المتين، أثنى الله تعالى عليه في مواضع كثيرة منه؛ ليبين فضله ويوضح للناس مكانته ومنزلته، قال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الزخرف: ٣، ٤]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢]، فما من باطل إلا وفي القرآن ما يدمغه، ولا شبهة إلا وفيه بيان بطلانها، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٨](١) .

إنه النعمة الباقية، والحجة البالغة، والدلالة الدامغة وهو شفاء الصدور والحكم العدل عند مشتبهات الأمور، وهو الكلام الجزل، وهو الفصل الذي ليس بالهزل - سراج لا يخبو ضياؤه، وشهاب لا يخمد نوره وسناؤه، وبحر لا يدرك غوره - بهرت بلاغته العقول، وظهرت فصاحته على كل مقول، وتضافر إيجازه وإعجازه(٢).

---

(١) «الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة» (ص:٤٩).

(٢) قاله الزركشي في مقدمة كتابه «البرهان» نقله عنه الشيخ عبد الحميد كشك رحمه الله في مقدمة تفسيره «في رحاب التفسير» (ص:٢٥).

سمَّاه الله نورًا وجعله للناس شفاء، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

أعجب به الجن لما سمعوه، فآمنوا به واتبعوه ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١، ٢].

تكفل الله - تعالى - بحفظه وأعجز الخلق أن يأتوا بمثله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

والقرآن الكريم: هو كلام الله ﷻ، المنزل على خاتم أنبيائه ورسله، محمد ﷺ، المعجز بلفظه المتعبد بتلاوته المنقول بالتواتر المفيد للقطع واليقين، المكتوب في المصاحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس.

والقرآن الكريم: لفظه ومعناه من عند الله سبحانه وتعالى، ليس

لجبريل عليه السلام فيه إلا تبليغه إلى النبي ﷺ، وليس للنبي ﷺ فيه إلا تبليغه إلى الناس كافة، وليس للصحابة ومن جاء بعدهم فيه إلا الحفظ والنقل بأمانة ودقة فائقتين من غير تزيد ولا نقصان، ولا تغيير ولا تبديل، حتى وصل إلينا كما أنزله غضًّا طريًّا، كأن عهده بالنزول أمس(١).

والقرآن الكريم له فضل عظيم، فحافظه، وتاليه، ومتعلمه، ومعلمه، وراعيه، والداعي إليه يرقى في درجات الجنة العُلا.

ولقد وردت بذلك من القرآن والسنة المطهرة أدلة، فمن أدلة القرآن الكريم ما يلي:

١- قال الله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

٢- وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

قال السعدي رحمه الله: هذا الأمر عام في كل من سمع كتاب الله يُتلى، فإنه مأمورٌ بالاستماع له والإنصات، والفرق بين الاستماع والإنصات، أن الإنصات في الظاهر بترك التحدث أو الاشتغال بما يشغل عن استماعه، وأما الاستماع له فهو أن يلقي سمعه، ويحضر قلبه ويتدبر ما يستمع، فإن

(١) «في رحاب التفسير»- المقدمة المجلد (١) (ص:٢٩).

من لازم على هذين الأمرين حين يتلى كتاب الله، فإنه ينال خيرًا كثيرًا وعلمًا غزيرًا، وإيمانًا مستمرًّا متجددًا، وهدى متزايدًا، وبصيرة في دينه، ولهذا رتب الله حصول الرحمة عليهما، فدل ذلك على أن من تُلي عليه الكتاب، فلم يستمع له ولم ينصت، أنه محروم الحظ من الرحمة، قد فاته خير كثير.

ومن أوكد ما يؤمر به مستمع القرآن؛ أن يستمع له وينصت في الصلاة الجهرية إذا قرأ إمامه فإنه مأمور بالإنصات، حتى إن أكثر العلماء يقولون: إن اشتغاله بالإنصات أَوْلَى من قراءته الفاتحة، وغيرها (١).

٣- قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢].

ووجه ذلك أنهم يلقون له السمع ويحضرون قلوبهم لتدبره، فعند ذلك يزيد إيمانهم. والله أعلم.

- قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩].

ففي هذه الآية: الله تعالى يخبر عباده عن فضل وشرف القرآن وجلالته وأنه يهدي للتي هي أعدل وأعلى من العقائد والأعمال

---

(١) «تفسير السعدي» (١/ ٥٢٨، ٥٢٩).

والأخلاق، فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن كان أكمل الناس وأقومهم وأهداهم في جميع الأمور(١).

والآيات في فضل القرآن كثيرة، وما ذكرته من أدلة إنما هو على سبيل المثال لا الحصر لأعرّج بعد ذلك على أدلة السنة.

فضل قراءة القرآن الكريم من السنة:

• **الشفاعة لصاحبه:**

أخي المسلم: يقول النبي ﷺ: «**اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ**»(٢).

ولهذه الفضائل العظيمة لكتاب الله، أمر الله تعالى بتلاوته والعمل به وتدبره، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾

[فاطر: ٢٩، ٣٠].

وقال الإمام الشاطبي في فضل القرآن وفضل تلاوة القرآن:

وَخَيْرُ جَلِيسٍ لاَ يُمَلُّ حَدِيثُهُ   وَتَرْدَادُهُ يَزْدَادُ فِيهِ تَجَمُّلا

---

(١) انظر: «تفسير السعدي» (١/ ٨٠٧).

(٢) رواه مسلم (١/ ٢٥٢) (٨٠٤).

وَحَيْثُ الْفَتى يَرْتَاعُ فِي ظُلُمَاتِهِ مِنَ الْقَبرِ يَلْقَاهُ سَناً مُتَهَلِّلا
هُنَالِكَ يَهْنِيهِ مَقِيلاً وَرَوْضَةً وَمِنْ أَجْلِهِ فِي ذِرْوَةِ الْعِزِّ يُجْتُلَى
يُنَاشِدُ في إرْضَائِهِ لحبِيبِهِ وَأَجْدِرْ بِهِ سُؤْلاً إلَيْهِ مُوَصَّلَا
فَيَا أَيُّهَا الْقَارِي بِهِ مُتَمَسِّكا مُجِلاًّ لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ مُبَجِّلا
هَنِيئاً مَرِيئاً وَالِدَاكَ عَلَيْهِما مَلاَبِسُ أَنْوَارٍ مِنَ التَّاجِ وَالحُلا

وكم للقرآن من ثواب جزيل لتاليه، لو تعلم أمة الإسلام حقيقة هذا الثواب لما غفلت عن ترتيله وتزكية القلوب به، وتعطير الألسنة بقراءته، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لا أَقُولُ ﴿الٓمٓ﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ**»(١).

ففي هذا الحديث أن الله تعالى يعطي ثوابًا للقارئ بكل حرف من حروف كلماته حسنة، وفيه فضل قراءة القرآن وكثرة حسناته وزيادة أجره.

• القرآن يدافع عن صاحبه:

عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْكِلَابِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَآلُ عِمْرَانَ** - وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلاثَةَ

---

(١) رواه الترمذي (٢٩١٠)، وقال: حديث حسن صحيح غريب.

أَمْثَالٍ مَا نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ، قَالَ: «كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ، أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا»(١).

• **القرآن يرفع قارئه:**

قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا**»(٢).

النبي ﷺ يضرب مثلًا لقارئ القرآن:

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، مَثَلُ الْأُتْرُجَّةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ، لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا**

---

(١) مسلم (٨٠٥).

(٢) رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١٤٦٤)، و«صحيح الجامع» (٨١٢٢)، و«الصحيحة» (٢٢٤٠).

مُرٌّ»(١).

• **القلب يطمئن بتلاوة القرآن:**

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨]، وقد قال كثير من أهل العلم: إن المراد بذكر الله هنا (القرآن)؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، ولقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤].

• **السكينة تنزل على قارئ القرآن:**

عَنِ الْبَرَاءِ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الْكَهْفِ وَعِنْدَهُ فَرَسٌ مَرْبُوطٌ بِشَطَنَيْنِ، فَتَغَشَّتْهُ سَحَابَةٌ فَجَعَلَتْ تَدُورُ وَتَدْنُو، وَجَعَلَ فَرَسُهُ يَنْفِرُ مِنْهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «**تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ**»(٢).

• **الملائكة تحضر لسماع القرآن:**

من حديث أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ بَيْنَمَا هُوَ لَيْلَةً يَقْرَأُ فِي مِرْبَدِهِ؛ إِذْ جَالَتْ فَرَسُهُ، فَقَرَأَ، ثُمَّ جَالَتْ أُخْرَى، فَقَرَأَ، ثُمَّ

---

(١) البخاري (٥١١١)، ومسلم (٧٩٧).

(٢) البخاري (٤٧٢٤)، ومسلم (٧٩٥).

جَالَتْ أَيْضًا، قَالَ أُسَيْدٌ: فَخَشِيتُ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى، فَقُمْتُ إِلَيْهَا، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فَوْقَ رَأْسِي فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ، عَرَجَتْ فِي الْجَوِّ حَتَّى مَا أَرَاهَا، قَالَ: فَغَدَوْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ بَيْنَمَا أَنَا الْبَارِحَةَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ أَقْرَأُ فِي مِرْبَدِي؛ إِذْ جَالَتْ فَرَسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اقْرَأِ ابْنَ حُضَيْرٍ» قَالَ: فَقَرَأْتُ، ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اقْرَأِ ابْنَ حُضَيْرٍ» قَالَ: فَقَرَأْتُ، ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اقْرَأِ ابْنَ حُضَيْرٍ» قَالَ: فَانْصَرَفْتُ، وَكَانَ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا، خَشِيتُ أَنْ تَطَأَهُ، فَرَأَيْتُ مِثْلَ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ، عَرَجَتْ فِي الْجَوِّ حَتَّى مَا أَرَاهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَرَاهَا النَّاسُ مَا تَسْتَتِرُ مِنْهُمْ**»(١).

- **الشيطان يفر من البيوت التي يُتلى فيها القرآن:**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ**»(٢).

- **الخيرية لأهله:**

عَنْ عُثْمَانَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ**

---

(١) البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٤٢).

(٢) مسلم (٧٨٠).

وَعَلَّمَهُ»(١).

قال في «رحاب التفسير»: في هذا الحديث أن الخيرية (خيرية العباد) مقدورة بتعلم القرآن وتعليمه (٢).

وقال السعدي رحمه الله: وهذا يدل على بيان فضل تعليم القرآن والترغيب فيه، وقد سئل سفيان الثوري عن الرجل يغزو أحب إليك، أو يقرأ القرآن؟ فقال: يقرأ القرآن؛ لأن رسول الله ﷺ قال: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ».

ومكث الإمام أبو عبد الرحمن السلمي يعلم القرآن في مسجد الكوفة أربعين سنة بسبب سماعه لهذا الحديث، وكان إذا روى هذا الحديث يقول: ذلك الذي أقعدني مقعدي هذا (٣).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: والغرض أنه ﷺ قال: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» وهذه صفات المؤمنين المتبعين للرسل، وهم الكُمَّلُ في أنفسهم المكملون لغيرهم.

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ

(١) مسلم (٢٦٩٩).

(٢) «مقدمة التفسير» (١/ ١١).

(٣) «تفسير السعدي» (١/ ٨، ٩).

أَجْرَانِ»(١).

فضائل حملة القرآن:

- **أهل القرآن هم أهل الله وخاصته:**

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ**»، فَقِيلَ: مَنْ أَهْلُ اللهِ مِنْهُمْ؟ قَالَ: «**أَهْلُ الْقُرْآنِ: هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ**» (٢).

- **أهل القرآن ومعلموه هم الربانيون:**

قال الله تعالى: ﴿كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

- **وأهل القرآن يقدمون في اللحد إذا ماتوا:**

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ: «**أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ؟**»، فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ، وَقَالَ: «**أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَـٰؤُلَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(٣).

---

(١) البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (٢٤٤ - (٧٩٨).

(٢) «صحيح ابن ماجه» (٢١٥).

(٣) البخاري (١٢٨٢).

- **حملة القرآن هم أهل الشورى:**

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «وكَانَ القُـرَّاءُ أَصْـحَابَ مَجَـالِسِ عُمَـرَ وَمُشَاوَرَتِهِ، كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا»(١).

- **القرآن يلقى حامل القرآن يوم القيامة حين ينشق عنه قبره:**

فعن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْـدَ النَّبِـيِّ ﷺ فَسَـمِعْتُهُ يَقُـولُ: **«وَإِنَّ الْقُرْآنَ يَلْقَى صَـاحِبَهُ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ حِـينَ يَنْشَـقُّ عَنْـهُ قَبْـرُهُ كَالرَّجُـلِ الشَّاحِبِ فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تعرِفُنِي؟ فَيَقُولُ: مَا أَعْرِفُكَ فَيَقُولُ: أَنَـا صَـاحِبُكَ الْقُرْآنُ الَّذِي أَظْمَأْتُكَ فِي الْهَوَاجِرِ وَأَسْـهَرْتُ لَيْلَـكَ، وَإِنَّ كُـلَّ تَـاجِرٍ مِـنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ مِـنْ وَرَاءِ كُـلِّ تِجَـارَةٍ فَيُعْطَـى الْمُلْـكَ بِيَمِينِـهِ، وَالْخُلْدَ بِشِمَالِهِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَـاجُ الْوَقَـارِ، وَيُكْسَـى وَالِـدَاهُ حُلَّتَـيْنِ لَا يُقَوَّمُ لَهُمَا أَهْلُ الدُّنْيَا فَيَقُولَانِ: بِـمَ كُسِـينَا هَـذَا؟ فَيُقَـالُ: بِأَخْـذِ وَلَـدِكُمَا الْقُرْآنَ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَاصْعَدْ فِي دَرَجِ الْجَنَّةِ وَغُرَفِهَا، فَهُوَ فِي صُعُودٍ مَـا دَامَ يَقْرَأُ، هَذًا كَانَ أَوْ تَرْتِيلًا»**(٢).

وإن من عجيب حال الكثيرين منا تقصيرهم في تـلاوة كتـاب ربهـم وتدبره والعمل به، مع علمهم بفضله وأجره.

قال أمير المؤمنين عـثمان بـن عفـان رضي الله عنه: لـو طهـرت قلوبنـا لمـا

---

(١) البخاري (٤٣٦٦).

(٢) رواه أحمد والحاكم، وهو في «السلسلة الصحيحة» بنحوه (٢٨٢٩).

شبعت من كلام الله ﷻ.

ولهذا المعنى أشار تعالى بقوله: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥]، فالآيات بينت حال المؤمنين، وحال المنافقين عند سماع القرآن وتلاوته، فليحذر المسلم والمسلمة أن يكون من ذلك الصنف الخاسر الذي لا يزيده سماع القرآن إلا خسارًا. والله أعلم.

فعلى هذا ينبغي على المسلم مراعاة هذه الأمور:

- **أولاً: قراءة القرآن بتدبر وتمعن:**

لقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: «لَا تَنْثُرُوهُ نَثْرَ الدَّقَلِ، وَلَا تَهُذُّوهُ هَذَّ الشِّعْرِ، قِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، وَلَا يَكُنْ هَمُّ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ».

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ

أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾

[فاطر: ٢٩، ٣٠].

فعلى المسلم الواعي أن يعيش مع القرآن الكريم: تلاوة وفهمًا، وعملًا وحفظًا، فمعايشة القرآن من أجلّ الأعمال التي يتصف بها المؤمنون، فالله تبارك وتعالى يشيد في هاتين الآيتين بالتالين لكتابه تلاوة مصحوبة بالتدبر الذي ينشأ عنه الإدراك والتأثر، ومما لا شك فيه أن التأثر يفضي بالقارئ - لا محالة - إلى العمل بمقتضى قراءته؛ لذا أتبع الحق تبارك وتعالى القراءة إقامة الصلاة، وبالإنفاق سرًّا وعلانية من فضل الله ثم برجاء القارئين بسبب ذلك تجارة لن تبور.. إلى أن قال: فلابد من قراءة القرآن، قراءة متدبرة واعية تكون سببًا في فهم جمل القرآن، فهمًا دقيقًا(١).

ومدارسة القرآن أبلغ في التدبر وتفهم معانيه؛ ففي الحديث الذي رواه أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِم السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**»(٢).

---

(١) «تفسير السعدي» (١/ ٨).

(٢) مسلم (٢٦٩٩).

بيت الله ليس قيدًا بدلالة رواية مسلم الأخرى: «**لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَـذْكُرُونَ اللهَ عَجَّلَ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَـيْهِم السَّـكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**»(١)، فإذا اجتمعوا في مكـان آخـر غيـر المسـجد كان لهم هذا الفضل أيضًا، فالتقييد ببيت الله خرج مخـرج الغالـب، فـلا مفهوم له، فالاجتماع للتلاوة، والمدارسة للتفقه في آيات الله، ومـا دلـت عليه من أحكام وعبر في أي مكان، يترتب عليـه هـذا الفضـل، وإن كـان الاجتماع للتلاوة والمدارسـة في المسـجد أفضـل مـن الاجتمـاع في أي مكان آخر، لما في المسجد من مزايا وخصائص ليست في غيره (٢).

وأيضًا استماع القرآن من الغير أبلغ في التفهم والتدبر، فقد جاء عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اقْرَأْ عَلَيَّ**» قُلْتُ: آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: «**فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي**» فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ، حَتَّى بَلَغْتُ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١] قَالَ: «**أَمْسِكْ**» فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ (٣).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: وفي هذا الحديث فوائـد: منهـا: اسـتحباب

(١) مسلم (٢٧٠٠).
(٢) مستفاد من «تفسير السعدي» (١/ ٨).
(٣) البخاري (٥٠٥٠)، ومسلم (٨٠٠).

استماع القراءة، والإصغاء إليها والبكاء عندها، وتدبرها واستحباب طلب القراءة من غيره ليستمع له، وهو أبلغ في التفهم والتدبر من قراءته بنفسه. ا هـ.

• **ثانيًا: من الأمور التي يجب على المسلم مراعاتها: مراجعة الحفظ:**

فعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقُلِهَا**»(١).

• **ثالثًا: الخشوع عند تلاوة القرآن:**

فعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «**اقْرَأْ عَلَيَّ**» قُلْتُ: آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: «**فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي**» فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ، حَتَّى بَلَغْتُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] قَالَ: «**أَمْسِكْ**» فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ(٢).

• **رابعًا: عدم هجر القرآن:**

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]، والهجر يشمل: هجر التلاوة، والتدبر، والعمل، والتحاكم

---

(١) البخاري (٥٠٣٣)، ومسلم (٧٩١).

(٢) البخاري (٥٠٥٠)، ومسلم (٨٠٠).

إليه، كما قال ابن القيم رحمه الله.

فلابد من العناية بكلام الله عز وجل حفظًا، وتلاوة، وعملًا، حتى يكون المسلم من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته، والحمد لله رب العالمين، وصلِّ اللهم وسلم وبارك على معلم الناس الخير وعلى آله وصحبه أجمعين. آمين.

ذكر الله تعالى:

يقول القرطبي رحمه الله:

«وأصل الذكر: التنبه بالقلب للمذكورين، والتيقظ له، وسمي الذكر باللسان ذكرًا؛ لأنه دلالة على الذكر القلبي، غير أنه لما كثر إطلاق الذكر على القول اللساني؛ صار هو السابق للفهم». اهـ.

أيها المسلم: ألا فلتعلم أن الذكر(١) هو المنزلة الكبرى التي منها يتزود العارفون، وفيها يتجرون، وإليها دائمًا يترددون، وهو منشور الولاية الذي من أُعْطِيَه اتصل، ومن منعه عزل، وهو قوت العارفين الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورًا، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بورًا، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قُطّاع الطرق، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الطريق، ودواء أسقامهم، الذي متى فارقهم

(١) انظر: «مدارج السالكين»، و«الوابل الصيب» لابن قيم الجوزية رحمه الله، و«التبيان في آداب حملة القرآن» للنووي.

انتكست منهم القلوب، وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقًا ازداد المذكور محبة إلى لقائه واشتياقًا. اهـ.

يقول الحسن البصري رحمه الله:

تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، وفي الذكر، وقراءة القرآن، فإن وجدتم، وإلا فاعلموا أن الباب مغلق.

واعلم - أخي في الله - أن أول علامة لصحة القلب، ومحبة الرب هي كثرة ذكر الله، فإن القلب - كما قيل- كالقدور وألسنتها مغارفها، فاللسان يخرج ما في القلب من حلو وحنظل، فإذا امتلأ القلب بحب الرب جل وعلا تحرك اللسان بالذكر ولابد، وإذا امتلأ بغير ذلك من الكفر والفسوق والعصيان، تحرك اللسان بالغيبة والنميمة والفحش والبذاء. أعاذنا الله وإياكم من ذلك.

ولمزيد أقول لك أخي في الله: الذكر هو ما يجري على اللسان، والقلب من تسبيح الله ـ تعالى ـ وتنزيهه وحمده والثناء عليه، ووصفه بصفات الكمال ونعوت الجلال والجمال، وقد أمر الرب سبحانه وتعالى بالإكثار منه، فقال عز من قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

وأخبر رب العزة- سبحانه - أنه يذكر من يذكره؛ فقال: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ

أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقال رب العزة ـ سبحانه ـ في الحديث القدسي الذي رواه البخاري ومسلم: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي**[١]**، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**»[٢] [٣].

واعلم أخي في الله أن الشاغل لسانه بذكر الله ناج بإذن الله من عذاب الله: عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ عَمَلًا قَطُّ أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ**»[٤].

واعلم أن الله عز وجل اختص أهل الذكر بالتفرد والسبق، قال النبي ﷺ «**سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ**» قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «**الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ**»[٥].

---

(١) أي: إنْ ظنَّ أن الله ـ تعالى ـ يقبل دعاءه، أو مَنِ استغفر وظنَّ أنَّ الله يغفر له... وهكذا، والله أعلم.

(٢) أي: أنه كلما زاد إقبال العبد على ربه كان الله له بكل خير أسرع.

(٣) البخاري (٨/ ١٧١)، ومسلم (٤/ ٢٠٦١)، واللفظ للبخاري رحمه الله.

(٤) رواه الإمام أحمد رحمه الله في «المسند»، وقال ابن حجر: وخرجه ابن أبي شيبة والطبراني بإسناد حسن.

(٥) مسلم ج٩ برقم (٢٦٧٦).

واعلم أنهم هم الأحياء حقيقة، فعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ»(١).

واعلم أن كثرة الذكر ترطب اللسان، وتطمئن القلب الحيران، قال الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] بلى يا رب تطمئن.

وقال المبعوث رحمة للعالمين ﷺ: «**لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ**».

وحتى تتم لك الفائدة أخي في الله أذكرك ببعض فوائد الذكر:

١- يطرد الشيطان ويكسره، ويرضي الرحمن ويزيل الهم والغم، والحزن، ويجلب للقلب الفرح والسرور والبسط.

٢- يقوي القلب والبدن، وينور الوجه، ويجلب الرزق.

٣- يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة.

٤- يورث ذكر الله لمن يذكره، قال الله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

٥- يحط الخطايا ويذهبها، فإنه من أعظم الحسنات، والحسنات يذهبن السيئات.

---

(١) البخاري (١١/ ٢٠٨).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ**»(١).

٦- والذكر سبب لاشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل، فمن عوّد لسانه ذكر الله صانه عن الباطل واللغو، ومن يبس لسانه عن ذكر الله ترطب بكل باطل ولغو وفحش(٢).

٧- ودوام ذكر الله يوجب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده، فإن نسيان الرب يوجب نسيان نفسه ومصالحها.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [الحشر: ١٩].

٨- وكثرة الذكر أمان من النفاق، فإن المنافقين قليلو الذكر لله سبحانه، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٤٢].

واعلم أخي في الله أن أفضل الذكر تلاوة القرآن لتضمنه لأدوية القلب، كما قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾

[الإسراء: ٨٢].

ويقول النبي ﷺ عن قراءة القرآن بتدبر: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ**

(١) البخاري (١١/ ٢٠٦)، ومسلم (١٧/ ١٧).
(٢) «الوابل الصيب» لابن القيم رحمه الله.

اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ ﴿الٓمٓ﴾ حَـرْفٌ، وَلَكِـنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ»(١).

كيف تصير من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات؟

قـــال تعـــالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

يقول النووي رحمه الله **في «الأذكار» ص (١١، ١٢):**

واعلم أن هذه الآية الكريمة مما ينبغي أن يهتم بمعرفتها صاحب هذا الكتاب، وقد اختلف في ذلك، فقال الإمام أبو الحسن الواحدي: قال ابن عباس رضي الله عنهما: المراد: يذكرون الله في أدبار الصلوات، وغدوًّا وعشيًّا، وفي المضاجع، وكلما استيقظ من نومه، وكلما غدا أو راح من منزله ذكر الله تعالى.

وقال مجاهد: لا يكون من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات حتى يذكر الله قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا.

وقال عطاء: من صلى الصلوات الخمس بحقوقها، فهو داخل في قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]. اهـ.

---

(١) رواه الترمذي (١١/ ٣٤)، وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وصححه العلامة الألباني رحمه الله من حديث عبد الله بن مسعود.

وقد جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَيْقَظَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّيَا، أَوْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا، كُتِبَا فِي الذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ» هذا حديث مشهور رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه في «سننهم».

وسئل **ابن الصلاح** رحمه الله عن القدر الذي يصير به الإنسان من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات، فقال: إذا واظب على الأذكار المأثورة المثبتة صباحًا ومساءً في الأوقات والأحوال المختلفة ليلًا ونهارًا كان من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات والله أعلم. اهـ كلام النووي.

- **الذكر من أفضل الأعمال:**

يقول النبي ﷺ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ؟ وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ تَعَاطِي الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَمِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ غَدًا فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ**»، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**ذِكْرُ اللهِ**»(١).

- **طائفة من أذكار النوم:**

* إذا أويت إلى فراشك كل ليلة اجمع كفيك، ثم انفث فيهما، ثم اقرأ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ

---

(١) الترمذي (٥/ ٤٥٩)، وابن ماجه (٢/ ١٢٤٥)، وهو في «صحيح الترمذي» (٣/ ١٩٣)، و«صحيح ابن ماجه» (٢/ ١٢٤٥).

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١ - ٤]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ١ - ٥]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١ - ٦]، ثم امسح بهما ما استطعت من جسدك تبدأ بهما على رأسك ووجهك، وما أقبل من جسدك، تفعل هذا ثلاث مرات[١].

* وإذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] حتى تختمها، فإنه لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح[٢].

* قراءة الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة في الليل، فمن قرأهما كفاه الله شر الإنس والجن، وقيل: كفتاه عن قيام الليل، وهما: ﴿ءَامَنَ

(١) البخاري ومسلم.
(٢) البخاري.

ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٥، ٢٨٦](١).

* إذا قمت من فراشك ثم رجعت إليه، فلتنفضه بإزارك ثلاث مرات، فإنك لا تدري ما خلّفت بعدك، وإذا اضطجعت، فقل: «**بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ**»(٢).

* تقول: «**اللهُمَّ أَنْتَ خَلَقْتَ نَفْسِي، وَأَنْتَ تَوَفَّاهَا، لَكَ مَمَاتُهَا وَمَحْيَاهَا، إِنْ أَحْيَيْتَهَا فَاحْفَظْهَا، وَإِنْ أَمَتَّهَا فَاغْفِرْ لَهَا، اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ**»(٣).

* كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا نَامَ، وَضَعَ يَدَهُ عَلَى خَدِّهِ، ثُمَّ قَالَ: «**اللهُمَّ قِنِي**

---

(١) البخاري ومسلم.

(٢) البخاري ومسلم.

(٣) مسلم.

عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ»(١). ثلاث مرات.

* «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلاَةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ، وَقُلْ: اللهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَهْبَةً وَرَغْبَةً إِلَيْكَ، لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مُتَّ مُتَّ عَلَى الفِطْرَةِ»(٢).

* أما إذا تقلبت في فراشك ليلًا فقُلْ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ»(٣).

* وإذا بليت بالوحشة أو فزعت في النوم فقُلْ: «بِسْمِ اللهِ، أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ، مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ، وَشَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَأَنْ يَحْضُرُونِ»(٤).

* وإذا رأيت في منامك رؤيا صالحة، فلا تحدث بها إلا من تحب(٥)، وإذا رأيت ما تكره، فانفث عن يسارك ثلاثًا(٦)، واستعذ بالله

---

(١) رواه الترمذي (٣/ ٤٣)، وأبو داود (٤/ ٣١١)، واللفظ له.

(٢) المصدر السابق.

(٣) «صحيح الجامع» (٤/ ٢١٣).

(٤) صحيح الترمذي (٣/ ١٧٤).

(٥) البخاري ومسلم.

(٦) مسلم.

من الشيطان، ومن شر ما رأيت ثلاث مرات(١) ولا تحدث بها أحدًا(٢)، وتتحول عن جنبك الذي كنت عليه(٣)، فإذا كنت على اليمين تتحول على الشمال والعكس، وتقوم تصلي إذا أردت(٤).

• **طائفة من أذكار الاستيقاظ من النوم:**

* إذا استيقظت من نومك تقول: «**الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**»(٥).

* قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلاَتُهُ**»(٦).

* «**الحَمْدُ للهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي، وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي وَأَذِنَ لِي**

---

(١) مسلم.

(٢) مسلم.

(٣) مسلم.

(٤) مسلم.

(٥) البخاري (١١/ ١١٣).

(٦) البخاري (٣/ ٣٩) وغيره، واللفظ في الحديث لابن ماجه انظر: «صحيح ابن ماجه» (٢/ ٣٣٥).

بِذِكْرِهِ»(١).

* ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١] (٢).

• **طائفة من أذكار الصباح والمساء:**

هذه الأذكار تقال بعد الفجر وقبل شروق الشمس، هذا في الصباح، أما في المساء فتقال بعد العصر وقبل غروب الشمس، ومن الممكن أن تقال بعد المغرب، وهذا رأي الشيخ ابن عثيمين رحمه الله.

إذا دخل المساء تقول:

* **«أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ للهِ، وَالْحَمْدُ للهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ(٣) وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ(٤) وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ، رَبِّ**

---

(١) الترمذي (٥/ ٤٧٣)، وهو في «صحيح الترمذي» (٣/ ١٤٤).

(٢) البخاري (٨/ ٢٣٥)، ومسلم (١/ ٥٣٠).

(٣) مسلم.

(٤) تقول في الصباح: «أعوذ بك من شر هذا الصباح وشر ما بعده».

أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ» .

وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ ذَلِكَ أَيْضًا: «أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ للهِ»

* «اللهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»(١).

* «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ أَوْ يُمْسِي: اللهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وَمَلَائِكَتَكَ، وَجَمِيعَ خَلْقِكَ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ» أربع مرات حين تصبح أو تمسي(٢).

* «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ»(٣). ثلاث مرات.

* «بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»(٤). ثلاث مرات.

---

(١) البخاري.

(٢) رواه أبو داود، والبخاري في «الأدب المفرد»، والنسائي في «عمل اليوم والليلة»، وابن السني، وحسن إسناده أبو داود والنسائي.

(٣) الترمذي وأحمد وهو في «صحيح الترمذي» وأصله عند مسلم (٤/ ٢٠٨٠).

(٤) «صحيح ابن ماجه» (٢/ ٣٣٢).

* «رَضِيتُ بِـاللهِ رَبًّـا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًـا، وَبِمُحَمَّـدٍ نَبِيًّـا»(١). ثـلاث مرات(٢).

* «سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِـهِ وَمِـدَادَ كَلِمَاتِهِ»(٣). ثلاث مرات.

* «سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ»(٤). مائة مرة.

* «لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَـهُ الْمُلْـكُ، وَلَـهُ الحَمْـدُ، وَهُـوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»(٥). مائة مرة في كل يوم.

* قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ كَانَ لَهُ عَدْلَ رَقَبَـةٍ مِـنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَحُطَّ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَكَانَ فِي حِرْزٍ مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِذَا أَمْسَى فَمِثْلُ ذَلِكَ حَتَّى يُصْبِحَ»(٦).

* وكان النبي ﷺ يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ، وَإِذَا أَمْسَـى: «أَصْبَحْنَا(٧) عَلَـى

---

(١) الترمذي وانظر: «صحيحه» (٣/ ١٤١).

(٢) أحمد، والنسائي، وابن السني.

(٣) مسلم.

(٤) مسلم.

(٥) البخاري ومسلم.

(٦) ابن ماجه وانظر: «صحيحه» (٢/ ٣٣١).

(٧) وإذا أمسيت تقول: أمسينا على فطرة الإسلام.

فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، وَعَلَى كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَعَلَى مِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»(١).

* وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ خُبَيْبٍ أَنَّهُ قَالَ: خَرَجْنَا فِي لَيْلَةِ مَطَرٍ، وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ، نَطْلُبُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ لَنَا، فَأَدْرَكْنَاهُ، فَقَالَ: أَصَلَّيْتُمْ؟ فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، فَقَالَ: «قُلْ» فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ» فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «قُلْ» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «قُلْ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي، وَحِينَ تُصْبِحُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»(٢).

- **طائفة من الأذكار المتفرقة وفضلها:**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ». رواه مسلم.

عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ». مسلم.

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وانظر: «صحيحه» (٣/ ١٨٢).

(٢) رواه أبو داود (٤/ ٣٢٢)، والترمذي (٥/ ٥٦٧)، وانظر: «صحيح الترمذي» (٣/ ١٨٢).

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجَنَّةِ**»(١).

عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟**» فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: «**يُسَبِّحُ اللهَ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ**»(٢).

عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لَهُ: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟**»، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: «**لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**»(٣).

يقول ﷺ: «**مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ثَلاَثًا، غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ، وَإِنْ كَانَ فَارًّا مِنَ الزَّحْفِ**»(٤).

- **دعاء يقال عند دخول السوق:**

عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَالَ حِينَ يَدْخُلُ السُّوقَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا**

---

(١) رواه الترمذي (ج١/ ٥١١) وغيره وهو في «صحيح الترمذي» (٣/ ١٦٠) و«صحيح الجامع».

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) صححه الشيخ الألباني رحمه الله.

شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ كُلُّهُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ اللهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ، وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ، وَبَنَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»(١).

• **الاستغفار من الذنوب والمعاصي:**

الاستغفار من الذنوب والمعاصي طريق مضمون إلى جنة الرحمن، والاستغفار هو طلب المغفرة، والمغفرة هي: وقاية شر الذنوب مع سترها، أي أن الله ﷻ يستر على العبد، فلا يفضحه في الدنيا، ويستر عليه في الآخرة، فلا يفضحه يوم القيامة، ويمحو عنه عقوبة ذنوبه بفضله ورحمته، فليحرص المسلم العاقل على الاستغفار من ذنوبه ليل نهار ولا يفتر، فالمسلم لا يدري متى تنزل المغفرة.

وكما قال الحسن البصري رحمه الله: أكثروا من الاستغفار في بيوتكم وعلى موائدكم وفي طرقكم وفي أسواقكم وفي مساجدكم، وأينما كنتم، فإنكم لا تدرون متى تنزل المغفرة.

والله - سبحانه - ذكر الاستغفار في كتابه في مواضع شتى فتارة يأمر به سبحانه، كقوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ [المزمل: ٢٠].

وتارة يمدح الله أهله كقوله سبحانه: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧].

---

(١) رواه ابن ماجه وصححه الألباني رحمه الله في صحيح ابن ماجه.

وتارة يذكر ربُّنا أنه يغفر لمن استغفره، كقوله سبحانه: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

وكثيرًا ما يقرن الاستغفار بذكر التوبة فيكون الاستغفار حينئذ عبارة عن طلب المغفرة باللسان، والتوبة عبارة عن الإقلاع عن الذنوب بالقلب والجوارح.

وحكم الاستغفار كحكم الدعاء إن شاء الله أجابه، وغفر لصاحبه، لا سيما إذا خرج من قلب منكسر بالذنوب أو صادف ساعة من ساعات الإجابة كالأسحار وأدبار الصلوات، وأفضل الاستغفار أن يبدأ العبد بالثناء على الله، ثم يثنِّي بالاعتراف بذنبه ثم يسأل ربه بعد ذلك المغفرة، وكما ورد في حديث شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ**»(١).

قوله: «**أبوء لك بنعمتك علي**»: يعني: أعترف بذنبي لك وأقر.

ومن أفضل الاستغفار أن يقول العبد: «**أَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَا**

(١) رواه البخاري.

إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ»، وقد ورد عن رسول الله ﷺ أن من قاله «غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ، وَإِنْ كَانَ فَارًّا مِنَ الزَّحْفِ»(١).

وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «وَاللهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»(٢).

وكان النبي ﷺ يقول في المجلس الواحد مائة مرة: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»(٣).

ويقول ﷺ فيما يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ: «ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، ابْنَ آدَمَ، إِنْ تَلْقَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا لَقِيتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً بَعْدَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا، ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ إِنْ تُذْنِبْ حَتَّى يَبْلُغَ ذَنْبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ تَسْتَغْفِرُنِي أَغْفِرْ لَكَ وَلَا أُبَالِي»(٤).

قال النووي رحمه الله: عِنان: بفتح العين: السحاب.

واحدتها: عنانة وقيل: العنان: ما عَنَّ لك منها: أي: ما اعترض وظهر لك إذا رفعت رأسك.

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٧٢) وأبو داود (١٥٠٣)، وقال الترمذي: إسناد متصل جيد وصححه، ووافقه الذهبي وله شاهد رواه الحاكم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه الترمذي وصححه.

(٤) رواه الترمذي وحسنه.

وأما قُراب الأرض: فالمعنى: ما يقارب مَلْئِها.

وهذا الحديث متضمن ثلاثة أسباب من أعظم أسباب المغفرة:

• **أحدها: الدعاء مع الرجاء:**

فإن الدعاء مأمور به موعود عليه بالإجابة، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

فالدعاء سبب مقتضٍ للإجابة مع استكمال شرائطه وانتفاء موانعه، وقد تتخلف الإجابة لانتفاء بعض شروطه أو وجود بعض موانعه، ومن أعظم شرائطه حضور القلب ورجاء الإجابة من الله تعالى، فمن أعظم أسباب المغفرة أن العبد إذا أذنب ذنبا لم يرج مغفرته من غير ربه، ويعلم أنه لا يغفر الذنوب ويأخذ بها غيره، فقوله: «**إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ، وَلَا أُبَالِي**» يعني: كثرة ذنوبك وخطاياك ولا تتعاظم ذلك، ولا تستكثره، وفي الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيُعْظِمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّهُ لَا يَتَعَاظَمُ عَلَى اللهِ شَيْءٌ**»(١).

فذنوب العباد وإن عظمت عفو الله ومغفرته أعظم منها.

كما قال الإمام الشافعي رحمه الله عند موته:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي جعلت الرجا مني لعفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما

---

(١) رواه مسلم.

- **ثانيها: الاستغفار:**

فلو عظمت الذنوب وبلغت من الكثرة عنان السماء - وهو السحاب قيل: ما انتهى إليه البصر منها- ثم استغفر العبد ربه ﷻ فإن الله يغفرها له.

- **ثالثها: التوحيد:**

وهو السبب الأعظم، ومن فقده حرم المغفرة، ومن أتى به، فقد أتى بأعظم أسباب المغفرة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨].

قال ابن القيم ﷺ في معنى قوله: « **يَا بْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً** »، يعني لأهل التوحيد المحض، الذين لا يشوبونه بالشرك ما لا يعفى لمن ليس كذلك، فلو لقي الموحد الذي لم يشرك بالله ألبتة ربه بقراب الأرض خطايا أتاه بقرابها مغفرة، ولا يحصل هذا لمن نقض توحيده وشابه بالشرك، فإن التوحيد الخالص الذي لا يشوبه شرك لا يبقى معه ذنب، فإنه يتضمن من محبة الله تعالى وإجلاله وتعظيمه وخوفه ورجائه وحده ما يوجب غسل الذنوب ولو كانت قراب الأرض، فالنجاسة عارضة والدافع لها قوي، فلا تثبت معه، ولكن نجاسة الزنا واللواطة أغلظ من

غيرها من النجاسات، من جهة أنها تفسد القلب، وتضعف توحيده جدًّا؛ ولهذا كان أحظى الناس بهذه النجاسة أكثرهم شركًا، فكلما كان الشرك في العبد أغلب كانت هذه النجاسة والخبائث فيه أكثر، وكلما كان أعظم إخلاصًا كان منها أبعد، كما قال تعالى عن يوسف الصديق عليه السلام:

﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾ [يوسف : ٢٤].

وكذلك للمجاهرة بالذنوب تأثير في عدم غفرانها، قال النبي ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ...**» الحديث(١).

إلقاء السلام ورده:

أخي في الله: إن إلقاء السلام ورده بين المسلمين هو مفتاح الحب في الله، بل إنه طريق مفتوح إلى الجنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**»(٢).

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يَقُولُ: «**أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ**

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه مسلم.

تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»(١).

وحتى تتم الفائدة تعال بنا أخي القارئ لنتعرف سويًّا على كيفية السلام وكيفية رده وما هو الثواب الحاصل من الإلقاء والرد.

- **أما كيفية إلقاء السلام:**

تقول: السلام عليكم.

« جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، ثُمَّ جَلَسَ.. الحديث»(٢).

وعَنْ عُمَرَ أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ فِي مَشْرُبَةٍ لَهُ فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَيَدْخُلُ عُمَرُ؟».

- **كيف ترد السلام؟**

ترد السلام تقول: وعليكم السلام، أو: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**خَلَقَ اللهُ آدَمَ وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ النَّفَرِ**

---

(١) رواه الترمذي والدارمي وابن ماجه، وقال النووي رحمه الله: أسانيده جيدة وصححه الترمذي.

(٢) رواه أبو داود، وذكر الشيخ مصطفى العدوي أن له شاهدًا عند غير ابن السني وصححه في «الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة».

مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ، فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللهِ».

بهذا - تعلم أخي القارئ - أن إلقاء السلام هكذا (السلام عليكم) أو (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) والرد هكذا (وعليكم السلام)، أو (وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته).

يقول النووي رحمه الله في «الأذكار» ص (٣١٢، ٣١٣):

اعلم أن الأفضل أن يقول المسلِّم: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فيأتي بضمير الجمع وإن كان المُسَلَّم عليه واحدًا ويقول المجيب: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، ويأتي بواو العطف في قوله: وعليكم، ثم قال أصحابنا: فإن قال المبتدئ: السلام عليكم حصل السلام، وإن قال: السلام عليك أو سلام عليك حصل أيضًا وأما الجواب فأقله: وعليك السلام، أو: وعليكم السلام فإن حذف الواو فقال: عليكم السلام أجزأه ذلك وكان جوابًا، هذا هو المذهب الصحيح المشهور الذي نص عليه الشافعي في «الأم» وقال به جمهور من أصحابنا، واستدل من القرآن بقوله تعالى: ﴿ قَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌۖ ﴾ [هود: ٦٩]، ثم قال: وهذا وإن كان شرعًا لمن قبلنا فقد جاء شرعنا بتقريره، وهو حديث أبي هريرة في جواب الملائكة آدم فإن النبي ﷺ أخبرنا أن الله تعالى قال: «**فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ**»، وهذه الأمة داخلة في ذريته. والله أعلم. اهـ.

- **الثواب الحاصل من إلقاء السلام:**

روى أبو داود من حديث عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَشْرٌ» ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَجَلَسَ، فَقَالَ: «عِشْرُونَ» ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَجَلَسَ، فَقَالَ: «ثَلَاثُونَ»(١).

المقصود بقوله ﷺ: «عشرون، ثلاثون» يعني عشرين حسنة وثلاثين حسنة.

الكلم الطيب:

قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

---

(١) الحديث صححه شيخنا مصطفى العدوي في كتابه «الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة» ثم قال في حاشية الكتاب: إن له شاهدًا. وأخرجه ابن السني رقم (٢٣٠) عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، كُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمَنْ قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ كُتِبَ لَهُ عِشْرُونَ حَسَنَةً، وَمَنْ قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ كُتِبَ لَهُ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً**».

قلت (أيمن): بهذا تعلم أن إلقاء السلام كاملًا له ثوابه كاملًا إن شاء الله فمن اقتصر على «السلام عليكم» فقط نال عشر حسنات، ومن زاد معها «ورحمة الله» نال عشرين حسنة، ومن زاد معها «وبركاته» نال ثلاثين حسنة.

أي إلى الله يصعد الكلم الطيب وهو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ يعني أداء الفرائض، وفعل النوافل يرفع إلى الله مع الكلم الطيب.

يقول تعالى حاثًّا عباده على الكلم الطيب: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

يعني قولًا معروفًا حسنًا طيبًا جميلًا، ومن القول الحسن بذل السلام للناس وتعليم الجاهل، وإرشاد ضالهم والبشاشة في وجوههم والابتعاد عن الفحش من القول والبذاءة والشتم والسباب.

وقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣].

قال الإمام القرطبي رحمه الله في «التفسير» (ج٤/ ص٣٩٩٣، ٣٩٩٤):

وقيل: **المعنى**: قل لعبادي الذين اعترفوا بأني خالقهم وهم يعبدون الأصنام، يقولوا التي هي أحسن من كلمة التوحيد والإقرار بالنبوة، وقيل: المعنى: وقل لعبادي المؤمنين إذا جادلوا الكفار في التوحيد أن يقولوا الكلمة التي هي أحسن. اهـ.

وقوله ﷺ من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «**وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ** صَدَقَةٌ»(١).

(١) رواه البخاري ومسلم.

والطيب من القول طريق أهل الإيمان قال تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [الحج: ٢٤].

ومن كان هذا حاله لا يخطئ طريق الجنة.

قول الحق والعمل به:

فعلى الإنسان أن يسعى بقول الحق إلى الناس وبين الناس ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، وإن أعرضوا عنه، فلا يتخلى عنه وليتخذ الأوقات الملائمة التي تمكنه من الإدلاء فيها بقوة الحق ولا يقنط من رفض الناس لسماعه ولا يتخلى عنهم، وليدع أمرهم إلى الله، فمن شاء منهم أن يتبع قول الحق ويؤمن به فليفعل، قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩].

وإن كان في قولك للحق مضرة أو لوم فلا تخافن الناس فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا هَيْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ بِحَقٍّ إِذَا عَلِمَهُ**»(١).

فمن كان هذا حاله فقد مهد لنفسه وبنفسه مسلكا إلى الجنة، وصلِّ اللهم وسلم وبارك على معلم الناس الخير محمد بن عبد الله ﷺ.

(١) رواه الترمذي وأحمد وابن ماجه وصححه الألباني.

إحصاء أسماء الله الحسنى(١):

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ»(٢).

وفي رواية عنه أن رسول الله ﷺ قال: « إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، إِنَّهُ وِتْرٌ، يُحِبُّ الْوِتْرَ، مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»(٣).

- **معنى الإحصاء(٤):**

ورد في معنى الإحصاء أقوال متعددة منها:

١- أن يعدها حتى يستوفيها حفظًا ويدعو بها ربه، ويثني عليه بجميعها، كقوله تعالى: ﴿وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾ [الجن: ٢٨]، واستدل له

---

(١) ووجه الحسنى في أسماء الله أنها دالة على مسمى الله فكانت حسنى لدلالتها على أحسن وأعظم وأقدس مسمى وهو الله عز وجل.
انظر: «القواعد المثلى في صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى». د. كاملة الكواري (ص:٤٠).

(٢) رواه البخاري (٢٥٨٥)، ومسلم (٢٦٧٧).

(٣) صححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» برقم (٣٨٦١).

(٤) انظر: «النور الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى».

الخطابي بقوله ﷺ، كما في الرواية الأخرى: «**مَنْ حَفِظَهَا، دَخَلَ الْجَنَّةَ**».

وقال **النووي** رحمه الله: قال البخاري رحمه الله وغيره من المحققين: معناه: حفظها، وهذا هو الأظهر لثبوته نصًّا في الخبر، وقال في «الأذكار»: وهو قول الأكثرين.

وقال **ابن الجوزي**: «**من أحصاها**»: أي: عدَّها ليستوفيها حفظًا.

وقد رد هذا القول الحافظ ابن حجر رحمه الله: فقال: وفيه نظر؛ لأنه لا يلزم من مجيئه بلفظ (حفظها) تعين السرد على ظهر القلب، بل يحتمل الحفظ المعنوي - ويقصد والله أعلم: أن يحترم أسماء الله ويوقرها، ويحفظ ما تقتضيه من معاني الإيمان ويعمل بها.

وقال **الأصيلي**: ليس المراد بالإحصاء: عدها فقط؛ لأنه قد يعدها الفاجر، وإنما المراد العلم بها.

الثاني: أن يكون المراد بالإحصاء: الإطاقة؛ كقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ [المزمل: ٢٠].

وكقول النبي ﷺ: «**اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا**»(١).

وقال **أهل اللغة**: لن تحصوا: أي: لن تحصوا ثوابه(٢).

---

(١) ابن ماجه (٢٧٧)، وانظر: «صحيح سنن ابن ماجه» (٢٤).

(٢) «الفتح» (١١/ ٢٢٥)، و«شأن الدعاء» (٢٨، ٢٩) نقلًا عن «النور الأسنى».

فيكون المعنى: وأن يطيق الأسماء الحسنى، ويحسن المراعاة لها، وأن يعمل بمقتضاها، وأن يعتبرها فيلزم نفسه بواجبها، فإذا قال: «يا رحمن يا رحيم» تذكر صفة الرحمة، واعتقد أنها من صفات الله سبحانه فيرجو رحمته ولا ييأس من مغفرته، وإذا قال: «السميع البصير» علم أنه يراه ويسمعه، وأنه لا تخفى عليه خافية، وأنه يعلم السر كما يعلم العلن، ويعلم الباطن كما يعلم الظاهر، فيحافظ على قدسيتها ويراعي حرمتها فيخافه في سره وعلنه، ويراقبه في كافة أحواله، فإذا حدثته نفسه بمعصية ذكّرها بقدرة الله وعظمته وأسمائه وصفاته لعلها تنزجر كما قيل:

إذا ما دعتك النفس إلى ريبة والنفس داعية إلى العصيان
فاستح من نظر الإله وقل لها إن الذي خلق الظلام يراني

أن يكون الإحصاء بمعنى العقل والمعرفة:

فيكون معناه أن من عرفها، وعقل معانيها، وآمن بها دخل الجنة وهو مأخوذ من الحصاة وهي العقل، والعرب تقول: فلان ذو حصاة أي: ذو عقل ومعرفة بالأمور(١).

وقال القرطبي رحمه الله: المرجو من كرم الله تعالى أن من حصل له إحصاء هذه الأسماء على إحدى هذه المراتب مع صحة النية أن يدخله الله الجنة، وهذه المراتب الثلاث للسابقين والصديقين وأصحاب اليمين. اهـ.

(١) «تفسير ابن كثير».

• **وهل أسماء الله الحسنى منحصرة في التسعة والتسعين؟**

يجيب عن هذا السؤال الإمام المفسر الجليل ابن كثير رحمه الله فيقول(١): ثم ليعلم أن الأسماء الحسنى ليست منحصرة في التسعة والتسعين بدليل ما رواه الإمام أحمد في «مسنده»، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا**»، قَالَ: فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا نَتَعَلَّمُهَا؟ فَقَالَ: «**بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا**»(٢).

• **وإتمامًا للفائدة أتحدث عن معنى الإلحاد في أسماء الله:**

قال تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٥١٥، ٥١٦).

(٢) أحمد في «المسند» (١/ ٣٩٢) وغيره، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٩٩).

قال العوفي عن ابن عباس: إلحاد الملحدين: أن دعوا «اللات في أسماء الله».

وقال ابن جريج عن مجاهد: اشتقوا اللات من الله، واشتقوا العزى من العزيز.

وقال قتادة: يلحدون: يشركون.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: الإلحاد: التكذيب.

وأصل الإلحاد في كلام العرب: العدل عن القصد، والميل والجور والانحراف ومنه اللحد في القبر؛ لانحرافه إلى جهة القبلة عن سمت الحفر[١].

- واعلم أخي المسلم أن الإلحاد في أسماء الله تعالى هو الميل بها عما يجب فيها: وهو أنواع:

الأول: أن ينكر شيئًا منها أو مما دلت عليه من الصفات والأحكام كما فعل أهل التعطيل من الجهمية وغيرهم، وإنما كان ذلك إلحادًا لوجوب الإيمان بها، وبما دلت عليه من الأحكام والصفات اللائقة بالله، فإنكار شيء من ذلك ميل بها عما يجب فيها.

الثاني: أن يجعلها دالة على صفات تشابه صفات المخلوقين كما

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٥١٥-٥١٦).

فعل أهل التشبيه، وذلك لأن التشبيه معنى باطل لا يمكن أن تدل عليه النصوص، بل هي دالة على بطلانه فجعلها دالة عليه ميل بها عما يجب فيها.

الثالث: أن يسمي الله تعالى بما لم يسم به نفسه كتسمية النصارى له (الأب) وتسمية الفلاسفة إياه (العلة الفاعلة)؛ وذلك لأن أسماء الله تعالى توقيفية؛ فتسمية الله تعالى بما لم يسم به نفسه ميل بها عما يجب فيها، كما أن هذه الأسماء التي سموه بها نفسها باطلة ينزه الله تعالى عنها.

الرابع: أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام كما فعل المشركون في اشتقاق العزى من العزيز واشتقاق اللات من الإله على أحد القولين فسموا بها أصنامهم، وذلك لأن أسماء الله تعالى مختصة به؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨].

وقوله تعالى: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحشر: ٢٤]، فكما اختص بالعبادة وبالألوهية الحقة وبأنه يسبّح له ما في السموات والأرض فهو مختص بالأسماء الحسنى، فتسمية غيره بها على الوجه الذي يختص بالله ﷻ ميل بها عما يجب فيها.

ومنه ما يكون شركًا أو كفرًا حسبما تقتضيه الأدلة الشرعية(١).

---

(١) «القواعد المثلى في صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى» (١٦٩-١٧٣).

فضل من سأل الله بأسمائه الحسنى(١):

التوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه الحسنى أو صفة من صفاته العليا: كأن يقول المسلم في دعائه: اللهم إني أسألك بأنك أنت الرحمن الرحيم اللطيف الخبير أن تعافيني، أو يقول: أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن ترحمني وتغفر لي، ومثله قول القائل: اللهم إني أسألك بحبك لمحمد ﷺ؛ فإن الحب من صفاته تعالى.

ودليل مشروعية هذا التوسل قوله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

والمعنى: ادعوا الله تعالى متوسلين إليه بأسمائه الحسنى.

ولا شك أن صفاته العليا ﷻ داخلة في هذا الطلب؛ لأن أسماءه الحسنى سبحانه صفات له خصت به تبارك وتعالى.

ومن ذلك ما ذكره الله تعالى من دعاء سليمان عليه السلام، حيث قال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

ومن السنة: قول النبي ﷺ في أحد أدعيته الثابتة عنه قبل السلام من

---

(١) «التوسل أنواعه وأحكامه» للشيخ الألباني رحمه الله مع حذف يسير نقلًا عن كتاب «أعظم الحسنات عند الله» (ص: ٣٢٣، ٣٢٤).

صلاته ﷺ: «**اللهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي...**»(١).

وَسَمِعَ النبيُّ ﷺ رَجُلًا آخَرَ يَقُولُ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، الْمَنَّانَ يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَتَدْرُونَ بِمَا دَعَا؟**»، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**»(٢).

فهذه الأحاديث وما شابهها تبين مشروعية التوسل إلى الله تعالى باسم من أسمائه أو صفة من صفاته، وأن ذلك مما يحبه الله سبحانه ويرضاه؛ ولذلك استعمله رسول الله ﷺ، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧]، فكان من المشروع لنا أن ندعوه سبحانه بما دعاه به رسوله ﷺ، فذلك خير ألف مرة من الدعاء بأدعية ننشئها وصيغ نخترعها.

---

(١) «صحيح الجامع» (١٣٠١).

(٢) رواه أبو داود والنسائي وغيرهما، وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي» (١٣٠٠).

كثرة الصلاة على النبي ﷺ :

لا شك أن كثرة الصلاة على النبي ﷺ طريق مفتوح إلى الجنة، فمن أكثر منها ما أخطأ طريق الجنة، وإذا كان رب العزة سبحانه وتعالى يصلي على رسوله المصطفى ﷺ وملائكته الكرام يصلون، فحري بمن يريد الفضل والثواب من المسلمين الحريصين على حب النبي الأمين أن يصلوا عليه.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

فالمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه في الملأ الأعلى عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه؛ ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعًا(١).

وهناك تفسير آخر للآية ألا وهو: إذا كان الله وملائكته يصلون على رسوله، فصلوا أنتم أيضًا عليه، فأنتم أحق بأن تصلوا عليه وتسلموا تسليمًا لما نالكم ببركة رسالته ويُمْنِ سفارته، من شرف الدنيا والآخرة(٢).

---

(١) «جلاء الأفهام» لابن القيم رحمه الله.

(٢) ذكره البخاري رحمه الله بصيغة الجزم.

ولكن كيف يصلِّي رب العزة على نبيه؟ وكيف صلاة الملائكة على النبي ﷺ؟

أما صلاة الله على نبيه فيقول أبو العالية رحمه الله: صلاة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة.

وصلاة الملائكة على النبي ﷺ: الدعاء له.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يصلون: يباركون (١).

أما صلاتنا على النبي ﷺ فهي أن نقول: «**اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**»(٢).

• **فضل الصلاة على النبي ﷺ:**

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ وهو ساجد فأطال السجود قال: « **إِنِّي لَقِيتُ جِبْرِيلَ** عليه السلام **فَبَشَّرَنِي وَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ لَكَ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَسَجَدْتُ لِلَّهِ شُكْرًا**»(٣).

(١) هذا جزء من حديث رواه مسلم (٤/ ١٢٤، ١٢٥) الصلاة.

(٢) رواه الحاكم وغيره، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الألباني: صحيح لطرقه وشواهده.

(٣) «الثمرات الزكية» لأحمد فريد.

وقال ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى الله عَلَيْهِ عَشْرًا»(١).

• ما المستفاد من الصلاة على النبي ﷺ:

١ - امتثال أمر الله سبحانه وتعالى، وموافقته سبحانه في الصلاة عليه ﷺ.

٢ - حصول عشر صلوات من الله ﷻ على المصلي بالصلاة مرة واحدة على النبي ﷺ.

٣ - أنها سبب لشفاعته ﷺ إذا قرنها بسؤال الوسيلة أو أفردها، كما تقدم.

٤ - أنها سبب لكفاية العبد ما أهمّه كما في حديث زيد بن طلحة (٢).

٥ - أنها ترمي بصاحبها على طريق الجنة.

• المواطن التي يُصلَّى على النبي ﷺ فيها:

١ - في آخر التشهد.

٢ - صلاة الجنازة بعد التكبيرة الثانية.

٣ - عند ذكره ﷺ.

٤ - عند دخول المسجد وعند الخروج منه.

٥ - عقب سماع الأذان.

٦ - عند الدعاء.

---

(١) رواه مسلم (٤/ ١٢٨) الصلاة.

(٢) «الثمرات الزكية» لأحمد فريد.

٧- الصلاة عليه ﷺ يوم الجمعة.

٨- الخطب كخطبة الجمعة والعيدين والاستسقاء وغيرها.

٩- عند القيام من المجلس.

١٠-عند خِطْبة الرجل المرأة في النكاح.

اشغل لسانك بـ: (الدعوة إلى الله):

إن الدعوة إلى الله عمل من أَجَلِّ الأعمال؛ إذ إن الله تعالى جَنَّد له صفوة خلقه من الأنبياء والرسل ليدعوا الناس إلى معرفة خالقهم، وليس ثم أحد أحسن قولًا من هذا الذي يدعو الناس إلى معرفة الله ومعرفة دينه وشرعه، وليس ثم أحد أحسن قولًا من هذا الذي يدعو الناس إلى الحلال ويأمرهم بفعله، ويعرف الناس بالحرام ويحذرهم من اقترافه والوقوع فيه، قال الله جل ثناؤه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣](١).

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: أي: دعا عباد الله إليه وهو في نفسه

(١) هذه الآية وإن كانت قد نزلت في المؤذنين إلا أنها تعم كل من دعا إلى الله لعمل الخير؛ فالمؤذن يدعو إلى الله في أذانه، ويدعو إلى الصلاة، والصلاة من الأعمال الصالحات الخيرات، وكذلك من دعا الناس إلى عبادة رب الناس وحده واجتناب الشرك فهو داع إلى الله، وخير مثال النبي ﷺ حيث إنه دعا الناس إلى الله، وعمل صالحًا في دعوته. والله أعلم.

مهتد بما يقوله فنفعه لنفسه ولغيره لازم، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه، وينهون عن المنكر ويأتونه، بل يأتمر بالخير ويترك الشر ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى، وهذه عامة في كل من دعا إلى خير(١).

أن تشغل لسانك بـ (القول الحسن):

اعلم أن القول الحسن مطلوب مع كافة الناس ولا تخرج عنه إلى غيره إلا إذا بَدَرَ ممن تتعامل معه سوء، فحينئذ يجوز لك نوع من الانتصار بقدر المظلمة، أما الأدلة على أن القول الحسن عام، فمنها ما يلي:

عموم قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

وقول الله تعالى لموسى وهارون لما أرسلهما لفرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤].

وقوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا

(١) «تفسير ابن كثير» (٤ / ١٠٠).

ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

وقول النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ»، وفي رواية: «إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»(١).

وعن جرير بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ»(٢).

أما عند الشدة فتجوز أحيانًا، وذلك إن احتيج إليها.

- كما قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ [التحريم: ٩]، فحيث لا ينفع معهم إلا الغلظة استعملت الغلظة معهم، وقال سبحانه: ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾ [النساء: ١٤٨].

---

(١) رواه البخاري (٦٠٢٤، ٦٩٢٦)، ومسلم (٢٥٩٣) واللفظ له من حديث عائشة مرفوعًا.

(٢) رواه مسلم (٢٥٩٢).

وقال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٦٠]، فحيثما دعت الحاجة إلى اللين ألان الشخص القول وأحسن الوعظ، وهو الأصل، وإذا دعت الحاجة إلى الشدة اشتد الشخص يبتغي بذلك وجه الله، فالرفق في موطن يحتاج إلى شدة نوع من الضعف والخَوَر، والشدة في موطن يحتاج إلى اللين طيش وجهل وسَفَهٌ، ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا(١).

كثرة دعاء الرحمن:

فعلى الإنسان أن يشغل لسانه بكثرة الدعاء، والدعاء: هو سؤال الرغائب وطلب الحاجات في جلب نفع أو دفع ضر ممن يملك ويقدر(٢).

والدعاء: عبادة، فكما أن الله -تعالى- يثيب ويعطي الأجر على الصوم، والصلاة، والحج، والعمرة، والصدقة، وغير ذلك من أنواع العبادات، فكذلك يثيب الله تعالى على الدعاء، ومن أوضح الأدلة على أن الدعاء عبادة: قوله تعالى على لسان خليل الرحمن - إبراهيم عليه السلام:

---

(١) انظر: «الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة» لأبي عبد الله مصطفى العدوي.

(٢) انظر: «حقيقة الإيمان» د. عمر بن عبد العزيز القرشي.

﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي﴾ [مريم: ٤٨]، ثم جاء بعد ذلك: ﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ﴾ [مريم: ٤٩]، فدل ذلك على أن الدعاء عبادة.

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ»، وَقَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠](١)، فسمى هنا الدعاء: عبادة.

ويقول **الشيخ محمد بن جميل زينو**: هذا الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي رحمه الله: يدل على أن الدعاء من أجل أنواع العبادة، فكما أن الصلاة لا تجوز أن تكون لرسول أو وَلِيٍّ، فكذلك لا يُدْعَى الرسول أو الولي من دون الله.

يقول الدكتور عمر بن عبد العزيز القرشي ـ حفظه الله: الدعاء من أعظم مظاهر العبادة حتى قيل فيه: الدعاء مخ العبادة، وقال ﷺ: «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ»، وكما أشار القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، فعبر القرآن الكريم عن الدعاء بأنه هو

---

(١) رواه الترمذي وغيره وصحح إسناده الشيخ مصطفى العدوي في «فقه الدعاء».

العبادة، وحذر من الاستكبار عنه؛ ولذلك كانت العبادة بدونه ليست شيئًا أو لا تستقيم ولا تتم إلا به وهو كذلك، ثم قال: وهذه العبادة لا تجوز إلا به وحده. اهـ مختصرًا.

• **الدعاء دافع للمكروه بإذن الله:**

اعلم أن الدعاء دافع للمكروه بإذن الله تعالى، فإنه من أقوى الأسباب في دفع المكروه وحصول المطلوب، ولكن قد يتخلف عنه أثره إما لضعفه في نفسه بأن يكون دعاء لا يحبه الله؛ لما فيه من العدوان، وإما لضعف القلب وعدم إقباله على الله وجمعيته عليه وقت الدعاء.

فيكون بمنزلة القوس الرخو جدًّا، فإن السهم يخرج منه خروجًا ضعيفا، وإما لحصول المانع من الإجابة من أكل الحرام ورين الذنوب على القلوب، واستيلاء الغفلة والشهوة واللهو وغلبتها عليها، وفي الحديث: «**ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ**»(١).

والدعاء كالدواء بالنسبة للداء يشفيه بإذن الله ويدفعه (٢).

---

(١) انظر: «الداء والدواء» للعلامة ابن القيم رحمه الله، الحديث رواه الترمذي (٣٤٧٩) وغيره، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٤٥) ،و«صحيح الترمذي» (٢٧٦٦).

(٢) انظر: «توجيه المسلمين إلى طريق النصر والتمكين» للشيخ محمد بن جميل زينو.

- **وأما عن فضل الدعاء:**

فيقول الله تعالى في الحديث القدسي الجليل: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي**»(١).

وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا بْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا بْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا بْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**»(٢).

١- الدعاء سنة الأنبياء والمرسلين، ودأب الأولياء والصالحين من عباد الله، فمن تركه فقد سلك سبل الأشقياء والمتكبرين، قال رب العزة والجلال: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٧].

---

(١) رواه البخاري (٦٩٧٠)، ومسلم (٢٦٧٥) واللفظ له.

(٢) رواه الترمذي (٣٥٤٠) وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وحسنه الألباني.

وقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

٢- الدعاء أمر الله تعالى به وحث عليه، وكذلك نبيه المصطفى ﷺ قال الله تعالى: ﴿وَسْئَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٢]، وقال الله تعالى: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ**»(١).

٣- لقد علَّل أهل الجنة بالدعاء نجاتهم من عذاب النار فقالوا: ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٧، ٢٨].

٤- الله تعالى الكريم أمر نبيه العظيم أن يجالس، ويلازم أهل الدعاء، وألَّا يعدوهم إلى غيرهم بالنظر فضلًا عما هو فوقه، قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

---

(١) «صحيح الجامع» (٢٤١٨).

٥- الدعاء من أفضل العبادات، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ**»(١).

٦- الله سبحانه وتعالى نهى عن الإساءة إلى أهل الدعاء تشريفًا وتكريمًا لهم، فقال عز من قائل: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٢].

٧- الله تعالى وصف بالدعاء أهل الإيمان، فقال سبحانه: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة: ١٦].

ووعدهم - سبحانه- بأفضل النعيم فقال ﷻ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧].

٨- من لزم الدعاء فلن يدركه الشقاء، قال الله تعالى عن نبيه زكريا

---

(١) «صحيح ابن ماجه» (٣٨٢٨)، و«صحيح سنن أبي داود» (١٤٧٩)، و«صحيح الترمذي» (٢٩٦٩).

ﷺ: ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤]، وقال عن نبيه وخليله إبراهيم ﷺ: ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللهُ لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالكَرْبِ فَلْيُكْثِرِ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ**»(١).

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبِرُّ**»(٢).

٩- الدعاء من صفات أهل الجنة في الجنة، قال الله تعالى: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

١٠- ليس شيء أكرم على الله من الدعاء؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللهِ مِنَ الدُّعَاءِ**»(٣).

١١- الله تعالى يحب الملحين في الدعاء، عن سلمان رضي الله عنه قال: قال

---

(١) «صحيح الترمذي» (٣٣٨٢)، و«صحيح الجامع» (٦٢٩٠)، و«الصحيحة» (٥٩٣).

(٢) حسنه الألباني رحمه الله في «صحيح ابن ماجه» (٩٠)، و«صحيح الترغيب» (١٦٣٨).

(٣) حسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (٦٢٩)، و«الأدب المفرد» (٧١٢).

رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ**»(١).

١٢- الدعاء في كل الأحوال خير: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا**» قَالُوا: إِذًا نُكْثِرُ، قَالَ: «**اللهُ أَكْثَرُ**»(٢).

١٣- الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل: قال النبي ﷺ: «**إِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللهِ بِالدُّعَاءِ**»(٣).

قول: لا إله إلا الله:

من الأعمال اللسانية المحمودة أن يشتغل اللسان بقول: «لا إله إلا الله»، إن هذا القول من أحسن الحسنات التي يجنيها اللسان ولم لا؟! وقد قال أبو ذرٍّ رضي الله عنه: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلِّمْنِي عَمَلًا يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: «**إِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَاعْمَلْ حَسَنَةً، فَإِنَّهَا عَشْرُ**

(١) حسنه الألباني في «صحيح الترمذي» (٣٥٥٦).

(٢) حسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٦٣٧)، وانظر: «أعظم الحسنات عند الله» مع حذف يسير (٣٢٦- ٣٢٩) لجاسر بركات.

(٣) أحمد والترمذي وحسنه الألباني في «المشكاة».

أَمْثَالِهَا»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مِنَ الْحَسَنَاتِ؟ قَالَ: «هِيَ أَحْسَنُ الْحَسَنَاتِ»(١).

وحتى نستطيع أن نقف على حقيقة هذه الكلمة، تعال أخي القارئ لنتعرف على معناها ومادتها اللغوية: أما عن معناها: فمعنى «لا إله إلا الله»: أي: لا معبود بحق إلا الله ولا يستحق العبادة أحد سواه، وهي تتضمن الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله (٢).

وأما عن مادتها: فكلمة الإله في اللغة (الألف، واللام، والهاء) جاءت من هذه المادة كما يلي: ألهت إلى فلان: إذا سكنت إليه واطمأننت، أله الرجل يأله إذا استجار، أله الرجل إلى الرجل: اتجه إليه؛ لشدة شوقه، أله الفصيل بأمه، إذا ولع بها، أله إلاهة وألوهة، عبد...، والقاعدة في اللغة العربية أن الكلمات ذات المادة الواحدة يكون فيما بينها ترابط، ولو أننا تأملنا مدلولات المادة السابقة، فإننا نجد الترابط واضحًا فيما بينها، فأنا لا أستجير إلا بمن أسكن إليه وأحبه، وأعتبره أقوى مني بحيث يقدر على إجارتي، وعلى هذا فالإله يسكن إليه ويطمأن ويستجار به، ويستعاذ به، ويحب ويشتاق إليه ويعبد وهو محتجب، فإذا

---

(١) حسنه الشيخ الألباني (٥٦)، وانظر: «تحقيق كلمة الإخلاص» للحافظ ابن رجب رحمه الله.

(٢) انظر: «حقيقة الإيمان» د. عمر بن عبد العزيز القرشي - حفظه الله.

نحن قلنا: «لا إله إلا الله» دخل في ذلك ضِمْنًا معاني معينة، فكأنني قلت: لا مطمأن إلا إليه، ولا مستجار إلا به، ولا محبوب ولا معبود إلا الله(١).

وحتى تتم الفائدة أذكر لك أخي المسلم فضل لا إله إلا الله، ولكن قبل أن أتكلم عن فضلها أقول: ينبغي عليك يا عبد الله، بل يجب أن تتعلم لا إله إلا الله فلا يكفي أن تقولها بلسانك فقط، ولا يحسن بك أن تقول: لا إله إلا الله، ثم أراك تذهب إلى الأضرحة، وتطوف حول المقبورين طالبا منهم الشفاء والرزق، وغير ذلك مما لا ينبغي أن يطلب إلا من واحد هو الله جل في علاه، ولا يحسن بك أن تقولها بلسانك ثم نراك تحلف بالنبي والكعبة وتحلف برحمة الوالد أو الوالدة وحياة الابن وغير ذلك...

- **وأما عن فضل لا إله إلا الله:**

فيقول الإمام ابن رجب رحمه الله:

وكلمة التوحيد لها فضائل عظيمة، لا يمكن ههنا استقصاؤها، فلنذكر بعض ما ورد فيها:

١- فهي كلمة التقوى، كما قال عمر رضي الله عنه وغيره.

---

(١) «حقيقة الإيمان».

٢- وهي كلمة الإخلاص وشهادة الحق، ودعوة الحق، وبراءة من الشرك، ونجاة هذا الأمر، ولأجلها خلق الخلق، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

٣- ولأجلها أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

٤- وهي نجاة من النار، سمع النبي ﷺ مؤذنًا يقول: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ، فَقَالَ: «**خَرَجْتَ مِنَ النَّارِ**»[١].

٥- ومن كان آخر كلامه «لا إله إلا الله» دخل الجنة، روى الحاكم من حديث معاذ بن جبل: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ: لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[٢].

٦- وكذلك ترجح في صحائف الذنوب، كما في حديث السجلات والبطاقة، ولفظه: «**إِنَّ اللهَ ﷻ يَسْتَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟**

---

(١) مسلم (٣٨٢).

(٢) صححه **الحاكم، وأقره** الذهبي (١/ ٣٥١).

قَالَ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ، أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيُبْهَتُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً، لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ، فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ، فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: أَحْضِرُوهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ»، قَالَ: «فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ»، قَالَ: «فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ»[١].

٧- وهي أفضل ما ذكر الله به وأثقل شيء في الميزان يكفي في فضل لا إله إلا الله إخبار النبي ﷺ أنها أعلى جميع شعب الإيمان كما ورد في «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»[٢].

احرص عليها يا عبد الله، واجعلها في قلبك، ورددها بلسانك فلا زلَّ لسان رددها، ولا ضلَّ قلب سكنت فيه، من قالها دخل الجنة، قال النبي ﷺ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا دَخَلَ الْجَنَّةَ»[٣].

---

(١) «الترغيب» (٢/ ٢٤١)، وإسناده صحيح، قاله الشيخ أحمد شاكر (٢/ ٢٤٠) في «المسند».

(٢) البخاري (١/ ٤٧٤) الأنبياء، ومسلم (١/ ٢٢٧) الإيمان.

(٣) رواه البزار وصححه الألباني في «صحيح الجامع».

والمخلص: هو الذي يفهمها ويعمل بها، ويدعو إليها قبل غيرها؛ لأن فيها التوحيد الذي خلق الله الجن والإنس لأجله [(١)].

انظر ماذا قال ابن رجب رحمه الله: الإله هو الذي يطاع ولا يعصى هيبة له وإجلالًا ومحبة وخوفًا ورجاء، وتوكلًا عليه وسؤالًا منه ودعاء له، ولا يصلح هذا كله إلا لله عز وجل، فمن أشرك مخلوقًا في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإله كان ذلك قدحًا في إخلاصه في قوله: «لا إله إلا الله»، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك...[(٢)].

التوبة[(٣)]:

التوبة لغة: من تاب يتوب إذا رجع.

وشرعًا: الرجوع من معصية الله إلى طاعته. وأعظمها وأوجبها التوبة من الكفر إلى الإيمان، قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

ثم يليها التوبة من كبائر الذنوب، ثم المرتبة الثالثة التوبة من صغائر الذنوب.

---

(١) انظر: «رسالة أركان الإسلام والإيمان» لمحمد بن جميل زينو.

(٢) المصدر السابق.

(٣) «شرح رياض الصالحين» لابن عثيمين، و«موسوعة الآداب» لعبد العزيز السيد ندا.

التوبة إلى الله تعالى من كل الذنوب واجبة على كل مسلم، وذلك دون إبطاء، والدليل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع.

وللتوبة شروط وآداب يجب مراعاتها، فمن هذه الشروط والآداب:

- **الإخلاص فيها:**

وذلك بأن تكون التوبة خالصة لوجه الله تعالى، وليس مخافة العقوبة الدنيوية، أو نحو ذلك، وإنما يكون الباعث عليها الاستجابة لأمر الله تعالى، والتماس مرضاته سبحانه - ومخافة عقابه وبطشه، كما قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التحريم: ٨].

ومن المعلوم أن الإخلاص شرط في قبول كل الأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ١١].

- **أن تكون التوبة من جميع الذنوب:**

وليست من ذنب واحد فقط، بل يجب على المسلم أن يتوب إلى الله من جميع الذنوب كما سبق، لا أن يتوب من البعض، ويصرّ على البعض الآخر.

- **أن تكون التوبة في وقت قبولها، ووقت قبول التوبة على التفصيل التالي:**

١- وقت خاص في عمر كل شخص، وهو ما قبل الغرغرة، وهي بلوغ الروح الحلقوم.

٢- وقت عام في عمر الدنيا، وهو ما قبل طلوع الشمس من مغربها، ولكل من هذين الوقتين دليله، أما التوبة قبيل الغرغرة؛ فلقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ﴾ [النساء: ١٨].

وقوله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ**»(١).

وقال ﷺ: «**مَنْ تَابَ إِلَى اللهِ قَبْلَ أَنْ يُغَرْغِرَ قَبِلَ اللهُ مِنْهُ**».

والدليل على قبول التوبة قبل طلوع الشمس من مغربها قوله عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، تَابَ اللهُ عَلَيْهِ**»(٢).

وقد دل على ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨].

---

(١) رواه أحمد (١٥٣١٢)، والترمذي (٣٥٣٧) وغيرهما. وهو في «صحيح الجامع» (١٩٠٣).

(٢) مسلم (٢٧٠٣).

وتفسير الآية عند أهل العلم: هو طلوع الشمس من مغربها.

• **التعجيل بالتوبة:**

وهو مما يتأكد وجوبه على المسلم، فإن الشيطان قد يزين للإنسان التسويف والمماطلة بالتوبة، حتى يأتيه أجله، ويموت على غير توبة، لكن الواجب أن يُعَجِّل المسلم بالتوبة، فإنه لا يدري متى يفاجئه الأجل، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧].

• **الندم على الذنب والمعصية:**

وهذا واجب على المسلم أن يندم على معصيته، وعلى ما فرط في جنب الله، ويندم على اتباعه للهوى، وطاعته للشيطان، ومعصيته للواحد الأحد الديان، وهذا من آكد شروط صحة التوبة، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «النَّدَمُ تَوْبَةٌ»(١).

• **العزم على عدم العودة إلى المعصية:**

وهذا من شروط صحة التوبة أن يعزم المرء على عدم العودة إلى المعصية، وإذا فقد هذا الشرط، لم تصح توبته؛ لأن صاحبها يكون في هذه

---

(١) أحمد (١/ ٣٧٦) وغيره. انظر: «صحيح الجامع» (٦٨٠٢).

الحال مصرًّا على معصيته، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾

[آل عمران: ١٣٥، ١٣٦].

- **الانكسار بين يدي الله تعالى:**

يجب على التائب فعل ذلك، وهو أن يظهر لله تعالى الانكسار والفاقة والافتقار إليه سبحانه وإلى رحمته جل وعلا، والانطراح ببابه، وأن يوقن الإنسان بالهلكة والخسران إذا لم يتب عليه ربه - سبحانه - وكذلك يرى من نفسه العصيان والذنب، ويرى بقلبه من الله- تعالى- الإمهال، والحلم، فيزداد خشوعًا وانكسارًا لله.

- **أن تكون التوبة بالقلب واللسان والجوارح:**

فعلى من أراد أن يتوب إلى الله- تعالى- توبة صادقة أن يتوب من الذنب بقلبه، فيندم على ما فات، ويعزم على عدم العودة إليه، ويتوب بلسانه، فيستغفر الله ويتوب إليه، ويتوب بجوارحه، فلا يعود للمعصية، وقد كان النبي ﷺ كثير الاستغفار والتوبة بلسانه، كما ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تُوبُوا إِلَى رَبِّكُمْ، فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ**

مَرَّةٍ»(١).

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: إنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»(٢).

• **الإقلاع عن المعصية:**

وذلك بتركها بالفعل، وعدم العودة إليها، وهذا الإقلاع لا تصح التوبة بدونه، غير أن المرء إذا تاب، واستوفى شروط التوبة، ثم عاد لضعف عزيمته، وغلبة شهوته وقع في المعصية ثانية، لم تنتقض توبته الأولى ولكن يلزمه التوبة من الذنب الجديد.

ويدخل في هذا إسلام الكافر، فإن توبته من الكفر تكون بالدخول في الإسلام، كما قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٧٠].

• **رد المظالم إلى أهلها أو استحلالهم:**

فلا بد أن يرد للمظلومين حقوقهم، إذا كانت معصيته متعلقة بحقوق الناس، فيرد المال المغصوب أو المسروق لصاحبه، أو يتحلله

(١) رواه مسلم (٢٧٠٢).

(٢) أحمد (١/ ٢٠١، ٣٢٣٢) وغيره وصححه. انظر: «السلسلة الصحيحة» (٥٥٦).

وكذلك يتحلله إذا كان قد انتهك عرضه أو اغتابه، أو فضحه أو غير ذلك.

فقد قال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليَوْمَ، قَبْلَ أَلَّا يَكُونَ دِينَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ**»(١).

وهذا الشرط لابد منه لصحة التوبة إذا كانت تتعلق بحقوق الناس ومظالمهم، من دماء وأعراض وأموال، فإن خشي عاقبة ذلك تحلله بدون أن يذكر اسمه، وقد أجاز بعض أهل العلم أن يستغفر الإنسان لمن اغتابه، إذا خشي عاقبة هذا الأمر.

- **أن يبدل بعد السيئات إحسانًا:**

وقد قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤].

وقال النبي ﷺ: «... **وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا**...»(٢).

فينبغي على التائب ألَّا يدع موضعًا عصى الله فيه إلا أطاعه فيه، وألا يدع معصية ركبها إلا أتى بعكسها من خصال الخير، وبضدها من أعمال البر، فمثلًا من كانت معصيته الكذب يبدل مكانها الصدق، ومن كانت

---

(١) البخاري (٢٤٤٩).

(٢) أحمد (٥/ ١٥٣)، والترمذي (١٩٨٧) وغيرهما وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٩٧).

معصيته الزنا يبدل مكانها العفة، وهكذا، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠]، فجعل سبحانه من كمال توبتهم من ذنبهم- وهو كتمان الحق- أن يأتوا بضده من عمل الخير، وهو بيان الحق للناس، وبيان ما أنزل الله، فالآية تدل صراحة على ما ذكر في هذا الأدب.

- **أن يعود بعد التوبة خيرًا مما كان قبلها:**

في سلوكه ومعاملاته، وفي شأنه كله، وهذه من علامات التوبة النصوح، وهذا المقصود بها، أن يصبح الإنسان بعدها خيرًا مما كان قبلها، فينبغي للتائب أن يحرص على ذلك، وأن يصبح بعد التوبة إنسانًا جديدًا مختلفًا عما كان بحيث تكون التوبة نقطة تحول في حياته.

- **الاستتار بستر الله، وعدم فضح النفس:**

فإن هذا من أدب الإسلام، ألا يفضح العاصي نفسه بل يكتم معصيته، ويستر على نفسه، ولا يحدث بها أحدًا، فإن النبي ﷺ قال: «اجْتَنِبُوا هَذِهِ الْقَاذُورَاتِ الَّتِي نَهَى اللهُ عَنْهَا، فَمَنْ أَلَمَّ بِشَيْءٍ مِنْهَا، فَلْيَسْتَتِرْ بِسِتْرِ اللهِ تَعَالَى، وَلْيَتُبْ إِلَى اللهِ...» (١).

(١) الحاكم (٤/ ٢٤٤)، وصححه ووافقه الذهبي. وانظر: «صحيح الجامع» (١٤٩).

ولا يجوز للعاصي أن يجهر بمعصيته بين الناس فيُسَمِّع بها وَيُتَحَدَّثُ بها بينهم، لأن هذا يعتبر من إشاعة الفجور والفاحشة في المجتمع، وقد يكون فيه نوع من التفاخر والمعصية، وقد حرم الإسلام المجاهرة بالمعصية، وجعل ذلك من أسباب الهلاك، فقال ﷺ: « **كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ** »(١).

فالواجب على المسلم ألا يفضح نفسه بذكر معصيته. والله أعلم.

- **تجديد التوبة على الدوام:**

فإن الإنسان قد يتوب ثم يعود ثانية إلى الذنب، فيلزمه التوبة مرة بعد أخرى؛ ولهذا فينبغي تجديد التوبة على الدوام، وقد سبق ذكر أحاديث تبين مدى حرصه عليه الصلاة والسلام على ذلك.

فمن تأدب بهذه الآداب، واستوفاها في توبته، رجونا له أن يكون ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴾ [الفرقان: ٧٠، ٧١] (٢).

---

(١) البخاري (٦٠٦٩)، ومسلم (٢٩٩٠).

(٢) «موسوعة الآداب الإسلامية».

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(١):

أخي المسلم: اعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي بعث الله تعالى به النبيين، ولو طُوي بساطه، لاضمحلت الديانة، وظهر الفساد، وخربت البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد، وقد كان الذي خفنا أن يكون، فإنا لله وإنا إليه راجعون؛ إذ قد اندرس هذا القطب عمله وعلمه فاستولت على القلوب مداهنة الخلق - وانمحت عنها مراقبة الخالق - واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات استرسال البهائم، وعز على بساط الأرض مؤمن صادق لا تأخذه في الله لومة لائم، فمن سعى في تلافي هذه الفترة، وسد هذه الثُّلْمة إما متكفلًا بعلمها أو متقلدًا لتنفيذها مجددًا لهذه السنة الداثرة ناهضًا بأعبائها ومشمرًا في إحيائها، كان مستأثرًا من بين الخلق بإحياء سنة أفضى الزمان إلى إماتتها ومستبدًا بقربة تتضاءل درجات القُرب دون ذروتها، واعلم أن للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أدلة وجوب من الكتاب والسنة، وهو فرض كفاية إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين، قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤] في هذه الآية بيان الإيجاب - في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن﴾ أمر

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي، و«منهاج القاصدين» لابن قدامة.

وظاهره الإيجاب، وفيها كذلك: أن الفلاح منوط به إذا حصل، وقال: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾، وفيها: بيان أنها فرض كفاية لا فرض عين، إذا قامت به أمة سقط الفرض عن الباقين؛ إذ لم يقل: كونوا كلكم آمرين بالمعروف، بل قال: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ﴾، فإنه مهما قام به واحد أو جماعة سقط الحرج عن الآخرين، واختص الفلاح بالقائمين به المباشرين، وإن تقاعد عنه الخلق أجمعون عم الحرج كافة القادرين عليه لا محالة، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**»(١).

دل الحديث: على أن إنكار المنكر بحسب القدرة عليه، أما إنكار القلب فلا بد منه، فإذا لم ينكر القلب دل على ذهاب الإيمان منه، سمع ابن مسعود رضي الله عنه رجلًا يقول: هلك من لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر، فقال ابن مسعود: هلك من لم يعرف قلبه المعروف وينكر قلبه المنكر، فالإنكار باليد واللسان يكون بحسب الطاقة، أما معرفة المعروف والمنكر بالقلب، ففرض لا يسقط عن أحد، فمن لم يعرف هلك، وعن ابن مسعود: يوشك من عاش منكم أن يرى منكرًا لا يستطيع أن يغيره أن يعلم الله من قلبه أنه له كاره.

---

(١) مسلم (٤٩).

وقوله ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا**» يدل على أن الإنكار متعلق بالرؤية، فإن كان مستورًا فلم يره، ولكن علم به، فالراجح أنه لا يتعرض له، وأنه لا يفتش عما استراب به، قيل لابن مسعود رضي الله عنه: «إن فلانًا تقطر لحيته خمرًا» فقال: نهانا الله عن التجسس، ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به، وقوله ﷺ: «**وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**» يدل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خصال الإيمان، وفعلها كان أفضل من تركها عجزًا، ويدل على ذلك أيضًا قوله في حق النساء: «**وَأَمَّا نُقْصَانُ دِينِهَا، فَإِنَّها تَمْكُثُ الأَيَّامَ وَاللَّيَالِي لَا تُصَلِّي**»[1].

يشير إلى أيام الحيض مع أنها ممنوعة حينئذ من الصلاة، وقد جعل ذلك نقصًا في دينها، فدل على أن من قدر على واجب وفعله أفضل ممن عجز عنه وتركه وإن كان معذورًا في تركه. اهـ.

بعض آداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

١ - النية الصالحة.

٢ - العلم بمواضع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال بعض السلف: لا يأمر بالمعروف إلا رفيق فيما يأمر به، رفيق فيما ينهى عنه، حليم فيما يأمر به، حليم فيما ينهى عنه، فقيه فيما يأمر به،

---

(١) البخاري (٢/ ٤٠٥)، ومسلم (٢/ ٦٦).

فقيه فيما ينهى عنه [١].

فيجب على الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر أن يكون عالمًا بما يأمر به وينهى عنه، فلا يأمر ولا ينهى بجهل؛ إذ إنه مع الجهل قد يأمر بما لا يأمر به الشرع، فيلزم الناس بما لم يلزمهم به الله، وقد ينهى عما لا ينهى عنه الشرع، فيحرم على الناس ما أحل الله، فيكون ضالًّا داعيًا إلى الضلال، كما أنه بغير علم قد يخطئ حتى في طريقة الأمر والنهي فيفسد أكثر مما يصلح، وقد يأمر بشيء لا يعرف الدليل على وجوبه وينهى عن شيء لا يستطيع إثبات حرمته فينقطع إذا ما جادله أحد المخالفين، كما أنه مع عدم العلم لا ينزل كل شيء منزلته، فقد يأمر بسنة ولا يأمر بفريضة، وقد ينهى عن مكروه ولا ينهى عن محرم.

كما أن بالعلم يتمكن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر من التمييز بين الأحوال التي يجب فيها الأمر والنهي، والتي يستحب فيها والتي يحرم فيها، فإن الإنسان مثلًا قد يأمن من التعرض لضرر يصيبه، ويستيقن أو يغلب على ظنه زوال المنكر، فهنا يجب عليه الأمر والنهي، وقد يرى أن المنكر سيزول لكن بضرر شديد يقع عليه هو، أو يرى أن المنكر لن يزول ويستيقن من ذلك، ولن يقع عليه ضرر فيستحب له الأمر والنهي، وقد يستيقن أن المنكر لن يزول، بل قد يقع منكر أشد منه

---

(١) «مختصر منهاج القاصدين» (١٢٨، ١٢٩).

وأخطر، وكذلك إذا استيقن بنزول الضرر الشديد به مع ذلك كله، فهنا يمتنع عليه الأمر والنهي، وهكذا.

قول الصدق:

الصدق: مطابقة الكلام للواقع بحسب اعتقاد المتكلم، وصدق فلان في الحديث صدقًا أخبر بالواقع (١).

والصدق: يطلق على صدق اللسان، وهو نقيض الكذب، والصدق في النية هو الإخلاص، فيراعى معنى الصدق في مناجاته، ولا يكن ممن قال: (وجهت وجهي لله) وهو غافل كاذب، والصدق في العزم على خير نواه، والصدق في الوفاء والصدق في الأعمال وأقله استواء سريرته وعلانيته، والصدق في المقامات، كالصدق في الخوف والرجاء وغيرهما، من اتصف بالستة كان صديقًا أو ببعضها كان صادقًا (٢).

أخي المسلم: لقد أمرنا الله تعالى بالصدق في كتابه العزيز، فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾

[التوبة: ١١٩].

---

(١) «المعجم الوجيز» (ص:٣٦٢).

(٢) انظر: «مختصر منهاج القاصدين» لابن قدامة.

قال الجزائري رحمه الله عند تفسير الآية:

أي: اتقوا الله – تعالى- باتباع أوامره واجتناب نواهيه، وكونوا من الصادقين(١) في نياتهم وأقوالهم وأعمالهم تكونوا مع الصادقين في الآخرة مع النبي ﷺ، وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وسائر النبيين والصديقين والصالحين.

ما يستفاد من الآية:

وجوب التقوى والصدق في النيات والأقوال والأحوال(٢).

ولقد أعد الله عز وجل مغفرة وأجرًا عظيمًا للصادقين في الآخرة.

قال الله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

ولأن قول الصدق في كل شيء يرشد صاحبه إلى العمل الصالح،

(١) فَسَّر الصادقين بأنهم الذين استوت ظواهرهم وبواطنهم، قال ابن العربي: هذا القول والحقيقة والغاية التي إليها المنتهى.

(٢) «أيسر التفاسير» (٢/ ٤٣٥).

والعمل الصالح يوصل إلى الجنة، فقد حثَّنا النبي ﷺ على الصدق، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي**(١) **إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ**(٢) **حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا...**» (٣).

قال النووي رحمه الله: قال العلماء: هذا فيه على تحري الصدق، وهو قصده والاعتناء به، وكتبه الله لمبالغته صدِّيقًا إن اعتاده، ومعنى يكتب هنا: يحكم له بذلك، ويستحق الوصف بمنزلة الصديقين وثوابهم.

ما يستفاد من الحديث:

١- الترغيب في الصدق؛ لأنه سبب كل خير.

٢- عاقبة الصدق الجنة، الصدق يكون بالقول المطابق للواقع وبالفعل في أدائه على أحسن وجه (٤).

- **ومن علامات الصدق:**

أنه يطمئن قلب العبد، فعن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال:

---

(١) قال الراغب: يهدي: الهداية: الدلالة بلطف.

(٢) صدِّيقًا: هو من أبنية المبالغة ونظيره: الضحيك، والمراد: فرط صدقه حتى يصدق قوله العمل.

(٣) البخاري ومسلم (٣/ ١٥٢) «اللؤلؤ والمرجان».

(٤) السابق.

حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ[١] إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ[٢]، وَإِنَّ الكَذِبَ رِيبَةٌ»[٣].

ما يستفاد من الحديث:

١- استحباب التنزه عن الشبهات، والإقدام على ما هو حلال بَيِّنٌ.

٢- الصدق يبعث في قلب صاحبه الطمأنينة والشجاعة وثقة الناس به، بينما الكذب يبعث في قلب صاحبه الشك والتردد والخوف، والذل والهوان، وعدم ثقة الناس.

فيا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا دائمًا مع الصادقين، ويا أصحاب الألسنة الصادقة تحروا دائمًا الصدق في القول والعمل، نسأل الله- سبحانه- الإخلاص والصدق في القول والعمل.

الشكر باللسان:

الشكر معناه[٤]: هو الثناء على المنعم بما أولاه من معروف، والشكر يدور حول مقامات ثلاثة: فشكر بالقلب، واللسان، والجوارح.

---

(١) ما يريبك: بفتح الياء من أراب وقيل: راب والفتح أفصح، قيل: راب لما يتيقن فيه الريبة، وأراب لما يتوهم منه.

(٢) طمأنينة: اطمأن القلب سكن ولم يقلق.

(٣) رواه الترمذي (٢٥٢٠).

(٤) انظر: «**مختصر منهاج القاصدين**» لابن قدامة رحمه الله.

أما شكر القلب: فهو يقصد الخير، ويضمره للخلق كافة.

أما شكر اللسان: فهو إظهار الشكر لله بالتحميد.

وأما شكر الجوارح: فهو استعمال نعم الله في طاعته.

وحديثنا عن الشكر باللسان: فالشكر باللسان إظهار الرضا عن الله تعالى، وهو مأمور به، قال النبي ﷺ: « **التَّحَدُّثُ بِالنِّعَمِ شُكْرٌ وَتَرْكُهَا كُفْرٌ** »[1].

وقد كان السلف رضوان الله عليهم يتساءلون ومرادهم استخراج الشكر، فيكون الشاكر مطيعًا، والمستنطق مطيعًا.

وأما عن جزاء الشاكرين فتدبر ماذا يقول رب العزة - سبحانه: ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥][2].

وقال الله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧][3].

---

(١) «صحيح الجامع» (٣١٠٤).

(٢) الشاكرون: الذين ثبتوا على إسلامهم فاعتبر ثباتهم شكرًا لله، وما يجزيهم به هو الجنة ذات النعيم المقيم وذلك بعد موتهم.

(٣) قال الجزائري - حفظه الله: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ نعمتي بعبادتي وتوحيدي فيها وطاعة رسولي بامتثال الأوامر واجتناب النواهي ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ في الإنعام والإسعاد، ثم قال: سئل بعض الصالحين عن الشكر لله فقال: ألا تتقوّى بنعمه على معاصيه، وحكي أن داود ﷺ قال: أي ربي كيف أشكرك وشكري لله =

وقول النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: «يَا مُعَاذُ إِنِّي لَأُحِبُّكَ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَنَا وَاللهِ أُحِبُّكَ، قَالَ: « **فَإِنِّي أُوصِيكَ بِكَلِمَاتٍ تَقُولُهُنَّ فِي كُلِّ صَلَاةٍ: اللهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ** »(١).

وثبت عن رسول الله ﷺ أَنَّه كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ له أمنا الطاهرة التقية النقية العفيفة- أم المؤمنين- عائشة رضي الله عنها: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «**أَفَلاَ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا**»(٢).

الإصلاح بين الناس:

إن الإصلاح بين الناس من الأعمال اللسانية الممدوحة من الله، المحمودة من رسول الله ﷺ، ورب العزة سبحانه وتعالى- ذم التحدث في النسر؛ لأنه في الغالب لا يكون فيه خير(٣)، ولكنه استثنى- سبحانه

= نعمة بتجديده منك علي؟ قال: يا داود الآن تشكرني، وعليه فالشكر الاعتراف بالنعمة للمنعم ولا يصرفها في غير طاعته. «أيسر التفاسير» (٣/ ٤٣).

(١) البخاري (٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨٢٠).

(٢) رواه أبو داود (١٥٢٢)، والنسائي (٣/ ٥٣) وغيرهما. وهو في «صحيح سنن أبي داود» (٢٠٦٧).

(٣) قال الله تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤]. معنى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾: أي ما يتناجون به ويتحدثون به سرًّا.

وتعالى- الإصلاح بين الناس، فالذي يسكت عن تبليغ شيء فيه شر لا يعد كاذبًا بل يعد مصلحًا، وهذا هو المطلوب والمرغوب، قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِي خَيْرًا، أَوْ يَقُولُ خَيْرًا»(١).

والمعنى: قال العلماء: المراد هنا أنه يخبر بما علمه من الخير ويسكت عما علمه من الشر، ولا يكون ذلك كذبًا؛ لأن الكذب الإخبار بالشيء على خلاف ما هو به، وهذا ساكت، ولا ينسب لساكت قول(٢).

وإذا كان بين طائفتين من الناس مشاحنات واختلافات ونقل عن هؤلاء إلى هؤلاء كلامًا جميلًا من هؤلاء إلى هؤلاء كذلك يعد هذا إصلاحًا بين الناس ولا يعد كذبًا، حتى لو بالغ في القول أو قال كلامًا لم تقله إحدى الطائفتين طالما يريد الإصلاح بينهما، هذا وقد أمر الله تعالى بإصلاح ذات البين، فقال عز من قائل: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١].

والمعنى: وأصلحوا حقيقة ما بينكم بالمودة وترك النزاع (٣).

---

(١) رواه البخاري (٢٦٩٢)، ومسلم (٢٦٠٥).

(٢) «فتح الباري» (٥/ ٢٩٩، ٣٠٠).

(٣) «رياض الصالحين» تحقيق شعيب الأرناؤوط.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٠].

بهذا يعلم أن الإصلاح بين الناس أمر قد حث عليه الشرع الحنيف، فلنبادر بالإصلاح بين الناس، ولنحرص جميعا على ذلك، إن كنا نريد أن ننال الثواب، وأن يعظم لنا الأجر، وبالله وحده التوفيق والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. وصلِّ اللهم وسلم وبارك على النبي محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرًا.



الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله... وبعد:

وبهذا القدر اليسير أكون قد انتهيت. بفضل الله تعالى وعونه - من بعض ما جمعته من أمراض اللسان التي ذكرت في هذا الكتاب، راجيًا من ربي ﷻ أن ينفعني بما فيه، وأن ينفع جميع المسلمين وأن يغفر لي ـ سبحانه ـ ما قد أخطأت فيه، فإن أكن مصيبًا فمن عند الله ـ وذلك فضله، وإن أكن قد أخطأت فيه فمن عند نفسي ومن عند الشيطان، والله ورسوله منه براء ـ وأسأل الله أن يتقبل مني هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، إنه خير مسؤول.

أبو عبد الله

أيمن أحمد محمد المزين

مصر- سمنود- غربية



الفهرس



موسوعة

أمراض اللسان

كتاب ينبغي لكل مسلم ومسلمة وداعية أن يقتنيه

الغيبة	النميمة	اللعن	الغناء	قول الزور
الكذب	القذف	المن بالعطية	السب	السخرية والاستهزاء
التنابز بالألقاب	المزاح	الجدال والمراء	النجوى	المدح المذموم
اللغو	الهجاء	الوعد الكاذب	الخصومة واللدد	إفشاء الأسرار

الناشر
مكتبة فياض
المنصورة - عزبة عقل

جمع وترتيب
أيمن المزين